شبهات وردود

إعداد وتجميع هاني طاهر

كلمة الناشر

جُمعت مادة هذا الكتاب من عدد من المصادر، أهمها: الأسئلة والأجوبة في الموقع العربي الرسمي للجماعة الإسلامية الأحمدية (www.islamahmadiyya.net)، ومن مخطوط للداعية محمد حميد كوثر بعنوان: "اعتراضات وردود"، ومن كتاب "نبوءات يشكك فيها المعارضون" للأستاذ نعيم عثمان، ومن كتاب "الجماعة الإسلامية الأحمدية عقائد ومفاهيم". وكذلك من مقالات كتبها الإخوة: محمد طاهر نديم وعبد المجيد عامر وغيرهما. وقد أشرنا في الحاشية إلى مصدر كل ردّ.

نتقدم بخالص الشكر لكل من ساهم في إخراج هذا الكتاب، ولا سيما الأستاذ مبشر أحمد كاهلون، ومصطفى ثابت، وتميم أبو دقة، وخالد عزام، وهاني الزهيري، والحافظ عبد الحي البهتي، و د.وسام البراقي، وعلاء نجمي، وعبد المجيد عامر، ومحمد أحمد نعيم، ومحمد شريف، ومحمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر، فجزاهم الله جميعًا أحسن الجزاء.

نسأل الله تعالى أن يكون فيه عون لأصحاب القلوب الطاهرة للاطلاع على الحقائق ولطرد الوساوس التي يثيرها المعارضون.

الناشر

أيار/ مايو 2011

الفصل الأول

نبوءات يشكّكون بها

النبوءة المتعلقة بالسيدة محمدي بيغم وعائلتها

المباهلة مع المولوي ثناء الله الأمْرِتْسَري

النبوءة عن القسيس عبد الله آتهم

النبوءة المتعلقة بالقس ألكسندر دوئي

نبوءة الموت في مكة أو المدينة

نبوءة: إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى

نبوءة الابن الخامس

نبوءة الثمانين عاما

نبوءة عدم دخول الطاعون قاديان

نبوءة دولة اليهود

نبوءة زوال السلطنة البريطانية

الفصل الثاني

اعتراضات حول الوحي والكشوف والرؤى:

المنام الذي رأى فيه المسيح الموعود عليه السلام أنه قد أصبح الله

"أنت مني وأنا منك، أنت مني بمنزلة ولدي"

"أُعطيتُ صفة الإفناء والإحياء"

"أُبريشن –عمر– براطوس أو بيلاطوس"

"هوشعنا (شيعانا) –نعسا"

"جـ سنكه بهادر"

"آريون كا بادشاه"

"أنت من مائنا، وهم من فشل"

"يا قمر يا شمس"

"إنك أنت الْمُجاز"

"يا وليّ الله كنت لا أعرفك"

"إني سأخبره في آخر الوقت إنك لست على الحق"

"إني مع الأفواج آتيك بغتة، إني مع الرسول أجيب، أخطي وأصيب"

"إني مع الرسول أقوم، ومن يلومه ألوم، أفطر وأصوم "

"إني آتي سرّا كالسارقين"

"نحمدك، ونصلي، صلاة العرش إلى الفرش، يحمدك الله، ويمشي إليك "

"إنما أمرك إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون"

"لولاك لما خلقتُ الأفلاك"

"كأن الله نزل من السماء"

"اصطفيتك على العالمين"

"الأرض والسماء معك كما هو معي"

"أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي.. أنت مني بمنزلة عرشي"

"آثرك الله على كل شيء، نزلت سرر من السماء ولكن سريرك وُضع فوق كل سرير"

"لا تخف إنك أنت الأعلى"

"هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"

"إنّا أنزلناه قريبا من القاديان"

"يلاش: يا لا شريك له"

"يتم اسمك ولا يتمّ اسمي"

"يريدون أن يروا طمثك"

"كل العقل في لبس النظيف وأكل اللطيف"

"إن العذاب مربّع ومدوّر"

"علم الدرمان 223"

نسيان الوحي

تنزل بعض الإلهامات في آيات قرآنية

الحمل بعيسى

الفصل الثالث

اعتراضات على دعوة المسيح الموعود عليه السلام **وأفكاره وشخصه**

الاعتراض: يقال إن المسيح الموعود عليه السلام قد أهان المسيح عليه السلام واستهزأ بمعجزاته

الاعتراض: هل كان المسيح الموعود عليه السلام يهين المسيح الناصري عليه السلام؟

الاعتراض: يتهم البعض المسيح الموعود عليه السلام بأنه يحتقر معجزات المسيح عليه السلام.

الاعتراض: هل قال الخليفة الثاني:"إننا نخالف المسلمين في كل شيء:

الاعتراض: هل قال المسيح الموعود عليه السلام : "أنا دائم المرض

الاعتراض: لماذا سميت الجماعة بالأحمدية وليس بالمحمدية؟

الاعتراض: هناك تناقض في أقوال مؤسس الجماعة حول النبوة

الاعتراض: يقال أن المؤسس شبه الله بالإخطبوط

الاعتراض: يقول المؤسس أن عمر الكرة الأرضية ستة آلاف سنة

الاعتراض: تقولون إن القول بحياة المسيح شرك، لكن مؤسس جماعتكم ظل يقول بذلك عشرات السنين

الاعتراض: من أين أتيتم بكلمة شبيهه

الاعتراض: ما هو نسب مؤسس الجماعة؟ مرة يقول أنه مغولي، ومرة يقول أنه فارسي، فكيف ذلك؟

الاعتراض: هل صحيح أن المؤسس قال: إن مؤتمرنا السنوي هو الحج

الاعتراض: إن الله يرسل الرسول بلسان قومه، فلماذا نزل وحي على مؤسس جماعتكم بغير لغته؟

الاعتراض: تفسيركم للدجال معقد، ولو صحّ لكان الرسول ﷺ يتحدث بألغاز وحاشاه.

الاعتراض: يقال أن المسيح الموعود عليه السلام قد شبّه الله تعالى بالملائكة؟

الاعتراض مؤسس جماعتكم يؤمن المسيح عيسى عليه السلام كان يخلق الطير حقيقة

الاعتراض: كان المؤسس يؤمن بتمثل الجن

الاعتراض: المسيح الموعود عليه السلام يدعي اللَّبِنَة الأخيرة في صرح الإسلام

الاعتراض: إباحة الحشيش

الاعتراض: هل شبّه المسيح الموعود عليه السلام وحيه بالقرآن

الاعتراض: تناقض في كلام المسيح الموعود بشأن بولس وأثره

الاعتراض: المسيح الموعود يهاجم خصومه بقسوة

الاعتراض: المسيح الموعود لم يستغفر الله قط، وقد ورد ذلك في الرواية رقم 1

الاعتراض: كيف يختم للأنبياء مَن جاء بعدهم؟

الاعتراض: ما معنى أنه لا توجد معجزة أو كرامة خارقة لنبي إلا ويشاركه فيها آلاف من الناس

الاعتراض: يذكر المسيح الموعود عليه السلام أن له مليون آية، فما هي هذه الآيات؟

الاعتراض: هل تعلم البوذيون الرهبنة من المسيح

الاعتراض: هل قال المسيح الموعود أنه صاحب الختم، وأنه أفضل الأنبياء؟

الاعتراض: لقد أعلن المؤسس أنه نبي تشريعي، بينما لا تفتأون تقولون أنه نبي تابع غير تشريعي

الاعتراض: يقال أن المسيح الموعود عليه السلام قد ادّعى أنه أفضل من جميع الأنبياء.

الاعتراض: لماذا قال مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية أنه جمع في نفسه كل شأن النبيين؟

الاعتراض: مؤسس الأحمدية يصف العلماء المسلمين بأنهم أولاد حرام

الاعتراض: مؤسس الأحمدية كان مدمنا على تعاطي الأفيون

الاعتراض: مؤسس الأحمدية كان يصنع العرق ويوزعه على أصحابه

الاعتراض: يقال إن ميرزا غلام أحمد قد ادعى أنه المهدي، لإصابته بالهستيريا.

اعتراض: يُنسب إلى المسيح الموعود عليه السلام أنه أهان فاطمة الزهراء رضي الله عنها

الاعتراض: مرة تقولون هو المهدي ومرة المسيح ومرة الحكم، فما لقبه بالضبط؟

الاعتراض: تناقض في أقوال المسيح الموعود، فمرة ينفي عن نفسه النبوة، ومرة يدّعيها.

الاعتراض: ما حقيقة أن ميرزا غلام أحمد تعلم العرافة في صغره من أبيه؟

الاعتراض: من أين ابتدعتم البيعة؟ وما فائدتها؟

الاعتراض: تحريم زواج الأحمدية من غير الأحمدي تشريع جديد

الاعتراض: لماذا يتوسل المسيح الموعود عليه السلام بالنبي خاتم النبيين ﷺ وليس بالله تعالى؟

الاعتراض: ما قصة أنه لا فرق بين الخمسين (50) والخمسة (5) إلا في النقطة.

الاعتراض: قال ميرزا غلام أحمد عن عبارة " وجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة" أنها نص قرآني

الاعتراض: ألا تعتبر معجزة الحبر الأحمر تجسيدا لله؟ هل الله يوقّع وله قلم وللقلم حبر؟

الاعتراض: لماذا يتلقى المؤسس وحيا بلغات مقل الإنجليزية والسنسكريتية والعبرية

الاعتراض: أين المنارة التي نزل عندها المسيح

الاعتراض: هناك عبارة تدل على أن مؤسس الجماعة ينتقص من الإسلام!

الاعتراض: يمكن أن يجيء مسيح آخر في دمشق.

الاعتراض: من الممكن أن يجيء بعدي لا مسيح واحد، بل عشرات الآلاف.

الاعتراض: ورد في البراهين الأحمدية أن حضرته كان يؤمن بنزول المسيح من السماء.

الاعتراض:إن "نور الدين" هو الذي طرح على ميرزا غلام أحمد فكرة أن يعلن أنه المسيح الموعود.

الاعتراض: لقد وصف ميرزا غلام أحمد الصحابي أبا هريرة بالغبي!

الاعتراض: إن الله تعالى أمر بتقديم هدية لمن يريد أن يتحدث مع الرسول.

الاعتراض: هذا هو موسى فتَى الله، الذي أشار الله في كتابه إلى حياته.

الاعتراض: يرى مؤسس الجماعة أن آدم أول البشر

الاعتراض: مؤسس الجماعة يؤمن بأن عرش بلقيس أُحضر في لمح البصر من اليمن

الاعتراض: صار آدمُ ذليلاً مصغرًا، ثم خلقني الله لكي أهزم الشيطان!

الاعتراض: إن الله أنزل لصدق دعواي آيات وبينات بهذه الكثرة لو أنزلتْ على نوح لم يغرق أحدٌ من قومه"

الاعتراض: هل قال المسيح الموعود عليه السلام أنه أفضل من كل الأنبياء مجتمعين

الاعتراض: "إن لمحمد ثلاثة آلاف معجزة، ولكن معجزاتي زادت على مليون؟

الاعتراض: "أنا المقصود بقول الله سبحانه (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله).

الاعتراض:أنا المراد في قوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

الاعتراض: قراءة تعويذة على حبات حمص

الفصل الرابع

اعتراضات على الفكر الإسلامي الأحمدي

الاعتراض: أنتم تنكرون أن سيدنا محمدا ﷺ هو خاتم النبيين، وتنكرون الأحاديث الكثيرة مثل "لا نبي بعدي" وحديث اللَّبِنَة، وغيرها.

الاعتراض: تفسيركم لـ "لا نبي بعدي" ولـ "خاتم النبيين" لم يقل به أحد من السابقين.

الاعتراض:حديث اللَّبِنَة المتمِّمة (الأخيرة)، دليل على أن سيدنا محمد ﷺ آخر نبي، سواء تابع أو تشريعي، فما قولكم؟

الاعتراض: عقيدة السلف الصالح في "خاتم النبيين" تخالف ما تقولون

الاعتراض: ألم ينقطع الوحي بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ؟ فكيف تقولون بأن ميرزا غلام أحمد تلقى الوحي؟

الاعتراض: لاحظت عدم اعترافكم بالخوارق المادية

الاعتراض: تنسبون وفاة المسيح كذبا إلى الإمام مالك

الاعتراض: الميرزا كان يعلم مسبقًا بموعد الكسوف والخسوف

الاعتراض: أنتم تؤمنون بصلب المسيح

الاعتراض: ﴿.. وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ..﴾

الاعتراض: قال الله تعالى أنه رفعه إليه، أي إلى السماء.

الاعتراض: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْته وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

الاعتراض: الآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليل على أن النبي غير الرسول

الاعتراض: الأحمديون ينكرون معجزة إحياء المسيح للأموات.

الاعتراض: استخدم المسيح الموعود عليه السلام كلمة خاتم بمعنى آخِر. وهذا حجة على القائلين بأن خاتم النبيين لا تعني آخرهم.

الاعتراض: لقد انقطع الوحي بدليل قول الله تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِك﴾

الاعتراض: حول هجرة المسيح إلى الهند

الاعتراض: أين إنجيل المسيح في الهند؟

الاعتراض: معنى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ ﴾.

الاعتراض: الرفع قد حصل فعلًا، وأنّه كان حسيًا

الاعتراض: الخليفة الثاني صلى خلف إمام الحرم في مكة

الفصل الخامس

اعتراضات على أدلة صدق المسيح الموعود عليه السلام

الاعتراض: أدلة حدوث الخسوف والكسوف

الاعتراض: يقال أن اجتماع الخسوف والكسوف في رمضان ممكن ويتكرر

الاعتراض: هذا الخسوف لم يحصل في 13 من رمضان، بل في 14

الاعتراض: حول رواية "الدار قطني"

الاعتراض: كيف يمكن التأكد من أن مؤسس الجماعة قد علّمه الله اللغة العربية بشكل إعجازي؟ وما دليل عدم إجادة اللغة العربية قبل تحققها.

الاعتراض: يقال أن مؤسس جماعتكم قد أخذ عباراته من مقامات الهمذاني والحريري

الاعتراض: حول أخطاء لغوية في كلام المسيح الموعود

الاعتراض: نوتوفيتش وقبر المسيح في الهند

الاعتراض: ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه

الفصل السادس

اعتراضات وافتراءات متعلقة بالجهاد

الاعتراض: لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية

الاعتراض: وثيقة العمالة

الاعتراض: الأحمديون عملاء لإسرائيل، والدليل على ذلك مركزهم في حيفا.

الاعتراض: الأحمدية تتعاون مع الماسونية لهدم العقيدة الإسلامية.

الاعتراض: هل تجوز الثورة على النظام الحاكم إن ظَلم؟

الاعتراض: يقال إن الشرط الرابع من شروط البيعة، كان الولاء للحكومة البريطانية؟

الفصل السابع

اعتراضات على تفسير آيات قرآنية

الاعتراض: هل بوذا نبي؟

الاعتراض: يقول بعض المسيحيين أن القرآن الكريم يشهد بألوهية المسيح. فما قولكم؟

الاعتراض: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

الاعتراض: من هو أحمد المذكور في سورة الصف

الاعتراض: الخلود في النار

الفصل الثامن

اعتراضات على تفسير أحاديث نبوية

الاعتراض: يقال أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية ينكر الأحاديث، فما حقيقة ذلك؟

الاعتراض: ألم يرد عن الرسول ﷺ أن المهدي من نسل فاطمة، وأنه سيبايع بين الركن والمقام، وأن جيشا سيُخسف به لأنه يأتي لقتاله؟ فكيف تحقق ذلك كله؟

الاعتراض: من أين جاءت عقيدة المهدي المنتظر ولا أصل لها في القرآن

الاعتراض: أين "سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا"

الاعتراض: المهدي ستسمع به الدنيا كلها، ولكن مهديكم لا يسمع به إلا القليل.

الاعتراض: المهدي والمسيح شخصيتان مختلفتان

الاعتراض: هناك حديث يقول بأن المسيح سيصلي خلف المهدي

الاعتراض يقال أن الأحمديين انتقائيون في الأحاديث

الاعتراض: "يضع الحرب" أم "يضع الجزية"

الاعتراض: يوم كسنة ويوم كشهر..

الاعتراض: تصحيح الأحاديث وفرزها

الاعتراض: يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي.

الاعتراض: خروج الشمس من مغربها

الاعتراض: 30 متنبئا كاذبا

الاعتراض: جاء في آخر حديث الثلاثين كذابا أنه ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وهو بهذا يؤكد استحالة بعثة أي نبي بعده.

الاعتراض: تستدلون بحديث: "ولا المهدي إلا عيسى"، فما معناه؟ أليس هنالك مهديون غيره؟

الفصل التاسع

اعتراضات تشويهية محضة

الاعتراض: يقال أن المؤسس توفي في بيت الخلاء.

الاعتراض: قصة قرار البرلمان الإنجليزي

الفصل العاشر

متفرقات

من سمى الجماعة الإسلامية الأحمدية بهذا الاسم؟ وما علة هذه التسمية؟

الاعتراض: الأحمدية تكفر الناس، ثم تشكو من تكفيرها

الاعتراض: لماذا لا يؤمن كبار العلماء بمؤسس جماعتكم؟ أليسوا هم أعلم منا وعلينا الاقتداء بهم؟

الاعتراض: قصة الجنود القاديانيين في الجيش الإسرائيلي

الفصل الأول[1]
نبوءات يشكّكون بها

القواعد الأساسية التي تحكم تحقُّقَ النبوءات

قبل أن نشرع في بحث بعض نبوءات المسيح الموعود عليه السلام التي يزعم خصومه أنها لم تتحقق.. قد تكون مناقشةُ القواعد الأساسية التي تحكم تحقُّقَ النبوءات الإلهية التي يُنعم بها الله على رسله.. ذاتَ صلة وثيقة بالموضوع.

قاعدة تأويل النبوءات:

لا خلاف في أن "النبي لا يتنبأ من عند نفسه، بل يفعل ذلك بسلطان من الله تعالى وحده". ومن الخطأ الظنّ أن "كل نبوءة للنبي لا بد من تحققها حرفيًّا أو حسب ظاهر النص". بل إن رجالا ممن تبوءوا أعلى المنازل والمقامات في الروحانية، أيضًا لم يقدروا في بعض الأحيان على فهم مراد الله في بعض المسائل بدقة. بل إن بعض رسل الله تعالى قد فهموا ما أُوحي إليهم فهمًا يخالف حقيقةَ ما ترمي إليه المشيئة الإلهية. ألسنا نعرف رؤيا سيدنا محمد المصطفى ﷺ التي تتعلق بأداء العمرة والحج مع صحابته.. تلك الحادثة المعروفة باسم "صلح الحديبية"؟ تقول الأحاديث إن النبي ﷺ - بناء على رؤيا إلهية رآها - طلب من أصحابه أن يتجهزوا لزيارة بيت الله الحرام بمكة المكرمة وأداءِ شعائر العمرة هناك. ولكن مشركي مكة أبوا عليهم دخولَ البقعة المقدسة. وانتهى الأمر إلى توقيع معاهدة بين المسلمين والمشركين عند الحديبية، وبناء على شروطها قَبِلَ النبي ﷺ بالعودة إلى المدينة بدون أداء شعائر العمرة التي فَهِمَ حضرته من الرؤيا أنها مقدَّرة لهم.

ويتضح من الروايات أن صحابة النبي ﷺ - مع احترامهم وتقديرهم الفائق لمقامه ﷺ - كانوا يكرهون بشدةٍ الإحلالَ من إحرامهم بالعمرة والرجوعَ إلى المدينة دون تحقيق النبوءة كما فهموها.

لو كان هؤلاء المعترضون على بعض نبوءات المسيح الموعود عليه السلام حاضرين لدى توقيع صلح الحديبية والإيابِ إلى المدينة دون أداء شعائر العمرة التي أشارت إليها رؤيا النبي ﷺ، ماذا كانوا سيقولون؟

وهناك مثال آخر يبين كيف أن الرؤى الربانية لم يفهمها تمامًا في بعض الأحيان رجالٌ من ذوي المكانة الروحانية العالية.. ومثال ذلك هو ما وعد الله تعالى به سيدنا نوح عليه السلام؛ إذ يقص القرآن الكريم أن الله جل وعلا وعد رسولَه نوحًا بنجاة أهله جميعًا من كارثة الطوفان التي كانت

---

[1] هذا الفصل من بدايته حتى نبوءة الموت في مكة أو المدينة من كتاب الأستاذ نعيم عثمان (نبوءات يشكك فيها المعارضون)

وشيكة الحلول بقومه، وعندما شاهد سيدنا نوح ابنه على شفا الغرق.. نادى ربه بصيحات الحزن الشديد والحيرة الأليمة ﴿رَبِّ إِنَّ ابنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ .. وكأنه يذكّره بوعده السابق. ومع ذلك.. فإن الله تعالى – بدلا من أن ينجي الولد – أخبر الوالدَ المضطرب بأن ابنه ذاك من دمه ولحمه فعلا.. ولكنه – بسبب فسوقه – لا يدخل ضمن أسرة النبي في نظر الله تعالى. فكأن سيدنا نوحًا قد أخطأ فهمَ الوعد الإلهي الذي ما كان يتعلق بأهل النبي وذريته إلا من الناحية الروحية فحسب.

وإنا لنسأل هؤلاء الذين يجزمون بلا دليل: ما قولهم لو كانوا حاضري المشهد، وينظرون من فوق الجبل ويرون الموجة العاتية تكتسح ابن نوح إلى مصيره الأخير؟

هذه الحقائق التاريخية الثابتة في كتب الوحي الإلهي.. ألا توحي للمرء بضرورة أن يتعرف جيدا بالوسائل المتنوعة التي يُحِقُّ بها الحقُّ ﷻ كلماتِه.. ذلك قبل أن يغامر فيناقش هذه المسألةَ الدقيقة المتعلقة بتحقق النبوءات والمشيئة الإلهية؟

إن القاعدة الذهبية المهيمنة في تعامل الله جل وعلا مع الإنسان، ذَكَرَها القرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُون﴾ (الأعراف: 157)

وبالنظر إلى هذه القاعدة.. فمن الخطأ الظنّ أنه لا بد من تحقق النبوءات كلها حرفيًّا كما يفهمها العقل البشري المحدود. إن مثل هذا الرأي مضلِّل تماما، وصاحبُه يَغفل عن أن يأخذ في الاعتبار أمرين: أولا؛ صفةَ الرحمة الإلهية الحنون التي لا يُسبَر غورها. وثانيا؛ العواملَ الأخرى المتعلقة بالموضوع.. مثل سلوك القوم الذين صدرت بصددهم النبوءة الإلهية.

ولما كانت رحمة الله تعالى ترجَح غَضَبَه..فلا يمكن أن يجرؤ مسلم يستحق ذرةً من نعم الله تعالى على أن يقيِّد حقَّ الله في الاختيار والتفضل برحمته على من يشاء. هذا الحق – بشهادة القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم – هو ما أعلنه الله تعالى هكذا: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ .. يرحم من يشاء وإن كانوا ممن قُدِّر عليهم الغضب من قبل.

لا مِراء في أن ما يقرره الله تعالى حق مطلق.. لأنه لا يقول إلا ما هو حق. ولكن الله تعالى هو نفسه مالِكُ مشيئته ورب الأقدار؛ قد ينبئ بهلاك قوم، ثم يبدِّل القومُ سلوكَهم في الحياة ويُبدون الندم، ويتوبون ويتصرفون بحسب التقوى.. وعندئذ يصفح الله تعالى عنهم.. ويَدَعُ المبدأَ الغالب– مبدأ ﴿ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ – ليقوم بدوره طبق قاعدة ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: 34).

ويندهش المرء عندما يجد هؤلاء الطاعنين في الجماعة الإسلامية الأحمدية يفشلون في ملاحظة الظاهرة اليومية التي خَبرها كل مؤمن. فكثيرا ما يرى المؤمن في الحلم تحذيرًا يتعلق بأحداث غير مواتية ومآسٍ وشيكة في حياته، ويستطيع الجزمَ أن مثل هذه الأحلام الصالحة - بناء على سنة النبي ﷺ - هي في الواقع تحذيرات إلهية، يكشف الله تعالى عن طريقها لعباده أخطارا تهددهم. ولكن إذا تاب المنذَر، وابتهل إلى الله تعالى سائلا الصفحَ، وأخرج الصدقاتِ وبذل المال في سبيل الله.. فإنه كثيرا ما يتفادى برحمة الله تعالى وغفرانه هذه الأخطارَ المحدقة.

ما هو يا ترى رأي المعترضين على نبوءات المسيح الموعود عليه السلام بالنسبة لهذا الرب الذي يُخبر عبده بحادث وشيك، ثم إذا تاب عبدُه وتضرَّع وتصدَّق وضحّى.. يبدِّل الرب قضاءه؟ ألا يكون صادقا في كلمته؟

قاعدة النبوءات المشروطة

من تعاليم الإسلام الحقة، التي أرساها نبي الإسلام ﷺ فيما يتعلق بالعقاب الإلهي.. أن الله سبحانه مطلقَ الحرية في أن يعفو، وأن الصدَقة ترفع عقاب السماء المقدر. وبصرف النظر عما يقوله العيابون على المسيح الموعود عليه السلام بصدد نبوءاته.. تبقى الحقيقة الثابتة بأن تحقُّق النبوءات، وخصوصًا تلك المنذِرة بالعقاب، موضوعٌ مشروط بسلوك المنذَرين الذين صدر بشأنهم القرار، ومشروطٌ أيضا بمشيئة الله تعالى. وإن شاءت حكمتُه جل وعلا — ألا يعفو، فقد تحققت كل كلمة في النبوءة.

ولكن إذا قدَّر الله تعالى أن يصفح عن الإنسان لأنه بدَّل سلوكه.. فإن النبوءة التي تنذر بالعقاب لا تتحقق. ومن الواضح عندئذ أن عدم تحققها لا يفسَّر بأنه بطلان كلمة الله تعالى.. لأنه جل وعلا محيطٌ بكل شيء، وهو وحده المطّلع على قلب المرء، ويعلم المغزى الحقيقي لكلمات نبوءاته.. ومن ثَمّ فإنه يُحِقُّ كلمته كما قدّر وشاء، وليس كما يفهم الإنسان أو يتوقع.

ثم هناك دليل إيجابي في القرآن الكريم يشير إلى أن الوعود الإلهية عن بشارات سارّة هي أيضا قابلةٌ للتبديل إذا بات القوم المبشَّرون غيرَ أهلٍ لتلقي الإنعام الإلهي الموعود. وللمرء أن يتساءل مثلا.. ماذا جرى لسيدنا موسى وقومه بني إسرائيل بعد أن تحرروا من استعباد فرعون مصر؟ أنبأهم سيدنا موسى عليه السلام بأن الله تعالى سوف يهلك أعداء بني إسرائيل ويورث الإسرائيليين الأرض الموعودة. ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف:130) وتحقيقًا لذلك أوصلهم الله تعالى إلى عتبات الأرض الموعودة التي

كتبها لهم، ولكن تبيَّن أن بني إسرائيل غير جديرين بهذا الوعد بعد، ولذلك قضى الله تعالى تأجيلَ تحقق وعده لهم أربعين سنة. (المائدة: 22-27)

لقد عانى موسى عليه السلام مع أمته الظالمة، ومع أنه كان بريئًا من أي جرم إلا أنه توفي قبل أن يدخل الأرض الموعودة التي وعده الله وقومه إياها. لقد كان عبدًا مؤمنًا مخلصًا لله تعالى.. ولذلك لم يعترض ولم يشكّ في كلام ربه.

إذن، عندما نقرأ أن كلمات الله "لا تتبدل".. ينبغي فهمُها فقط على أنها أسلوب مقرَّر من الله تعالى، وأن تحقق أحكامها في الماضي منذ إعلان أن "كلمات الله لا تتبدل" يقوم على مثل هذه الآيات القرآنية: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر:44).

فهل يتوقعون من الله تعالى معاملة غير معاملته للأقوام الماضية؟ كلا، لن تجد تغييرا أو تبديلا في سنّة الله جل وعلا.

ومع ذلك.. إذا شاء الله تعالى - انسجامًا مع سنّته المستمرة - أن يرجئ أو يلغي قرارَ إيقاع العقوبة على قوم بسبب عوامل معينة تستدعي رحمته- كما حدث مع سكان نينوى- فإن هذا التغيير أو التبديل الظاهري لا يجوز اعتباره تبديلا أو تحويلا في كلمة الله تعالى.

يسوق القرآن الكريم دليلا قويا وفي بيانٍ علمي، فيوضح كيف أن الله جل وعلا يجعل رحمته تسبق غضبه؛ إذ يبدل الله قرار العقوبة. والمثل النموذجي لهذا الأسلوب نجده في معاملة الله تعالى لأهل نينوى (يونس:99). ويقص علينا القرآن المجيد أن الله تعالى بعث سيدنا يونس عليه السلام رسولا إلى بلدة نينوى، فرفضوا رسالة الله تعالى باديءَ الأمر، ولذلك قدر الله موعدًا معينًا ويومًا محددًا لهلاكهم. وفهِم سيدنا يونس أن هذا النبأ الإلهي الخاص بهلاك مائة ألف أو يزيدون من سكان نينوى، سوف يتحقق حرفيًّا، ولذلك هاجر من البلدة (الأنبياء: 88)، ووقف على مسافة منها يترقب أنباء تدميرها. ويقول القرآن المجيد إن أهل هذه البلدة ندموا ندمًا صادقًا، وتابوا إلى ربهم توبةً نصوحًا، وتضرعوا إليه يستغفرونه ويلتمسون رحمته.. فألغى الله تعالى قراره السابق، ونظر إليهم برحمته. ويصرح القرآن المجيد فيما يتعلق بهذه النبوءة والمصير النهائي لقوم نينوى فيقول: ﴿ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (يونس: 99). فهل يتقدم أولئك الناقدون لنبوءات المسيح الموعود عليه السلام.. ويحتجون ضد نبوة سيدنا يونس فينكرونها.. لأن نبوءته التي تلقاها بالوحي الإلهي لم تتحقق كما توقعها الإنسان.. فقد جاء قدر الله تعالى بخلافها، ونجّى أهلَ نينوى من عذاب الخزي لما آمنوا؟

وبالمناسبة؛ فإن سيدنا يونس عليه السلام كان رجلا قوي الإيمان عظيم التقوى؛ فلما أدرك خَطَأَه في فهم غاية المشيئة الإلهية.. طفق يستغفر ويسأل الله تعالى الصفحَ، ونتيجة لذلك نجّاه الله تعالى من الغم (الأنبياء: 89). لو كان الناقدون العيابون للمسيح الموعود عليه السلام هؤلاء في موقف سيدنا يونس.. للبثوا في بطن الحوت إلى يوم يبعثون، إذ لا يُتوقع منهم إدراكُ خطئهم والتماسُ المغفرة على سوء فهمهم لسنن الله تعالى.

هذه الأمثلة القليلة من التاريخ الديني المسجَّل المحفوظ.. تكفي لترسيخ الحقيقة حول مسألة تحقُّق النبوءات الإلهية، وتُبين أنها موضوع يتطلب الدراسة بحرص عظيم.

ومن المَهازل المؤلمة عند مناقشة نبوءات أُلهمتْ للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام – وهي بالطبع خاضعة لنفس القواعد الإلهية السارية التي ذكرناها آنفا – أن خصوم الأحمدية لا يتعاملون مع الموضوع بخُلق الأمانة والاستقامة.. وهما من الصفات الواجبة، ليس على المؤمن فحسب، بل تُتوقع أيضا من الإنسان العادي الصادق.

وفيما يلي نتناول هذه النبوءات التي يكثرون من الافتراء حولها، معلنين أنها لم تتحقق:

أولا: النبوءة المتعلقة بالسيدة محمدي بيغم وعائلتها

من هي محمدي بيجم؟ ومن هي عائلتها؟

كانت "محمدي بيغم" ابنة أحد أقرباء المسيح الموعود عليه السلام الأبعدين من ناحية والده، ويُدعى الميرزا أحمد بيك. كان هذا الرجل قد أعلن ارتداده عن الإسلام. ليس ذلك فحسب، بل شارك أيضا مع بعض الأقارب الآخرين في سب نبي الإسلام سيدنا محمد ﷺ، والتشكيك في صدق القرآن الكريم، وإنكار وجود الله تعالى. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج5، ص566 - 567)

قَلِقَ المسيح الموعود عليه السلام من هذا الموقف الجريء الذي يقفه هؤلاء الأقارب الذين طالما نصحهم أن يكُفّوا عن إنكار وجود الله تعالى، وشتمِ النبي الأكرم ﷺ، والطعنِ في القرآن الكريم؛ كلمة الله المقدسة. ولكنهم أعاروا نصحه آذانًا صمّاء. بل كانت استجابتهم الوحيدة الإمعان في العدوان، واحتقار ما يبذله لهم المسيح الموعود عليه السلام من نصح. ولاحَظَ حضرته أن هؤلاء القوم قد صاروا أشد جرأة في شجب كل مقدسات الإسلام، فذكر هذا الأمر وقال:

"وكذلك سدروا في غلوائهم، وجمحوا في جهالاتهم، وسدلوا أثواب الخيلاء يوما فيوما، حتى بدا لهم أن يشيعوا خزعبلاتِهم ويصطادوا السفهاء بتلبيساتهم، فكتبوا كتابا فيه سبُّ رسول الإسلام ﷺ، وسبُّ كلام الله تعالى، وإنكارُ وجود البارئ عز اسمه." (مرآة كمالات الإسلام، ص 567)

هذه الوثيقة التي نشرها بعض المنشقّين عن الإسلام في الأسرة.. وجدت ذيوعًا في الصحافة النصرانية. (جريدة "جشمه نور"، أمْرِتْسَر، بتاريخ 1885/8/13م) وطلب كاتبوها من المؤمنين بدين الإسلام أن يأتوا بآية تثبت صدق عقيدتهم.

وعندما وصل الخبر إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام حزن حزنًا شديدا، قد أعرب عنه بقوله:

"فإذا الكلمات تكاد السماوات يتفطرن منها. فغلّقتُ الأبوابَ ودعوتُ الرب الوهاب، وطرحتُ بين يديه وخررتُ أمامه ساجدا.. وقلت يا رب انصر عبدك وَاخْذُلْ أعداءك! استجِبْني يا رب استجِبني! إِلاَمَ يُستهزأ بك وبرسولك؟ وحَتَّامَ يكذِّبون كتابك ويسبون نبيك؟ برحمتك أستغيث يا حي يا قيوم يا معين" (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج5، ص569)

النبوءات التى تلقاها المسيح الموعود عليه السلام بشأن هذه العائلة

يتضح - بلا أدنى ريب - من هذا الدعاء أنه لم يكن هناك أي دافع شخصي للخلاف بين المسيح الموعود عليه السلام وأسرة محمدي بيغم كما يزعم خصوم الأحمدية. بل بالعكس، لقد ابتهل إلى الله جل وعلا أن يسمع دعاءه ويخزي أعداء الإسلام الذين أنكروا وجود الله وسبّوا نبيه محمدًا المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعابوا كتابه القرآن الكريم. (المرجع السابق) فرَحِمَ ربُّه تضرعاتِه وزفراتِه وعبراتِه وناداه قائلا:

"إني رأيت عصيانهم وطغيانهم، فسوف أضربهم بأنواع الآفات، وأبيدهم من تحت السماوات، وستنظر ما أفعل بهم، وكنا على كل شيء قادرين." (المرجع السابق)

فعل الله ذلك استجابةً لابتهالات المسيح الموعود عليه السلام التي تضرع فيها أن يصون اللهُ تعالى؛ ليس فقط كرامة سيدنا أحمد، وإنما كرامة الله عز وجل قبل ذلك، وكرامة نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكرامة كتابه القرآن المجيد.

ومِن ثم فإن الاحتجاج ضد هذه النبوءة - وهو ما يفعله خصوم المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام - يعادل القولَ بأن هذه العائلة التي ألحد كثير من أعضائها.. قد نجحت - معاذ الله - في إحباط مشيئة الله جل وعلا. والدليل على ذلك هو أن الوثيقة التي نشرها بعض كبار أسرة محمدي بيغم، والغرضَ الذي ابتهل المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام من أجله إلى الله تعالى.. يتعلقان أساسًا بوجود الله تعالى، وبصدق سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وصدقِ القرآن الكريم. (جريدة "جشمه نور" أمْرِتْسَر 1885/8/13م)

ثم إن سنة الله السارية؛ هي أنه لا يعذب عباده قبل أن يرسل إليهم من ينذرهم.. ذلك كي يتيح للمذنبين فرصة ليتوبوا ويصلحوا. فإن استمعوا واستجابوا للتحذير فتابوا وانصلحوا، نظر إليهم ربهم الغفور الرحيم نظرة رحمة حسب وعده: ﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة:40) ولم تكن ذرية عائلة محمدي بيغم استثناء من هذه القاعدة المقررة. لذلك فإن الله تعالى- مع تحذيره لهم بعقاب وشيك بسبب سوء فعلهم - ما كان ليعذبهم قبل أن يمنحهم فرصة التوبة والإصلاح.. وهذا واضح في كثير من الأنباء السماوية التي تنزّلت على سيدنا أحمد. فمثلا حذّر حضرته هذا الفرع من أسرة محمدي بيغم بأن الله تعالى أخبره:

"لا أهلكهم دفعة واحدة، بل قليلا قليلا لعلهم يرجعون ويكونون من التوابين. إن لعنتي نازلة عليهم وعلى جدران بيوتهم، وعلى صغيرهم وكبيرهم، ونسائهم ورجالهم، ونزيلهم الذي دخل

أبوابهم، وكلهم كانوا ملعونين.. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقطعوا تعلُّقهم منهم وبعدوا من مجالسهم، فأولئك من المرحومين." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج 5، ص569)

وفي إعلان آخر حذرهم المسيح الموعود والإمام المهدي من أن الله تعالى قرر:

"كل فرع من أبناء عمومتك سوف يُقطَع وينتهي بلا ذرية. إذا لم يتوبوا فإن الله سوف يرسل عليهم البلاء بعد البلاء حتى يهلكهم. سوف تمتلئ بيوتهم بالأرامل، وسوف ينْزل غضبه على جدرانهم." (جريدة "رياض الهند"، بتاريخ 1886/2/20م)

وفي مناسبة أخرى حذر المسيح الموعود والإمام المهدي أحد أعمام محمدي بيغم – الميرزا إمام الدين – أن الله تعالى قدّر معاقبته إذا لم يتب. ومع ذلك صرح حضرته بأن الله تعالى أخبره: "إذا تاب حسنتْ خاتمته، ورغم التحذير يفوز بالراحة." (سرمه جشم آريا، الخزائن الروحانية؛ ج2، ص191)

وفيما يتعلق بوالدَي محمدي بيغم – الميرزا أحمد بيك وعمر النساء بيغم – بصفة خاصة فقد تنبأ المسيح الموعود والإمام المهدي فقال:

"فأُلهمت من الرحمن أنه معذبهم لو لم يكونوا تائبين. وقال لي ربي: إن لم يتوبوا ولم يرجعوا فننـزل عليهم رجسًا من السماوات، ونجعل دارهم مملوءة من الأرامل والثيبات، ونتوفاهم أباتِرَ مخذولين. وإن تابوا وأصلحوا فنتوب عليهم بالرحمة، ونغير ما أردنا من العقوبة، فيظفرون بما يبتغون فرحين" (أنجام آتهم، الخزائن الروحانية؛ ج 11، ص 212)

تحقق النبوءات

تؤكد إلهامات المسيح الموعود والإمام المهدي أن المصائب الوشيكة التي قُدِّرَ نزولها على المرتدين من أعضاء هذا الفرع من الأسرة كانت كلها مشروطة، وتتوقف على موقف المنذَرين في المستقبل. إذا أرادوا استطاعوا بالتوبة إنقاذ أنفسهم من العقاب المقرر لهم. أما إذا صدوا ولم ينفكوا عن عدوانهم، ظلوا عرضة لما قُدِّرِ لهم من نقمة الله ومقته. والواقع أن دراسة موضوع الخلاف كله بعقل متحرر أمين تكشف للباحث أنه طوال الفترة التي كانت فيها أسرة محمدي بيغم تحت مظلة الغضب الإلهي، فإن المسيح الموعود والإمام المهدي ظلّ يلتمس منهم مرارًا وتكرارًا أن يتوبوا وينقذوا أنفسهم من العذاب المحتوم وينصحهم في تعاطف صادق. فيقول حضرته:

"فنصحت لهم إتمامًا للحجة وقلت: استغفروا ربكم ذا المغفرة." (المرجع السابق)

ثم في إعلان آخر صرح المسيح الموعود والإمام المهدي أنه في إحدى الرؤى؛ رأى امرأةً باكية من أسرة الميرزا أحمد بيك، فنصح جدة محمدي بيغم لأمها قائلا:

"أيتها المرأة توبي توبي فإن البلاء على عقبك." (المرجع السابق ص214)

ولكن أفراد هذه الأسرة – لسوء حظهم- اشتدوا غطرسةً، فأبَوا قبول النصح، فغازلوا النصرانية لفترة من الزمن (جريدة "جشمه نور"، أغسطس/ آب 1885م، وجريدة "نُور أفشان"، بتاريخ 1888/5/10م)

ثم ارتد عدد من أعضائها البارزين وانضموا إلى دين آريا سماج – وهي منظمة هندوسية وقفت نفسها لتخريب القيم الإسلامية في القارة الهندية. (جريدة "رياض الهند" المجلد الأول؛ رقم 16)

وبعد عدة سنوات تحول عدد كبير من أعضاء هذه الأسرة إلى الإلحاد معلنين على الملأ:

"لا حاجة لنا إلى الله ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله خاتم النبيين. وقالوا لا نتقبل آية حتى يرينا الله آية في أنفسنا. وإنا لا نؤمن بالفرقان، ولا نعلم ما الرسالة وما الإيمان، وإنا من الكافرين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية؛ ج7، ص162)

ولما كان تقدير الله تعالى ألا يهلكهم بضربة واحدة، وإنما شيئًا فشيئًا لعلهم يرجعون.. شرَعَ الله تعالى يُحِقُّ كلمته، وتعرضتْ أسرة محمدي بيغم لسلسلة من المصائب كما كان مقدَّرًا من قبل. ففي مسلسل الفواجع التي بدأت في الشهر الحادي والثلاثين من يوم إعلان النبوءة الأولى ضد هذه الأسرة.. فُجع عم محمدي بيغم – الميرزا نظام الدين – فجيعةً هائلة في ابنته الشابة التي ماتت في سن الخامسة والعشرين.. تاركةً وراءها طفلتها الرضيعة.

كان المفروض أن يكون لهذه المأساة وقع ثقيل على أسرة محمدي بيغم، ولكن للأسف قست قلوبهم، ووجدهم المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام يُمعنون في تمردهم، ويستمرون في الهزء بالإسلام كأعداء الدين.

وعلى إثر ذلك مات الميرزا نظام الدين تاركًا خلفه ابنه الميرزا گُلْ محمد وابنته، وكان هذان من الحكمة والتُّقى بحيث دخلا في الإسلام على يد سيدنا أحمد. أما أخو الميرزا نظام الدين؛ وهو الميرزا إمام الدين، فقد ترك ابنةً واحدة هي "خورشيد بيغم".. التي بايعت المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام كما فعل ابن عمها الميرزا گُلْ محمد وأخته. وبعد ذلك تزوجت خورشيد بيغم من ابن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام -(وهو الميرزا سلطان) وتزوجت حفيدتها من الخليفة الرابع (رحمه الله).

أمّا الأخ الثالث للميرزا نظام الدين- وهو الميرزا كمال الدين- فقد..... قاسى نهاية تعيسة ومات بلا ذرية.

النبوءة لم تكن نبوءة بالزواج

إلى هذا الحد لم يكن للسيدة محمدي بيغم أية علاقة بالنبوءات التي تلقاها المسيح الموعود ، بل كانت تتعلق بأفراد العائلة الضالين المرتدين. ولكن بعد تلك المصائب التي حدثت للعائلة بدأت تظهر السيدة محمدي بيغم على مسرح الأحداث، حيث كانت بداية هذه النبوءة هي أن شاءت الأقدار أن احتاج والدا محمدي بيغم مساعدةً من الإمام المهدي في بعض الأمور الخاصة بأملاك الأسرة. ولذلك ذهب أبوها الميرزا أحمد بيك إلى حضرته يلتمس مساعدتَه في وَداعَة وتواضع شديدين. وكان المسيح الموعود مَيَّالا لإسداء المعروف الذي طلبه الرجل، فأخبره أنه سيردّ عليه بعد أن يستخير الله جل وعلا كما هي عادته في كل الأمور الهامة. قال المسيح الموعود بعدها:

"وبسبب إلحاحه استخرتُ الله، فكانت مناسبة يُبدي الله تعالى فيها آيته." (مجموعة الإعلانات ج1 ص 157 إعلان 1888/7/10م)

أخبر المسيح الموعود الميرزا أحمدَ بيك أن الله تعالى أمره أن ينصح الميرزا أحمد بيك لينشئ علاقةً مع حضرته بأن يزوِّجه من ابنته الكبرى محمدي بيغم، فينوِّر بنوره. (المرجع السابق)

في ذلك الوقت كان المسيح الموعود في الثالثة والخمسين من عمره، متزوجًا من سيدة تقية تنتمي إلى أرومة نبيلة: السيدة نصرت جهان بيغم؛ من ذرية "نواب مير درد" أحد أولياء الله المعروفين من دلهي، الهند. وكانت حياة المسيح الموعود قبل زواجه من هذه السيدة عام 1884م تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه كان رجلا لا يبالي بالمتع الدنيوية. ويتضح ذلك من واقع أن حضرته عند انفصاله عن زوجته الأولى: السيدة حُرمت بي بي.. لم يكن قد بلغ 21 عاما بعد.. فمكث 28 عاما بعدها من دون أن يتزوج مرة ثانية. بل بالعكس؛ عاش أعزَبَ مكرِّسًا شبابه في خدمة الإسلام، وبقي مكتفيا بجهوده ومساعيه الدينية والأدبيّة. ومن ثَمّ لا يسع أحدًا يتمتع بحاسة الإنصاف والعدل أن ينسب إلى حضرته أيَّ رغبات دنيوية في تلك الحقبة من حياته. وبغضّ النظر عن مزاعم خصومه.. فإنه كان راغبًا عن الزواج من محمدي بيغم، وأعلن بوضوح غير مشروط أنه لا حاجة له في هذا الزواج، لأن الله تعالى كفاه بكل احتياجاته. (المرجع السابق، إعلان 1888/7/15م)

والواقع أنه قد كتب إلى صديقه المخلص وموضع سره: مولانا الحكيم نور الدين.. أنه منذ تلقّي الإلهام الرباني عن الزواج، كان نافرًا منه بطبيعته؛ وتمنّى لو ظل القدر الإلهي متوقفًا. وصرح أيضا عن الزواج الثاني:

"لقد صمّمتُ أنه مهما كانت خطورة الموقف فلسوف أتحاشاه، إلا أن أضطر إليه بأمر صريح من الله تعالى، لأن أعباء الزواج المتعدد ومسؤولياته غير الملائمة كثيرة للغاية. كما أن فيه شروطا جمة لا يستطيع توفيتها إلا من كلفهم الله تعالى بحملها، ويكون ذلك بتقدير خاص منه، ولغرض خاص، وأيضا عن طريق اتصال ووحي خاص". (رسالة بتاريخ1886/6/20م)

فإذا كان خصوم المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بعقولهم الناقصة وخيالهم المريض يصرّون – رغم هذه الحقائق الثابتة – على الإساءة إلى هذا العبد التقي النقي من عباد الله تعالى، ويشككون في مقاصده العفيفة الطاهرة التقية.. فلا يسع المرء إلا التعزي بأن أعظم الطاهرين المطهرين.. سيدنا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم أيضًا، لم يَسْلَم من مثل هذا النقد الشنيع. أوَلا يدرون بأن الفَجَرَة من أمثال "فرويد" في الغرب، ما برحوا لقرون طويلة يسخرون ويتهكمون على نبينا الحبيب صلى الله عليه وسلم بسبب زواجه من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها.. مطلَّقةِ متبناه السابق سيدِنا زيد رضي الله عنه؟ أليس من مقتضيات الحكمة والضرورة البالغة عند من يخشون الله تعالى أن يتحرَّوا الحرصَ والحذر فيما يتعلق بحياة هذه الشخصيات المقدسة.. الذين تخلُو حياتهم من أي شائبة؟ أم يفضّل هؤلاء العائبون على رسل الله تعالى أن يدخِلوا أنفسهم فيمن قيل عنهم: الحمقى يندفعون في طريق تخشى دخوله الملائكة.

قلنا إن الله تعالى أمر المسيح الموعود عليه السلام أن يُخطر والد محمدي بيغم: الميرزا أحمد بيك أن ينشئ علاقة معه، فيقتبس من قبسه، فكان على حضرته أن يطيع أمر ربه ويعظ والدَ محمدي بيغم. وهذا ما فعله عندما أبلغه رسالةَ الله تعالى وفحواها:

"إن الله أخبرني أن إنكاحها رجلا آخر لا يبارَك لها ولا لك. فإن لم تزدجر فيُصَبُّ عليك مصائب، وآخرُ المصائب موتك، فتموت بعد النكاح إلى ثلاث سنين. بل موتك قريب ويَرِدُ عليك وأنت من الغافلين. وكذلك يموت بعلها الذي يصير زوجها إلى حولين وستة أشهر قضاءً من الله. فاصنع ما أنت صانعه، وإني لك من الناصحين." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج 5، ص 573)

كما هو واضح من نص النبوءة أنها لم تكن نبوءة عن زواجه من السيدة محمدي بيغم، بل كانت بمثابة الإنذار الأخير لميرزا أحمد بك، وكأن الله تعالى يقول له أمامك فرصة أخيرة للتوبة وهى أن تُزوج ابنتك من مرزا غلام أحمد عليه السلام، وإن لم تفعل سوف تهلك في خلال ثلاث سنين. ولا نجد في هذه النبوءة قولا يقول سوف يتزوجها ميرزا غلام أحمد وإن لم يتحقق ذلك فهو ليس من الله. بل نص النبوءة واضح أنها إنذار لأبيها.

كما أن النبوءة قد احتوت على احتمال زواجها من رجل آخر (إن الله أخبرني أن إنكاحها رجلا آخر لا يبارَك لها ولا لك)، وإلا كيف يحذر الله تعالى من شيء لا يمكن أن يحدث؟

فإذا قال قائل هل مجرد الزواج من ابنة عدو الله يجعله يرجع إلى ربه؟

الجواب نعم، إذا كان الأمر بالزواج قد صدر من الله سبحانه وتعالى وهو علام الغيوب. وقد حدث هذا بالفعل مع رسول الله ﷺ في قصة زواجه من السيدة جويرية بنت الحارث، فبعد انتصار النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق وقعت السيدة جويرية بنت الحارث في الأسر، فرأى النبي ﷺ أن الزواج من تلك السيدة سيحقق مصلحة كبيرة للدعوة الإسلامية وسوف يحوِّل موقف قومها من العداوة إلى الصداقة وسوف يساعدهم على الدخول في الإسلام. وهذا ما حدث بالفعل. وهذا هو نفسه ما أراد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام القيام به. والله أعلم.

هل قَبِل مرزا أحمد بك الهداية؟

لكن للأسف ظل الميرزا أحمد بيك في تمرده، وعامَلَ مشورةَ المسيح الموعود عليه السلام بازدراء، وبذل كل ما في وسعه علانيةً للسخرية من سيدنا أحمد. وتآزر ميرزا أحمد بيك وأسرته مع دعاة النصرانية في نشر رسالة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام (المذكورة آنفا) في صحيفة نصرانية. (جريدة "نور أفشان"، لدهيانه، 1888/5/10م)، مما تسبب في انتقادات كثيرة لم تنل من المسيح الموعود عليه السلام بقدر ما نالت من الإسلام نفسه. (جريدة "آريا بتريكا"، لاهور، 1888/6/16م)

وهكذا استثارت أسرةُ الميرزا أحمد بيك غَضَبَ اللهِ عليها، وأخذت عجلاتُ الغضب الإلهي تدور وتطحن. وفي أول سلسلة المآسي فَقَدَ والدُ محمدي بيغم -الميرزا أحمد بيك- ابنَه الميرزا محمد بيك في يوليو/ تموز 1890. ولقد أرسل المسيح الموعود عليه السلام تَعازِيَه لهم، وأكد للوالد المحزون مشاعرَه الصادقة وتعاطفَه قائلا:

"قد يكون قلبك متكدرًا من ناحيتي، ولكن الله العليم يعلم أن قلب عبده المتواضع هذا نقي تمامًا، وأرجو لك الخير في كل سبيل." (حياة أحمد، ص245)

فلما أصرَّ الميرزا أحمد بيك على كبره، وزوّج ابنتَه للميرزا سلطان محمد في أبريل/ نيسان 1892 وقعت ضحيةً للنبوءة؛ جدة محمدي بيغم لأمها، التي رآها المسيح الموعود عليه السلام في رؤياه ونصحها قائلا: أيتها المرأة توبي توبي، فإن البلاء على عقبك. كما ماتت شقيقتا ميرزا أحمد بيك والد محمدي بيغم. ومع ذلك لم يعتبر ميرزا أحمد بيك، فهلك بعد ستة أشهر من الزواج المشؤوم بمرض التيفوئيد في سبتمبر/ أيلول 1892. (تاريخ الأحمدية، ج2)، وبذلك تحققت نبوءةُ

1888/7/10م التي جاء فيها: "يموت في حدود ثلاث سنوات من زواج ابنته." (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج5، ص573)

وتسجّل الوقائع التاريخية أن موت والد محمدي بيغم بعد زواجها بفترة قصيرة قد دمّر الأسرة كلها، وكان له وقع عنيف على معنوياتهم بحيث اعترف أعضاء الأسرة علنًا بأن نبوءة المسيح الموعود عليه السلام قد تحققت. (أنجام آتهم، الخزائن الروحانية؛ ج 11، ص219)

تحقق قاعدة النبوءة المشروطة

ومما سجّلته وقائع التاريخ أيضًا أن أسرة الميرزا أحمد بيك توقفت بعد ذلك عن أسلوب البذاءة نحو الله تعالى ورسولِه الكريم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكتابِه المجيد القرآن الكريم. والواقع أنه مع توالي الأحداث.. أخذتْ هذه الأسرة تتحول نحو الإسلام طلبا للعزاء، وسعى أعضاؤها إلى طلب العفو والمغفرة عن سوء أفعالهم، بل توسلوا إلى المسيح الموعود عليه السلام أن يدعو الله جل وعلا، كي يرفع عنهم برحمته الواسعة ما قدّر لهم من عذاب وشيك، ويزيل عنهم اللعنة التي كتبت عليهم. وهي حقيقة اعترف بها حتى المولوي ثناء الله الأمْرِتْسَري.. الذي لم يكن أقلَّ عداء نحو سيدنا أحمد. (إلهامات الميرزا، ص69)

فإذا بذلك الجيل الذي كان ينكر وجود الله جل وعلا ويسبّ رسولَه الكريم صلى الله عليه وسلم ويهين كتابه العظيم.. يعود ليدخل في الإسلام على يد سيدنا الميرزا غلام أحمد. لقد فعلوا ذلك لأنهم أيقنوا أن نبوءة المسيح الموعود عليه السلام عن عائلتهم قد تحققت بجلاء، وأن الملاذ الوحيد أمامهم هو الندم والتوبة والتماس الغفران.

ومن بين أولئك التائبين الذين دخلوا في الإسلام وآمنوا بدعوة المسيح الموعود عليه السلام: السيدة عمر النساء بيغم أرملةُ الميرزا أحمد بيك ووالدةُ محمدي بيغم، وعنايت بيغم، ومحمودة بيغم وأخوهما الميرزا محمد بيك، كما الميرزا إسحاق بيك ابن محمدي بيغم، والميرزا أحمد حسن زوجُ ابنة الميرزا أحمد بيك، والميرزا جُلْ محمد وأخته.. وهما ابنا الميرزا نظام الدين الباقيان، وحُرْمَتْ بي بي خالة محمدي بيغم وابنتها، وطائي صاحبة، وخورشيد بيغم. (تاريخ الأحمدية، ج2)

على ضوء سنة الله تعالى المقررة التي تحدثنا عنها في الفصل الأول من هذا الكتاب.. يتوقع المرء عند هذه اللحظة - وقد شرعت أسرة محمدي بيغم المعارضةُ "تتوب وتسأل الله المغفرة" - أن الله تعالى برحمته الواسعة يلغي قرارَ العقوبة الذي صدر ضدهم.. حيث لم يعد هناك سبب لاستمرار معاقبتهم. وهذا هو تمامًا ما فعله الله تعالى كما يتبين من الأحداث التالية مصداقًا لوعده تعالى:

"إن تابوا وأصلحوا أتوب عليهم برحمتي، وأردّ عنهم ما أردنا من العقوبة، ولسوف ينزل بهم ما يختارون." (أنجام آتم، الخزائن الروحانية؛ ج11، ص211)

وإذا مَارَى أحد بعد ذلك وقال بأن أسرة محمدي بيغم كانت تستحق مزيدًا من العقاب.. لكان هذا قمةَ التضليل. لقد تبين بعدما نزل العقاب بالأسرة المعارضة أنهم توقفوا عن العدوان والتمسوا الغفران. وأثبتت الأسرةُ أيضا حسنَ نواياها عندما بايع أفرادها بيعة الإخلاص على يد من بعثه الله تعالى إماما مهديا ومسيحا موعودا.. سيدِنا الميرزا غلام أحمد القادياني عليه الصلاة والسلام، فكيف يعذب الله تعالى هؤلاء القومَ وهو القائل: ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُون﴾ (الأعراف: 157)

ألم يبشر "مالك يوم الدين" ورب الرحمة والمغفرة.. بني الإنسان جميعًا فقال عَزَّ مِن قائل:﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة:40)؟

ومن العجيب أن الأسرة التي تأثرت بالنبوءة اعترفت بتحققها وعادت إلى سيدنا أحمد.. ومع ذلك لا يزال الخصوم يجادلون إلى اليوم بعكس ذلك..وذلك على أساس أن محمدي بيغم لم تتزوج من سيدنا أحمد. يتشبثون بهذا القول على الرغم من أن النبوءة لم تستبعد زواجها من رجل آخر في أي مرحلة كانت، ولم يكن زواجُها من المسيح الموعود عليه السلام هو الغرض الأساسي من النبوءة.. بل على العكس، كانت النبوءة وسيلةً مقترحة لتحقيق الغرض النهائي كما بينته النبوءة، ألا وهو رجعة الجاحد الضال إلى الهداية.. وهذا ما ثبت ثبوتًا كافيًا من نصوص النبوءات ضد الأسرة المنشقة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج5،ص566 و574)

وما أن تحقق الغرض النهائي بتوبة الأسرة ودخولِها الفوري في الإسلام بعد موت أحمد بيك.. كان مقتضى العدل الإلهي أن يتحقق أيضا الشطر الثاني من النبوءة - أي الغفران الذي كان معلَّقًا بشرط أن تتوب الأسرة المشاكسة- فيتوب الله عليهم بالرحمة والغفران. فمغفرة الله تعالى لميرزا سلطان محمد ومحمدي بيغم.. هو في الواقع دليل إضافي على تحقق النبوءة في مجموعها، ولا يتضمن أي تكذيب لها.

وقد لا يتوقف خصوم المسيح الموعود عليه السلام عن إنكار تحقُّق النبوءة، ولكن السجلات التاريخية تبين أن نفس الأسرة التي كان مقدرا لها أن تقاسي وطأةَ الغضب الإلهي، قد اقتنعت تمامًا أن نبوءة المسيح الموعود عليه السلام بصددهم قد تحققت إلى مداها بحسب مشيئة الله تعالى. فقد أقر الميرزا إسحاق بيك- ابن محمدي بيغم- بنهاية جده المزرية فقال: "لقد مات جدي الميرزا أحمد بيك

نتيجة للنبوءة، وأصيبت الأسرة كلها بالخوف، فأصلحوا أنفسهم. والدليل القاطع على ذلك أن معظم الأسرة دخل في الأحمدية." (جريدة "الفضل" 1923/2/26م)

فهل يدّعي خصوم المسيح الموعود عليه السلام بأنهم يعرفون عن تحقق هذه النبوءة أكثر ممن كانوا من هذه الأسرة نفسها، وشهدوا كل مراحل تحققها؟ لقد قدم الميرزا سلطان محمد- زوجُ محمدي بيغم- دليلا حسنًا على موقفه تجاه المسيح الموعود عليه السلام من خلال رسالته التي كان نشرها آنذاك، وهذا نصها:

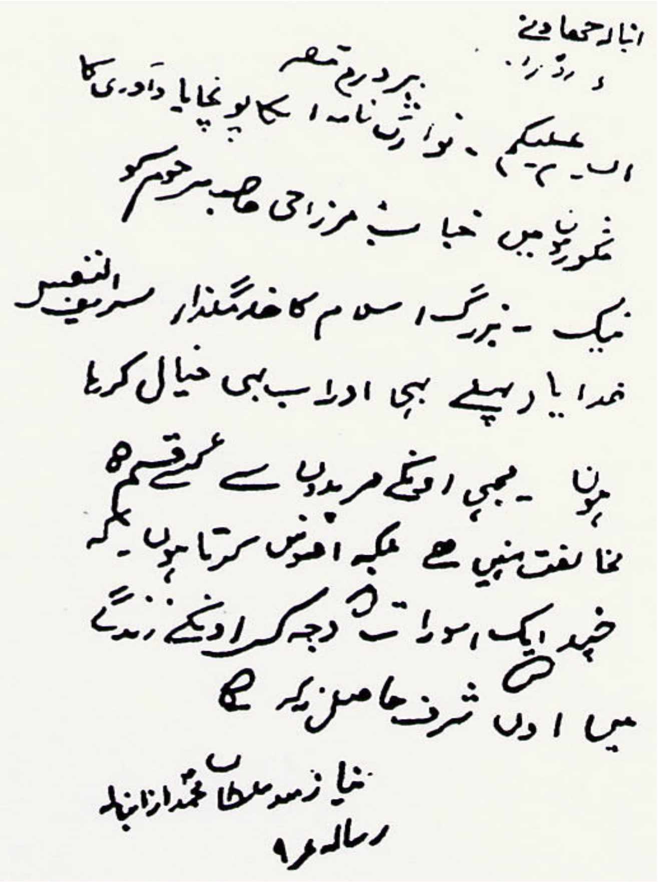
اخبار احمدیہ
۶ روز
برادرم مکرم
السلام علیکم - نوازش نامہ آپکا پہنچا یاد آوری کا
شکریہ ہے - میں جناب مرزا جی صاحب مرحوم کو
نیک - بزرگ، اسلام کا خدمتگذار - شریف النفس
خدا یاد پہلے بھی اور اب بھی خیال کرتا
ہوں - مجھی اونکے مریدوں سے کسی قسم کی
مخالفت نہیں ہے بلکہ افسوس کرتا ہوں کہ
چند ایک امورات کی وجہ سے اونکی زندگی
میں اونکی شرف ملاقات حاصل نہ کر سکا
نیاز مند سلطان محمد از انبالہ
رسالہ نمبر ۹

وترجمة رسالته كالآتي:

"لقد كنتُ ولا زلت أعتقد بأن السيد الميرزا كان شخصًا صالحًا ومبجّلا وخادمًا للإسلام، وكان ذا نفس شريفة، وكان في ذكر دائم لله تعالى. إني لا أضمر أي معارضة لأتباعه، ويؤسفني أني – لأسباب معينة – لم أنل شرف لقائه في حياته." "تشحيذ الأذهان"، مايو 1913م)

هذه الشهادة المسجلة المحفوظة لهي دليل على أن الميرزا سلطان محمد كان على قناعة بأن نبوءة المسيح الموعود عليه السلام قد تحققت بالقدر الذي شاءه الله تعالى. والواقع أن الميرزا سلطان محمد صرّح في حديث له، نُشرتْ تفاصيلُه في حياته فقال: "زمنَ النبوءة عَرَضَ عليّ الآريا الهندوسُ بسبب " ليكهرام"، والنصارى بسبب "آتهم"- اللذان كانا قد هلكا بسبب المباهلة مع سيدنا

المسيح الموعود عليه السلام- مبلغ مئة ألف روبية لأقيم دعوى قضائية ضد حضرة الميرزا. ولو أني قبلتُ المبلغ لأصبحت غنيًا.. ولكن إيماني العظيم في حضرته منعني من الإقدام على ذلك". (جريدة "الفضل" بتاريخ 1921/6/9م)

وإن تصريح الميرزا سلطان محمد المنشور في أعمدة جريدة "الفضل".. يدل أيضا على أنه كان مقتنعًا تمامًا بصدق المسيح الموعود عليه السلام في دعواه، وهي حقيقة يؤكدها إعلانه التالي:

"أُعلنُ غيرَ حانثٍ أني على إيمان راسخ بسيدنا الميرزا صاحب.. قد لا تستطيعون أن تدّعوه وأنتم أتباعُه." (المرجع السابق)

وعلى أي حال، فإن الميرزا سلطان محمد لم يكن الوحيد الذي اعتقد بأن نبوءة المسيح الموعود عليه السلام بصدد أسرة محمدي بيغم قد تحققت بالروح التي قدرها الله تعالى، فهناك المولوي محمد حسين البطالوي.. شيخُ جماعة أهل الحديث بالهند.. الذي يحترمه معظم أعداء الأحمدية، والذي كان خصمًا لدودًا لسيدنا الميرزا غلام أحمد.. شَهِدَ بنفسه موضوعَ الخلاف بين المسيح الموعود عليه السلام وأسرةِ محمدي بيغم، وكان يعلم جيدًا بموضوع النبوءة التي تمت ضد هذه الأسرة. ورغم أنه كان يعتبر تشويه سمعة المسيح الموعود عليه السلام مهمتَه التي نذر نفسه لها.. لكن المولوي محمد حسين البطالوي شَهِدَ الميتةَ المزرية للميرزا أحمد بك وصرح قائلا: "ومع أن النبوءة قد تحققت.. إلا أن ذلك كان راجعًا لعلم التنجيم"!! (مجلة "إشاعة السنة" المجلد الخامس)

ثانيا: المباهلة مع المولوي ثناء الله الأمْرِتْسَري

تمثّلُ مباهلة المسيح الموعود عليه السلام مع المولوي الأمْرِتْسَري وعواقِبُها حدثًا آخر في حياة المسيح الموعود عليه السلام يزعم خصومه أنه قد انقلب عليه.

كان المولوي ثناء الله الأمْرِتْسَري محرِّرًا مساعدًا في الجريدة الأسبوعية "أهل الحديث"، وكان معارضًا متحمسًا للمسيح الموعود عليه السلام مثل كثير من المشايخ المتعصبين المعاصرين له، ولم يَدَعْ فرصة لسبِّه تفلت منه.

وفي عام 1897م كتب المسيح الموعود عليه السلام كتابه "أنجام آتم" توجّه فيه إلى بعض رجال الدين المتعصبين في الهند الذين أطلقوا عليه اسم "المدعي الكاذب"، وتحداهم للدخول في مباهلة، وكان اسم المولوي ثناء الله ضمن القائمة التي تضم أسماء هؤلاء المشايخ المتعصبين. كان المسيح الموعود عليه السلام عندئذ قد بلغ من العمر 62 عاما؛ في حين كان المولوي الأمْرِتْسَري شابًّا عمره 29 عامًا.

تدل السجلات التاريخية أن المولوي الأمْرِتْسَري تجاهَلَ هذا التحدي لمدة 5 سنوات، ولكنه في عام 1902م - ربما تحت ضغط من بعض زملائه - بادر وتحدى المسيح الموعود عليه السلام إلى المباهلة. وما أن تلقَّى حضرتُه إعلانَ المولوي الأمْرِتْسَري، حتى نشره مشفوعًا بقبول ما عرضه المولوي وصرح فيه بقوله:

"لقد اطلعت على إعلان المولوي ثناء الله الأمْرِتْسَري الذي يدعي فيه أن لديه رغبةً مخلصة في أن يدعو كلٌّ منا بأن يموت الكاذبُ منا في حياة الآخر." (إعجاز أحمدي، ص 14- الخزائن الروحانية؛ ج19، ص121)

وكان المسيح الموعود عليه السلام يعرف طبيعةَ المولوي الأمْرِتْسَري الرِعْديدة، فصرح حضرته بأن الأمْرِتْسَري قد قدَّم اقتراحًا جيدًا، ونأمل أن يظل متمسكا به. (المرجع السابق) ثم أضاف:

"إذا كان المولوي ثناء الله مخلصا في تحديه بأن يهلك الكاذبُ قبل الصادق.. فلسوف يموت ثناء الله أولا". (مجموعة الإعلانات، ج3 ص578)

وعندئذ بادر المولوي الأمْرِتْسَري إلى التراجع السريع متعللا بقوله لي:

"أنا لست نبيًّا ولا أدّعي مثلَك النبوة أو الرسالة أو البُنُوّة لله أو تلقِّي الوحي، ومن ثم لا أجرؤ على الدخول في مثل هذه المعركة. إن مؤدَّى اقتراحك هو أني لو مُتُّ قبلك فستعلنه كدليل على صدقك، وإذا مُتَّ أنت قبلي - وهو تخلص جيد - فمن ذا الذي سيذهب إلى قبرك ويحاسبك؟ هذا هو السبب في عرضك هذا الاقتراح السخيف. ومع ذلك فإني أعتذر بأني لا أجرؤ على الدخول في هذه الخصومة، ونقصُ شجاعتي هذا مصدر شرف وليس تحقيرًا لي." (إلهامات الميرزا، ص112)

وهكذا تراجَعَ الأمْرِتْسَري عن المضي في المباهلة التي أثارها بنفسه؛ ومن ثم فإن المباهلة التي قبِل بها المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "إعجاز أحمدي".. أصبحت غيرَ ذات موضوع.

وبالرغم من هذا فإن تراجُع الأمْرِتْسَري عن تحديه أصبح مصدرَ إحراج لزملائه، وتعرَّضَ لنقدٍ قاسٍ منهم، مما دفعه - بعد خمس سنوات أخرى - ليصدر تحديًا جديدًا يدعو فيه أعضاءَ الجماعة الإسلامية الأحمدية ليتقدموا ومعهم سيدنا أحمد، فقال:

"الذي تحدانا إلى المباهلة في كتابه "أنجام آتم" أَرْغِموه على مواجهتي، لأنه ما لم يصدر حكمٌ فاصل في أمر نبي، فإن أتباعه لا يجدون شيئًا يربطهم به." (جريدة "أهل الحديث" 1907/3/29م ص10)

وعندما قرأ المسيح الموعود ﷺ تحديه الأخير، كتب محرِّرُ جريدة الجماعة الإسلامية الأحمدية "بدر" ليعلن:

"ليفرح المولوي ثناء الله بأن سيدنا الميرزا صاحب قد قَبِلَ تحديه. فعليه أن يعلن إعلانًا جادًّا بأن حضرة أحمد مزوِّرٌ في ادعائه. ثم ليدعو ثناء الله بأنه إذا كذب في قوله؛ فلتنزل لعنة الله على الكاذب. (جريدة "بدر"، يوم 1907/4/4م)

ولكن الأمْرِتْسَري –كما بدا منه آنفًا – اعترف بأنه لا يجرؤ على الدخول في مثل هذا الخصام. ومن ثم تحوَّلَ عن موقفه مرة أخرى وأعلن – موجهًا خطابه لي– على الملأ:

"إني لم أتَحدَّك للمباهلة، بل أعلنت استعدادي للحلف، ولكنك تسميه مباهلة، في حين أن المباهلة تتضمن أن يحلف الفريقان ضد بعضهما. لقد أعلنت استعدادي للحلف ولم أشرع في مباهلة. إن القَسَم من جانب واحد شيء والمباهلة شيء آخر. (جريدة "أهل الحديث" ليوم 1907/4/19م)

إن اقتراح المولوي الأمْرِتْسَري يعني أنه لم يُرد من المسيح الموعود ﷺ أن يدعو ليستنزل اللعنة على المولوي الأمْرِتْسَري، في حين أنه نفسه مستعد لاستنزال اللعنة من جانبه وحده على سيدنا أحمد! ومع ذلك فإن الأمْرِتْسَري بتراجعه هذا قدّم الدليلَ مرة أخرى على أنه يروغ عن موقفه الأصلي.. مع أنه طلب من المسيح الموعود ﷺ طلبًا صريحًا واضحًا كي تتم المواجهة بينهما.

وعندما لاحظ المسيح الموعود ﷺ أن المولوي الأمْرِتْسَري لم يكن مستعدًّا ليتخذ موقفًا محددًا في الخلاف.. صرّح حضرته يوم 1907/4/15م بهذا الدعاء:

"اللهم افْصِلْ بيني وبين المولوي ثناء الله. واجعل مثير الفتنة الفعلي الكاذب يهلك في حياة الصادق!" (الفصل النهائي في الخلاف مع المولوي ثناء الله الأمْرِتْسَري، مجموعة الإعلانات ج3 ص 579)

أُرسلَ هذا الإعلان إلى المولوي الأمْرِتْسَري مع طلبٍ لنشره في جريدته "أهل الحديث"، واختتم الإعلان بتصريح من المسيح الموعود ﷺ يقول فيه:

"وأخيرا أرجو من المولوي ثناء الله أن ينشر تصريحي هذا في صحيفته "أهل الحديث"، ويعلّق في نهايته بما يشاء، ويترك الحكم لله تعالى." (المرجع السابق)

فأوضح الأمْرِتْسَري موقفه بقوله:

"هذه الوثيقة غير مقبولة لدي، ولا يقبل أي إنسان عاقل بالموافقة على مثل هذا التحدي. وإني أرفض هذا العرض الذي نشرتَه. (جريدة "أهل الحديث" 1907/4/26م)

ولم يقتصر المولوي الأمْرِتْسَري على رفض تحدي المسيح الموعود عليه السلام له، بل بلغ به خوفه من عواقب دعاء المسيح الموعود عليه السلام أن اشتكى قائلا:

"لا يمكن أن أدخل طرفًا في هذا التحدي، لأنه لم تؤخذ مني موافقةٌ على هذا الدعاء، ونُشر فحواه دون علمي." (المرجع السابق)

كان الأمْرِتْسَري ولا ريب، خائفًا من موته ميتة لعينة لو تجاسر على دخول المباراة مع سيدنا أحمد.. ومن ثَمَّ سألني:

"كيف يمكن أن يكون موتي آيةً للآخرين، في حين أنك تقول بأن المولوي دستغير القصوري والمولوي إسماعيل العليكرهي والدكتور دوئي الأمريكي وغيرهم قد ماتوا بنفس الطريقة؛ فهل آمَنَ بك الآخرون؟ وهكذا لو حدث الموت فما النفع في ذلك؟ (المرجع السابق)

ثم طلب المولوي الأمْرِتْسَري من سيدنا أحمد:

"أَرِني آيةً أشهدها بنفسي. لو أني مُتُّ فماذا أستطيع رؤيتَه"؟ (المرجع السابق)

وبحسب نص هذا الجواب لتحدِّي المسيح الموعود عليه السلام اقترح المولوي الأمْرِتْسَري معيارًا جديدًا تمامًا لتسوية هذا الموضوع فيما بينه وبين المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام حيث قال لمؤسس الأحمدية:

"يقول القرآن الكريم إن الله يمهل المجرمين. فمثلا يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ (مريم: 76)، ويقول: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا﴾ (آل عمران: 179)، ويقول: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: 16)، ويقول: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاء وَآبَاءهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ (الأنبياء: 45). كل هذه الآيات تعني بوضوح أن الله يمهل ويمنح حياة طويلة للكذابين والخادعين ومعكِّري السلام والعصاة الفاسقين، كي تزداد آثامهم في فترة المهلة. فكيف إذن تقترح قاعدة بأن مثل هؤلاء الناس لا ينالون فسحة طويلة من العمر؟" (جريدة "أهل الحديث" ليوم 26/4/1907م)

وحاوَلَ الأمْرِتْسَري بعد ذلك أن يؤسس صحة اعتقاده هذا بأن الكاذبين – وليس الصادقين – هم الذين يمنحهم الله تعالى عمرًا أطول، مستشهِدًا بالتاريخ الإسلامي، فاحتج قائلا:

"على الرغم من حقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نبيًا صادقًا من الله تعالى، وأن مسيلمة كان مدعيًا كاذبًا.. فإن هذا بَقِيَ حيًّا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، أو بعبارة أخرى: إن مسيلمة الكذاب مات بعد موت الصادق." (كتاب "مرقّع قادياني"، طبعة أغسطس/ آب 1907م)

من هذه المحاورة بين المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، والمولوي الأمْرِتْسَري وما ساقه هذا من أعذار للرد على إعلان سيدنا أحمد.. يتبين أن المسألة قد تحولت تمامًا إلى وجهة جديدة. في بادئ الأمر كان المعيار لتحديد الصادق من الطرفين هو موت الكاذب في حياة الصادق. ولكن اعتراضات المولوي الأمْرِتْسَري قامت على مبدئه الراسخ في ذهنه بإصرار وعناد بأن الله يمهل الكاذبين ويمنحهم حياة طويلة كي يزدادوا إثمًا. وبذلك أرسى هو من عند نفسه معيارًا جديدًا للفصل في النزاع وحسم الخلاف، ذلك أن الأشرار يُمهَلون وينالون عمرًا أطول كي يُمعِنوا في عدوانهم وتتضاعف سيئاتهم.

ومن دواعي الندم للمولوي الأمْرِتْسَري أن المسيح الموعود عليه السلام قَبِلَ توضيحه هذا، وصرّح:

"قد اقتَرَحَ معيارًا مختلفًا تمامًا بأن الكاذب يعيش أطولَ من الصادق.. كما حدث في حالة مسيلمة الكذاب والنبي الأكرم ﷺ" (إعلان أكتوبر/ تشرين الأول 1907م)

وكما قدّر الله تعالى، سَقَطَ المولوي الأمْرِتْسَري في فخٍّ من اختياره. فبحسب شرطه ومعياره: مَنَحَ اللهُ عز وجل المولوي الأمْرِتْسَري فسحةً طويلة من العمر.. فعاش أربعين عامًا بعد وفاة سيدنا أحمد؛ ليشهد بعينه آياتِ صدقِ المسيح الموعود عليه السلام تتواتر، وليشهد أيضا خيبةَ آماله عن إحباط دعوة المسيح الموعود عليه السلام.

لقد عاش الأمْرِتْسَري ليرى قومَه يهجرونه وينبذونه عندما حصل مسلمو الهند من علماء مكة على فتوى بكفره وارتداده جاء فيها:

"المولوي الأمْرِتْسَري رجل ضال ابتدع عقائد جديدة." (فيصلة مكة، ص17)

وتصرح هذه الفتوى التي أصدرها علماء مكة ضد المولوي الأمْرِتْسَري:

"لا يجوز أن يُسأل عن علم ولا يُتَّبع. ودليله لا يُقبَل، ولا يجوز أن يؤم الصلاة. لا شك في كفرِهِ وارتداده." (المرجع السابق)

لقد عاش الأمْرِتْسَري أيضا ليرى نفسه يتردى من الأرستقراطية إلى الفقر والعوز. رجل كان يظن بأنه يملك الملايين فإذا بيته يتعرض للنهب والحرق في المذابح الطائفية عند انقسام الهند وباكستان عام 1947م. (سيرت ثنائي)

وفَقَدَ ابنَه الوحيد "عطاء الله" الذي ذُبح بلا رحمة أمام عيني أبيه. ولم تفارقه آثارُ هذه المأساة بقية حياته. (مجلة "الاحتشام" 1962/7/15م) والواقع أن هذه الوقائع كان لها وقع شديد على عقله، حتى إن الشخص الوحيد الذي سجّل تاريخ حياته قال عن هذه الأحداث بأنها: "تسببت في موته موتًا سريعًا بائسًا." (سيرت ثنائي)

ثالثا: النبوءة عن القسيس عبد الله آتهم

تكشف الوقائع التاريخية قبل تقسيم الهند أنه خلال الجزء الأخير من القرن التاسع عشر أخذت النصرانية تُحرز انتصارات كبيرة في شبة القارة الهندية. وتخبرنا الدلائل أن الكنيسة أعلنت عن تنصير 91092 من المسلمين الهنود في عام 1851م، ولكنها في عام 1881م نجحت في تنصير 417372 نسمة.

كانت هذه الزيادة الضخمة التي سجلتها الكنيسة مصدرَ قلق بالغ للغالبية العظمى من المسلمين المخلصين الهنود.. خاصةً الذين أخذوا يحضُرون لقاءات النصارى ليدافعوا عن الإسلام بقدر استطاعتهم. ولكن دفاعهم عن الإسلام كان يعوزه الكثير، اللهم إلا في حالات قليلة، ومن ثم فإن قادة الكنيسة شرعوا يتكهّنون بتحول سكان شبه القارة الهندية جميعًا إلى النصرانية.

وفي أوائل عام 1893م كتب القسيس النصراني "هنري مارتن كلارك" رسالة إلى "محمد بخش بهاندا" أحد قادة المسلمين في مدينة "جانديالة" يقترح فيها القيامَ بعمل حاسم نحو ترتيب مناظرة علنية بين ممثلي النصرانية والإسلام.. ليتسنى اتخاذُ قرار نهائي بشأن أي الديانتين هي الأجدر بأن تكون على الحقّ.

وكان سيدنا الميرزا غلام أحمد في ذلك الوقت قد تمكَّن من إلحاق الهزيمة بكثير من تحديات النصارى للإسلام، واعترف له الجمهور بأنه بطلُ الدِّين الحق، وقد صرّحت جريدة "رياض الهند" – جريدة ليست أحمدية، تصدر في "أمْرِتْسَر "– بشأن المسيح الموعود عليه السلام ودفاعِه الإسلام قائلة: "إن حسناتِ الميرزا الرائعةَ وإنجازاتِه الروحانيةَ العالية، لهي أسمى من تعليقاتنا المتواضعة. إن ما قدّمه من حجج مقنعة وأدلة متألقة تأييدًا للإسلام والحق؛ كان شهادةً قاطعةً على أنها تفوق – دون أي ظل للشك – على كتابات العلماء الأقدمين والمحدثين.. في بلاغته وطريقة تقديمه." (جريدة "رياض الهند" بتاريخ 1886/3/1م)

ومن ثم لم يكن مثيرًا للدهشة أن يقوم السيد "محمد بخش بهاندا" بتسليم دعوة القس كلارك إلى المسيح الموعود عليه السلام ملتمسًا منه أن يقوم بتمثيل الإسلام في هذه المناظرة المقترحة.

ولما كان قساوسة النصرانية مشتغلين آنئذ وعلى نطاق واسع بمهاجمة الإسلام، وسيدِنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام، والقرآنِ الكريم كتاب الإسلام.. اعتبر المسيح الموعود عليه السلام هذه الدعوةَ فرصةً هبطت من السماء لتوطيدِ تفوُّقِ الإسلام، فبادر بالموافقة على الدعوة، وأخبر قادةَ المسلمين في "جانديالا" أنه يسرّه تمثيلَ الإسلام في المناظرة المقترحة. (رسالة بتاريخ 1893/4/11م)

وعيّنت الكنيسةُ "عبد الله آتهم" – وهو هندي متنصر، كان قبل تنصره خطيب جامع "آغرا" – لتمثيل النصرانية في المناظرة. وكان "آتهم" هذا مصنِّفًا لعدد من المنشورات السافلة التي وصف فيها نبيَّ الإسلام الأكرم ﷺ بأنه– والعياذ بالله– الدجال. (كتاب: أندرونه بايبل، للقسيس عبد الله ص133 وما بعدها)

كان الإجماع العام من المسلمين لاختيار المسيح الموعود عليه السلام ممثلا للإسلام مثارَ قلق بالغ لدى القسيسين النصارى– وعلى وجه الخصوص القُسس المرتدين عن الإسلام، مثل: إمام الدين وثاكر داس وعبد الله آتهم– وقد عبّروا جميعًا من قبل عن قلقهم نحو التأثير المتزايد لسيدنا أحمد. (جريدة "نور أفشان" 1885/3/19م، و1885/4/16م) لقد شهدوا الفناء التامَّ لفلسفة الآريا الهندوسية على يد سيدنا أحمد، وخَشُوا أن تلقَى الكنيسة نفس المصير، خاصة وإن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام كان أداة إذلال لزملائهم: القس هربرت ستانتون والقس فتح مسيح.. اللذين تحديا الإسلام في الماضي، ثم فرّا من الميدان عندما ظهر فيه المسيح الموعود عليه السلام وقَبِلَ تحديهما. (المرجع السابق 1888/6/7م، 1888/6/9م)

ولذلك رفضت قيادة الكنيسة في بادئ الأمر أن تكون طرفًا في مناظرة يمثل فيها المسيح الموعود عليه السلام الإسلامَ. ولكن وفدًا من قادة المسلمين أَكَّدَ للقسيسين النصارى بأن الميرزا غلام أحمد هو اختيارهم المفضَّل، فاضطروا للتسليم. وبعد قدر من المراسلات المتبادلة بين الفريقين وصلوا في النهاية إلى اتفاق لعقد مناظرة خطية في مدينة أمْرِتْسَر خلال المدة من 22-5 حتى 5-6-1893م. وتم الاتفاق أيضا على موضوعات المناظرة، وهي: صدق الإسلام، وصدق نبيه الكريم ﷺ، والقرآن المجيد ودعوى ألوهية يسوع المسيح.

ومع أن الفريقين قد توصلا إلى اتفاق رسمي، إلا أن قيادة الكنيسة قبِلت بتعيين المسيح الموعود عليه السلام مع قدر من التحفظ. لقد حاولوا التأثير على جموع المسلمين لإعادة النظر في اختيارهم، وذلك بمحاولة تشويه سمعة سيدنا أحمد. وخصوصًا أصدر القس كلارك نشرةً موجَّهة إلى المسلمين يشير فيها إلى فتاوى المولوي محمد حسين البطالوي عن الميرزا غلام أحمد، فاقترح على المسلمين أن ينبذوه، لأنه – حاشا لله – ليس مسلمًا بالمرة. (المرجع السابق 1893/5/2م)

فكأن المبشرين المسيحيين يحبون المسلمين العاجزين عن الدفاع عن دينهم، ويعتبرونهم "المسلمون حقا"، ويريدون إنقاذ مثل هؤلاء المسلمين من (الكفار) –حسب زعمهم– المجيدين في المنافحة عن سيدنا محمد ﷺ! فيا للسخرية المرّة!!

وفي نهاية المطاف..جرت المناظرة في مدينة أمْرِتْسَر حسب الاتفاق، واستمرت أسبوعين. واتضح أن ممثل النصارى في المناظرة - عبد الله آتهم - كانت تنقصه المعرفة الكافية بكلا الدينين: الإسلام والنصرانية، ومن ثم فإنه وافق على نقاط عديدة في المناظرة. فمثلاً: اعترف أنه لم يستطع أن يدلل على ألوهية المسيح المزعومة. (جنغ مقدس "الحرب مقدسة" الخزائن الروحانية؛ ج6) وتمسك برأيه أن العقل والخبرة ينبغي أن لا يكونا مرشدَين للإيمان، وأن الإنسان لا يستطيع فهم عقيدة التثليث. (المرجع السابق)

ووجد "آتهم" نفسه أيضا مضطرًّا للاعتراف بأن يسوع أصبح تجليًّا للإله فقط عندما رأى روحه تنزل عليه في هيئة حمامة وبرق. (المرجع السابق).. مما قَوَّضَ بشدةٍ عقيدةَ أن يسوع -بوصفه ابن الإله- كان من جوهر الأب نفسه. وقد انكشف جهل "آتهم" بالإسلام والقرآن أثناء المناظرة لما أقرَّ بخطئه في الاستشهاد بآيات عديدة من القرآن الكريم. (المرجع السابق)

عجز القسيس عبد الله آتهم عن مواكبة البحث الفكري الدائر، وفشل في تقديم أية حجة طريفة ومقنعة.. لا في صالح النصرانية ولا ضد الإسلام. وكان عجزه أكثَرَ من واضح أمامَ الحاضرين بما فيهم زملاؤه. والواقع أن "آتهم" نفسه كان يعرف قصوره، فتوعَّكَ أثناء المناظرة وحلَّ محلَّه القسُّ "مارتن كلارك" لفترة من الوقت. وفي نهاية المناظرة اختتم المسيح الموعود عليه السلام ورقته الأخيرة بهذا الإعلان:

"عندما دعوتُ الله في خشوع وحرارة أن يصدر حكمه في هذه المناظرة.. لأننا بشر ضعفاء لا نستطيع التوصل إلى شيء.. تلقيتُ نُبوءةً تبشرني بأن الطرف الذي يتعمد اتباع الباطل ويهجر الإلهَ الحق ويؤلِّه بشرًا ضعيفًا، سوف يُلقى في الهاوية خلال 15 شهرا.. شهرٌ في مقابل كل يوم من أيام المناظرة. وإذا لم يرجع إلى الحق فسوف يلقى خزيًا علنيًا. وأن من يتبع سبيل الحق ويؤمن بالإله الحق، سوف يَلقى التكريمَ على الملأ." (المرجع السابق)

وفي ختام الإعلان وجّه المسيح الموعود عليه السلام سؤالا إلى عبد الله آتهم:

"والآن أسأل السيد المندوب: إذا تحققت هذه الآية.. فهل تقبل بها نبوءةً سماوية كاملة بحسب ما تحب؟ ألا تكون هذه الآية برهانًا ساطعًا على أن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم - الذي سمّيتَه الدجالَ في كتابك "أندرونه بايبل" - هو نبي صادق"؟ (المرجع السابق)

يتبين من هذه المقدمة عن المناظرة بين المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، والقسيس عبد الله آتهم، أن الهدف من كل هذه العملية هو إقرارُ تفوُّقِ إحدى الديانتين المتنافستين: الإسلام أو النصرانية. وكان إعلان المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام الختامي يشير إلى أن المعركة لم تكن

بين الشخصيتين المتناظرتين، بل بين ملّتيهما: الإسلام والنصرانية. وكان سؤالُ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام الختاميُّ دليلا آخر على أن النتيجة النهائية للنبوءة ضد عبد الله آتهم ستكون برهانًا قويًا على أن النبي محمدًا ﷺ كان نبيًّا من الله حقًّا وصدقًا.

يُرجى عند هذه المرحلة من معارضي الأحمدية أن يتدبروا فيما يؤدي إليه إلحاحهم في قولهم بأن سيدنا الميرزا غلام أحمد لم يستطع التغلب على النصراني.. ومن ثم فإن المناظرة كانت في صالح النصراني.. علمًا بأن المناظرة كانت برهانًا قويًّا على صدق النبي الأكرم محمد ﷺ.

يا تُرى؛ ألم يغرق خصومُ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام في تحيُّزهم ضد حضرته بحيث إنهم مستعدّون للتضحية بصدق نبي الإسلام لشخص يؤلّه يسوعَ الإنسان وينسى الإلهَ الحق، ويسبّ في كتاباته علنًا نبيَّنا الأكرمَ ﷺ؟

حقيقة الأمر أن القس عبد الله لم يتغلب على المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام في هذه المناظرة، ولم تكن المناظرة في صالح النصرانية. وتفاصيل غلبة الإسلام على النصرانية مسجلة في محاضِرِ جلساتِ هذه المناظرة. (المرجع السابق) ولو أن الناقدين الطاعنين في المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام قرأوا هذه المحاضر، ولم يكتفوا باقتباس الأباطيل من كتابات أقرانهم الذين لا يَقِلُّون عنهم جهلا وتعصبًا.. لوجدوا أن الإسلام قد انتصر على النصرانية في هذه المناظرة على يد المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ضد القس عبد الله آتهم.

والواقع أن صحيفة "نور أفشان" وهي جريدة نصرانية، كانت قد نَشرتْ في أعمدتها عرضًا لهذه المناظرة، ثم قامت "جمعيةُ البنجاب للكتاب الديني" - وهي منظمة نصرانية في لاهور - بجمع هذا العرض في كتاب. وفي سياق هذا العرض صرح القس ثاكر داس - زميلُ عبد الله "آتهم" من البعثة الأمريكية بسيالكوت- بأن هذه المناظرة في رأيه لم تكن وافيةً بالمطلوب، وكانت إجابات المندوب النصراني موجزة جدا. (تنقيح المباحثة، ص3) وقال أيضا: إن الآيات التي استدل بها "آتهم" على معتقداته لم تأتِ بالتأثير المرغوب. (المرجع السابق) واعترف القس "داس" كذلك بأن "آتهم" فشل في تفنيد النتائج التي استخلصها الميرزا غلام أحمد فيما يتعلق بفقرات إنجيلية معينة. (المرجع السابق) وانتقد زميلَه لأنه فشل في الإجابة على الأسئلة التي أثارها المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بصدد ألوهية المسيح المزعومة.

ومنذ وقت قريب صرح المؤرخ البريطاني" إيان آدمسن" - عن هذه المناظرة بين المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام والقس عبد الله آتهم- بقوله: "لا شك فيمن فاز في هذه المناظرة". كما قال

مبعوث أمريكي في تقريره حول المناظرة بإحدى الصحف إن أجوبة المناظر المسيحي كانت غير وافيةً.

(MIRZA GHULAM AHMAD OF QADIAN, PAGE 83)

ولنعُدْ إلى مسألة تحقُّق نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ضد عبد الله آتهم. لقد أوضحنا من قبل أن الغرض من هذه النبوءة كان تحذيرَ القس النصراني من الموقف الذي اتخذه ضد الإسلام. لقد صرَّحت كلماتُ النبأ الإلهي للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بوضوح أن عبد الله آتهم: "سيُلقَى في الهاوية خلال 15 شهرا من النبأ، وسوف يلقى الخزيَ العلني إذا لم يرجع إلى الحق".

ولا يوجد فيها ما يوحي بأن المطلوب هو تحوُّلُ عبد الله آتهم عن النصرانية كما يدّعي بذلك النقاد. بل على العكس، كانت ملاحظة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام الختامية، هي أن نجاة "آتهم" تتوقف على تراجعه عن معتقده السابق ضد نبي الإسلام محمد المصطفى ﷺ وعن شتمه في كتابه: أندورنه بايبل.. وفي هذا دليل على أن المطلوب من "آتهم" هو أن يعترف بصلاح نبي الإسلام الأكرم ﷺ. ومن ثم فإن مجرد تراجع "آتهم" عن موقفه السابق ضد نبي الإسلام ﷺ يكون دلالةً كافية على أنه قد أخذ يرجع إلى الحق. وكما أثبتت الحوادث اللاحقة.. ما كاد سيدنا الميرزا غلام أحمد يعلن نبوءته، حتى تاب هذا القس فورًا، وأعلن أنه "لم يُهِنِ الإسلام أو نبيَّ الإسلام عن سبق إصرار أبدًا".

ويصرح المؤرخ البريطاني عن تراجع "آتهم" فيقول:" عندما سمع "آتهم" بالنبوءة امتقع وجهُه، وعلى الطريقة الشرقية في بيان الإنكار التام: لَمَسَ أذنيه، وأخرج لسانه، وهَزَّ رأسه، وأعلن: تُبْت.. تبتُ. أنا لم أقصد أن أُبدي قلةَ الاحترام نحو محمد." (المرجع السابق)

لم يكتف عبد الله آتهم بإعلان توبته باللسان وإبداء الندم عند المناظرة؛ بل إن هذا الكاتب النصراني الشهير والمناظر المعروف توقَّفَ عن كل عمل يساند عقيدته. امتنع عن الكتابة في صالح النصرانية وضد الإسلام، وانسحب في صمت وعزلة نسبية. وهذا في الواقع شهادة بينة على أن عبد الله آتهم قد رأى نور الحق فعلا، وأنه في قرارة نفسه قَبِلَ بصدق الإسلام ونبيه الكريم ﷺ. وإلا.. فما هو السبب المعقول الذي حدا بامرئ مثل عبد الله آتهم- الذي كان منهمكًا من قبل في الأنشطة النصرانية- إلى التقاعد فجأة من الحياة النشطة إلى الاعتزال؟ لماذا تخَيَّرَ هذا الوقتَ بالذات ليختفي بهذه الكيفية التي لجأ إليها بعد إعلان نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ضده؟ ألم يكن "آتهم" ليمضي في الدعوة إلى النصرانية لو أنه اقتنع فعلا بعقائده الباطلة.. وذلك بصرف النظر عن نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ضده؟

إن تقاعُدَ عبد الله آتهم عن الحياة النشطة إلى الصمت التام بعد إعلان النبوءة ضده لدليل قاطع على أنه أدرك خطأه، وأن الحقيقة أثّرت على فكره. ولو لم يكن الحال هكذا لتجاهَلَ تحذيرَ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ضده، واستمر في عدوانه الظالم على الإسلام وعلى نبي الإسلام ﷺ. ولكنه أبدى نَدَمَه قولا وعملا عند المناظرة؛ إذ شحب لونُه وأعلن توبتَه، ثم كان في انسحابه وركونه إلى الصمت بعد المناظرة دلائل تكميلية لتوبته العلنية.

الواقع أن أحد خصوم المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام المتحمسين - المولوي الأمْرِتْسَري - اعترف أن عبد الله آتهم كان خائفًا من الموت بسبب نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ضده، وأنه لجأ إلى كل وسيلة ممكنة للهرب بسبب هذا الخوف. (إلهامات الميرزا، ص22)

واعترف المولوي الأمْرِتْسَري أيضا: لقد تراجع "عبد الله آتهم" فعلا، وهذا كان المفهوم عمومًا. (المرجع السابق)

ومع أن عبد الله آتهم تراجع عن معتقداته ضد الرسول ﷺ وتوقَّفَ عن أن يكون نصرانيًّا نشطًا، إلا أنه لم يخرج عن الملة النصرانية.. وعند نهاية الـ 15 شهرًا، قام خصوم المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بضجة ادّعوا فيها أن آتم لم يزل حيًّا.. ومن ثم فإن نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام لم تتحقق.

ولكن حقيقة الأمر أن كلماتِ السماء التي نزلت على المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام لم تعلِن في أي وقت أن الكاذب يموت في خلال 15 شهرا من إعلان النبوءة، بل إن كلمات النبأ تقرِّر أن الذي يتعمد اتباع الباطل، ويهجر الإله الحق، ويؤلِّه بشرًا ضعيفًا.. سوف يُلقى في الهاوية خلال 15 شهرا.. شهر في مقابل كل يوم من أيام المناظرة، وإذا لم يرجع إلى الحق سيلقى خزيًا علنيًا. (جنغ مقدس، الخزائن الروحانية؛ ج6، ص210)

فكلمات النبأ الإلهي كما تلقاها المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام تقرر أن الكاذب سيلقى في الهاوية خلال 15 شهرا. والهاوية هي الدرك الأسفل من النار.

لا شك أن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام قد فهم من هذه العبارة أنها تعني الموت، وقد تبين ذلك من تفسيره للوحي الإلهي الذي نزل عليه. (المرجع السابق)، ولكن هذا التفسير حالة بسيطة من الخطأ في فهم المدلول الحقيقي للوحي الإلهي.. وذلك على نحو ما حدث لسيدنا وحبيبنا محمد المصطفى ﷺ عند تفسيره للوحي السماوي المتعلق بأداء العمرة والحج- وقد ذكرنا

ذلك في بداية هذا الفصل- وهو نفس الحال من خطأ الفهم الذي وقع فيه سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام عندما ظن أن وعد الله تعالى يتضمن نجاة أسرته من الفيضان. وهو نفس الحال من خطأ الفهم الذي وقع فيه سيدنا يونس عليه الصلاة والسلام حين غادر بلده متوقعًا نزولَ العقاب العاجل بأهل نينوى.

ومع ذلك.. فإن نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام المتعلقة بعبد الله آتهم -كما بلّغها الوحي له - تحققت بتمامها. فمع أن "آتهم" أبدى استجابةً شفوية في نهاية المناظرة، وتوقَّفَ عن عادته في شتم الإسلام ونبي الإسلام بالتقاعد من الحياة العاملة النشطة.. إلا أن سكوته هذا كان مجرد خداع للجماهير، ومن ثم أُلقيَ في الهاوية، وهي تجربة قاساها طوال ما بقي له من أيام على الأرض.

تدل الوقائع التاريخية على أن القس "آتهم" عانى من عذاب ذهني عظيم بعد إعلان المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام للنبوءة ضده. وأخذتْ تنتابه هلوسةٌ غريبة، وطفق يحلم نهارًا أن الثعابين والكلاب المسعورة والرجال المسلحين توشك أن تهجم عليه. ويصرح المؤرخ البريطاني أن القس آتم بعد النبوءة:

"عاش في ذُعر تام بقيةَ عمره. كان دائمًا مخمورًا، وينقله القسيسون النصارى من بلدة إلى أخرى". (سيرة الميرزا غلام أحمد القادياني ص103)

وكان المولوي الأمْرِتْسَري شاهدَ عيان لحال عبد الله آتهم وحياتِه بعد إعلان نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ضد هذا القس النصراني. وبالرغم من الخلافات الشخصية ومؤامراته ضد المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام فإن المولوي ثناء الله اعترف بأن نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ضد "عبد الله آتهم" قد تحققت طبقًا لكلمات النبوءة.. فصرح قائلا:

"إذا أخذتَ في الاعتبار الكلماتِ التي نقلناها أيضا، وفكرتَ في الورطة التي أحاطت به.. فلن يخالجك أي شك في أنه بالفعل قد أُلقيَ في الهاوية، وأن قلبه قد تأثر بشدّةٍ بحيث يمكن أن نسميه عذاب السعير. ولكن العقاب البالغ الذي فهمناه والذي أشارت إليه كتاباتنا - أي الموت - فذلك الذي لم يأت بعد." (إلهامات الميرزا، ص23)

ولكن الموت.. كما بيّنّا آنفًا.. لم يَرِدْ ذكرهُ أبدًا في كلمات النبأ السماوي الذي نزل على سيدنا أحمد. فقد قررت النبوءةُ فقط بأن "آتهم" سوف يُلقَى في الهاوية.. أي الدرك الأسفل من النار. وهذا ما حدث له تمامًا.

وقد اعترف بهذه الحقيقة خصمُ المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ وهو المولوي ثناء الله وقال: "إن الحال التي كان فيها دائما تحت تأثير القلق والخوف والرعب من الموت.. كانت حقًّا هاويةً، أو الدركَ الأسفل من النار." (المرجع السابق)

ومن المؤسف أنه بالرغم من هذا الاعتراف بتحقق نبوءة المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ ضد القس "آتهم" طبقًا لكلمات النبأ الإلهي كما تلقّاه.. فإن خصوم المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ لم ينفكوا يدّعون أن هذه النبوءة لم تتحقق بعد، لأن "آتهم" لم يمت خلال 15 شهرا. ولقد رَدَّ المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ على ذلك بإعلان أن إرجاء حكمِ الموت قد جاء بسبب توبة "آتهم" وقتَ المناظرة وموقفِه فيما بعد.. مما دلّ على أن قلب عبد الله آتهم قد عاد إلى الحق.

وكذلك أعلن المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ صراحةً أن أساس هلاك "آتهم" قد وُضع، ولا يتوهَّمَنَّ أحد أن أسوأ الشدائد قد انتهت بالنسبة للقس. وصرّح بأنها مسألة وقت حتى يحيق العقابُ النهائي بـ "آتهم" بسبب سفاهته. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج9، ص1 إلى 15)

وكذلك دعا المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ القس آتم ليحلف علانيةً ويُنكر أنه لم يكن بقلبه ميلٌ للرجوع إلى الحق خلال فترة الخمسة عشر شهرا، وأنه - كما كان قبل المناظرة - لا يزال يعتبر الإسلام ونبي الإسلام على خطأ.. محذّرًا إياه أنه لو قام بهذا الحلف، فلا بد أن يهلك خلال عام واحد من وقت الحلف.. وإلا دَفَعَ المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ للقس النصراني ألف روبية هندية جائزةً له، واعترافًا منه بالهزيمة.

واختتمت الدعوةُ والتحذير بإعلان من المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ جاء فيه أنه إذا قَبِلَ "آتهم" هذا التحدي وأقسم.. فإن الإسلام سوف يخرج منتصرًا والنصرانية مهزومةً، ولسوف تتجلى يدُ الله تعالى. (المرجع السابق)

فلو لم يكن عبد الله آتهم قد ثاب إلى الحق وتخلى عن رأيه ضد الإسلام ونبيه ﷺ كما كان قبل النبوءة.. لتَقَبَّلَ هذا التحدي وأقدم على الحلف، ولكان له بعد ذلك - إذا كُتبت له الحياة - أن يقبض جائزة قدرها ألف روبية، ولأسدى للنصرانية خدمة جليلة؛ لأن المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ سيكون عندئذ مضطرا للاعتراف بهزيمة الإسلام.. وهي الملة التي كان حضرتُه ممثلا لها ومتحدثًا باسمها في المناظرة.

ولكن "آتهم" لزم الصمتَ التام، وتجاهَلَ التحدّيَيْن الصادرين في 5 و9-9-1894 من قِبل المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ. وبعد ذلك أرسل المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ رسالةً

مسجلة إلى القس كلارك والقس إمام الدين.. يطلب منهما حثَّ زميلهما القس "آتهم" على الحلف. ولكن القس كلارك أرسل ردًّا قال فيه بأن آتم ليس مستعدا للحلف. وهنا رفع المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام قيمةَ الجائزة إلى ألفي روبية هندية.

وفي عرضٍ قدَّمه يوم 1894/9/20م أعلن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام أن هذه حرب بين اثنين: إله صادق وإله زائف، ولسوف يفوز الإله الحق. وصرح أيضا بأن آيةَ صدقه(صدقِ إله أحمد) صدقِ إله الإسلام؛ هي أن- المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام - نفسه لن يموت في ذلك العام الذي صدرت فيه النبوءة، أما "آتهم" فإنه لو أقسم، فلسوف يموت خلال هذا العام.. لأن الإله الزائف الذي يؤلِّهه لا يستطيع إنقاذَه. (مجموعة الإعلانات؛ ج2،ص63، إعلان رقم 122)

كانت هذه دعوى خطيرة للغاية من جانب سيدنا أحمد.. لأنه لا يستطيع أي امرئ أن يتنبأ مؤكِّدًا استمرارَ حياته لأي فترة زمنية، بل ولا للحظة واحدة.. ولكن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام كان على ثقة تامة لا حدود لها في رب الإسلام. وكان على يقين من أنه تعالى سوف يؤيده وينصره في كل سبيل لإثبات صدق دينه الحق، لأن كتاب الله الكريم ورسوله العظيم محمدًا المصطفى ﷺ كانا هما موضوع النزاع في مناظرة أمْرِتْسَر.

ومن ثم وجد القس "آتهم" نفسه في موقف شديد الحرج. فإنه إذا ظل صامتًا أطوَلَ من ذلك، فَقَدَ ما تبقى له من احترام قليل، هذا إذا كان ثمة شيء تبقى له. ولكنه كان واثقا أنه إذا أقدم على الحلف فلن يعيش سنة أخرى. ولذلك اتخذ القس النصراني خطةً يتجنب بها الموضوعَ الأساسي وهو الحلف، فأعلن فقط أنه لا يزال نصرانيًّا. (جريدة "نور أفشان" ليوم 1894/7/21م).

لما فشل "آتهم" في أن يجيب جوابًا شافيًا على طلب سيدنا أحمد، دعاه حضرته ليقسم علنًا بأنه خلال الخمسة عشر شهرًا التالية للمناظرة لم يغيِّر موقفه تجاه الإسلام ونبيه ﷺ. وعند هذه النقطة استفسر المسيح الموعود والإمام المهدي عن سبب نكوص آتم عن الحلف وتساءل: ألا يستطيع إلهُ النصرانية الزائفُ أن يُنقذ "آتهم" لمدة عام واحد، على الرغم من أن "آتهم" لم يتقدم كثيرا في العمر؟ إنه أكبر مني ببضعة أعوام فحسب. ما هذا العجز الذي يستولي على إله خيالي لدرجة أنه لا يستطيع إنقاذه لمدة سنة واحدة؟ إن توقُّعَ الخلاص على يد مثل هذا الإله- الذي لا يقدر على كفالة الأمان لسنة واحدة- لأمرٌ بالغُ الخطورة. ألم نعلن بأن إلهنا سوف يحمينا من الموت هذا

العامَ، وأنه سوف يُهلك آتم؟ ذلك لأن إلهنا إله حق.. ومع ذلك ينكره هؤلاء النصارى التعساء الذين يؤلِّهون بشرًا مثلهم. (مجموعة الإعلانات؛ ج2، ص63)

وتشجيعًا للقس عبد الله آتهم على أداء القسم رَفَعَ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام قيمةَ الجائزة إلى 3000 روبية. وعند تقديم هذا العرض يوم 1894/10/5م استثار المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام عواطفَ "آتهم" الدينية بقوله:

"إذا كان للمسيح ابن مريم الصديقة ذرةٌ من الاحترام في نظرك.. فإني ألتمسك باسمه، وأناشدك باسم الله تعالى أن تؤدي القسمَ الذي تحديناك أن تقوم به في هذه الوريقة." (المرجع السابق ص89)

ولكن "آتهم" تجنبَ الموضوعَ مرة أخرى وأعلن أنه ليس مسموحًا له أن يحلف على شيء إلا في إجراءات قضائية.. لأن دينه لا يبيح له القسمَ في أي مناسبة أخرى. (جريدة "نور أفشان" 1894/10/10م)

وأجاب المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام على هذه المراوغة، وصحّح للقس آتم رأيَه بأن "دينه لا يسمح له بالحلف إلا في إجراءات قضائية"، مستشهِدًا بأسفار النصرانية وكُتبها الأخرى التي تثبت أنه لا يوجد في النصرانية أبدًا ما يمنعه من الحلف أمام جمعٍ من الناس. ثم هل هناك أية قضية هي أهم من الدين؟ وفي هذه المرة يوم 1894/10/27م رَفَعَ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام قيمةَ الجائزة إلى 4000 روبية إذا حلف "آتهم" على الإعلان المطلوب. ولكن آتم لم يكن ليقبل بالإغراء. لم يكن "آتهم" ليحلف كما تحداه سيدنا أحمد.. لا من أجل اعتبارات مالية لمبلغ 4000 روبية، ولا من أجل شرف المسيح ابن مريم. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية؛ ج9، ص10)

بعد 12 شهرًا من تحدي المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام للقس "آتهم" ليحلف بأنه لم يغير موقفه من الإسلام.. أخذت وسائل الإعلام النصرانية مرة أخرى تثير مسألة بقاء "آتهم" حيًّا رغم أن القس نفسه قد تَراجَعَ عن الحلف بناءً على زعم باطل منه أن دينه لا يسمح بمثل هذا التصرف.

وفي شهر 12 من 1895م سرَّب القس "آتهم"- عن طريق زميله القس فتح مسيح – أنه لم يُقدِم على الحلف لأن أتباع المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام حفنة قليلة من الناس. وعلى الفور طلب المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام من "آتهم" أن يخبره عن عدد المسلمين الموقِّعين

الذين يرضى "آتهم" بهم كي يوقِّعوا على التماس يقدَّم إليه من قِبله (أي المسيح الموعود والإمام المهدي ﷺ).

وفي هذا الإعلان صرح المسيح الموعود ﷺ أخيرًا بأنه لو اجتمع القساوسة النصارى جميعًا لإغراء "آتهم" على القسم، فإنه سيبقى فاقدَ الشجاعة للحلف.. لأنه في قرارة قلبه يعلم أن النبوءة الأصلية ضده في أمْرِتْسَر قد تحققت بالفعل.

وصرح المسيح الموعود والإمام المهدي ﷺ أيضا أنه لدليلٌ كافٍ على صدقه في قوله إن "آتهم" لن يحلف أبدًا ضده.. حتى ولو مزّقه العالَمُ النصراني إربًا إربًا. ومن ناحية أخرى.. لو أقدم "آتهم" على الحلف، فإن النبوءة الثانية عن هلاكه سوف تتحقق حتمًا. (مجموعة الإعلانات؛ ج2، ص204، إعلان 1894/12/30)

وكما توقع سيدنا أحمد.. لم يجسر عبد الله آتهم على القسم رغم ما تعرّض له من تحقير مستمر حسبما وعد الله به. ولكن صمت "آتهم" كان في حد ذاته نوعًا من الخداع.. إذ كانت أمامه فرصةٌ كافية لينقذ نفسَه من غضب الله تعالى بقول الحق، ولكنه ظل صامتا متسترا وراء تظاهُرٍ ديني كاذب رغم حثّ متكرر من قِبل المسيح الموعود والإمام المهدي ﷺ بعد هذا الإعلان أيضا. ومن ثَمَّ.. وبعد سبعة أشهر من تحذير المسيح الموعود والإمام المهدي ﷺ الأخير الذي بلَّغه لهذا القس النصراني في 30-12-1895، نُشِرَ نعيُه في 27-7-1896م، تمامًا كما أعلنه المسيح الموعود والإمام المهدي ﷺ في إعلانه الرابع بأن الله تعالى لن يترك مجرما كهذا بدون عقاب، لأنه يخفي الحق ليخدع الدنيا.... إن تلك الأيام لقريبة، وليست ببعيدة. (المرجع السابق ص 106، إعلان 1894/10/27م)

رابعا: النبوءة المتعلقة بالقس ألكسندر دوئي

كان ألكسندر دوئي إسكتلنديا، هاجر إلى أستراليا عام 1872م كرجل من رجال الدين. وفي سنوات قلائل اكتسب شهرةً إلى حد ما بقدرته المزعومة على الشفاء. وفي عام 1888م ارتحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث شرع في إصدار جريدة تسمى (Leaves of Healing) (أوراق الشفاء)؛ وأخذ يدعو إلى النصرانية عام 1892م؛ وبسبب شهرته أسس في أمريكا عام 1896م طائفة نصرانية كاثوليكية تُنسب إليه. وفي العام 1901م ادّعى ألكسندر دوئي أنه المبشِّر بعودة المسيح الذي تشوَّقَ الأمريكان المتدينون إلى مجيئه. وأخذ يسيطر على عدد كبير من الأتباع في الولايات المتحدة الأمريكية. ولما تدفقت عليه الأموال اشترى قطعةَ أرضٍ في مقاطعة إلينوي (Illinois) حيث بنى فيها بلدة سماها؛ مدينة صهيون.

كان دوئي عدوًّا لدودًا للإسلام ونبيِه الكريم سيدنا محمد المصطفى ﷺ. وقد دلّل على عداوته في خطبه وكتاباته. وقد قال في إحدى خطبه:

"أنظُرُ إلى زيف محمد باحتقار شديد. لو أني قبلتُ بهذه الأباطيل فكأني آمنت أنه لا توجد في هذا الجمْع.. بل ولا في أي مكان آخر من أرض الله.. امرأةٌ واحدة لها روح خالدة. وكأني اعترفتُ أنّكنّ - معشرَ النساء - لستن إلا حيوانات بريّة. تُستعملن ساعة في اليوم كألعوبة، وليس لكُنّ وجود خالد، وأنه عندما يُرضي أولئك الذين تسيطر عليهم الشهواتُ البهيمية شَبَقُهم منكن، تَمُتْنَ ميتةَ الكلاب. هذه هي نهايتكن. هذه هي ديانة محمد." (Leaves of healing, volume No7, Issue No 5, 26/5/1900)

كما نشر دوئي نبوءة في عام 1902م صرّح فيها بأنه إذا لم يتنصَّرْ كافةُ مسلمي العالم، فلسوف يَلقَون الموتَ والدمار.

عندما بلغتْ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام أخبارُ تهجُّم ألكسندر دوئي على الإسلام ونبيِّ الإسلام ﷺ، وبلغتْه نبوءتُه ضد مسلمي العالم.. صرّح حضرته:

"ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية مؤخَّرا رجلٌ اسمُه دوئي، يدّعي بأنه رسول ليسوع، وأن يسوع - بوصفه ربًّا - أرسله للعالم ليدعو الناس إلى عقيدة أنه لا ربّ سوى يسوع." (مجلة "نقد الأديان" المجلد الأول عدد9، ص342 - 348)

ثم قدّم المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام نفسه إلى القس ألكسندر دوئي، وصرّح بأن دوئي هذا الذي يؤلِّه يسوعَ، ويزعم نفسه رسولا له، ويقول بأن النبوءة الواردة في سفر التثنية 15:18[2] قد تحققت بظهوره هو، وأنه هو إيليا ورسول العصر.. لا حاجةَ بدوئي للتلَهُّف على هلاك المسلمين. إننا نبين للسيد دوئي باحترام أن تحقيق غرضه لا يتطلب تعريضَ ملايين المسلمين إلى الهلاك؛ فهناك وسيلة سهلة للغاية لبيانِ هل رَبُّ دوئي حقٌّ أم باطل. ولا تتطلب هذه الطريقة أن يكرّر إعلان نبوءته عن هلاك المسلمين، بل فليَضَعْني وحدي في ذهنه، ويدعو بشأننا معًا ليهلك الكاذب منا قبل الآخر. إن دوئي يعتقد بأن يسوع ربٌّ، وأنا أعتبره مخلوقًا متواضعًا ونبيًّا فحسب. والمسألة في هذا الموضوع هي: مَن منا على الحق؟ ينبغي على المستر دوئي أن ينشر دعاءه وليُشْهِدْ ويُطْلِعْ عليه ألف شخص على الأقل. وعندما تصلني النشرة التي تتضمن إعلانه.. سوف أدعو بدوري وأُرفِق مع الدعاء شهادةَ ألف شخص، إن شاء الله.

---

[2] هذه النبوءة هي: "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ".

لست أنا البادئ بهذا الدعاء، فإن مستر دوئي هو الذي وضع نفسه في هذا الموقف من خلال إعلاناته. ولما لاحَظَ اللهُ الغيورُ ذلك، دَفَعَني إلى هذه المواجهة. إنني لست شخصًا عاديا في هذا البلد.. بل إني أنا المسيح الموعود الذي ينتظره المستر دوئي.

ولو كان المستر دوئي صادقًا في ادعائه، وأن يسوع ربٌّ حقّ.. لحُسمت المسألةُ بموت شخص واحد. ومن ثَمّ فلا حاجة لإهلاك المسلمين في أقطار الأرض جميعا. أما إذا لم يستجب المستر دوئي لهذا الإعلان ولم ينشر دعاءً بحسب تبجحاته وادعاءاته.. ورُحِّل من الدنيا قبل وفاتي.. فإن هذا يكون آية لأهل أمريكا جميعًا. والشرط الوحيد هو ألا يكون موتُ أحدنا بيدٍ بشرية.. بل يكون بفعل مرض أو صاعقة أو لدغة ثعبان أو افتراس وحش. وإني أعطي دوئي فترةَ ثلاثة أشهر ليتخذ قراره ويستجيب لمطلبي. وإني لأبتهل إلى الله أن يكون مع الصادقين! والأسلوب الذي أعرضه؛ هو أن يأتي المستر دوئي ليواجهني في الميدان بإذنٍ من ربه الزائف. إني رجل مُسنّ تجاوزتُ 66 سنة من عمري، وإني مريض بالسكر والدوسنطاريا والصداع النصفي والأنيميا، وأُدرك أيضا أن حياتي لا تتوقف على حالتي الصحية.. وإنما على أمر ربي. فإذا كان ربُّ دوئي الزائف يملك أية قوة.. فلا بد أن يسمح له بالخروج إلى مواجهتي. وبدلاً من إهلاك المسلمين جميعًا؛ إذا رأى المستر دوئي أن موتي وحدي يحقق غرضه، فلسوف يُري آيةً عظيمة، وبشهودها سوف يعترف ملايينُ الناس بأن ابن مريم ربٌّ، ويؤمنون بأن دوئي رسوله." (المرجع السابق)

أذاعت الصحافة الأمريكية إعلانَ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام هذا ونشرتْه على نطاق واسع، كما نشرتْ بعضُ الدوريات هذا التحدي حرفيًّا بتمامه تقريبًا.

(Literary Digest, 20th June 1903. Burlington Freepost 27th June 1903, New York Commercial Advertiser, 26th October 1903)

وسردت إحدى الدوريات هذا التحدي تحت عنوان "مبارزة في الدعاء؛ إنجليزي ضد عربي"، وختمت بيانها بهذه الملاحظة:

"وباختصار فإن الميرزا كتب لدوئي: أنت زعيمُ جماعة، وأيضا لي أتباع عديدون. ويمكن التوصل بسهولة إلى تقريرِ مَن هو مِن عند الله. يجب أن ندعو كي يُهلك اللهُ الكاذبَ في حياة الآخر. فالذي يُستجاب لدعائه يُعتبر من عند الله حقًّا. إنها حقًّا أكثَرُ الاختبارات معقوليةً وإنصافًا!"

(Argonaut, San Francisco, 1/12/1902)

ولم يُجب ألكسندر دوئي على تحدي المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام كما طلب منه. ومع ذلك أعلن في فبراير/ شباط 1903 ما يلي:

"أدعو الربَّ أن ينقرض الإسلام حالا من العالم. يا رب تقبَّلْ دعائي. يا رب دَمِّرْ الإسلام." (Leaves of Healing 14/2/1903)

وفي 1903/8/23 نَشَرَ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام تصريحًا آخر موجَّهًا إلى دوئي قال فيه: إن من آيات صدقي أنه إذا قَبِلَ دوئي بالتحدي صراحةً أو ضِمنيًا، فلسوف يودِّع الحياةَ في أسًى وعذاب عظيم في حياتي.

ولما لم يجب دوئي على تحدي المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، منحَه حضرتُه مهلة سبعة أشهر أخرى، وصرح بأنه "إذا تقدم دوئي خلال هذه المهلة لمبارزتي، وقام بالإعلان المطلوب.. فلسوف تشهد الدنيا نهايةَ هذا المباراة".

وذكّره المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام "أنه في حوالي السبعين من عمره. أمّا دوئي- وبحسب ما جاء في تصريحاته- فلم يكد يبلغ الخمسين من عمره.

وقال المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام إنه "إذا فَرَّ دوئي من المعركة، فلسوف يشهد عليه أهلُ أمريكا وأوروبا قاطبة، ويكون فرارُه هزيمة ونوعًا من الموت له". واختتم المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام تصريحه قائلا:

"ولكن تأكَّدوا أن كارثةً سوف تحيق بصهيون عاجلا".

وأخيرا اضطر دوئي للاستجابة إلى تحدي سيدنا أحمد، وأعلن في ديسمبر/ كانون الأول 1903:

"هناك مسيح محمدي في الهند، كتب عدة مرات أن يسوع المسيح مدفون في كشمير؛ ويسألني بعضُ الناس: لماذا لا ترد عليه بالجواب اللازم؟ هل تتصورون أن أرد على البراغيث والذباب؟ لو وضعتُ قدمي عليها لسحقتُها فأهلكتُها جميعا. الواقع أني أعطيها الفرصةَ لتطير بعيدًا وتظلّ حيّةً." (المرجع السابق)

وبهذا التصريح يكون ألكسندر دوئي قد قبِل التحدي.. إن لم يكن صراحة، فعلى الأقل ضمنيًا. وما كاد دوئي يُصدر هذا التصريح حتى أخذت أموره في التدهور، وبدأت تظهر على صحته أماراتُ الانحطاط؛ وطفق أتباعُه يتشككون في دعاويه، وحلّت به صعوباتٌ مالية. وتَهَاوَتِ القدمُ التي خطا بها دوئي على أرض صهيون في كبرياء.. ولم تكن أبدًا قادرةً على سحق المسيح المحمدي، بل ولم تَعُدْ تستطيع حملَ جسد صاحبِها واقفًا على الأرض. لقد عانى نوباتٍ شديدةً من الشلل في الأشهر الأخيرة من عام 1905م، وأخذوه إلى المكسيك وجامايكا.. بحثًا عن علاج له لم يجدوه أبدًا.

واكتشف أتباعُ دوئي أنه كان سِكِّيرًا مُدمِنًا، بينما كان يمنعهم من الخمر، واختلس أيضا الأرصدةَ المالية للمؤسسة.. ومن ثَم عَزَلُوه عن منصبه. وكذلك هجرتْه زوجتُه وأولاده، وقضى ما بقي له من أيام في بؤس مادي وعذاب نفسي. وفي 1907/3/7.. هلك ألكسندر دوئي مهجورًا محسورًا مفضوحًا مَهينًا. وعند هلاكه كتبت إحدى الصحف الأمريكية التي كانت تُتابع تطوراتِ النزاع بينه وسيدنا أحمد:

"لقد مات دوئي مِيتةً بائسةً تعيسةً، وتمزقتْ مدينةُ صهيون كلَّ ممزق في منازعات داخلية". (Boston Herald, 23/6/1907)

وفي الوقت الذي يحتجُّ فيه خصومُ المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام العيّابون الكذابون بأنه لم يتنبأ قط بهلاك ألكسندر دوئي.. تُصرِّح الصحفُ الأمريكية التي شهدت الخلافَ بين المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، ودوئي قائلةً:

"تنبأ رجلُ قاديان بأنه إذا لم يقبل دوئي التحدي، فلسوف يغادر الدنيا أمام عينه في أسًى شديد وعذاب. ويقول الميرزا: إذا رفض دوئي، تأجلت نهايته فقط، والموت ينتظره على حد سواء، ولسوف تنزل الكارثة بمدينة صهيون. كانت هذه نبوءةً عظيمةً: تسقط صهيون ويهلك دوئي قبل أحمد. لقد كانت خطوة تنطوي على مخاطرة من جانب المسيح الموعود إذ يتحدى إيليا العائدَ إلى الحياة في اختبار التحمل.. لأن المتحدي كان أكبر بخمسة عشرَ عامًا على الأقل، وكان يعيش بأرض يهدد فيها الطاعون والمجاعات هذا الباقيَ على الحياة. ومع ذلك فإنه قد فاز." (Truth Seeker, 15/6/1907)

وكتبت صحيفة أمريكية أخرى تقريرا عن الموتة البائسة التي لقيها ألكسندر دوئي تمامًا كما ذُكر في نبوءة سيدنا أحمد.. جاء فيه:

"يُلتمس العذر لأحمد وأتباعه إذا تباهَوا بعضَ الشيء بسبب الدِّقة التي تحققت بها النبوءة منذ عدة شهور." (Dunville Gazette, 7/6/1907)

نبوءة الموت في مكة أو المدينة:

هل تنبأ المسيح الموعود عليه السلام أنه سيموت في مكة أو المدينة؟ فيما أُوحي إليه: "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، سلام قولًا من رب رحيم، سنموت في مكة أو المدينة".

الردّ[3]:

هذا الإلهام نزل على المسيح الموعود في 14-1-1906، أي قبل وفاته بسنتين وأربعة أشهر.. أي بعد الإلهامات المتواترة بقرب وفاته، والتي على أثرها كتب المسيح الموعود عليه السلام كتاب الوصية. وقد نشر عليه السلام هذا الوحي في جريدة الحَكَم بتاريخ 17-1-1906، وفي جريدة بدر بتاريخ 19-1-1906. ونشر عليه السلام مع الإلهام تفسيره وشرحه، فقال:

(1) لقد قرر الله تعالى منذ البداية أنه هو ورسُلُه سيظلون غالبين. (2) يقول الرب الرحيم بأنه سلام لك.. أي لن تموت خائبا خاسرا. (3) أما قوله سنموت في مكة أو المدينة، فيعني ذلك بأننا سننال فتحًا مكيًّا (الفتح الذي يشبه فتح مكة) قبل أن نموت، فكما أن الأعداء قد غُلبوا هناك قهرًا، كذلك سوف يُغلب الأعداء الآن بالآيات القاهرة. والمعنى الثاني: أننا سننال فتحًا مدنيًّا قبل الموت، أي أن قلوب الناس سوف تميل إلينا تلقائيًّا. وعبارة "كتب الله لأغلبن أنا ورسلي" تشير إلى مكة، وعبارة "سلام قولا من رب رحيم" تشير إلى المدينة. (التذكرة، ص503)

الاعتراض:

هناك وحي نزل على المؤسس يقول: "إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى"، لكن لم يولد له أي ولد بهذا الاسم.

الردّ:

إن "يحيى" هنا، بمعنى أنه يعيش حياة روحانية طويلة، وقد أصبح ابنه " مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه" خليفته الثاني، ودامت خلافته 52 سنة، فهذا هو اليحيى، وهذه هي الحياة الروحانية الطويلة، كما أنه كان قبل ذلك ومنذ طفولته المبكرة مضرب المثل في الخلق والروحانية وطاعة المسيح الموعود عليه السلام وطاعة خليفته الأول.

الاعتراض:

تنبأ المؤسس أنه سيولد له ابن خامس، ولكن لم يولد قط. بل ظل العدد أربعة، وتوفي أحدهم وهو طفل. وهذا يعني أن النبوءة لم تتحقق.

الردّ[4]:

---

[3] هذا الرد من الموقع الرسمي للجماعة

[4] هذا الرد من إعداد الداعية محمد طاهر نديم

لقد كتب المسيح الموعود عليه السلام : "الحمد لله الذي وهب لي على الكبر أربعة من البنين، وأنجز وعده من الإحسان، وبشرني بخامس في حين من الأحيان، وهذه كلها آيات من ربي يا أهل العدوان." (مواهب الرحمن)

كما أنه تلقى إلهاما في عام 1904م باللغة الأردية وتعريبه: سيولد ولد مرح (أو ظريف) ونشيط.

ويعترض على ذلك المعاندون أنه عليه السلام قد ذكر هذه النبوءة في 1903م، ثم بعد ذلك ولدت له في السنة نفسها بنت وماتت، ووُلدت أُخرى بعدها بحوالي سنتين، غير أنه لم يُرزق بهذا الولد الخامس حسب النبوءة!

وردًا على ذلك نقول: إن "الولد" يُطلق على الولد، وولد الولد أيضًا، كما في قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ (مريم: 50).

فالمعلوم أن يعقوب هو ابن إسحاق وليس ابن إبراهيم، ولكن الله تعالى يقول عن إبراهيم عليه السلام بأننا أعطيناه إسحاق ويعقوب، مما يعني أن الحفيد هو الآخر بمثابة الولد. يقول الإمام الطبري في شرح هذه الآية: "فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق".

ثم يورد الإمام الطبري قول ابن عباس في شرح آية من سورة أخرى حيث وردت عليهما السلامولدا إبراهيم. ولعل البعض يفهم من هنا أن ابن عباس رضي الله عنه أراد بذلك أن يعقوب عليه السلام كان ولدًا حقيقيا لإبراهيم ولم يكن حفيدًا له، فردًّا على هذه الشبهة نورد ما جاء في مختصر تفسير ابن كثير وهو: "فأما ما روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ قال: هما ولدا إبراهيم، فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد، فإن هذا الأمر لا يكاد يخفى على من هو دون ابن عباس." (مختصر تفسير ابن كثير، تفسير الآية 27 من سورة العنكبوت)

فاتضح من هنا أنه يمكن إطلاق "الولد" على الحفيد. فقد تلقى المسيح الموعود عليه السلام بشارة من الله بأنه سوف يولد له ولد خامس أيضا في حين من الأحيان، فذكر هذه البشارة كما هي في "مواهب الرحمن". ثم جاء إلهام آخر توضيحًا للبشارة السابقة، ووضح المراد من الولد الخامس كما ذكره حضرته في كتابه "حقيقة الوحي" وتعريبه:

> "لقد وعدني الله تعالى أنه سيهبني ولدًا خامسًا نافلةً ووردت هذه النبوءة في الصفحة 139 من كتاب "مواهب الرحمن" بالكلمات التالية: "وبشرني بخامس في حين من الأحيان" أي أن الولد الخامس- الذي سيولد علاوة على أبنائي الأربعة، والذي سيكون نافلة- بشرني الله تعالى عنه بأنه لا بد أن يولد في حين من الأحيان. كما تلقيت بهذا الشأن **إلهامًا آخر** نُشر منذ مدة في جريدتي البدر والحَكَم، وهو: "إنا نبشرك بغلام نافلة لك، نافلة من عندي." أي

إننا نبشرك بولد آخر يكون نافلة؛ يعني ولد الولد... فقبل ثلاثة أشهر تقريبا ولد عند ابني محمود أحمد صبي سمّي بـ"نصير أحمد"، فهكذا تحققت هذه النبوءة بعد أربعة أعوام ونصف." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج 22، ص 229)

كما شرح حضرته عليه السلام هذا الإلهام في مكان آخر حيث قال: "قبل بضعة أيام تلقيت الإلهام التالي: "إنا نبشرك بغلام نافلة لك". وقد يكون المراد منه أن يولد صبي عند محمود (نجل حضرته عليه السلام)، إذ الحفيد يدعى نافلة، أو يمكن أن تكون هذه البشارة لوقت آخر." (جريدة بدر؛ المجلد2 رقم 14 عدد 5-4-1906 ص2، جريدة الحكم؛ المجلد 10 رقم 12 عدد 10-4-1906 ص1).

ومما يؤكد ما قاله حضرته هو أن القرآن الكريم قد سمى يعقوب نافلة لإبراهيم، حيث يقول تعالى:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (الأنبياء: 73)

وهكذا فقد وضح حضرته عليه السلام أن المراد من الابن الخامس هو حفيده الذي سيولد عند نجله محمود أحمد في حين من الأحيان. وتحققت هذه النبوة في حياة حضرته عليه السلام إذ ولد حفيد له من ابنه محمود أحمد. ثم هناك من أحفاده عليه السلام مَن كان له شأن عظيم في الدفاع عن الإسلام ونشره إلى أكناف العالم، فيمكن أن تنطبق النبوءة على هؤلاء الأحفاد أيضًا، ومن أبرزهم الخليفة الثالث للإمام المهدي عليه السلام "مرزا ناصر أحمد" رحمه الله؛ ابن مرزا محمود أحمد رضي الله عنه، والخليفة الرابع "مرزا طاهر أحمد" رحمه الله؛ وهو أيضًا ابن مرزا محمود أحمد رضي الله عنه.

ويقول المعترض: قال مرزا غلام أحمد هذه النبوءة في نهاية حمل امرأته، وقد وضعت امرأته بنتا في نهاية الشهر نفسه. ثم تنبأ في الحمل الثاني لامرأته أن تلد ذلك الذكر فقال "يولد ابن الكرام ويكون له طراز جميل" فوضعت امرأته بنتا أيضا. ونقول ردًّا على ذلك بأن هذه ليست ترجمة صحيحة للإلهام أولاً، وقد أوردنا الترجمة الحرفية للإلهام في بداية هذا الردّ. وثانيا: لم ينسب حضرته عليه السلام هذا الإلهام إلى حملٍ كانت زوجته تحمله أبدا حتى يصح القول أنه تنبأ في ذلك الحمل لامرأته أن تلد الذكر. وثالثا: كيف يمكن أن يصح هذا الكلام وقد تلقى الإمام المهدي عليه السلام إلهامات عن هذين الحملين اللذين أشار إليهما المعترض، جاء فيها أن البنت ستولد، وأخبر حضرته بذلك الناس الكثيرين الذين كانوا شهداء على ذلك لدرجة أنه صار ذلك آية من آيات صدقه، وقد ذكرها في كتابه "حقيقة الوحي" وترجمة ذلك كالتالي: "أُنبئت بالوحي الإلهي بأن بنتًا

أخرى ستولد عندي، ولكنها ستموت. فأخبرت الكثيرين قبل الأوان عن هذا الإلهام. فولدت تلك البنت وتوفيت بعد بضعة أشهر."

ثم يقول عن البنت الثانية ما تعريبه: "لقد بُشِّرتُ ببنت أخرى بعد هذه البنت (المتوفاة) وكلمات الإلهام هي: "بنت الكرام". فنشر هذا الإلهام في جريدتي الحَكَم والبدر، أو ربما في إحداهما، ثم ولدت بعد ذلك بنت سميت بـ "أمة الحفيظ". (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج22، ص 228)

لا شك أن هذه آية واضحة للمتبصرين الذين قد سمعوا بهذه النبوءات قبل حدوثها، وهي منشورة في صفحات جريدتي الحكم والبدر الصادرتين في القاديان في ذلك الزمن.

الاعتراض:

تنبأ مؤسس الجماعة أنه سيعيش أكثر من ثمانين سنة، حيث كتب: "فبشرنا ربنا بثمانين سنة من العمر أو هو أكثر عددا". وأنتم تقولون أنه عاش خمسًا وسبعين ونصف العام.

الردّ[5]:

لقد أوحى الله تعالى إلى المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام الوحي التالي:

"ثمانين حولا أو قريبا من ذلك."

ثم تلقى إلهاما نصفه باللغة العربية وهو: "أطال الله بقاءك." ونصفه الآخر بالأردية، وتعريبه: "ثمانين عاما، أو أكثر من ذلك بخمس أو أربع سنوات أو أقل منه بخمس أو أربع سنوات." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج22، ص100)

لقد وضح حضرته عليه السلام هذا بنفسه في كتابه "براهين أحمدية، ج5"ما تعريبه: "ليس في وعد الله تعالى أن عمري سيتجاوز الثمانين حتمًا. بل الله تعالى أعطى أملاً خفيا في وحيه هذا بأن العمر يمكن أن يزداد حتى الثمانين لو شاء الله ذلك. أما الكلمات الظاهرة للوحي والمعبرة عن الوعد الإلهي فهي تحدد العمر ما بين 74 إلى 86 عاما." (الخزائن الروحانية؛ ج21، ص 259)

وطبقًا لهذه النبوءة توفي المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام عن عمر يناهز خمسًا وسبعين عاما ونصف.

أما باللغة العربية فقد تلقى إلهامات عديدة تشير إلى أن عمره عليه السلام سيصل قريبا من الثمانين، ومنها: "ثمانين حولا أو قريبا من ذلك، أو تزيد عليه سنينا، وترى نسلا بعيدا" (الأربعين، رقم3،

[5] من إعداد الداعية محمد طاهر نديم

الخزائن الروحانية؛ ج17، ص394. وضميمة التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية؛ ج17، ص66). وكذلك "ثمانين حولا أو قريبا من ذلك، أو نزيد عليه سنينا" (الأربعين، رقم2، الخزائن الروحانية؛ ج17، ص380)، وكذلك "لنحيينك حياة طيبة، ثمانين حولا أو قريبا من ذلك، وترى نسلا بعيدا" (الأربعين، رقم3، الخزائن الروحانية؛ ج17، ص422).

طريق التحقيق

للوصول إلى تحديد عمر أي إنسان لا بد من معرفة أمرين اثنين هما: 1- تاريخ ميلاده. 2- تاريخ وفاته.

إن تاريخ وفاة حضرته عليه السلام معروف وهو 24 ربيع الثاني 1326هـ الموافق لـ 26-5-1908م. أما تاريخ ميلاده فلم يكن معلوما، ولم يكن مسجلا في أي مكان، وذلك لأن عادة تسجيل الأسماء في السجلات الحكومية لم تكن قد بدأت بعد في تلك المناطق. كما لم يذكر حضرته عليه السلام بنفسه في كتبه تاريخًا معينًا لولادته. لم يكن الناس في زمنه عليه السلام يهتمون بتاريخ ميلادهم ولا يتذكرونه، بل كانوا يذكرونه مقرونا بالأحداث الهامة التي حصلت في ذلك الزمن، فعلى سبيل المثال كان أحدهم يقول: ولدتُ في الفترة التي تفشى فيها الطاعون في منطقة كذا، أو عندما حدث زلزال في مكان كذا، أو عند اندلاع حرب كذا، وما إلى ذلك. ولهذا السبب نجد في كتب المسيح الموعود عليه السلام عدة أقوال عن تاريخ ولادته. ولما كان كل ذلك مبنيا على مجرد التخمين، لذلك نجد فيه اختلافًا. يقول حضرته عليه السلام بهذا الصدد ما تعريبه: "إن عمري الحقيقي يعلمه الله تعالى وحده، أما ما أعرفه فهو أنني الآن - في سنة 1323 الهجرية- أقارب السبعين من العمر، والله أعلم بالصواب." (ضميمة ج5 من براهين أحمدية، الخزائن الروحانية؛ ج 21، ص 365)

لقد اتضح مما تقدم أن تاريخ ميلاد حضرته عليه السلام لم يكن مسجلا ولا مذكورا بالتحديد في أي مكان. وإذا تحرينا في الأمر أكثر وجدنا عدة قرائن ذكرها حضرته في بعض كتبه أو أمام صحابته (الذين كتبوا كل ذلك ونُشر فيما بعد باسم "الملفوظات" في عشرة مجلدات) مما يساعد الباحث في تحديد يوم ميلاده بشكل صحيح. وبيان ذلك كالتالي:

1- يقول سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ما تعريبه:

"لقد وُلد هذا العبد المتواضح يوم الجمعة في الرابع عشر من الشهر القمري." (تحفة غولروية، الخزائن الروحانية؛ ج 17، ص 281، الحاشية)

2- ورد في رواية أحد صحابة المسيح الموعود عليه السلام أنه قال: لقد وُلدتُ في شهر (فاغن) (اسم لشهر من شهور التقويم البكرمي المعروف في القارة الهندية ويقارب في السنة الميلادية فبراير/

شباط)، وفي اليوم الرابع عشر للشهر القمري، وكان الوقت هو الهزيع الأخير من الليل. (ذكر حبيب ص238- 239)

نستخلص مما سبق أن هناك ثلاثة أمور لا بد من اجتماعها لتحديد يوم ميلاد الإمام المهدي عليه السلام وهي:

1- يوم الجمعة.

2- الرابع عشر في أحد الشهور القمرية.

3_ شهر (فاغن) من التقويم البكرمي الهندي (ويقابله فبراير/ شباط من السنة الميلادية).

تعالوا معنا نستعرض التقويم الهجري والميلادي والبكرمي لعدة سنوات حتى نصل إلى النتيجة.

التاريخ الميلادي	التاريخ الهجري	اليوم	التاريخ الهندي البكرمي
4 فبراير1831م	20شعبان 1246هـ	الجمعة	7 فاغن 1887 البكرمي
17 فبراير1832م	**14رمضان 1247هـ**	**الجمعة**	**1فاغن 1888البكرمي**
18 فبراير1833م	17رمضان 1248هـ	الجمعة	4 فاغن 1889 البكرمي
28 فبراير1834م	18شوال 1249هـ	الجمعة	5 فاغن 1890 البكرمي
13 فبراير1835م	**14شوال 1250هـ**	**الجمعة**	**1فاغن 1891البكرمي**
25 فبراير1836م	17شوال 1251هـ	الجمعة	3 فاغن 1892 البكرمي
24 فبراير1837م	18ذي القعدة 1252هـ	الجمعة	4 فاغن 1893 البكرمي
9 فبراير1838م	20ذي القعدة 1253هـ	الجمعة	7 فاغن 1894 البكرمي
1 فبراير1839م	15ذي القعدة 1254هـ	الجمعة	3 فاغن 1895 البكرمي
21 فبراير1840م	16ذي الحجة 1255هـ	الجمعة	4 فاغن 1896 البكرمي

يتضح جليا من خلال هذا الجدول أن الأمور الثلاثة المذكورة، ما اجتمعت إلا مرتين فحسب.

وهما: الأولى: 17 فبراير/ شباط 1832م، والثانية: 13 فبراير/ شباط 1835م الموافق لـ 14 شوال 1250هـ. لقد تبنت الجماعة اليوم الأخير كتاريخ ميلاد الإمام المهدي عليه السلام، وذلك بناء على ما ورد في بعض كتاباته، ومنها ما تعريبه: "لقد تشرفت بالمكالمة والمخاطبة الإلهية في1290هـ بالضبط." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج 22، ص 207)

أي أن الوحي بدأ ينزل على الإمام المهدي عليه السلام في السنة 1290هـ. وبالنسبة لعمره عليه السلام لما بدأ ينزل عليه الوحي، يقول ما تعريبه: "ولما بلغ عمري الأربعين عامًا، شرفني الله تعالى بإلهامه وكلامه." (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية؛ ج 15، ص 283)

ثم يقول في مكان آخر في بيت شعر له بالأردية: "كان عمري أربعين عاما إذ تشرفت بالوحي الإلهي." (براهين أحمدية، ج5، الخزائن الروحانية؛ ج 21، ص 135)

فإذا كان عمر حضرته عليه السلام 40 عامًا - في السنة التي تشرّف فيها بالوحي الإلهي- سنة 1290 الهجرية، فهذا يعني أنه ولد في سنة 1250هـ. حيث إن: (1290- 40 = 1250)

ولا يجتمع يوم الجمعة، واليوم الرابع عشر من الشهر القمري، وشهر فاغن من التقويم البكرمي، إلا في 14 شوال 1250هـ.

وهكذا؛ فقد ثبت قطعًا- بناء على ما أسلفنا- أن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام قد ولد في 14 شوال 1250 هـ الموافق لـ 13 فبراير/ شباط 1835م، وتوفي في 24 ربيع الثاني 1326 هـ الموافق لـ 26-5-1908م.

وإذا طرحنا سنة ميلاده من سنة وفاته تحددت مدة عمره وذلك كالتالي: 1326- 1250 = 76 عاما هجرية. وإذا التزمنا بالدقة أكثر وعددنا الشهور والأيام أيضًا فيكون عمره 75 عاما هجرية وستة أشهر وعشرة أيام. وهذا يوافق تماما لما ورد في النبوءة.

ولكن المعارضين المغرضين يقدِّمون بعض كتابات الإمام المهدي عليه السلام التي أخبر فيها عن عمره بالتخمين، ويخفون عباراته الأخرى كتمانًا للحق وتحقيقًا لمآربهم السيئة. لذا نقدم فيما يلي بعض كتابات المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام التي تبين أنه عاش عمرًا يتراوح بين 74 و76 عاما.

1. كتب حضرته في كتابه "حقيقة الوحي" - وهو يتحدث عن القسيس الأمريكي الشهير "ألكسندر دوئي" الذي هلك بعد أن دخل في المباهلة مع المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام- ما تعريبه: "لقد نشرتُ ضد "دوئي" إعلانًا باللغة الإنجليزية في 23-8-1903م، تضمَّن جملة: أبلغ من العمر قرابة سبعين عاما، أما "دوئي" فهو شاب في الخمسين كما يقول. ولكنني لم أكترث بكبر سني، لأن الأمر لن يُحسَم في هذه المباهلة بحكم الأعمار، وإنما يحكم فيها الله الذي هو أحكم الحاكمين." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج22، ص 506 الحاشية)

فثبت أن عمر حضرته عليه السلام كان قرابة السبعين في 23-8-1903. وتوفي عليه السلام بعد هذا بخمس سنين؛ أي في عام 1908م. وبهذا قد صار عمره قرابة 75 عامًا بحسب التقويم الميلادي، و77 عامًا بحسب التقويم الهجري.

2. أ: يقول حضرته ؑ ما تعريبه: "أَرُوني أين صار آتهم*؟ لقد كان عمره يقارب عمري؛ أي 64 عامًا تقريبا. فإذا كنتم في ريب من ذلك فتأكدوه من خلال أوراق تقاعده في الدوائر الرسمية." (إعجاز أحمدي، الخزائن الروحانية؛ ج 19، ص109)

ب: "كان سن آتهم مثل سني أنا تقريبًا." (أنجام آتهم، الخزائن الروحانية؛ ج 11، ص 7 الحاشية)

ج: "لقد مات عبد الله آتهم بمدينة فيروز بور في 27-7-1896م." (أنجام آتهم، الخزائن الروحانية؛ ج 11، ص1)

إذًا كان حضرته ؑ يبلغ 64 عاما في سنة 1896م، وتوفي في 1908م، فهذا يعني أنه عاش 12 سنة أخرى. وعليه فقد صار عمره: 64+ 12= 76 عاما.

يقول البعض إن مؤسس الجماعة عندما كتب أن آتهم كان في مثل سنه فإنما أخبر عن سنه لدى تأليفه كتاب "إعجاز أحمدي"، وليس أنه كان في مثل سنّ آتهم لما كان آتهم حيًّا.. أي أنه يقدم مقارنة بين عمره الحالي وبين عمر عبد الله آتهم عندما كان حيًّا.

ولكن هذا خطأ، وسرعان ما يزول لدى قراءة العبارة التالية مما كتبه حضرته ؑ مخاطبًا آتهم في حياته، وتعريبُه: "إذا كان عمرك 64 أو 68 عاما... فإنني أيضًا أقارب الستين." (مجموعة الإعلانات؛ ج 2، ص 105 الإعلان بتاريخ27-10-1894)

أي أن عمر المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ كان حوالي ستين عاما في 1894م، وتوفي حضرته بعد ذلك بأربعة عشر عاما؛ أي في 1908م، وهكذا صار عمره: 60+14= 74 عاما بحسب التقويم الميلادي، و76 عاما بحسب التقويم الهجري.

شهادة المعارضين

1- يكتب المولوي ثناء الله الأمرتسري، وهو ألدّ أعداء حضرته ؑ: "لقد قال الميرزا (أي المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ) أنه سيموت عن عمر يناهز الثمانين. وأرى أنه الآن قد انتهى إلى هذا الحد." (جريدة "أهل الحديث" عدد 3-5-1907م)

والمعلوم أن حضرته ؑ قد توفي بعد هذا بسنة واحدة فحسب.

* هو قسيس هندي متنصِّر. كان قبل ذلك من كبار المشايخ. دخل في المباهلة مع المسيح الموعود ؑ وهلك حسبما أنبأ الإمام المهدي ؑ بناء على وحي الله تعالى.

2- ثم جاء في الجريدة نفسها: "إن الميرزا عُمّر، بحسب قوله، 75 عاما." (عدد 31-7-1908 ص3 عمود2)

3- ثم جاء في مجلته "مرقّع قادياني" عدد فبراير/ شباط 1908 ص12 ما تعريبه:

"يسجل الميرزا في كتيب "إعجاز أحمدي" عن عبد الله آتهم المسيحي: كانت سِنّه بمثل سِنّي أنا؛ أي حوالي 64 عاما. ويتضح من هذه العبارة أن عمر الميرزا عند وفاة عبد الله آتهم كان 64 عاما. وتعالوا الآن نحقق في الأمر، لنعرف متى هلك آتهم؟ وشكرًا لله أن تاريخ وفاة آتهم هو الآخر مذكور في كتابات الميرزا، حيث يكتب الميرزا في كتابه "أنجام آتهم" ص1 ما يلي: "مات عبد الله آتهم بمدينة فيروز بور في 3 (هكذا!)-7-1896." فتبين من هذه العبارة أن عمر الميرزا في سنة 1896 كان قرابة 64 عامًا. تعالوا الآن لنرى كم سنة مضت من عام 1896م إلى 1908م؟ فهي وفق حسابنا نحن - إن لم يخطئنا في ذلك أحد أتباع الميرزا- 11 عامًا. فإذا أضفنا 11 إلى 64 فيصير المجموع 75 عاما. فثبت أن عمر الميرزا في الوقت الحالي هو 75 عامًا".

فثبت من خلال التحقيق الذي نشره أحد ألد خصوم مؤسس الجماعة- في فبراير/ شباط 1908م- أن عمر المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام في ذلك الوقت كان 75 عاما. وتوفي حضرته عليه السلام بعد هذا الكلام بثلاثة أشهر فقط. مما يدل على أن عمره كان أكثر من 75 عاما، ولا يمكن أن يكون أقل من ذلك.

4- ورد في "تفسير ثنائي" للأمْرِتْسَري، في طبعة 1899م، ص 104 الحاشية. وفي الطبعة الثانية، ص 90 ما يلي: إن الذي عمره فوق السبعين مثل الميرزا نفسه..."

أي أن عمر المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام في عام 1899م كان فوق السبعين، وتوفي بعد 9 سنين (في عام 1908م)، فوِفق هذا التقدير كان عمره عند وفاته أكثر من 79 عاما.

5- كتب المولوي محمد حسين البطالوي غاضبًا في مجلته إشاعة السنة عام 1893م ما تعريبه:

"إنه (أي المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام) قد بلغ الآن 63 عاما من العمر."

وعاش حضرته عليه السلام بعد هذا أربعة عشر عاما. ووفق ذلك صار عمره 77 عاما (63+14= 77).

والجدير بالذكر أن هذه الشهادة التي قدمها المولوي محمد حسين البطالوي عن عمر المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام لهي أوثق شهادة أدلى بها المعارضون. وذلك لأنه كان صديق حضرته في صباه، وزميله في الدراسة الابتدائية. حيث يقول البطالوي في مكان آخر: "هناك قلة قليلة من

معاصرينا الذين يعرفون أحوال وأفكار مؤلف "براهين أحمدية" بقدر ما نعرفها نحن. فإنه مواطن لنا، وزميلنا منذ أيام الطفولة (حيث كنا سويا ندرس "القطبي" و"شرح ملا جامي"). (مجلة إشاعة السنة، ج 7، رقم 6)

ويعترض البعض على عبارة قالها المسيح الموعود عليه السلام في كتابه مواهب الرحمن: "وأرادوا ذلّتنا، فأصبنا رفعةً وذكرًا حسنًا، وأرادوا موتنا وأشاعوا فيه خبرا، فبشّرَنا ربنا بثمانين سنة من العمر أو هو أكثر عددا، وأعطانا حزبًا ووُلْدًا وسكنا، وجعَل لنا سهولةً في كلِّ أمرٍ، ونجّانا مِن كل غَمْرٍ."

فقالوا: إنه (عليه السلام) يقول بأن عمره سيزيد عن الثمانين.

فالجواب أوّلا: إن هذه كلماتُ المسيح الموعود عليه السلام، وليست كلماتِ الوحي. أما كلمات الوحي فهي:

"ثمانين حولا أو قريبا من ذلك، أو تزيد عليه سنينا، وترى نسلا بعيدا" (الأربعين، رقم3، الخزائن الروحانية؛ ج17، ص394. وضميمة التحفة الغولروية، الخزائن الروحانية؛ ج17، ص66). "ثمانين حولا أو قريبا من ذلك، أو نزيد عليه سنينا" (الأربعين، رقم2، الخزائن الروحانية؛ ج17، ص380)، "لنحيينك حياة طيبة، ثمانين حولا أو قريبا من ذلك، وترى نسلا بعيدا" (الأربعين، رقم3، الخزائن الروحانية؛ ج17، ص422).

وثانيًا: هناك وحي نصفه بالعربية، وهو: "أطال الله بقاءك." ونصفه الآخر بالأردية، وهو: "ثمانين عاما، أو أكثر من ذلك بخمس أو أربع سنوات أو أقل منه بخمس أو أربع سنوات." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج22، ص100)..

وقد وضح حضرته عليه السلام هذا الوحي بنفسه في كتابه "براهين أحمدية، ج5" ما تعريبه: "ليس في وعد الله تعالى أن عمري سيتجاوز الثمانين حتمًا، بل الله تعالى أعطى أملاً خفيا في وحيه هذا بأن العمر يمكن أن يزداد حتى الثمانين لو شاء الله ذلك. أما الكلمات الظاهرة للوحي والمعبرة عن الوعد الإلهي فهي تحدد العمر ما بين 74 إلى 86 عاما." (الخزائن الروحانية؛ ج21، ص 259).

إذًا، بعد أن ذكرنا كلمات الوحي الواضحة والتي انطبقت حرفيا، ثم بعد أن ذكرنا تفسير المسيح الموعود عليه السلام لها، قد بات واضحا أن المسيح الموعود عليه السلام في كتابه (مواهب الرحمن) لم يكن يخصّص هذه النبوءة بالحديث، بل يمر عليها مرورا عابرا ضمن تحديثه بنعم الله عليه. وفي مثل هذه الحالة لا تُشترط الدقة؛ المهم هو جوهر الموضوع، وهو ذِكر نعم الله عليه. إنما تُشترط الدقة حين

يكون الحديث مخصصا للموضوع؛ وهذا ما رأيناه حين شرح المسيح الموعود عليه السلام الوحي المذكور. لذا يستحسن هنا إيراد هذه العبارة في سياقها، وهي كالآتي:

"وإنا مع أتباعنا القلائل أوذينا من أفواجهم كل الإيذاء، وربما وَقَفْنا بين أنياب الموت مِن مكر تلك العلماء، وسِقْنا بهتانًا وظلمًا إلى الحكّام، وأغرى المكفّرون علينا طوائف زَمَعِ الناس واللئام، ومكروا كل مكر لاستيصالنا ولإطفاءِ أنوار صدق مقالنا، وصُبّت علينا المصائب، وعادانا الحاضر والغائب، فما تزعزعنا وما اضطربنا، وانتظرنا النصر من القدير الذي إليه أَنَبْنا. وفسّقوني وجهّلوني بالكذب والافتراء، وبالغوا في السبّ إلى الانتهاء، وإني لأجبتهم بقولٍ حقٍّ لولا صيانة النفس من الفحشاء. وسعَوا كل السعي لأُبْتَلى ببليّة ويغيَّر عليّ نعمةٌ نلتُها من الرحمن، فخُذِلوا في كل موطنٍ ونكصوا على أعقابهم من الخذلان. وكلما ألقوا علي شبكةَ خديعةٍ مخترعةٍ، فرّجها ربي عني بفضل من لدنه ورحمةٍ، وكان آخر أمرهم أنهم جُعلوا أسفل السافلين، وانتصفنا مِن كل خصم مهين، مِن غير أن نرافع إلى قضاة أو نتقدم إلى الحاكمين. وأرادوا ذلّتنا، فأصبنا رفعةً وذكرًا حسنًا، وأرادوا موتنا وأشاعوا فيه خبرا، فبشّرَنا ربنا بثمانين سنة من العمر أو هو أكثر عددا، وأعطانا حزبًا ووُلْدًا وسكنا، وجعَل لنا سهولةً في كلِّ أمرٍ، ونجّانا مِن كل غَمْر. وكنت فيهم كأني أتخطّى الحيَواتِ أو أمشي بين سباع الفلوات، فمشى ربي كخفيرٍ أمامي، ولازمني في تلك الموامي. فكيف أشكر ربي الذي نجاني من الآفات، على كُلولي هذا حسرات." (مواهب الرحمن، ص16-17)

ويعترض بعض المعارضين لماذا وردت كلمة "أو" في الوحي: "ثمانين حولا أو قريبا من ذلك أو تزيد عليه سنينا"، ألم يكن الله يعرف يوم وفاته؟ بل هذا يدل على أن المتكلم ليس بمتأكد مما يقول؟

والجواب:

لا شك أن الله تعالى كان يعرف ذلك تماما فهو علام الغيوب، ولكن كلمة "أو" قد ترد في كلام الله تعالى. كما ورد في قوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ (يونس: 47)

وفي قوله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ **أَوْ** يَزِيدُونَ﴾ (الصافات: 148)

فهل يمكن أن يقول أحد أن الله غير متأكد من كلامه، بحيث لا يدري هل سيُري النبي صلى الله عليه وسلم بعض الذي قد وعد الكفار من العذاب أم سيتوفاه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، أو أن الله تعالى لم يكن يعرف عدد قوم يونس بالضبط. كلا، بل هذا هو أسلوبه فيما يتعلق بمثل هذه الأنباء، وله في ذلك حِكَم كثيرة ومنها ما أسلفنا به.

وأخيرا نقول للمعترضين: هل من الممكن لشخص كذاب مفتر على الله تعالى وقد بلغ حوالي الأربعين سنة من عمره أن يزعم أنه قد أوحي إليه وأنه سيعيش حتى يقارب الثمانين وأنه سوف يرى نسلا بعيدًا؟ وإذا افترضنا أن شخصا جمح به الجنون وأعلن مثل هذه الفرية على الله تعالى، فهل يتركه الله على قيد الحياة حتى تتحقق فريته، ويرى بالفعل نسلا بعيدا في أولاده وأحفاده، ولا يهلكه الله ليفضحه أمام العالم بسبب كذبه وافترائه؟ بل يهلك الله أعداء هذا العبد إذا ما دعا عليهم، برغم أن "صلحاء الأمة وأولياءها" يدعون الله تعالى لهلاكه.

لقد تلقى الإمام المهدي عليه السلام إلهام "ترى نسلا بعيدًا" في حوالي 1873م أو 1874م حين لم تكن عنده زوجة ولا أولاد، وذلك لأن زوجته الأولى كانت قد انفصلت عنه قبل هذا بأكثر من خمسة عشر عاما. أما الولدان من تلك الزوجة فهما أيضا عاشا بعيدين عن حضرته حتى أنهما عارضاه عندما أعلن أنه المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام. أما هو بنفسه فكان عاكفا على العلوم الدينية والدفاع عن بيضة الإسلام دون أن يبحث عن زوجة ثانية؛ وذلك ليس لسنة واحدة أو سنتين، بل بقي على هذه الحالة لأكثر من عشر سنين. ثم تزوج حين كان يبلغ الخمسين من عمره، فأعطاه الله الأولاد والأحفاد، ثم توفاه بعد تحقيق الإلهام: "ترى نسلا بعيدا". والسؤال الآن هو:

هل من المعقول أن يقوم أحد من عند نفسه بالإعلان أنه سوف يرى نسلا بعيدا في حين تكون زوجته قد انفصلت عنه، وولداه يعارضانه؟ ثم يبقى بلا زواج حتى يتم له ما قال سابقًا، وذلك بالطبع إذا أمهله الله تعالى بعد هذه النبوءة الكاذبة التي نسبها إلى الله تعالى.

ولماذا لم يَخَفْ من أن عمره يمضي، وأنه لو تأخر في الزواج أكثر فقد لا يرى حتى أولاده ناهيك عن نسل بعيد، أو قد لا ينجب، أو قد لا يمهله الله تعالى، فلا يتمكن من الزواج أصلا؟ وكل ذلك يحدث في ظل التكذيب اليومي الذي كان يتلقاه من قبل المعارضين، والهجوم العنيف الذي كان يشنّه المشايخ ضده ليثبتوا كذبه حتى يصدّوا الناس عن تصديقه.

أهكذا تكون سيرة المتنبئين الكاذبين؟!

عندما نقرأ سيرته عليه السلام نجد أنه تزوج زواجا ثانيا في أواخر عام 1884م حين كان يبلغ حوالي الخمسين من عمره. فهل مَن يتزوج في مثل هذه السن يسعه القول بأنه سوف يرى نسلا بعيدا؟ الواقع يعارض هذه الفكرة بشدة، لأسباب تالية:

1- هو متقدم في السن فلا يدري إلى متى سيعيش.

2- قد لا ينجب بسبب تقدمه في السن، أو قد تكون زوجته عقيما.

3- إن كان كاذبا فلا بد أن الله تعالى سوف يقطع حبل عمره حتى قبل الأوان، وذلك لكي لا يتحقق كلامه، فلا يكون فتنة للناس.

4- ثم لو تجاوز عليه السلام كل هذه العراقيل، ووُلدت له ذرية، فهل يضمن أن أولاده هم الآخرون سيتزوجون ويلدون أولادًا في حياته حتى يتحقق ما قاله بأنه سوف يرى نسلا بعيدًا؟

5- كما أنه لا يعلم هل سيؤمن به أولاده ثم أولادهم أيضا ليتحقق كلامه، أم سيكونون على شاكلة ولدَيه من الزوجة الأولى، لأنهم لو بقوا هم الآخرون غيرَ مؤمنين به، فلا يمكن أن ينسبهم إلى نفسه، إذ من المعلوم أنه لا يُعدُّ من أولاد النبي من لا يؤمن به، لقوله تعالى عن ابن نوح عليه السلام: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود:47). ومن غير المعقول أن يَعتبر حضرته عليه السلام من لم يؤمنوا به؛ مصداقا لنبوءته. وإلا؛ لاعتبروه كاذبا.

فمع جميع هذه المستحيلات؛ إن ما حصل هو أنه عليه السلام تزوج متأخرا، ووُلد له أولاد، وأمدّ الله في عمره حتى إنه رأى أحفاده أيضًا، ثم توفاه الله. أفلا يدل ذلك على أن ما أعلنه، إنما أعلنه بناءً على كلام الله الذي حققه على الرغم من أن يكون مستحيلا.

ولو كان كاذبا، فإن سنة الله في مثل حالته هي أنه عز وجل يأخذ المدعي الكاذب باليمين، ويقطع منه الوتين، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِين، فإن بدت معاملة الله مع هذا المعلن معاكسة تماما لما أراده المعارضون، فلا شك أن هذا المعلن من الله تعالى، وهو يؤيده بآيات باهرة لتبصرها من كانت له عين باصرة.

يقول حضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام: "وكذلك بشّرني ربي بطول عمري في بدْء أمري وقال: "ترى نسْلًا بعيدًا". فعمّرني ربي حتى رأيت نسلي ونسل نسلي، ولم يتركني كالأبتر الذي لم يُرزق وليدًا، وتكفي هذه الآية سعيدا.

فأفتوني أيها العلماء والمحدّثون والفقهاء.. أتجوّز عقولكم أن تلك المعاملات كلّها يعامل الله برجل يعلم أنه يفتري عليه، ويكذب أمام عينيه؟ وهل تجدون في سنّة الله أنه يُظهر على غيبه إلى عمر طويل أحدا من المفترين؟ ويتمّ عليه كلّ نعمته كالنبيّين الصادقين؟ وينصره في كلّ موطن بإكرامٍ مبين؟ ويمهّله مع هذا الافتراء حتى يبلغ الشيبَ من الشباب، ويُلحق به ألوفا من الأصحاب، ويعينه ويطرد أعداءه المؤذين كالكلاب؟ ويؤتيه ما لم يؤتَ أحد من المعاصرين، ويُهلِك من باهله أمام عينيه أو يخزي ويهين؟ ومن كان على الدنيا مُكِبًّا ولزينتها محبًّا، ومن أهل

الافتراء والفرية.. أرأيتم نصرته كهذه النصرة؟ أو أحسستم له عونةَ الله كهذه العونة؟ ما لكم لا تفكّرون كالمتّقين؟ هداكم الله! إلامَ تكفّرون عباد الله المؤيَّدين؟ (الاستفتاء، الخزائن الروحانية؛ ج22، ص649-650)

الاعتراض:

تنبأ المؤسس أن الطاعون لن يدخل قاديان قط، ولكنه دخلها.

الردّ[6]:

لم يتنبأ المسيح الموعود عليه السلام أن الطاعون لن يدخل قاديان قط، بل لنقرأ عبارته بدقة، حيث يقول حضرته:

"والأمر الثالث الذي هو ثابت من هذا الوحي هو أن الله تعالى سيحمي القاديان من الدمار الشديد للطاعون - وإن استمر الطاعون في الدنيا سبعين سنة - لأنها مسكن رسوله. وهذه آية لجميع الأمم." (دافع البلاء ص10، الخزائن الروحانية؛ ج18، ص230)

إذًا، الطاعون سوف يقع في قاديان بلا شك، ولكنه لن يكون طاعونا جارفا يحصد الناس حصدا. الواقع أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام رأى في الرؤيا ملائكة تزرع أشجارا دميمة الشكل كريهة المنظر، وقيل له إنها الطاعون الذي سيتفشى بشدة في البنجاب عن قريب، وأن الله تعالى سيحمي جماعته من ويلات هذا الطاعون. فمما أوحى الله تعالى إليه بصدد حماية جماعته: "لولا الإكرام لهلك المقام". "إنه آوى القرية". "إني أحافظ كل من في الدار إلا الذين علوا من استكبار". (مجموعة الإعلانات ج3 ص5؛ إعلان بتاريخ 6-2-1898م. ومواهب الرحمن ص 33، الخزائن الروحانية؛ ج19، ص251).

فلما نشر حضرته هذه النبوءة في كتابيه، سخر منه الناس مستهزئين حتى فاجأهم الطاعون بعد بضع سنين، فحصد الناس حصدا، فدخل الآلاف من السعداء في الجماعة الإسلامية الأحمدية بعد أن رأوْا هذه الآية الساطعة.

وقد كتب حضرته في كتابه "دافع البلاء، ص5" موضحا هذا الأمر فقال ما تعريبه: "قبل أربعة أعوام كنت قد نشرت نبأً بأن الطاعون سيتفشى بشدة في البنجاب، حيث كنت قد رأيت (في الرؤيا) في هذه البلاد أشجارا سوداء للطاعون قد زُرعت في كل مدينة وقرية. ولو أن الناس تابوا لما استمر هذا المرض أكثر من فصْلين من الشتاء بل لرفعه الله تعالى، ولكنهم سبّوني بدلا من أن

---

[6] هذا الرد من إعداد الداعية عبد المجيد عامر

يتوبوا، ونشروا إعلانات مليئة بالكلمات البذيئة النابية للغاية. فكانت النتيجة ما ترونه الآن. وإن وحي الله المقدس الذي كان قد نزل عليّ بهذا الصدد هو: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. إنه آوى القرية". أي أن الله تعالى قد أراد ألاّ يرفع بلاء الطاعون ما لم ينفض الناس من قلوبهم الأفكار التي دخلت فيها.. أي أن الطاعون لن يرحل ما لم يؤمن الناس بمأموره ورسوله، وأن الله القادر سوف يحفظ القاديان من دمار الطاعون، لكي تعلموا أن القاديان ظلت محمية لأن رسول الله ونبيه كان فيها." (دافع البلاء، ص5-6)

وفيما يلي بعض أقواله عليه السلام التي تؤكد أنه لم ينف وقوع بعض الحالات من الطاعون في القاديان.

1- قد كتب حضرته في الحاشية من نفس الكتاب الذي اقتبس منه المعترض المغرض، موضحا كيفية حماية الله للقاديان، فقال ما تعريبه: "إن لفظ "آوى" - الذي يعني إنقاذ المرء من الدمار والتشتت وتقديم الملاذ له - يشير إلى ذلك النوع من أنواع الطاعون الذي يكون مدمرا جدا، والذي يسمى "الطاعون الجارف" أي الذي يكتسح البيوت اكتساحا، والذي يفر منه الناس هنا وهناك، ويموتون كالكلاب، وهذه الحالة تفوق طاقة البشر. إذًا فهذا الوحي الإلهي يتضمن وعدا بأن القاديان لن تتعرض لمثل هذه الحالة. وهذا ما يشرحه أيضا الإلهام التالي: "لولا الإكرام لهلك المقام".. أي لولا أنني أريد إكرام هذه الجماعة لدمرتُ القاديان أيضا.

ويُفهم من هذا الإلهام أمران: الأول: أنه لا حرج إذا وقعت في قاديان بعض الحالات (من الطاعون) على سبيل الشاذ والنادر مما لا يفوق تحمل البشر، والذي لا يكون مدمرًا ولا يوجب الفرار والتشتت، لأن الشاذ والنادر في حكم المعدوم. والثاني: أنه لا بد من تفشي الطاعون المدمر - الذي يكون أشد فتكًا ودمارًا، بالمقارنة مع القاديان - في القرى والمدن التي يقيم فيها أعداء هذه الجماعة الذين هم أشد بغيًا وشرًا، وظلمًا وسوءَ عمل وفسادًا، حتى يفرّ الناس في كل الجهات مذهولين ومدهوشين.... ونقول بكل تحدٍّ بأنه لن يقع في القاديان الطاعون الجارف الذي من شأنه أن يجعل القرية خرابا يبابا ويلتهمها التهاما." (المرجع السابق، ص5، الحاشية)

2- ثم يقول حضرته في كتابه "سفينة نوح" ما تعريبه:

"وفوق ذلك فقد خاطبني (الله تعالى) وقال: إن قاديان لن يغشاها بصفة عامة الطاعونُ الجارف الطامّ المبيد، بحيث يموت الناس بسببه كالكلاب، ويُصبحون كالمجانين من وطأة الهم والتشرد، وأن جميع أفراد هذه الجماعة - مهما يكن عددهم - سيسلمون من الطاعون بصفة عامة مقارنةً مع أعدائهم، اللهم إلا أولئك الذين لم يراعوا عهدهم حق الرعاية، أو الذين كان هناك سبب خفي

في علم الله بشأنهم، فهؤلاء يمكن أن يتعرضوا للطاعون. ولكنه على الرغم من ذلك فإن الناس لا بد أن يعترفوا متعجبين في آخر الأمر بأن حماية الله كانت مع هذه الجماعة مقارنة مع الآخرين, وأنه تعالى- برحمة خاصة - قد حمى هذه الجماعة حماية لا يوجد لها نظير." (الخزائن الروحانية؛ ج 19، ص 2)

3- وقال الصَّلِيلاً في موضع آخر:

"إن هذه نبوءة مؤكدة من الله تعالى بأنه ﷻ سوف يحفظ من بلاء الطاعون المخلصين الساكنين داخل داري، الذين لا يستكبرون أمام الله تعالى وأمام مبعوثه، وسيكون فضل الله الخاص على هذه الجماعة بالمقارنة مع غيرهم. إلا أنه من الممكن أن يحدث في هذه الجماعة أيضا حادث شاذ بسبب ضعفٍ في إيمان أحد، أو نقصٍ في العمل، أو من جراء الأجل المقدّر أو لسبب آخر لا يعلمه إلا الله. والشاذ كالمعدوم، لأن الحكم يُبنى على الكثرة عند المقارنة. وكما أن الحكومة بنفسها قد علِمت بالتجربة أن المحقونين بمصل الطاعون لا يموت منهم إلا القليل بالمقارنة مع غير المحقونين، ومع ذلك فإن الميتات القليلة الشاذة من المحقونين لا تُنقِص من قدر المصل وفائدته، كذلك فلو حصلت في القاديان إصابات قليلة بالنسبة إلى ما يحصل في غيرها من القرى والمدن، أو مات أحد من أفراد هذه الجماعة بالطاعون على سبيل الندرة، فلا يحط ذلك من مكانة هذه الآية. ولقد نشرتُ هذه النبوءة بناءً على ما تبين لي من كلام الله المقدّس، فليس للعاقل اللبيب أن يستهزئ بكلمات الله قبل وقوعها. إنه لقول الله وليس بقول كاهن. إنه لمن مُقْلَة النور لا رجمًا بالغيب في غياهب الظلمة. إنه لكلام ذلك الإله الذي أنزل الطاعون، والذي يستطيع هو أن يُذهبه... ومما سيبرهن على أنني من عند الله؛ أن المخلصين المقيمين في فناء داري سيسلمون من الموت بهذا الوباء، وأن جماعتي كلها ستكون - نسبيا - في مأمن من صولة الطاعون. وأن السلام الذي سيشمل هؤلاء لن يوجد له نظير في فئة من الفئات. وأن الطاعون الفتاك الجارف المبيد لن يصيب قريةَ قاديان إلا ما شذّ وندر." (المرجع السابق ص 4-5)

فبحسب الأنباء المذكورة آنفًا قد جعل الله تعالى القاديان في حمايته بعد قدر يسير من العذاب. وقد اعتبر حضرته الصَّلِيلاً هذا القدر اليسير أيضا "طاعونا شديدا" بالنسبة إلى القاديان، في كتابه "حقيقة الوحي ص84". إذ يقول الصَّلِيلاً في مكان آخر من الكتاب نفسه: "لقد وقع الطاعون ببعض الشدة مرة واحدة فقط في القاديان." (حقيقة الوحي، ص232).

ونِعْم ما قيل: وبضدها تتبين الأشياء.

إذن فلم يقع في القاديان – على الإطلاق – الطاعون الجارف الذي يسبب الخراب والدمار والفرار والشتات. وقد حقق الله وحيه لمؤسس الجماعة الطَّيْكِلا : "إني أحافظ كل من في الدار وأحافظك خاصة".. أي أن جميع القاطنين في دارك سوف يُحفظون من الطاعون، ولسوف تتم حفاظتُك أنت بشكل خاص. سواء كنتَ داخل جدران بيتك أم خارجها.

ولقد أعلن الطَّيْكِلا بكل قوة وبصوت عال:

"إن آية صدقي هي أن كل معارض – سواء كان من سكان مدينة أمروهة أو أمْرِتْسَر أو دلهي أو كالكوتا أو لاهور أو غولرة أو بطالة – لو أقسم بالله أن مدينته كذا وكذا ستبقى محفوظة من الطاعون لأُخِذتْ مدينته بالذات بالطاعون حتما، لأنه قد استهان بالله تعالى." (دافع البلاء، الخزائن الروحانية؛ ج18، ص238)

فهل قدر أحد على قبول هذا التحدي؟ والذين قبلوه لم يكونوا سوى حفنة من المعارضين الذين هلكوا بالطاعون، ومنهم جراغ الدين الجموني الذي مات بالطاعون بتاريخ 4-4-1906م مع ابنيه.

إن الأمر الذي يجب أن يتبيّنه القارئ المنصف هو:

1- ألم يُدلِ حضرة مؤسس الجماعة بنبوءة أن الطاعون على وشك التفشي في البنجاب؟

2- ألم يسخر منه الناس على هذه النبوءة؟

3- ألم يتفش الطاعون بعد ذلك في البنجاب وحصد الناس حصدا؟

4- ألم تكن حالات الطاعون في القاديان قليلة جدا، حتى إنها كانت في حكم الشاذ والمعدوم. ثم إن الذين ماتوا في القاديان لم يكونوا حتى من جماعتنا، بل من المسلمين الآخرين أو الهندوس، إلا في حالة أو اثنتيْن؟

5- ألم ينج مؤسس الأحمدية الطَّيْكِلا من الطاعون؟ ثم هل لأحد أن يثبت أن أحدا في بيته الطَّيْكِلا المبني من الحجر والطين مات بالطاعون؟

6- ألم ينج الذين دخلوا في البيت الروحاني له – الطَّيْكِلا – من الطاعون بصورة خارقة مقارنة بالآخرين، رغم أنهم امتنعوا عن التطعيم الواقي من الطاعون بناء على وحي تلقاه المسيح الموعود الطَّيْكِلا؟

وأود أن أذكر بهذه المناسبة حادثا وقع في بيته الطَّيْكِلا. كان المولوي محمد علي اللاهوري المحترم– وكان محررا لجريدة الجماعة بالإنجليزية؛ وهي جريدة "مقارنة الأديان" (Review of religion) – مقيما في بيته الطَّيْكِلا أيام الطاعون. فمرض وظهرت عليه كل علامات

الطاعون؛ حيث أصيب بالحمى وانتفخت الغدد تحت إبطيه. وذات يوم اشتدت به الحمى فخاف أن يموت بالطاعون. فدعا المسيحَ الموعود الذي كان يعالجه ويعوده. فلما جاء حضرته، قال له: أخاف أن أموت بالطاعون. فقال له المسيح الموعود عليه السلام بكل حماس وجلال: إنك لن تموت بالطاعون إن شاء الله. لو متَّ فلستُ بصادق، لأن الله تعالى قد وعدني خاصة: "إني أحافظ كل من في الدار". ثم وضع حضرته يده على جبين المولوي محمد علي وقال له: أين الحمى، وأين الطاعون؟ فشفي المولوي من توّه بمعجزة خارقة.

7- ألم يمت بالطاعون كل معارض لمؤسس الجماعة ادعى أنه سينجو منه رغم أنه أخذ كل حيطة وحذر من تطعيم وغيره.

8- وهل لكاذب أن يفتري على الله تعالى في وقت تُرمى فيه النار من السماء، ويُقعص الناس على المثوى، ويُمسي إنسان حيًّا ويصبح فإذا هو من الموتى. ومع ذلك ينجو هذا المفتري من عقاب الله؟

9-أليس صحيحًا أن عشرات الآلاف في تلك الفترة دخلوا في جماعته خوفا من الطاعون بعد انتشاره، ويسمون "الأحمديون الطاعونيون"، إشارة إلى هذه الآية الإلهية القاهرة؟

وهكذا يتضح الأمر بكل جلاء.

الاعتراض:

لقد تنبأ ميرزا غلام أحمد في مكانين من كتبه أنه لن تقوم دولة لليهود قط، ولكنها قد قامت؟

الردّ:

كان المسيح الموعود عليه السلام يفنّد أن يكون الدجال من اليهود، وكان يستدل على ذلك بقوله تعالى { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا } .. ولم يقل في استدلاله أن إسرائيل لن تقوم، بل قال إنه لن يكون اليهود أقوى من المسيحيين قط، ولن يكون الدجال يهوديا، بل من أمة النصارى.

وهذه العبارة الأولى التي احتجّ بها المعارضون في سياقها.. حيث يقول المسيح الموعود عليه السلام: "وكيف يمكن أن يحدث الدجال من قوم اليهود وقد ضربت الذلّة والمسكنة عليهم إلى يوم القيامة، فهم لا يملكون الأمر أبدا ولا يغلبون. ألا تقرؤون وعد الله.. أعني قوله: { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا }؟ ألا تتفكرون؟ ألا تتدبّرون في القرآن كيف وضع كلَّ غير الله تحت أقدامنا وبشَّرَنا بعلو كلمة التوحيد إلى يوم القيامة، فكيف يزيغ قلوبكم وتؤمنون بما يعارض القرآن

وتلحدون؟ أيجعل الله لذاته شريكا في آخر الزمان ولو إلى أيام معدودات؟ ألا ساء ما تحكمون! (التبليغ)

أما العبارة الثانية فليس فيها ما نضيف سوى أن نقول أنه عليه السلام بيّن أنه لن تكون هناك لليهود دولة أعظم من دول النصارى. وها هي إسرائيل لا قيمة لها ولا معنى من غير الغرب، ولن تصمد دقائق من غيرهم. إذن، هو تفسير وليس نبوءة. نعم، سيظل اليهود يعيشون دائما تحت ملِكٍ من الملوك صاغرين مقهورين ولا يكون لهم مُلك مستقل إلى الأبد، ولو مَلَكوا فهو مُلك لا يستحق أن يسمى مُلكًا ما داموا لا يقدرون على حمايته وحدهم. وهو ذلّ وصغار. وكل من يعتمد على غيره في استمرار وجوده فهو ذليل مرعوب. ثم إن إقامة دولة لبضع عشرات من السنين لا يقارن بدول النصارى وامبراطورياتهم، ولا بالدولة الإسلامية التي امتدت مئات السنين وغيرت وجه الحضارة. أما أنهم أقوى من العرب، فالعرب لا بد أن يُعذَّبوا الآن، وهذه قضية أخرى.

لنقرأ العبارة في سياقها:

يقول المسيح الموعود عليه السلام: ثم بعد ذلك إذا نظرنا إلى كلام الله تعالى فوجدناه أيضا مخالفا لظواهرِ أحاديثِ خروج الدجّال، وما وجدنا فيه احتمالا ضعيفا وإشارة وهمية إلى ذلك، بل هو يجوح هذه الخيالاتِ بالاستئصال التام. ألم يكفِ لطالب قولُه تعالى: { وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } ؟ ولا يخفى على المتدبر أن هذه الآية دليل قطعي على أن المسلمين والنصارى يرِثون الأرض ويتملكون أهلها إلى يوم القيامة، لأن المسلمين اتبعوا المسيح اتّباعًا حقيقيا، والنصارى اتبعوه اتّباعًا ادّعائيا. وقد وقع في الخارج كما قال الله تعالى، وكانت الكَرّة الأولى للمسلمين في غلبتهم على الأرض، ثم في زماننا هذا غلبت النصارى ونسلوا من كل حدب. فوقع كما أُخبر عنه في الآية الكريمة، فالآية تحكم أن التملّك والغلبة محدود في المسلمين والنصارى إلى يوم القيامة، والدجّال المعهود المتصوَّر في أذهان المسلمين لا يكون على عقيدة النصارى ولا على عقيدة أهل الإسلام، بل هو بزعمهم يخرج بادّعاء الألوهية ويقول إني إله من دون الله، ويغلب أمره على الأرض كلها غير مكة وطيبة، فهذا يُخالف نص القرآن الكريم لأن القرآن، كما ذكرت آنفا، قد وعد لمتّبعي عيسى ابن مريم – عليه السلام – وعدًا مؤكّدًا بالدوام وقال: {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } . ومعلوم أن الدجّال الذي ينتظره قومُنا هو بزعمهم ليس مِن متّبعي عيسى – عليه السلام –، ولا يؤمن بالمسيح ولا بإنجيله، وما ذهب أحد من علماء المسلمين إلى أنه يؤمن بعيسى ابن مريم، بل يقولون إنه يقول إني أنا الله، ولا يؤمن بالله ولا بأحد من الأنبياء، فالقرآن لا يجوّز له موضعَ قدم في زمان من الأزمنة، بل

يخبر عن غلبة المسلمين أو غلبة النصارى إلى يوم القيامة. فأيُّ دليل يكون أوضح من هذا على إبطال وجود الدجّال المفروض، وعلى ثبوت كذب قول القائلين؟ وأنت تعلم أن القرآن يقيني قطعي وليس كمثله حديث في التواتر وحفظِ الحق وعصمتِه، فافهَمْ إن كنت من الطالبين.
وأما قول بعض العلماء أن الدجّال يكون من قوم اليهود.. فهذا القول أعجب من القول الأوّل، لا يقرأون في القرآن آية: { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ} ، فالذين ضرب الله عليهم إلى يوم القيامة كل ذلة، وأخبر في كتابه الكامل المحكم أن اليهود يعيشون دائما تحت مِلكٍ من الملوك صاغرين مقهورين ولا يكون لهم مُلك إلى الأبد، كيف يخرج منهم الدجّال ويملك الأرض كلها؟ ألا إن كلمات الله صادقة لا تبديل لها، ولكن القوم ما علموا معاني الأحاديث وما فهموها حق فهمها، والله يمنّ على من يشاء من عباده فيُفهّمه ما لم يُفهِّم أحدا من العالم. (حمامة البشرى)

الاعتراض:
تنبأ المسيح الموعود عليه السلام بزوال الامبراطورية البريطانية خلال ثماني سنوات، ولكن ذلك لم يتحقق.
الردّ:
في عام 1892 تلقى المسيح الموعود عليه السلام وحيا باللغة الفارسية، هذا نصّه:
سلطنت برطانية تاهشت سال....... بعد ازان ضعف وفساد واختلال
والمعنى أنه بعد 8 سنوات سيكون ضعف وفساد واختلال في الامبراطوية البريطانية.
وقد تحققت هذه النبوءة بموت الملكة فيكتوريا في 22-1-1901، حيث كانت وفاتها بداية ضعف وتفكك هذه الامبراطورية، فكانت نبوءة عظيمة.
النبوءة تقول: ضعف وفساد واختلال، ولا تقول: انتهاء ودمار. ولا يكاد يُجهل أنه منذ ذلك اليوم وهذه الامبراطورية في ضعف وزوال واختلال.

الفصل الثاني[7]

اعتراضات حول الوحي والكشوف والرؤى:

المقدمة:

كان خصومنا يذكرون إلهام "إني معك يا مسرور" الذي نزل على المسيح الموعود عليه السلام في رأس قائمتهم التي يعترضون فيها على وحيه عليه السلام. ولكن، بعد أن بويع الخليفة الخامس نصره الله، وبعد أن بدأت تظهر في عهده علامات النصر المؤزر في العديد من البلدان، مما يعني تحققا واضحا كالشمس لهذا الوحي.. ترك خصومنا هذا الوحي ولم يعودوا يذكرونه بحال.

ألا يجدر بهم أن يأخذوا الدرس من هذا الوحي وتحققه بهذه الصورة العظيمة التي نعيشها كل يوم؟ ففي عهد حضرته بدأت البرامج المباشرة تُبثّ في قناتنا التلفزيونية الفضائية (mta) باللغات العربية والأردية والبنغالية والإنجليزية، حيث يتم نشر الفكر الإسلامي الأحمدي العظيم، الذي تفوّق على الفكر كله، وحَشَرَ الإلحاد في الزاوية بعد أن قضى على مبرراتِه. ومبرراتُه هي ليست إلا أقوال أتباع الأديان المناقضة للعقل والخُلُق.

ننصح هؤلاء الخصوم المساكين.. ننصحهم ونقول: إلهامات الأنبياء وكشوفهم نوعان: الأول ما يتعلق بهداية الناس وإرشادهم، والثاني يختص بنبوءات أو بأمور متعلقة بصاحب الإلهام نفسه أو بما شابه ذلك. أما النوع الأول فلا بد فيه من الوضوح التام، وأما النوع الثاني فقد يكون فيه شيء من الغموض، بحيث لا يُفهم إلا بعد زمن طويل. وعدمُ فهمِه لا يجوز أن يكون له أي تأثير سلبي، لأن الأصل هو العودة إلى المحكم لا المتشابه. أما بعد فهمه، فلا بد أن يزيد المؤمنين إيمانا. وهذا أحد أغراض ذلك النوع من الوحي.

كان يمكن للمسيح الموعود عليه السلام أن لا يُحدِّث بالوحي الذي لا يعرف معناه، وبهذا كان يمكن أن يرتاح من جزء من الاعتراضات، لكن أبى لحضرته أن يخفي وحي الله تعالى؟ فهذا النوع من الوحي يجب أن يُعتبر دليلا من أدلة صدقه عليه السلام قبل أن يفكر هؤلاء بالاعتراض عليه.

هذا الوحي ليس مجرد نبوءة، بل إنه يقول للخليفة الخامس قبل أن يولد بعشرات السنين: لا تحزن، إن الله معك، ستزدهر الجماعة في عهدك كثيرا، لأني معك يا مسرور.

وهذا حاصل ونعيشه كل لحظة. وإننا لَنشهد على هذا، فلتنقل أجيالُنا هذه الشهادة بكل يقين، لتكون دليلا يتجدد من أدلة صدق المسيح الموعود عليه السلام.

---

[7] الردود في هذا الفصل من إعداد المبشر محمد حميد كوثر إلا إذا ذُكر غير ذلك

ونقول إن بعض الإلهامات في هذا الفصل من هذا القبيل، وستنكشف معانيها يوما ما بإذن الله.. كما هو حال بعض النبوءات أيضا التي قد يكون لها أكثر من تحقّق.. وتظل تتحقق بأشكال ووجوه مختلفة عبر الزمان.

الاعتراض:

ما هو تفسير المنام الذي رأى فيه المسيح الموعود عليه السلام أنه قد أصبح الله؟ أليس معناه أنه يشبه الله بالبشر؟ ألا يعني هذا أنه يدعي الألوهية؟

الردّ:

يرى البعض أن رؤية الله هي كرؤية جسم يرى بالعين المجردة، وهذا تجسيم له عز وجل.

لكن رؤية الله في المنام لا تتضمن مشابهته بالمخلوقات ولا تتضمن تنقيصا منه سبحانه، ولا تتضمن أنه جسم يُرى بالعين بانعكاس الضوء عنه. فالرؤيا شيء والمشاهدة بالعين المجردة شيء آخر. ثم إن الله تعالى ذكر أن رسوله ﷺ قد رأى ربه: فقال تعالى ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (النجم: 12)، كما يقول الله تعالى بأن المؤمنين سيرون الله تعالى يوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: 23-24). فالله تعالى يُرى بالقلب، وبالرؤيا.

أما المنام الذي رآه المسيح الموعود عليه السلام فقد كتب عنه ما يلي:

"... ورأيتني في المنام عين الله، وتيقّنت أنني هو........ وبينما أنا في هذه الحالة كنت أقول: إنّا نريد نظاما جديدا وسماء جديدة وأرضًا جديدة، فخَلقتُ السماوات والأرض أولا بصورة إجمالية، لا تفرين فيها ولا ترتيب، ثم فرقتها ورتّبتها بوضعٍ هو مراد الحق، وكنت أجد نفسي على خلقها كالقادرين. ثم خَلقتُ السماء الدنيا وقلت: إنّا زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح، ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين". (الخزائن الروحانية: ج 5 - كتاب: مرآة كمالات الإسلام، ص564-566)

ثم شرح عليه السلام هذا المنام فقال:

"... ولا نعني بهذه الواقعة كما يُعنَى في كتب أصحاب وحدة الوجود، وما نعني بذلك ما هو مذهب الحلوليين، بل هذه الواقعة توافق حديث النبي ﷺ، أعني بذلك حديث البخاري في بيان مرتبة قرب النوافل لعباد الله الصالحين". (المرجع السابق)

إن الحديث القدسي الذي أشار إليه حضرته عليه السلام ورواه البخاري، هو: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضتُ

عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها" (البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع)

وقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام تفسيرا عن القسم الثاني من المنام، وأفهمنا تأويل خلق السماوات والأرض، فقال:

"... وأُلقي في قلبي أن هذا الخلق الذي رأيته، هو إشارة إلى تأييدات سماوية وأرضية، وجعل الأسباب موافقة للمطلوب، وخلق كل فطرة مناسبة مستعدّة للّحوق بالصالحين الطيبين. وأُلقي في بالي أن الله ينادي كل فطرة صالحة من السماء ويقول كوني على عدة لنصرة عبدي وارحلوا إليه مسارعين. ورأيت ذلك في ربيع الثاني سنة 1309 فتبارك الله أصدق الموحين..." (مرآة كمالات الإسلام)

ويتضح من دراسة القرآن المجيد والأحاديث الشريفة أن رؤى الأنبياء لا تنطبق أحيانا على الظاهر ولا تُفسّر بحرفيتها، وإنما تحتاج إلى الشرح والتأويل، كما جاء على سبيل المثال في القرآن الكريم: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف:5). فهل يكون من المعقول أن تُؤخذ هذه الرؤيا على الظاهر وتُفسّر بحرفيتها؟ وهل يُنكر أحد أن هذه الرؤيا كانت تحتاج إلى التفسير والتأويل؟ وهل يجهل أحد تأويل تلك الرؤيا كما قدمها صاحب الرؤيا نفسه وذكرها الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾ (يوسف:101).

ويتضح كذلك من الحديث الشريف أن بعض الرؤى التي كان يراها سيدنا محمد ﷺ كانت هي الأخرى تحتاج إلى التأويل، وأنها لم تكن تُؤخذ بظاهرها وتُفسر بحرفيتها، فقد ورد في صحيح البخاري؛ كتاب الرؤيا: "إن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب...".

نعم.. إنه من المعروف أن رؤيا الأنبياء حق، ولكن لم يقل أحد بتاتا أن كل رؤيا يجب أن تؤخذ بظاهرها، فمن المعلوم أن رسول الله ﷺ قد نهى عن لبس الذهب، ولم يحدث بتاتا طوال حياة الرسول الأعظم ﷺ أنه لبس في يديه سوارين من ذهب، فهل معنى هذا أن الرؤيا لم تتحقق؟ كلا بالطبع، لأن الرؤيا كانت تحتاج إلى التأويل، وقد أوّلها وفسرها صاحب الرؤيا نفسه فقال: "فأوّلتها: كذابَين يخرجان من بعدي" وقد خرج من بعده ﷺ؛ الأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب وادّعى كل منهما النبوّة.

يتضح من هذا أن القرآن الكريم والحديث الشريف يؤكدان على أن المنام الذي يراه الأنبياء قد لا يتحقق بظاهره، وإنما يتطلّب الأمر تأويله وتفسيره، وقد اتفق على ذلك أيضا أراء علماء الأمة الإسلامية كما جاء في كتاب اليواقيت والجواهر: "إنك ترى فيه (أي في المنام) واجب الوجود الذي لا يقبل الصور في صورة، ويقول لك معبّر المنام: صحيح ما رأيت ولكن تأويلها كذا وكذا...." (اليواقيت والجواهر ج1 ص163)

وهذا يعني أنه من الممكن أن يرى النائمُ اللهَ سبحانه وتعالى في صورة من الصور، وهو الذي لا يقبل الصور، ومع هذا يكون المنام صحيحا، ولكن لا بد من تأويله وشرحه. كذلك نجد في الكتاب المشهور في تعبير الرؤيا وهو كتاب: "تعطير الأنام في تعبير المنام" أنه من الجائز أن يرى الإنسان نفسه وكأنه قد صار الله تعالى. فيقول صاحب الكتاب المذكور:

"من رأى في المنام كأنه صار الحق سبحانه وتعالى اهتدى إلى الصراط المستقيم" (ص9 - طبعة مصر)

وهذا يوضح بكل جلاء أن المنام الذي رآه المسيح الموعود عليه السلام ورأى فيه أنه قد صار الله تعالى، لا يعنى سوى أنه قد اهتدى إلى الطريق المستقيم، وهذا هو واقع الأمر الذي ذكره المسيح الموعود عليه السلام، إذ جعله الله تعالى إماما مهديا ومسيحا موعودا تابعا لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم وأرسله ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم، وأمره أن يؤسس نظاما إسلاميا حقيقيا ويُقيم جماعة إسلامية تتولى تغيير النظام العالمي الحالي الذي لا يقوم على البر والتقوى، وإنشاء نظام يسير على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهتدي بهديه ويستن بسُنّته. فالنظام السماوي الذي رآه المسيح الموعود عليه السلام في الرؤيا هو النظام الإسلامي الذي أقامه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا، ولكنه طمس وتغير مع الزمن، وقد ذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه ما سيحدث للنظام الإسلامي الذي أنشأه فقال: "يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلاّ اسمه ولا يبقى من القرآن إلاّ رسمه..." (مشكاة المصابيح؛ كتاب العلم الفصل الثالث، وكنز العمال، وبحار الأنوار؛ ج13 ص152).

ويتضح من الرؤيا التي رآها المسيح الموعود عليه السلام في منامه أن الله تعالى سوف ينصره ويؤيده بتأييدات سماوية وأرضية، إذ يقول: "... وأُلقي في قلبي أن هذا الخلق الذي رأيته إشارة إلى تأييدات سماوية وأرضية، وجعل الأسباب موافقة للمطلوب..." وقد قام في البداية بتأسيس هذا النظام السماوي بصورة إجمالية، وقد تحقق هذا حين أصدر كتابه الشهير: "البراهين الأحمدية"، وأثبت فيه تفوّق النظام الإسلامي على جميع الأديان والأنظمة الأرضية. وقد اعترف علماء المسلمين وقتئذ بأنه لم يُكتب مثيل في الزمن الماضي لهذا الكتاب في إثبات تفوّق تعاليم الإسلام

والقرآن. وكتب الشيخ محمد حسين البطالوي (الذي أصبح فيما بعد ألد أعداء الإمام المهدي عليه السلام) في تعليقه:

"... وحسب رأيي أن لهذا الكتاب (أي البراهين الأحمدية) - في العصر الحاضر وفي الظروف الحالية- أهمية كبرى. ولم يُنشر نظيره في الإسلام من قبل، ولا نعرف ماذا يحدث في المستقبل، ولعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا" (مجلة إشاعة السُنّة؛ رقم 6 ص169-170).

وحول خلق السماوات والأرض بصورة إجمالية- أي بعد نشر كتاب البراهين الأحمدية- يقول المسيح الموعود عليه السلام عن المنام: "فخَلقتُ السماوات والأرض أولا بصورة إجمالية، لا تفرين فيها ولا ترتيب، ثم فرقتها ورتّبتها بوضعٍ هو مراد الحق، وكنت أجد نفسي على خلقها كالقادرين". وهذا يعني أن الله تعالى قد أمره بتأسيس الجماعة الإسلامية الأحمدية بشكل مرتب ومنظم، ووهبه قوة روحانية عالية لأداء هذه المهمة. ثم يقول عن المنام: "ثم خَلقتُ السماء الدنيا وقلت: إنّا زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح، ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين". أي أنه رتّب شروط البيعة لأهل الدنيا للانضمام إلى النظام السماوي الجديد، وزيّنه بالأدلة والبراهين، ثم أعلن أنه من يريد أن يُخلق من جديد من الناحية الروحانية، فعليه أن يأتي إليه ويدخل في هذا النظام السماوي الجديد. وقد أسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بتاريخ 20 رجب 1306هـ الموافق 23-3-1889م، وبعد مبايعته والتوبة الصادقة على يده بدأ الناس يُخلقون خلقا جديدا من الناحية الروحانية.

ولا يغيبن عن البال أن نفس هذا الأسلوب قد ورد في القرآن الكريم وفي مواضيع عديدة، نذكر منها قوله تعالى: ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال:25)

وواضح أن الإحياء المشار إليه في هذه الآية الكريمة ليس هو الإحياء الظاهري المادي، وإنما هو الإحياء الروحاني، وهذه مهمة كل نبي ورسول، إذ أن الله تعالى يبعثه لكي يحيي الموتى ويردهم إلى الحياة الحقيقية؛ التي هي في معرفة الله وطاعته.

وكذلك يقول سبحانه:

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (الرعد:42)

فقوله تعالى: ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ لا يُؤخذ بالمعنى الظاهري، فالكرة الأرضية لا تنقص من أطرافها، ولم ير أحد الأرض وهي تنقص من أطرافها، بينما تشير الآية إلى أن هذا الأمر واضح، وقد رآه الكفار أنفسهم، ولذلك فقد فسرها العلماء والمفسرون على أن المقصود بالأرض هنا،

ليست هذه الأرض التي نسكن عليها، وإنما هي أرض الكفر، وأنها تنقص من أطرافها؛ بمعنى أن عدد الناس الذين يسكنون أرض الكفر يقل بانتقالهم من الكفر إلى الإيمان. كذلك فإن الأرض والسماء التي رأى المسيح الموعود عليه السلام في منامه أنه يخلقهما لا تعنيان سوى أرض الدين وسماء الإيمان.

ثم قال المسيح الموعود عليه السلام -كما ذكر في المنام- "... ثم قلت: الآن نخلق الإنسان من سلالة من طين". وهذا الجزء من الرؤيا يتطلّب التفسير أيضا، ولعله قد صار من الواضح أن معنى تلك الكلمات هو أن الله تعالى سوف يعطيه القوة الروحانية لخلق إنسان جديد، أي يعيد الموتى إلى الحياة مرة أخرى من الناحية الروحانية، وهذه هي مهمة جميع الأنبياء كما أشرنا من قبل. فكل إنسان ذي فطرة سعيدة يتوب على يده توبة صادقة، فكأنه خُلِق من جديد. وتدل كلمة "طين" على حقيقة التائب، لأنه لا يستطيع أن يتوب إلاّ الإنسان المتواضع، فلا يُخلق من جديد إلاّ من كانت فطرته (طبيعته) مثل الطين، أي أنها قابلة للتشكل؛ فلا هي مثل الحجارة الصلبة التي لا تقبل التشكل، ولا هي مثل النار التي لا يمكن أن يكون لها شكل محدد. وقد ورد في القرآن المجيد قول إبليس: ﴿ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (الأعراف:13). وتدل هذه الآية الكريمة على أن طبيعة آدم كانت طينية تقبل التشكل، وبالتالي فلديه الاستعداد للطاعة والتأقلم والتوجّه حسب أوامر الله تعالى، وأمّا إبليس فكانت طبيعته نارية لا تقبل التشكل والالتزام بشكل وقانون معين، وذلك لأن المتكبر الذي تتوقد نار الكبر في نفسه لا يتوب إلى الله، أمّا ذا الفطرة السعيدة اللينة المتواضعة، فإنه يتوب إلى الله، ويعود إلى الحياة وكأنه خُلق خلقًا جديدا، وذلك مثل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، أو نور الدين رضي الله عنه؛ لأن فطرتهما كانت كالطين، ولأجل ذلك تقبّلا النظام السماوي بكل سهولة.

ومن المعروف أن التعبير بالاصطلاح "خلقًا جديدًا" أو "ولادة جديدة" يستعمل للدلالة على التحول الروحاني إلى التوبة الصادقة. وعلى سبيل المثال نسوق قول أشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم الذي قال: "من حجّ فلم يرفث ولم يفسق، رجع كهيئته يوم ولدته أمه. (مسند أحمد).. ولا يفهم أحد بطبيعة الحال هذا الحديث على معناه الظاهري الحرفي، ولا يتوقع أحد أن يعود الحاج إلى حالة الطفولة يوم ولدته أمه، ولكن معناه أن الحاج إذا حجّ حجًّا مبرورًا ومقبولا عند الله تعالى، فينال منه الغفران على كل ذنوبه، فيعود كأنه قد وُلِد ولادة جديدة. وهذا هو نفس الأمر بالنسبة لاصطلاح "الخلق الجديد" الذي ورد في منام المسيح الموعود عليه السلام، فإن الذي يتوب على يديه ينال حياة روحانية جديدة، ويغفر الله كل ذنوبه السابقة، فكأنه قد وُلِد ولادة جديدة.

الاعتراض:

ألا يدل الوحي : "أنت مني وأنا منك، أنت مني بمنزلة ولدي" على ادعاء الألوهية؟

الردّ:

تدل هذه الكلمات الإلهامية على علاقة المودة والمحبة التي كانت بين الله تعالى وبين المسيح الموعود عليه السلام. وقد استُعمِل نفس هذا الأسلوب في القرآن المجيد وفي الأحاديث الشريفة وفي كلام العرب بغرض إظهار غاية المحبة والمودة بين المتكلم والمخاطب. فقد ورد في القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام:

﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (إبراهيم:37)

وبطبيعة الحال.. لا يفهم أحد من كلمة ﴿مِنِّي﴾ بأن كل من اتبع سيدنا إبراهيم عليه السلام قد أصبح من أولاده، بل هي تدل على غاية الحب بينه وبين أتباعه، حتى لكأنهم صاروا مثل أولاده.

كذلك ورد في القرآن المجيد بأن طالوت قال لجنوده: ﴿ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (البقرة:250)، ولا يُفسر أحد هذه الآية بأن كل من لم يشرب قد صار من أولاد طالوت، بل تعني أن من شرب لن يكون من أتباع طالوت، وأن من لم يشرب فهو مع طالوت، وطالوت معه.

ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أقوال كثيرة مشابهة لهذا التعبير، إذ ورد عنه أنه قال: "إن عليًّا مني وأنا منه" (الترمذي، مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، ولا يُفسر أحد هذا الحديث على أن العلاقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عليّ رضي الله عنه هي علاقة أبوة وبنوّة مادية، فالجميع يعلم أن علي كان ابن أبي طالب. وكذلك قال صلى الله عليه وسلم: "حسين مني وأنا من حسين" (الترمذي؛ أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم). وأيضا قال صلى الله عليه وسلم: "العباس مني وأنا منه" (المرجع السابق)، كذلك قال عن سلمان الفارسي: "سلمان منّا أهل البيت" (المستدرك، كتاب معرفة الصحابة). كما ورد عنه كذلك أنه قال عن الأشعريين: "هم مني وأنا منهم" (البخاري؛ كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن).

يتضح من استعمال القرآن الكريم والحديث الشريف لهذا التعبير: "أنت مني وأنا منك" أن مثل هذه الكلمات تُطلق لتبيان غاية المحبة وإظهار كمال المودّة. وهي قد جاءت في إلهامات المسيح الموعود عليه السلام للدلالة على مدى العلاقة الوثيقة والحب العظيم الذي كان بين الله سبحانه وتعالى وعبده أحمد الإمام المهدي عليه السلام. وفي الحديث القدسي يشير الله تعالى إلى أنه حينما يُحب إنسانا فإنه سبحانه يكون سمعه وبصره، ويكون يده ورجله التي يمشي بها:

" قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليّا آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها". (البخاري؛ كتاب الرقاق، باب التواضع)

ولم يقل أحد بتاتا أن كون الله قد صار يد المؤمن التي يبطش بها أو رجله التي يمشي بها يعني أن الله قد حلّ في جسد هذا المؤمن، بل يفهم الجميع أن ذاك المؤمن قد صار قريبا من الله تعالى وتفانى في حبه وطاعته، حتى أن يده التي يبطش بها لا تفعل أمرا إلاّ ما يتفق مع أمر الله ومحبته، ورجله التي يمشي بها لا تخطو إلاّ في سبيل محبة الله وطاعته.

وقد فسر المسيح الموعود عليه السلام هذا الوحي، وشرح معناه بكل وضوح. ويتلخص تفسير الإمام المهدي عليه السلام لهذا الوحي أن قوله تعالى: "أنت مني" يعني أنك مبعوث من قِبَلي، وقوله: "أنا منك" يشير إلى وحدانية الله التي فُقِدت في العصر الحاضر بين الناس، حيث يُنكر الملحدون وجود الله تعالى، ويزعم المسيحيون أن الله ثالث ثلاثة، واتخذ اليهود أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، واتخذ غيرهم من البشر مثل الهندوس والبوذيون وغيرهم رجالا رفعوهم إلى مرتبة الآلهة كما فعل المسيحيون بعيسى بن مريم عليه السلام، وانصرف المسلمون عن جوهر الشريعة وتمسكوا بالمظهر حتى يكاد ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف: 107). ففي هذه الظروف يقول تعالى لعبده المسيح الموعود عليه السلام: "أنا منك" إشارة إلى أن وحدانية الله المفقودة في هذا العصر.. عصر الإلحاد وفقدان الإيمان وانتشار التثليث والشرك.. هذه الوحدانية سوف تعود وتعلو وتظهر بواسطتك، وبواسطة جماعتك.

وأما ما جاء من قول الله تعالى في وحي المسيح الموعود عليه السلام: "أنت مني بمنزلة ولدي"، فقد فسّره المسيح الموعود عليه السلام نفسه فقال:

"... سبحان الله وتعالى أن يكون له ولد، ولكن هذا استعارة كمثل قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾، والاستعارات كثيرة في القرآن ولا اعتراض عليها عند أهل العلم والعرفان، فهذا القول ليس بقول منكر، وتجد نظائره في الكتب الإلهية وأقوال قوم روحانيين يسمّون بالصوفية، فلا تعجلوا علينا يا أهل الفطنة..." (الخزائن الروحانية: ج22، كتاب: الاستفتاء، ص709).

كذلك لا يغيب عن البال أن الله تعالى قد بعث المسيح الموعود عليه السلام وجعله المسيح الموعود، أي جعله مثيلا لعيسى بن مريم عليه السلام، وحيث إن المسيحيين قد غلوا في أمر المسيح ابن مريم واعتبروه

ابن الله، وأنه وحده من دون الخلق جميعا الذي يعتبر "ولد الله" والعياذ بالله، لذلك أراد سبحانه أن يُبيّن مرتبة رسوله الأعظم وسيد الخلق أجمعين، عليه وعلى أهله وأصحابه وأتباعه أفضل الصلاة والتسليم، فبعث رجلا من خدام رسول الله ﷺ ومن أتباعه، وجعله مثيلا لذلك الذي اتخذه النصارى "ولد الله"، وقال له أنت بمنزلة ذلك الذي زعموا أنه ابن الله، وكأنه سبحانه يُبكّت أولئك المغضوب عليهم والضالين الذين قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ (التوبة:30)، فكأنه سبحانه يقول: إنني جعلت واحدا من خدام محمد ﷺ في منزلة ذلك الذي زعمتم أنه ولدي، فإذا كانت هذه منزلة الخادم، فما أعظمها وأرفعها وأعلاها منزلة السيد الذي أنتم عنه غافلون! اللهم صل على هذا النبي الصادق الأمين، وسلم على هذا الرسول الكريم العظيم، وبارك على من جعلته رحمة للعالمين إلى يوم الدين يا أرحم الراحمين.

الاعتراض:

ما هو المراد من قول المؤسس "أُعطيتُ صفة الإفناء والإحياء"؟ وهل يعني هذا أنه ينسب لنفسه صفات الله تعالى؟

الردّ:

لقد ألقى الله تعالى في روع المسيح الموعود عليه السلام أن يخطب خطبة عيد الأضحى باللغة العربية، وأخبره سبحانه أنه سوف يؤيده ويُطلق لسانه ويلهمه كلمات هذه الخطبة التي عُرفت فيما بعد باسم: "الخطبة الإلهامية". وقد جاء في هذه الخطبة ما يلي:

"... فَجِئْتُ فِي الْحُلَّتَيْنِ الْمَهْزُودَتَيْنِ الْمُصَبَّغَتَيْنِ بِصِبْغِ الْجَلاَلِ وَصِبْغِ الْجَمَالِ، وَأُعْطِيتُ صِفَةَ الإِفْنَاءِ وَالإِحْيَاءِ مِنَ الرَّبِّ الْفَعَّالِ. فَأَمَّا الْجَلاَلُ الَّذِي أُعْطِيتُ فَهُوَ أَثَرٌ لِبُرُوزِي الْعِيسَوِيِّ مِنَ اللهِ ذِي الْجَلاَلِ*، لأُبِيدَ بِهِ شَرَّ الشِّرْكِ الْمَوَّاجِ الْمَوْجُودِ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الضَّلاَلِ، الْمُشْتَعِلِ بِكَمَالِ الاشْتِعَالِ، الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي عَيْنِ اللهِ عَالِمِ الأَحْوَالِ، وَلأَهْدِمَ بِهِ عَمُودَ الافْتِرَاءِ عَلَى اللهِ وَالافْتِعَالِ.

وَأَمَّا الْجَمَالُ الَّذِي أُعْطِيتُ فَهُوَ أَثَرٌ لِبُرُوزِي الأَحْمَدِيِّ مِنَ اللهِ ذِي اللُّطْفِ وَالنَّوَالِ، لأُعِيدَ بِهِ صَلاَحَ التَّوْحِيدِ الْمَفْقُودِ مِنَ الأَلْسُنِ وَالْقُلُوبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، وَأُقِيمُ بِهِ أَمْرَ التَّدَيُّنِ وَالانْتِحَالِ. وَأُمِرْتُ أَنْ أَقْتُلَ خَنَازِيرَ الإِفْسَادِ وَالإِلْحَادِ وَالإِضْلاَلِ، الَّذِينَ يَدُوسُونَ دُرَرَ الْحَقِّ تَحْتَ النِّعَالِ، وَيُهْلِكُونَ

---

* الحاشية: قد قلتُ غير مرّة إني ما أتيتُ بالسيف ولا السِّنانِ، وإنّما أتيتُ بالآيات والقوّة القدسية وحسن البيان، فجلالي من السماء لا بالجنود والأعوان. منه

حَرْثَ النَّاسِ وَيُخْرِبُونَ زُرُوعَ الإِيمَانِ وَالتَّوَرُّعِ وَالأَعْمَالِ، وَقَتْلِي هَذَا بِحَرْبَةٍ سَمَاوِيَّةٍ لاَ بِالسُّيُوفِ وَالنِّبَالِ، كَمَا هُوَ زَعْمُ الْمَحْرُومِينَ مِنَ الْحَقِّ وَصِدْقِ الْمَقَالِ، فَإِنَّهُمْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا كَثِيرًا مِّنَ الْجُهَّالِ.

وَإِنَّ الْحَرْبَ حُرِّمَتْ عَلَيَّ وَسَبَقَ لِي أَنْ أَضَعَ الْحَرْبَ وَلاَ أَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِتَالِ، فَلاَ جِهَادَ إِلاَّ جِهَادُ اللِّسَانِ وَالآيَاتِ وَالاسْتِدْلاَلِ، وَكَذَلِكَ أُمِرْتُ أَنْ أَمْلأَ بُيُوتَ الْمُؤْمِنِينَ وَجُرُبَهُمْ مِنَ الْمَالِ، وَلَكِنْ لاَ بِاللُّجَيْنِ وَالدَّجَّالِ، بَلْ بِمَالِ الْعِلْمِ وَالرُّشْدِ وَالْهِدَايَةِ وَالْيَقِينِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ، وَتَبْشِيرِ الْمُثْقَلِينَ تَحْتَ الأَثْقَالِ. فَبُشْرَى لَكُمْ قَدْ جَاءَكُمْ الْمَسِيحُ، وَمَسَحَهُ الْقَادِرُ وَأُعْطِيَ لَهُ الْكَلاَمُ الْفَصِيحُ، وَإِنَّهُ يَعْصِمُكُمْ مِّنْ فِرْقَةٍ هِيَ لِلإِضْلاَلِ تَسِيحُ، وَإِلَى اللهِ يَدْعُو وَيَصِيحُ، وَكُلَّ شُبْهَةٍ يُزِيلُ وَيُزِيحُ. وَطُوبَى لَكُمْ قَدْ جَاءَكُمْ الْمَهْدِيُّ الْمَعْهُودُ، وَمَعَهُ الْمَالُ الْكَثِيرُ وَالْمَتَاعُ الْمَنْضُودُ. وَإِنَّهُ يَسْعَى لِيَرُدَّ إِلَيْكُمْ الْغِنَى الْمَفْقُودَ، وَيَسْتَخْرِجُ الإِقْبَالَ الْمَوْءُودَ. مَا كَانَ حَدِيثٌ يُفْتَرَى، بَلْ نُورٌ مِّنَ اللهِ مَعَ آيَاتٍ كُبْرَى.

أَيُّهَا النَّاسُ.. إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ الْمُحَمَّدِيُّ، وَإِنِّي أَنَا أَحْمَدُ الْمَهْدِيُّ. وَإِنَّ رَبِّي مَعِي إِلَى يَوْمِ لَحْدِي مِنْ يَوْمِ مَهْدِي، وَإِنِّي أُعْطِيتُ ضِرَامًا أَكَّالاً، وَمَاءً زُلاَلاً، وَأَنَا كَوْكَبٌ يَمَانِيٌّ، وَوَابِلٌ رُوحَانِيٌّ. إِيذَائِي سِنَانٌ مُذَرَّبٌ، وَدُعَائِي دَوَاءٌ مُجَرَّبٌ. أُرِي قَوْمًا جَلاَلاً، وَقَوْمًا آخَرِينَ جَمَالاً، وَبِيَدِي حَرْبَةٌ أُبِيدُ بِهَا عَادَاتِ الظُّلْمِ وَالذُّنُوبِ، وَفِي الأُخْرَى شَرْبَةٌ أُعِيدُ بِهَا حَيَاةَ الْقُلُوبِ. فَأْسٌ لِلإِفْنَاءِ، وَأَنْفَاسٌ لِلإِحْيَاءِ...". (الخزائن الروحانية: ج16 - كتاب: الخطبة الإلهامية، ص57)

ويتضح من هذا المقطع من الخطبة التي ارتجلها المسيح الموعود عليه السلام يوم عيد الأضحى المبارك أنه قد استعمل عدة كلمات مترادفة: إنه أُعطي صفة الإفناء، وإنه أُعطي ضراما أكّالاً، وبيده حربة يبيد بها عادات الظلم والذنوب، وفاس للإفناء. كل هذه المترادفات تعني أن الله تعالى قد أمره بتدمير النظام الموجود في العالم الذي يقوم على الشرك والفساد والإلحاد: "وَأُمِرْتُ أَنْ أَقْتُلَ خَنَازِيرَ الإِفْسَادِ وَالإِلْحَادِ وَالإِضْلاَلِ، الَّذِينَ يَدُوسُونَ دُرَرَ الْحَقِّ تَحْتَ النِّعَالِ، وَيُهْلِكُونَ حَرْثَ النَّاسِ وَيُخْرِبُونَ زُرُوعَ الإِيمَانِ وَالتَّوَرُّعِ وَالأَعْمَالِ"، ولهذا فقد أعطاه الله تعالى صفة الجلال كما أعطاه فاسا للإفناء، "لأُبِيدَ بِهِ شَرَّ الشِّرْكِ الْمَوَّاجِ الْمَوْجُودِ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الضَّلاَلِ، الْمُشْتَعِلِ بِكَمَالِ الاشْتِعَالِ، الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ فِي عَيْنِ اللهِ عَالِمِ الأَحْوَالِ، وَلأَهْدِمَ بِهِ عَمُودَ الافْتِرَاءِ عَلَى اللهِ وَالافْتِعَالِ".

وكما أُعطيَ صفة الإفناء أُعطِيَ كذلك صفة الإحياء، فقال: "وَأُعْطِيتُ صِفَةَ الإِفْنَاءِ وَالإِحْيَاءِ مِنَ الرَّبِّ الْفَعَّالِ". وصفة الإحياء هذه هي أثر لصفة الجمال التي اكتسبها من اتّباع سيد الخلق أحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قال: "وَأَمَّا الْجَمَالُ الَّذِي أُعْطِيتُ فَهُوَ أَثَرُ لِبُرُوزِي الأَحْمَدِيِّ مِنَ اللهِ ذِي اللُّطْفِ

وَالنَّوَالِ، لأُعِيدَ بِهِ صَلاَحَ التَّوْحِيدِ الْمَفْقُودِ مِنَ الأَلْسُنِ وَالْقُلُوبِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، وَأُقِيمُ بِهِ أَمْرَ التَّدَيُّنِ وَالانْتِحَالِ". ثم يقول: "وَإِنِّي أُعْطِيتُ ضِرَامًا أَكَّالاً، وَمَاءً زُلاَلاً" فالضرام والنار للتدمير للإفناء، والماء الزلال للبناء والإحياء. ثم يقول: "أُرِي قَوْمًا جَلاَلاً، وَقَوْمًا آخَرِينَ جَمَالاً، وَبِيَدِي حَرْبَةٌ أُبِيدُ بِهَا عَادَاتِ الظُّلْمِ وَالذُّنُوبِ، وَفِي الأُخْرَى شَرْبَةٌ أُعِيدُ بِهَا حَيَاةَ الْقُلُوبِ. فَاسٌ لِلإِفْنَاءِ، وَأَنْفَاسٌ لِلإِحْيَاءِ".

هذه هي مهمة الأنبياء التي من أجلها يبعثهم الله تعالى، ويعطيهم الله سبحانه هاتين الصفتين.. صفة الإفناء وصفة الإحياء. أمّا الإفناء فهو لتدمير الإفك وتتبير الباطل، يقول سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف:138). ومن المعروف أن فرعون وقومه قد هلكوا غرقا، ولكن الله تعالى يشير أيضا إلى تدمير إفكهم وضلالهم الذي كانوا يبنونه وينشرونه في الأرض. ويقول سبحانه: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ (الفرقان:38-40). هذا هو الإفناء والتدمير والتتبير الذي يشير إليه الله تعالى في كتابه العزيز، وهو سبحانه العليم الخبير الذي إذا كان يعلم في سابق علمه عن قوم أنهم قد فسدوا وضلوا حتى أنهم ﴿ لاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (نوح:28)، كما قال سيدنا نوح عليه السلام، فإنه بتدميرهم يقضي على ضلالهم وإفكهم وشركهم، وأمّا إذا كان يعلم أن من بينهم أو من نسلهم من يؤمن بالله، فإنه يقضي بهلاك أئمة الكفر، ويتبّر الإفك والشرك والضلال عن طريق انتقال الناس من حالة الكفر والضلال إلى الإيمان وصالح الأعمال.

وأمّا صفة الإحياء التي يؤتيها الله تعالى لأنبيائه ورسله؛ فهي تلك التي بواسطتها يستطيعون هداية المؤمنين من أقوامهم إلى طريق الحق، ويهدونهم إلى صراط الله المستقيم. وحيث إن "الهادي" هي صفة من صفات الله تعالى، فإن أولئك الأنبياء، أو غيرهم، لا يستطيعون هداية أحد إلاّ بإذن الله تعالى، إذ يقول سبحانه: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ﴾ (القصص:57). ثم يؤكّد سبحانه على أنه قد أرسل رسوله ﷺ لغرض هداية الناس فيقول: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:53). إن صفة الهداية والإحياء هذه تُعطى بإذن الله تعالى لمن شاء من عباده، وهذه هي التي دعا إبراهيم ربه لكي يُريه كيف يحيي الموتى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ (البقرة:261)، وهي تلك التي أذن الله بها للمسيح ابن مريم: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ (المائدة:111)، وهي التي من أجلها حض الله المؤمنين على الاستجابة لله وللرسول فقال: ﴿يَآ

أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال:25). وهي نفس الصفة التي أعطاها الله تعالى لعبده المسيح الموعود عليه السلام، ومن أجل ذلك قال: "وَأُعْطِيتُ صِفَةَ الإِفْنَاءِ وَالإِحْيَاءِ مِنَ الرَّبِّ الْفَعَّالِ".

وكما يُؤتي الله أنبياءه وعباده الصالحين صفة الإحياء والإفناء، فإنه أيضا يؤتيهم معجزة استجابة الدعاء، إلاّ ما سبق به الكتاب في علم الله تعالى، وحيث إن الله تعالى قد بعث المسيح الموعود عليه السلام إماما مهديّا ومسيحا موعودا، فقد أعطاه أيضا معجزة استجابة الدعاء، ولذلك قال: "وَدُعَائِي دَوَاءٌ مُجَرَّبٌ". وكان هذا هو السلاح الذي أعطاه الله له، ولم يكن يمتلك من سلاح آخر سوى سلاح الدعاء، الذي يستعمله للإفناء والإحياء، وقد تجلت صفة الإفناء التي قضت على أعدائه بواسطة الدعاء والتضرع والصلوات والابتهالات بين يدي الله تعالى، وهو الرب الكريم سميع الدعاء الذي كان يسمع أدعيته ويستجيب تضرعاته. وهذا كان الفأس أو الحربة التي بين يديه لإفناء المعاندين أعداء الإسلام الذين كانوا يتطاولون على دين الله وكرامة رسوله الأكرم ﷺ، وقد أشار ﷺ إلى وجود هذه الصفة في المسيح الموعود فقال: "فلا يحلّ لكافر يجد من ريح نفَسه إلاّ مات" (مسلم). والمقصود من "ريح نفسه" هو الدعاء المستجاب، فيموت الكافر الذي يصطدم به ويقوم لمقاومته والتصدّي له. وتاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية شاهد على هذه الحقيقة الواضحة، فإن كثيرا من الأعداء هلكوا وماتوا بسبب دعاء المسيح الموعود عليه السلام. ونذكر على سبيل المثال ليكهرام الهندوسي الذي كان يتطاول بكلامه وسبّه وازدرائه على سيد الخلق ﷺ، وكم نصحه المسيح الموعود عليه السلام أن يرجع عن غيّه ويمتنع عن إفكه، ولكنه لما تجاوز جميع الحدود وآذى المسيح الموعود عليه السلام بشتم أحبّ إنسان إليه، دعا الله تعالى أن يهلكه، واستجاب الله دعاءه فقُتِل ليكهرام شر قتلة، ومات كما سبق وأنبأ بذلك المسيح الموعود عليه السلام. وفي النصف الآخر من الكرة الأرضية بالنسبة لموطن المسيح الموعود عليه السلام في الهند، كان يعيش رجلا في بلدة صهيون بالقرب من شيكاغو بولاية إلينوي بالقارة الأمريكية، وكان هذا الرجل يشن هجوما حقيرا على الإسلام والمسلمين، وتطاول على رسول الإسلام العظيم ﷺ، فنصحه المسيح الموعود عليه السلام بالتوقف عن هذا الأسلوب الدنيء، ولكنه زاد من إفكه وتكبّره واستعلائه، فتحدّاه المسيح الموعود عليه السلام للمباهلة، ودعا الله سبحانه وتعالى لهلاكه والقضاء عليه، وسرعان ما أصيب بالشلل، ثم طُرد من بلدته صهيون التي أنشأها بنفسه وكان يعيش فيها كالملوك، ثم مات وأصبح عبرة لسكان أمريكا وللعالم أجمع قاطبة.

الاعتراض:

ما هو تفسير الإلهام الذي جاء فيه هذه الكلمات: "أُبريشن - عمر - براطوس أو بيلاطوس"؟

الردّ:

أولا: أُبريشن كلمة إنجليزية الأصل وهي Oppression وتعني اضطهاد، مما يشير إلى وقوع أمر فيه ظلم واضطهاد على المسيح الموعود ؏.

ثانيا: كلمة "عمر" تشير إلى خطر يتهدد حياة المسيح الموعود ؏؛ ذلك أن عمر ؓ قد اغتيل اغتيالا.

ثالثا: من المعلوم أن "بيلاطوس" كان القاضي الروماني الذي قُدّم سيدنا عيسى ؏ للمحاكمة أمامه بسبب القضية التي رفعها ضده أعداؤه. وتشير هذه الكلمة إلى قاض مماثل لبيلاطوس، ويلعب دورا هاما في قضية الظلم والاضطهاد التي تهدد حياة المسيح الموعود ؏.

تلقى المسيح الموعود ؏ هذا الوحي في عام 1883م، وبطبيعة الحال لم يكن معناه معروفا في ذلك الوقت، ولو كان المسيح الموعود ؏ يفتري - والعياذ بالله- على الله الكذب، لما كتب ونشر هذا الوحي الذي تلقاه من الله تعالى في وقت لم يكن حتى يعرف معناه. وبعد مرور 14 عاما.. أي في عام 1897م اتضح معنى هذا الوحي وتحقق ما يشير إليه، وذلك حينما حاك القسيس الشهير الدكتور هنري مارتن كلارك مؤامرة دنيئة ضد المسيح الموعود ؏، مما استدعى تقديمه للمحاكمة بتهمة التحريض على القتل. وفيما يلي تفاصيل تلك الواقعة:

كان المبشرون المسيحيون يسعون بكل نشاط لنشر المسيحية في البنجاب، وكانوا يدّعون بتفوّق التعاليم المسيحية على الإسلام، ويزعمون أن النجاة هي لمن اتبع المسيح فقط، وكانوا يريدون عقد مناظرة بين المسيحية والإسلام ظنا منهم أنهم يستطيعون بذلك إثبات تفوّقها على الإسلام. واختار المسلمون في البنجاب حضرة الإمام المهدي ؏ لكي يمثلهم أمام المبشرين المسيحيين، وأقيمت تلك المناظرة الشهيرة في مدينة أمْرِتْسَر في عام 1893م وسُمّيت الحرب المقدسة (جنغ مقدس). وفشل المسيحيون فيها فشلا ذريعا، وأدركوا أنهم أمام خطر عظيم يهدد وجود المسيحية وانتشارها في الهند، وكان هذا الخطر يتمثل في وجود الإمام المهدي ؏ وجماعته. ولما فشلوا في ميدان صراع العقل والمنطق والأدلة والبراهين، لم يبق أمامهم سوى التآمر والتخطيط الدنيء، ومحاولات الانتقام، واستعمال المسلمين أنفسهم ضد إخوانهم من المسلمين، وذلك حتى يتخلصوا من هذا الخطر الداهم الذي صار يهدد كل محاولاتهم لنشر المسيحية في البنجاب وفي الهند بل وفي العالم أجمع.

خطط القسيس الدكتور هنري مارتن كلارك للمؤامرة، فبحث عن شاب من المسلمين الفقراء كان يُدعى عبد الحميد، وأخذ يتودد إليه بالعطايا والأموال، ويتحبب إليه بمعسول الكلام، ويستميله بالوعود الدنيوية، ويغريه بالمصالح والأماني البراقة، حتى اطمأن إليه الشاب، وصار أسيرا لكرمه ومعروفه وخدماته. ولما توطّدت العلاقة بين الدكتور كلارك وعبد الحميد، طلب إليه الدكتور كلارك أن يؤدي له خدمة اعترافا بالجميل الذي أسداه إليه الدكتور كلارك، وردًا لكل ما أغدق عليه من أموال وعطايا، وأملا في نوال المزيد.

طلب الدكتور كلارك من عبد الحميد أن يأتي معه إلى المحكمة ويشهد أمامها بأن ميرزا غلام أحمد (عليه السلام) قد أرسله لكي يقتل القسيس هنري مارتن كلارك، وطمأنه بأنه سوف يساعده بما له من نفوذ واتصال ومعارف، ووعده بمكافأة كبيرة وأموال كثيرة لكي يعيش غنيا طوال حياته الباقية.

لم يستطع الشاب عبد الحميد أن يرفض طلب القسيس الذي كان قد أسره بعطفه ووده ومحبته وبما أغدقه عليه من أموال وعطايا، وأشعره القسيس بأن واجب الصداقة والمودة ورد المعروف يقتضي ألا يرفض هذا الطلب البسيط، فذهب معه إلى المحكمة وأدلى بشهادته. وأصدر قاضي مديرية أمْرِتْسَر أمرًا بإلقاء القبض على المسيح الموعود عليه السلام، وحين أذيع هذا الخبر كان ذلك يوم عيد في الدوائر المسيحية والهندوسية، ومن المؤسف أن بعض المشايخ الذين أعماهم الحقد والغيرة من المسيح الموعود عليه السلام، قد شاركوا أعداء المسيح الموعود عليه السلام في فرحهم وشماتتهم، وراح جميع الأعداء يمنّون أنفسهم بقرب اليوم الذي يرون فيه المسيح الموعود عليه السلام مكبلا بالأغلال ومقيّدا بالسلاسل، تسوقه الجنود أمامهم لتقديمه إلى المحاكمة، حيث يُحكم عليه بالإعدام أو السجن مدى الحياة، فتقرّ أعينهم وتنثلج صدورهم بذلك المشهد، ويتم لهم بذلك الخلاص منه.

ومرّة أخرى نقول.. ونلفت أنظار القارئ الكريم.. إلى أنه لو كان المسيح الموعود عليه السلام متقوّلا -والعياذ بالله- على الله، ومفتريا عليه، ويدّعي كذبا بأنه يتلقى الوحي منه، لتركه الله تعالى ينال الخزي والهوان حتى ينفضح كذبه أمام الجميع، ولكن ما حدث يدل على تدخل الله سبحانه وتعالى في جانب المسيح الموعود عليه السلام بشكل عجيب. إذ أن قاضي أمرتسر الذي أصدر أمر القبض على المسيح الموعود عليه السلام أدرك أنه ليس في صلاحيته إصدار هذا الأمر؛ حيث إن المسيح الموعود عليه السلام لم يكن يسكن في مديرية أمرتسر، فمن المعلوم أن قرية قاديان التي كان يسكنها المسيح الموعود عليه السلام تقع في مديرية كورداسبور وليست في مديرية أمرتسر. فأرسل القاضي أمرا بعدم تنفيذ أمر القبض، وإعادة أمر القبض مرة أخرى إلى القاضي في أمرتسر. ولكن أمر القبض هذا

قد أختفى تماما، ولم يُعثر له على أثر، أذ لم تتسلمه مديرية كورداسبور، ولم يوجد في مديرية أمرتسر.

أرسل قاضي أمرتسر ملف القضية إلى القاضي المختص في مديرية كورداسبور، وكان هو المستر دوغلاس (Douglas) الذي فحص ملف القضية فحصا دقيقا، ثم أرسل يستدعي أطراف القضية للمثول أمامه، فجاء القسيس هنري مارتن كلارك وجاء عبد الحميد وجاء كذلك المسيح الموعود ﷺ في صحبة بعض صحابته. وأثناء سؤال المدّعي، ثم الشاهد عبد الحميد؛ لاحظ القاضي تعارضا بين كلامه الذي جاء في الدعوى وأجوبته التي يدلي بها أمامه. ونظرا لخطورة التهمة أصدر أمرا بإعادة التحقيق فيها، وأسند هذه المهمة إلى قائد الشرطة بنفسه. وبدأ قائد الشرطة تحقيقاته، وأثناء التحقيق وسؤال عبد الحميد أدرك قائد الشرطة أن عبد الحميد كان يقيم في دار الإرسالية المسيحية في أمرتسر التي يرأسها القسيس هنري مارتن كلارك، فضيّق عليه الخناق بالأسئلة، وإذا بعبد الحميد ينفجر باكيا، ووقع على أقدام قائد الشرطة واعترف بأن الشهادة التي أدلى بها أمام قاضي أمرتسر كانت كذبا وافتراءا، وأنه أقدم على ذلك بعد أن حرّضه القسيس الدكتور هنري مارتن كلارك ووعده بالأموال والعطايا، وأنه لم يحدث أبدا أن أرسله الإمام المهدي ﷺ لقتل أحد؛ سواء كان الدكتور مارتن كلارك أو غيره.

ورفع قائد الشرطة تقريره إلى القاضي مستر دوغلاس، فأعاد سؤال كل من الدكتور كلارك وعبد الحميد، وهنا اتضحت حقيقة المؤامرة أمام الملأ، ووقف الدكتور هنري مارتن كلارك موقفا مخزيا، وحكم القاضي ببراءة الإمام المهدي ﷺ، وقال له بأنه من حقه أن يرفع قضية قذف ضد الدكتور هنري مارتن كلاك بسبب الاتهام الكاذب الذي وجهه له ومحاولته للإساءة إلى سمعته. ولكن المسيح الموعود ﷺ.. بكل كرامة وترفّع وإباء وشمم الأنبياء.. قال للقاضي بأنه لم يكن ليرفع أي قضية ضد أحد أمام أي محكمة في الدنيا، لأن قاضيه الأعظم هو الله تعالى الذي له الحكم في الدنيا وفي الآخرة.

وهكذا انتهت هذه المحاكمة التي قُدّم فيها المسيح الموعود ﷺ المسيح الموعود ﷺ إلى المحاكمة أمام القاضي الإنجليزي كما قُدّم المسيح عيسى بن مريم ﷺ للمحاكمة أمام القاضي الروماني بيلاطوس، وكلاً من القاضيين أدرك براءة المتهم الذي يقف أمامه، وأقرّ بذلك واعترف بتلك البراءة أمام الناس، ولكن القاضي مستر دوغلاس كان أكثر شجاعة من القاضي بيلاطوس الذي لم يستطع أن يقف في وجه أعداء المسيح ابن مريم ﷺ فسلّمه لأعدائه، وأمّا مستر دوغلاس فقد

أصدر حكمه بالبراءة. وهكذا تحقق النبأ المكتوم في كلمات ذلك الوحي، فاعتبروا يا أولي الألباب!

الاعتراض:

ما هو تفسير الإلهام الذي جاء فيه هذه الكلمات: "هوشعنا (شيعانا) - نعسا"؟ أليست هي كلمات عديمة المعنى؟ ألا يجب تنزيه الله تعالى عن مثل ذلك؟

الردّ:

هذه الكلمات هي عبرية الأصل، والكلمة الأولى هي هو-شيعا-نا ومعناها: آه يا رب خلّص، أو: آه يا رب أنقذ. وهذا دعاء لله تعالى، وقد بشّر باستجابته في الكلمة الثانية: نعسا، أي استُجيب أو أُنقّذ.

ويشرح المسيح الموعود ﷺ بنفسه هذه الكلمات، حيث قال ما تعريبه من اللغة الأردية:

"... إن هاتين كلمتان عبرانيتان، ذُكر فيهما نبأ بأسلوب الدعاء، ثم كُشِف عليّ أن الدعاء سوف يُستجاب. وقد بُشّرتُ بهذا النبأ أنني سوف أمرّ بفترة من المتاعب بسبب انفرادي وخلوتي وعزلتي، وسوف تزول تلك المتاعب. وقد تحقق ذلك النبأ بعد 25 عاما، وحاليا لم تبق لي أي مشكلة أو صعوبة من تلك المتاعب". (البراهين الأحمدية: ج5، ص80)

ولا شك أن هذا النبأ يدل على صدق المسيح الموعود ﷺ، إذ إنه لم يكن يعرف اللغة العبرية بتاتا، ولم يكن يعرفها أحد آخر في المنطقة التي كان يقطنها، فلم يتعلم تلك الكلمات من أحد، ولكن علمه الله إياها، وكتبها المسيح الموعود ﷺ كما تلقاها من الله عز وجل في عام 1883م، ثم تبيّن فيما بعد أنها تتضمن نبأ غيبيا، وتحقق النبأ بعد مرور 25 عاما.

الاعتراض:

ما هو تفسير الإلهام الذي جاء في اللغة الأردية وقيل فيه: "جـ سنكه بهادر"؟

الردّ:

في عام 1906م تلقّى المسيح الموعود ﷺ هذا الإلهام المذكور، ومعناه:

"إن النصر للأسد الشجاع".

وكان المسيح الموعود ﷺ قد تلقى وحيا آخر باللغة العربية قيل فيه: "جَرِيُّ اللهِ في حُلَلِ الأنبياء"، ومن معاني الجريّ: الشجاع المقدام، والمقصود بهذا الوحي هو المسيح الموعود ﷺ، فهو أسد الله الشجاع الذي أرسله الله تعالى في حُلل الأنبياء؛ أي في ظروف تشابه ظروف الأنبياء الآخرين، وأعطاه أخلاقا كأخلاقهم، ومن هنا سمّاه الله تعالى بأسماء الكثير من الأنبياء مثل آدم ونوح

وإبراهيم وموسى وعيسى وسيد الخلق محمد عليهم جميعا أفضل الصلاة والسلام. وهذا الوحي الذي نحن بصدده يؤكّد على أن نوال النصر سوف يكون من نصيب أسد الله الشجاع الذي هو المسيح الموعود عليه السلام. وهذه نبوءة أيضا تحققت في حياة المسيح الموعود عليه السلام وما زالت تتحقق في عصرنا الحالي؛ حيث تتقدّم الجماعة الإسلامية الأحمدية كل يوم من نصر إلى نصر وانتصار، وسوف يتم في المستقبل إن شاء الله تحقق هذا النبأ على النطاق العالمي حينما ينتصر الإسلام الصحيح على كل الأديان ويتحقق الوعد القرآني:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 33)

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ (الفتح:29)

﴿ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:32)

﴿ وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس:83)

﴿ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف:9)

وتحقيقا لهذا الوعد الذي جاء في هذا الوحي الذي نحن بصدده، يهتف أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية كلما سمعوا بنبأ انتصار وتقدم للجماعة فيقولون باللغة الأردية: "ميرزا غلام أحمد كى جـ" أي الانتصار لميرزا غلام أحمد، تماما كما يهتف المرء بالنصر للمؤمنين، لأن الله تعالى قد وعد في وحيه القرآني الكريم أن ينصر المؤمنين.

بقي أن نقول أن من معاني الجريّ هو الرسول، لذا فإن الوحي: جريّ الله في حلل الأنبياء يعني أن المسيح الموعود عليه السلام رسول الله الذي ظهر في زيّ الأنبياء.. لذا فإن الله أخبر حضرته أنه نبيّ ورسول منذ وقت مبكر. وقد تبين هذا في نصوص عديدة من الوحي.. مع أن حضرته نبي تابع وخادم للنبوة المحمدية وليس بمستقل عنها.

الاعتراض:

ما هو تفسير الإلهام الذي جاء في اللغة الأردية وقيل فيه: "آريون كا بادشاه"؟

الردّ:

في عام 1900م قال المسيح الموعود عليه السلام بأنه رأى كشفا وتلقى فيه هذه الكلمات:

كان من المقدر أن يظهر كرشنا في آخر الزمان وهو أنت ملك الآريين.

وتعود خلفية هذا النبأ الكريم إلى أن الشعب الهندوسي ينتظر عودة نبيهم "كرشنا" في آخر الزمان؛ الذي هو عصرنا الحالي، تماما كما ينتظر اليهود والمسيحيون والمسلمون مجيء المسيح، فقد أخبر كرشنا قومه قبل آلاف السنين أنه سوف يظهر في آخر الزمان قبيل يوم القيامة. وهذا الإلهام الذي تلقّاه المسيح الموعود ؑ يحمل البشرى للشعب الهندوسي بأن كرشنا الذي كانوا في انتظاره قد جاء وظهر في شخص المسيح الموعود ؑ، بمعنى أن المسيح الموعود ؑ يُشابه كرشنا في صفاته وأخلاقه، وتتطابق كذلك الكثير من ظروف حياتهما، وعلى هذا؛ فهناك الكثير من أوجه الشبه بينهما، ومن هنا يُطلق على المسيح الموعود ؑ اسم كرشنا مشابهة به، كما أطلق الله تعالى أسماء الكثير من الأنبياء الآخرين على المسيح الموعود ؑ لمشابهته إياهم في الكثير من أخلاقهم وظروف حياتهم.

وفي العادة يستنكر البعض أن يكون كرشنا نبيا من أنبياء الله، وذلك تأثرا بالدعايات والآراء التي انبثقت عن الروايات الإسرائيلية التي زعمت بأن الله تعالى قد أنزل وحيه وهداه على بني إسرائيل فقط، وعلى ذلك لا يعترف اليهود إلاّ بالأنبياء الذين جاء ذكرهم في التوراة، وبطبيعة الحال فإن المسيحيين أضافوا إلى هذه القائمة اسم يسوع المسيح، ثم جاء سيد الخلق ﷺ رسولا صادقا من عند الله كما يؤمن بذلك جميع المسلمين. وبتسرب تلك الآراء الإسرائيلية إلى مفاهيم المسلمين، انتشرت بينهم تلك الأفكار الخاطئة التي مؤدّاها أن الله تعالى أنزل ثلاثة من الأديان فقط؛ هي اليهودية والمسيحية والإسلام، وبالتالي فإن الأنبياء الذين أرسلهم الله هم أولئك الذين جاء ذكرهم في التوراة، وتكرر ذكرهم في القرآن الكريم.

ولكن هذه الأفكار الخاطئة تقوم على ادعاء اليهود بأنهم شعب الله المختار، وعلى ذلك فإن الله اصطفاهم من دون الناس جميعا واختصهم بهداه وشريعته، وتبعهم المسيحيون في هذا الفهم الخاطئ، إلاّ أنهم أضافوا اسم المسيح ؑ، ثم تبعهم كثير من المسلمين أيضا في نفس الفهم الخاطئ، إلاّ أنهم أضافوا اسم سيدنا محمد ﷺ. والقرآن الكريم لا يؤيد هذا الفهم الخاطئ بتاتا، ولا يعني أبدا اصطفاء قوم على العالمين هو أن يختصهم الله بالهدى والدين والهداية والشريعة من دون بقية الناس أجمعين، فهذه الأمور من النعم التي يشترك البشر جميعا في نوالها، وذلك كما يشتركون في نوال نعمة الهواء والماء والطعام، ومن غير المعقول أن يخلق الله الملايين من البشر– من غير بني إسرائيل وبني إسماعيل– ويضع في فطرتهم معرفة الله تعالى، ثم يحرمهم من الهدى والشرائع التي تقودهم إلى معرفة الله تعالى وطاعته. ولذلك يقول الكتاب العزيز:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ (غافر: 79)

فليس من المستغرب أن يكون الله تعالى قد بعث أنبياء إلى الشعب الهندوسي وغيره من شعوب الأرض كما بعث أنبياء إلى بني إسرائيل وإسماعيل. بل إن هذا الفهم الخاطئ الذي روّجه اليهود في الإسرائيليات، وورثه عنهم المسلمون، لهو مما يتنافى مع آيات الكتاب الحكيم الذي يقول تعالى فيها:

﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد:8)

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ (يونس:48)

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 25)

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ (النحل:37)

كذلك فقد أنزل الله تعالى لكل قوم مناسكهم وشرائعهم التي تناسب أحوالهم وظروفهم قبل نزول الشريعة الكاملة في القرآن الكريم، ولذلك قال فيه:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ﴾ (الحج:35)

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ﴾ (الحج:68)

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة:49)

فليس من المعقول ألاّ يبعث الله تعالى أي هاد أو نبي إلى الشعب الهندوسي الذي يُعدّ من أقدم الشعوب، نعم إن هؤلاء الناس قد ضلوا عن شريعتهم التي أصابها التحريف والتغيير، تماما كما أصاب ذلك شريعة بني إسرائيل، بل مما لا شك فيه أن الانحراف عن شريعة الله عند الهندوس أشد من انحراف اليهود، وكتاب الهندوس المقدس قد أصابه التحريف والتغيير أكثر مما أصاب التوراة، وضاعت معظم التعاليم الأساسية التي جاء بها أنبياء الهندوس، حتى صار تعدد الآلهة أمرا مقبولا في ديانتهم، وغاب منها التوحيد كما اتخذ المسيحيون عيسى بن مريم وأمّه إلهين من دون الله. ولكن كل ذلك لا ينفي أن أصل تلك الأديان قد انبثق من عند الله تعالى عن طريق الأنبياء الذين أرسلهم الله في زمانهم بالهدي المستقيم.

ولهذا فإنه حينما أوحى الله تعالى إلى المسيح الموعود عليه السلام أنه "كرشنا"، نبي الهندوس المنتظر، فإن هذا على سبيل المجاز والمشابهة، حتى يعلم الهندوس أنه جاء حسب النبوءات التي ذكرها نبيهم كرشنا، ولتتم الحجة عليهم، وليهتدي الصالحون منهم إلى دين الإسلام الذي يدعو إليه المسيح

الموعود ﷺ، فيسمعوا لدعوته، ويؤمنوا بالإسلام الصحيح، وبذلك يكون ملكا عليهم من الناحية الروحانية.

الاعتراض:

ما معنى هذا الوحي "أنت من مائنا، وهم من فشل"؟

الردّ:

لقد شرح المسيح الموعود ﷺ نفسه هذا الإلهام، حيث قال ما تعريبه من الأردية:

إن المراد من الماء في قوله تعالى "أنت من مائنا وهم من فشل" هو ماءُ الإيمان وماء الاستقامة وماء التقوى وماء الوفاء وماء الصدق وماء الحب الإلهي الذي يوهب من الله ﷻ، والفشلُ هو الجبن الذي يأتي من الشيطان، وأساس كل إلحاد وسيئةٍ الجبنُ والخوف، فحين تختفي قوة الاستقامة فإن الإنسان يميل إلى الذنب. باختصار؛ إن الفشل من الشيطان، أما ماءُ العقائد الصالحة والأعمال الحسنة فمن الله ﷻ. (عاقبة آتهم ص56، الحاشية)

وهكذا يتضح أن المقصود من كلمة "ماء" هو ماء الإيمان.. ماء التقوى.. ماء الاستقامة.. ماء الوفاء الذي يُنزله سبحانه ويهبه للمسيح الموعود ﷺ من فضله ورحمته. وحيث إنه قد أُوتيَ هذا الماء الربّاني، فإنه بدوره يروي به خلق الله ﷻ. ومن المعروف أن الله تعالى قد قال:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء:31)

فالله سبحانه قد خلق الماء وأحيا به كل شيء، وقد شبّه الكفار بالأموات والمؤمنين بالأحياء، لأن المؤمنين يتلقّون ماء الوحي الذي يُنزله الله تعالى على أنبيائه، فينالون الحياة عن طريق هذا الماء الرباني، ولذلك شبّه الله تعالى الوحي بالماء فقال:

﴿وَيُنَزِّلَ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ (الأنفال:12)

والمقصود من كلمة "فشل" هو الجبن والخيبة والخسران والضعف الذي يأتي من الشيطان، ومن المعروف أن أولئك الذين يُعادون الأنبياء والخلفاء والصلحاء لا يُصيبهم إلا الضعف والخسران نتيجة للجبن والخيبة التي تنالهم من الله تعالى الذي قال:

﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (الأنفال:13)

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء:77)

﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ (النساء:120)

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "يا قمر يا شمس"؟

الردّ:

جاء ذكر هذا الوحي في (الخزائن الروحانية: ج20 - كتاب: التجليات الإلهية، ص 397)، وقد شرحه المسيح الموعود عليه السلام نفسه، فقال تعريبا من اللغة الأردية:

"... سمّاني الله تعالى في هذا الوحي مرّة قمرًا، وسمّى نفسه شمسًا، والمراد منه أنه كما يكون نور القمر مستفاضا من الشمس، كذلك فإن نوري مستفاض من الله تعالى. ثم سمّاني الله مرة ثانية شمسا وسمّى نفسه قمرًا، والمراد منه أنه يُظهر ضياء جلاله بواسطتي، وإنه كان مخفيا وسيُعرف الآن على يدي، والدنيا كانت في غفلة عن تجلّيه، ولكن تجلّياته الجلالية سوف تنتشر الآن بواسطتي في كل طرف من أطراف العالم."

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "إنك أنت الْمُجاز"؟

الردّ:

كان السيد "محمد علي خان" رضي الله عنه من أكابر عظماء القوم في المنطقة التي يسكن فيها، حتى أنه كان بمنزلة ملك في منطقة ماليركوتله في البنجاب بالهند. وقد شرّفه الله تعالى إلى أن صار من أصحاب المسيح الموعود عليه السلام. ثم نال بعد ذلك شرفا أكبر حين تزوج من ابنة المسيح الموعود عليه السلام؛ السيدة مباركة بيغم. وكان محمد علي خان قد سبق له الزواج، وكان له ابن من زوجته الأولى اسمه عبد الرحيم خان. وفي سنة 1903م مرض عبد الرحيم وأصابته حمّى خطيرة جدا، وظل يُعاني من الحمّى 14 يومًا. وأصابه هزال شديد وبدأ يغيب عن الوعي لفترات متطاولة.

كان المسيح الموعود عليه السلام يدعو الله تعالى لشفاء عبد الرحيم خان، ولكن في يوم 25-10-1903 جاء والده إلى المسيح الموعود وأخبره أن حالته قد ساءت وتدهورت للغاية، حتى أن حياته قد أصبحت في خطر، فراح المسيح الموعود عليه السلام يبتهل إلى الله ويدعوه في صلاة التهجد لشفاء عبد الرحيم. وبعد برهة تلقى وحيا باللغة الأردية تعريبه: "هذا قدرٌ مبرم، وإن الهلاك أصبح مقدرًا".

ويصف المسيح الموعود عليه السلام مشاعره بعد أن تلقى هذا الوحي من الله تعالى فيقول: "خيّم عليّ الحزن العميق، وخرج من لساني: يا إلهي؛ إذا كان هذا ليس وقت الدعاء، فهنالك وقت الشفاعة، وإني أشفع له عندك، وسرعان ما نزل عليّ الوحي: (يُسبح له من في السماوات ومن في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه).

ويستطرد المسيح الموعود عليه السلام فيقول: "رجف بدني من هذا الوحي الجلالي، وغمرني خوف وهيبة شديدة لأني طلبتُ له الشفاعة بدون إذن الله تعالى، ولكن بعد دقيقتين نزل علي الوحي: (إنك أنت الْمُجَاز). وبهذا أذِنَ الله تعالى للمسيح الموعود عليه السلام أن يشفع عنده لعبد الرحيم. وبعد الشفاعة سرعان ما بدأ التحسن يبدو على صحة عبد الرحيم، وعادت صحته إلى طبيعتها، وقد عاش عبد الرحيم بعد تحقيق هذه المعجزة 72 عاما.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "يا وليّ الله كنت لا أعرفك"؟ ألا ينسب ذلك إلى الله الجهل؟

الردّ:

قال المسيح الموعود عليه السلام: رأيت في الكشف أن الأرض تقول لي: "يا وليّ الله كنتُ لا أعرفك" (التذكرة، ص 299)، "يا نبي الله كنتُ لا أعرفك" (التذكرة، ص 595).

وهذا الكشف لا يحتاج لأي شرح أو تفسير طويل، ومفهومه واضح جدا، فالمقصود من الأرض أهلها وسُكّانها. فهم لم يُصدّقوه في البداية ولم يؤمنوا به، وأغلبهم ما كانوا يعرفونه. ولكن رويدا رويدا يتحوّل هذا الوضع ويتغيّر، ويبدأ الناس يسمعون به وبدعوته على نطاق واسع، ويُصدّقونه ويؤمنون به، فكأن المرء يقول: يا وليّ الله كنت لا أعرفك، يا نبي الله كنت لا أعرفك. وهذا الوحي يتضمن نبأً غيبيًا عن انتشار دعوة الإسلام الصحيح التي تنادي بها الجماعة الإسلامية الأحمدية في ربوع العالم أجمع.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "إني سأخبره في آخر الوقت أنك لست على الحق"؟ ألا يعني أنه ينسب إلى الله تعالى الظلم؟

الردّ:

ذكر المسيح الموعود عليه السلام أن هذا الوحي قد تلقّاه من الله تعالى في رجل من أعدائه فقال:

"هذا ما أوحى إليّ ربي في رجل خالفني وكفّرني وهو من علماء الهند؛ المسمّى بأبي سعيد محمد حسين البطالوي" (الاستفتاء، ص74، الحاشية)

ومن المعلوم أن محمد حسين البطالوي كان من أصدقاء المسيح الموعود عليه السلام قبل أن يُعلن أن الله تعالى قد بعثه مجددا ثم جعله المسيح الموعود لهذه الأمة. وكان في أول الأمر من أشد المتحمّسين له، حتى أنه أثنى على كتابه "البراهين الأحمدية" ثناء طيبا وقرّظه في الصحيفة التي كان يصدرها وهي "إشاعة السُنّة"، وهو الذي شهد أيضا بأن مؤلف كتاب البراهين رجل صدوق وتقي وورع،

وأنه لم يتصدَّ لخدمة الإسلام والدفاع عنه أحد كما فعل هو. ولكن الأمور بدأت تتحوّل حين أعلن المسيح الموعود عليه السلام عند منتصف العقد الثامن من القرن التاسع عشر بأن الله تعالى قد بعثه مجددا على رأس القرن الرابع عشر الهجري. هنا بدأت نيران الحسد تأكل قلب الشيخ البطالوي، خاصة بعد الصيت الواسع الذي ناله المسيح الموعود عليه السلام بعد نشر كتابه العظيم "البراهين الأحمدية"، واكتسابه احترام وتقدير جميع العلماء من المسلمين. وظن الشيخ البطالوي أن المسيح الموعود عليه السلام كان يبتغي بإعلانه هذا الحصول على المزيد من المريدين ونوال الكسب المادّي، فأزله الشيطان وأعماه عن رؤية الحق، فتحوّل ليكون في مصاف أعدائه ومعارضيه. وراح يجول في الهند ويجمع من العلماء فتاوى التكفير ضد المسيح الموعود عليه السلام وضد جماعته التي أمره الله تعالى بإنشائها في آخر العقد الثامن من القرن التاسع عشر (1889م).

أيها القارئ الكريم! انظر كيف تحقق النبأ المذكور في وحي المسيح الموعود عليه السلام.. إذ اعترف الشيخ محمد حسين في أواخر حياته في محكمة "وزير آباد" في محافظة كوجرانواله أمام القاضي "لالا ديو كي نَنْدَن" وقال وهو يذكر بعض الفرق الإسلامية: " منذ فترة يسيرة، عندما أعلن ميرزا غلام أحمد القادياني أنه المسيح والمهدي ظهرت فرقة أخرى، وهي الفرقة الأحمدية.. وتؤمن هذه الفرقة بالقرآن والحديث كذلك........وإن فرقتنا لا تكفِّر أيَّ واحدة من الفرق المذكورة أعلاه" (تاريخ الأحمدية: ج3، ص301 نقلا عن جريدة بيغام صلح، 15-2-1913)

فانظروا.. هذا هو الرجل الذي قضى طوال حياته في تكفير الجماعة الإسلامية الأحمدية وتكذيب مؤسسها عليه السلام، ولكنه يعترف بنفسه أمام المحكمة بأن هذه الجماعة هي جماعة إسلامية، وقوله هذا شاهد على تحوّل قلبه، وشعوره بخطئه في آخر أيام حياته، كما أنه يشهد أيضا على تحقق إلهام المسيح الموعود عليه السلام بكل وضوح. وقد تحقق بذلك وحي آخر تلقاه المسيح الموعود عليه السلام عن "محمد حسين" جاء فيه: "هذا الرجل يؤمن بإيماني قبل موته".. أي يؤمن بأنني مؤمن ولست كافرا، أي يحكم بعدم كفري قبل موته.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "إني مع الأفواج آتيك بغتة، إني مع الرسول أجيب، أخطي وأصيب"؟ هل يجوز أن يُنسب الخطأ إلى الله تعالى؟

الردّ:

المقصود من هذا الوحي أن الله سبحانه وتعالى سوف يؤيد المسيح الموعود عليه السلام، وأنه سوف ينصره بالأفواج السماوية التي تأتي لنصرته، وأن هذه النصرة سوف تأتي بغتة وتُفاجئ أعداءه ومعارضيه، تماما كما

يؤيد الله ﷻ أنبياءه ورسله وينصرهم على أعدائهم في الوقت الذي يظن فيه هؤلاء أنهم قد نجحوا في محاصرة الدعوة الجديدة للقضاء عليها.

والمقصود من كلمة "أخطي" التي أصلها كلمة "أخطئ" هو أن الله تعالى لا ينفذ عقابه على الناس، بل يُمهلهم ويمدّ لهم، فكأن قدره وعذابه وعقابه أخطأهم، بمعنى أنه لم يصبهم. وتعني كلمة "أصيب" أنه تعالى ينفذ حكمه وإرادته، ويقضي بتنفيذ عقابه وظهور جلاله وتجلّي جبروته على الناس.

وقد شرح المسيح الموعود عليه السلام هذا الإلهام فقال: "سبحانه وتعالى من أن يخطي، فقوله أخطي قد ورد على سبيل الاستعارة كمثل لفظ التردد المنسوب إلى الله تعالى في الأحاديث" (الخزائن الروحانية: ج22-كتاب حقيقة الوحي، ص714). ومن المعروف أنه قد ورد في الحديث القدسي الشريف قوله تعالى: "وما ترددتُ عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن" (البخاري؛ كتاب الرقاق، باب التواضع). وفي هذا الحديث يقول تعالى أنه يتردد في قبض روح المؤمن، ولكن هذا القول وارد بأسلوب الاستعارة؛ إذ تعالى الله عن أن يأخذه التردد وكأنه لا يعرف ماذا يريد أن يفعل، كشأن الإنسان الذي يتردد في فعل أمر لأنه لا يأمن عواقبه ولا يدري نتائجه.

كذلك فقد ورد نفس أسلوب استعمال الاستعارة في القرآن الكريم، إذ نسب الله تعالى لنفسه النسيان حيث قال:

﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ (الأعراف:52)

وبالطبع فإن كلمة ﴿نَنْسَاهُمْ﴾ في هذه الآية لا تؤخذ بحرفيتها، وإنما هي استعارة تفيد بأن الله تعالى سوف يتجاهلهم، كما تجاهلوا هم لقاء ذلك اليوم. فالله تعالى منزّه عن النسيان والتردد والخطأ، ولكنها كلها كلمات ذكرت على سبيل الاستعارة ولا اعتراض عليها.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام "إني مع الرسول أقوم، ومن يلومه ألوم، أفطر وأصوم"؟

الردّ:

أراد الله ﷻ من هذا الإلهام أن يؤكد للمسيح الموعود عليه السلام أنه معه، ويقوم معه ضد أعدائه، وينصره على من يخالفه، ويلوم ويعاقب من يلومه. ثم قال: "أفطر وأصوم"، وقد شرح المسيح الموعود عليه السلام بنفسه هذا الإلهام كما يلي:

"... ومن البديهي أن الله ﷻ مُنزّه عن الصوم والإفطار، وهذه الكلمات لم تُنسب إليه حرفيا على ظاهرها، بل استُعمِلت على سبيل الاستعارة، ومقصدها أن الله هو القهّار والجبّار، وأنه

أحيانا يُنزل قهره على الناس، وأحيانا يمهلهم إمهالا (للتوبة)..... ومثل هذه الكلمات وردت في الحديث القدسي أيضا...". (حقيقة الوحي، ص104)

والحديث القدسي الذي أشار إليه المسيح الموعود الطّيّلا هو: قال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضتُ فلم تعُدني. قال: يا رب! كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين. قال: أما علمتَ أن عبدي فلانًا مرض فلم تعُده. أما علمتَ أنك لو عُدْتَه لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم! استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب! وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين. قال: أما علمتَ أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمتَ أنكَ لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي؟ يا ابن آدم! استسقيتك فلم تُسقني. قال: يا رب! كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين. قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه. أما إنك لو سقيته وجدتَ ذلك عندي". (مسلم، كتاب البر والصلة)

وفي هذا الحديث القدسي ذكر الله سبحانه ثلاث كلمات هي: "مرضتُ"، "استطعمتك"، "استسقيتك". ولكن من الواضح أن استعمال هذه الكلمات قد جاء على سبيل الاستعارة، فتعالى الله عن أن يصيبه المرض أو الجوع أو العطش. وكذلك في الوحي الذي نحن بصدده.. إن الله لا يفطر ولا يصوم بالمعنى الحرفي، ولكن هذه أيضا استعارة؛ وذلك كما يُقال أن النار تأكل الكافرين، وهي لا تأكلهم بالمعنى الحرفي ولكن يصيبهم عذاب النار في جهنم. وفي هذا الوحي يقول سبحانه أنه يصيب بعقابه الكافرين فكأنه يفطر بهم، وأحيانا يؤخر وقوع عقابه فكأنه يصوم عنهم. وفي الأمثلة الشائعة: "أفطر به قبل أن يتغدّى بي"، أي أعاجله باتخاذ الإجراء الحاسم ضده قبل أن يتخذه هو ضدي.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "إني آتي سرّا كالسارقين "؟

الردّ:

في عام 1324هـ الموافق 1906م ألّف المسيح الموعود الطّيّلا كتابه: "تجليات إلهية" باللغة الأردية. وذكر في ذلك الكتاب الوحي الذي تلقاه من الله ﷻ عن وقوع خمسة زلازل عظمى. وكانت كلمات ذلك الوحي هي: "أُري بريق آياتي هذه خمس مرات" (الخزائن الروحانية: ج20- كتاب: تجليات إلهية، ص404)، ثم أضاف قائلا ما تعريبه:

"... وتفسير هذا الوحي أن خمس زلازل عظيمة ومُهينة لتحدثن بين حين وآخر لإثبات صدق هذا العاجز فقط..... وإن كل زلزلة من هذه الزلازل لها بريق يتراءى الله برؤيته، وتجعل أفئدة

الناس هواء، وإنها ستكون خارقة للعادة من حيث قوتها وشدتها وأضرارها، وتطير حواس البشر بمشاهدتها..... يا أيها السامعون! اسمعوا كلكم أجمعون.. إن هذه الأنباء إن ظهرت بشكل طبيعي فاعلموا أني لست من عند الله، ولكن إن قُلب العالم رأسا على عقب عند ظهورها، وجعلت الناس كالمجانين بسبب شدة القلق والاضطراب، وأصابت الأضرار البنايات والنفوس في أطراف كثيرة، فاتقوا الله الذي أظهر هذه الآيات كلها..... إلى أين يفر الإنسان من ذلك الرب القدير الذي بيده كل شيء حتى الذرّات، إنه يقول: (مين جورون كى طرح بوشيده آؤنكا) ومعناه (إني آتي سرّا كالسارقين". (المرجع السابق)

ومن المعلوم أن كلمات هذا الوحي قد جاءت في اللغة الأردية، وفي تلك اللغة يُضرب المثل بالرجل أو بالشيء الذي يأتي سرا وخفية؛ فيقال بأنه جاء خفية كالسارق (جورون كى طرح)، ويدل هذا المثل على غاية الإسرار والكتمان. ولتوضيح نفس المفهوم ضُرب هذا المثل في الإلهام المذكور، وقد أوضح المسيح الموعود عليه السلام أمر الإسرار والكتمان فقال:

"... أي لا يُخبر عن ذلك الوقت أي كاهن أو مُلهم أو حالم، سوى ذلك القدر من الخبر الذي أُعطَى لمسيحه الموعود ولن يزيد عليه شيئا في المستقبل".

وأمّا أولئك الذين ينتقدون ويعارضون ويعترضون على استخدام كلمة ما على سبيل الاستعارة في حق الله تعالى، فإننا نقول لهم بأن عليهم أن يفهموا الكلمات حسب استخدامها في اللغة التي جاءت فيها، فلا يكونوا كبعض الهندوس الذين يعلمون أن كلمة "مكر" في اللغة الأردية تعني الغش والخداع، ويعترضون بذلك على الكلمة العربية التي جاءت في حق الله تعالى في قوله: ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران:55)، والآية: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة:16)، فيزعمون لجهلهم أن إله المسلمين ليس ماكرا فحسب بل هو – والعياذ بالله- أكبر الغشاشين والمخادعين وأنه – والعياذ بالله- يستهزئ ويسخر من الناس. بينما معنى المكر في العربية هو التدبير؛ حسنه وسيئه. ومعنى الآيات أن الله يرد عليهم مكرهم السيئ ويجعل عاقبته عليهم، كما يرد عليهم استهزاءهم، وهذا من باب المشاكلة؛ أي أن تكون العاقبة على شاكلة الفعل.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "نحمدك، ونصلي، صلاة العرش إلى الفرش، يحمدك الله، ويمشي إليك"؟

الردّ:

إن كل مؤمن مسلم يعتقد اعتقادا راسخا بأن الحمد الحقيقي هو لله جل جلاله، ومن أجل ذلك قال المسيح الموعود عليه السلام باللغة العربية مؤكدا على هذه الحقيقة:

"... ولا يتحقق حقيقة الحمد كما هو حقها إلا للذي هو مبدأ لجميع الفيوض والأنوار، ومحسنٌ على وجه البصيرة لا من غير الشعور ولا من الاضطرار، فلا يوجد هذا المعنى إلاّ في الله الخبير البصير، وإنه هو المحسن ومنه المنن كلها في الأول والأخير، وله الحمد في هذه الدار وتلك الدار، وإليه يرجع كل حمد يُنسَب إلى الأغيار..." (الخزائن الروحانية: ج18-كتاب: إعجاز المسيح، ص120).

وقبل أن نشرح الجزء الأول من الإلهام المذكور، نلفت انتباه القارئ الكريم إلى معنى "الحمد" كما ورد في معجم لسان العرب:

"حَمَدَ": الحمد نقيض الذمّ، ويُقال حَمَدْتُه على فعله، ومنه المحمَدَة خلاف المذمّة.

وحسب هذا المعنى الذي يُقال فيه "حَمَدْتُه على فعله" فإن الله ﷻ حمد عبده المبعوث من قِبَلِه إماما مهديّا ومسيحا موعودًا، لأنه أدّى تلك المسؤولية التي وُضعت على كاهله. وأوضح الله ﷻ أن أعداءه يذمّونه ويحاولون أن يهينوه، ولكن الله ﷻ يحمده ويمدحه. وأوضح المسيح الموعود عليه السلام أن هذا المدح والحمد لا يختص به فحسب، بل يناله كل عبد مخلص إذا قام بأعمال صالحة تؤهله إلى أن يكون موضع حمد الله ومحل مدحه وثنائه، فيقول:

"... عند ذلك يكون العبد المخلص في العمل محبوبا في الحضرة، فإن الله يحمده من عرشه" (المرجع السابق، ص107)

ونحن نعتقد أن المقام الأعلى والأسمى في الحمد قد ناله أعلى الخلق وأسماهم مقاما وهو سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ولم يحصل على ذلك المقام.. ولن يحصل عليه.. أحد غيره، حيث قال له الله عز وجل:

﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء:80)

وجاء في الجزء الثاني من الإلهام: "نصلي صلاة العرش إلى الفرش". وقد قال الله تعالى:

﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب:42-44)

﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:57)

فإذا كان الله تعالى وملائكته يصلون على المؤمنين الصالحين كما يصلون على النبي، فما وجه الغرابة أن يصلي الله على عبده المسيح الموعود؟

لقد جاء في لسان العرب: "فالصلاة من الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة. قال أبو بكر: الصلوات معناها الترحم، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أي يترحّمون". (لسان العرب: تحت كلمة "صلا" ج14، ص465)

وهذا هو نفس الأسلوب الذي استُعمِلَ في الإلهام المذكور حينما قال الله ﷻ مخاطبا المسيح الموعود عليه السلام: "نصلي صلاة العرش إلى الفرش"، أي أنه تعالى ينزل عليه رحمته من عرشه عز وجل إلى الأرض، وأنه بقدرته يجعل كل شيء فيها على قدم الاستعداد لتحقيق الهدف السامي من بعثته، فتظهر الآيات الدالة على صدقه من السماء، وتظهر المعجزات من الأرض شاهدة على حقيقة أمره. فما هو وجه الاعتراض على هذا الأسلوب عند من آتاه الله شيئا من العقل والتدبر؟

إن كلمة "الفرش" هنا، تعني الأرض؛ يقال: "افترش الأرض والتحف بالسماء" لمن نام على الأرض بغير غطاء، وقد قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾ (البقرة:23)، فالفرش الأرض.

أما إلهام: "ويمشي إليك"، فيُفهم من خلال الحديث القدسي:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرّب إليّ بشبر تقرّبتُ إليه ذراعا، وإن تقرّب إليّ ذراعا تقرّبتُ إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة". (البخاري)

ويتضح من هذا الحديث أن الله تعالى لا يمشي فحسب إلى عباده المؤمنين الصالحين، بل يأتيهم هرولة، وما جاء في إلهام المسيح الموعود عليه السلام إنما هو على نمط ما قيل في هذا الحديث القدسي الشريف، ولا محل للاعتراض عند ذوي العقول والبصائر.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "إنما أمرك إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون"؟

الردّ:

هذا الإلهام يحمل البشرى بنصر الله تعالى وتأييده لعبده المسيح الموعود عليه السلام. إذ جاء هذا الوحي ضمن كلمات أخرى تشير إلى وقوع بعض المحن، ثم علّمه الله تعالى دعاء لكي يُفرّج سبحانه هذه المحن، ثم وعده بأنه تبارك وتعالى سوف يستجيب أدعيته وتضرعاته، ويحقق مأربه ومقصده، لأنه هو القوي القدير الذي إذا أراد شيئا فيقول له كن فيكون. فجاء في الإلهام المذكور:

"... إني صادق إني صادق ويشهد الله لي.... ضاقت الأرضُ بما رحُبَت، ربّ إني مغلوب فانتصر فسحّقهم تسحيقا.... إنما أمرك إذا أردتَ شيئا أن تقول له كن فيكون..." (التذكرة، ص 661)

إن هذه الكلمات: "إنما أمرك إذا أردتَ شيئا أن تقول له كن فيكون" ليست سوى استكمالا للجملة التي تسبقها وهي "إني مغلوب فانتصر"، وهي على لسان المسيح الموعود عليه السلام، وهذا هو الأسلوب الإلهي في تعليم عباده كيفية الدعاء، وقد ورد مثيله في القرآن المجيد في عدة مواضع. بل ورد دعاء ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ في سورة الفاتحة مباشرة بعد تعديد صفات الله تعالى، فهل معنى هذه الآية أن الله تعالى يقول لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم إنني أعبدك وأستعين بك؟ كلا، بل هو خطاب من النبي صلى الله عليه وسلم ومن كل مسلم إلى الله تعالى. وهذا كهذا،

يقول المسيح الموعود عليه السلام ما تعريبه:

"لقد شاهدتُ ملكوت الله في الأرض، ليس لمرة واحدة بل لمرات عديدة، حتى أني لم أر بدّا من الإيمان بآية الله هذه ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، أي أن ملكوت الله في الأرض أيضا كما هو في السماء كذلك، وبالآية ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي أن الأرض والسماوات جميعا رهينة لطاعته، فإذا أراد أمرا؛ يقول له كن، فيكون لساعته. ويقول سبحانه ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾" (سفينة نوح، ص49-50)

لقد نقلنا هذا النص حتى لا يخطر ببال أحد أن المسيح الموعود عليه السلام لم يفهم من الوحي أنه صار إلهًا، والعياذ بالله.

ويجب أيضا ألاّ ننسى أن غاية خلق الإنسان هي معرفة الله وعبادته وطاعة أمره، والعبادة الحقيقية هي أن يفنى الإنسان في طاعة ربه ومولاه، بمعنى أن إرادة الإنسان تفنى ولا تبقى لديه سوى إرادة رب العالمين، فلا يبتغي شيئا إلا إذا شاءه ربه، ولا يريد أمرا إلاّ إذا أراد محبوبه، وعلى ذلك يكون كل ما يصدر عن ذلك العبد الرباني هو ما يصدر عن الله تعالى، وقد عبر الله تعالى عن ذلك في حديث قدسي سبق ذكره، وفيه يقول تعالى بأنه سبحانه يصير عين العبد المؤمن التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ومن هذا المنطلق قال السيد عبد القادر الجيلاني في كتاب فتوح الغيب، رقم المقالة 113:

"قال الله في بعض كتبه: يا ابن آدم؛ أنا الله لا إله إلاّ أنا، أقول للشيء كن فيكون، أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".

هذه هي صفات العبد الرباني الذي يتخلق بأخلاق الله عز وجل، فليس من المستغرب إذن أن تكون كلمات هذا الإلهام الذي نحن بصدده: "إنما أمرك إذا أردت شيئا أن تقول له كن فيكون"

موجّهة من الله تعالى إلى عبده المسيح الموعود ؑ، ولكنها في هذه الحالة لا تعني أنه- والعياذ بالله- قد صار إلها أو مثيلا لله، وإنما تعني أنه قد تخلق بأخلاق الله، وصار عبدا ربانيا، وفنت إرادته ولم تعد له إرادة سوى إرادة رب العالمين.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "لولاك لما خلقتُ الأفلاك"؟

الردّ:

قبل أن نشرح الوحي المذكور، علينا أن نفهم أولا ما هو المقصود من الأفلاك أو السماوات. يقول المسيح الموعود ؑ تعريبا من اللغة الأردية:

"السماوات الجديدة هي آيات تتجلى بإذنه على يد عبده". (سفينة نوح)

ويتضح بذلك أن الأفلاك والسماوات هي تلك الآيات السماوية التي ظهرت لإثبات صدق المسيح الموعود ؑ. وعلى سبيل المثال نذكر أن سيدنا محمدا ﷺ قد سبق وأخبرنا: "إن لمهدينا آيتين، لم تكونا منذ خلْق السماوات والأرض، ينكسف القمر لأوّل ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه" (سنن الدارقطني؛ باب صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما). وقد تحقق صدق تلك الأنباء التي أخبر عنها رسول الله ﷺ باعتبارها آيات تشهد من السماء على صدق الإمام المهدي ؑ. وقد وقعت كلها في شهر رمضان المبارك وهي كما يلي:

1. خسوف القمر – المرة الأولى – في سنة 1311هـ - 1894م في الهند
2. كسوف الشمس – المرة الأولى – في سنة 1311هـ - 1894م في الهند
3. خسوف القمر – المرة الثانية – في سنة 1312هـ - 1895م في أمريكا
4. كسوف الشمس – المرة الثانية – في سنة 1312هـ - 1895م في أمريكا

وبعد ظهور الآيات المذكورة في الأفلاك الشرقية والغربية، أنزل الله ﷻ وحيه القائل: "لولاك لما خلقت الأفلاك"، وكأن الله تعالى يُبكّت أولئك المكذّبين والمخالفين الذين لم يؤمنوا بالمسيح الموعود ؑ، فيقول لهم أنه لو لم يكن المسيح الموعود ؑ مبعوثا من قِبَلِ الله تعالى لما خلق الله تلك الأفلاك التي تجلّت فيها الآيات السماوية المذكورة، والتي رآها الناس بأعينهم في الشرق وفي الغرب، والتي لم تقع- هذه الظواهر الفلكية- كآيات لتصديق أحد من المبعوثين من قبل.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "كأن الله نزل من السماء "؟

الردّ:

هذا الوحي كان بشرى من الله ﷻ للمسيح الموعود عليه السلام، وكان يتعلق بولادة غلام له، فقال سبحانه: "إنّا نبشرك بغلام مظهر الحق والعلا، كأن الله نزل من السماء" (التذكرة، ص 281). وكانت هذه البشارة طبق السُّنّة الإلهية، كما ورد في القرآن المجيد أن الله تعالى بشّر بعض عباده بولادة أبناء لهم، فقال أنه قد بشّر إبراهيم بولادة إسماعيل عليهما السلام: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات:102)، وبشّره أيضا بولادة إسحاق حيث قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ (الصافات:113)، وبشّر الله تعالى زكريا بولادة يحيى عليهما السلام فقال: ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ (آل عمران:40)، وكذلك بشر الله تعالى السيدة مريم بولادة المسيح عليهما السلام: ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عيسى بن مريم﴾ (آل عمران:46).

إن الله سبحانه يُظهر جلاله بطرق شتى وبأساليب مختلفة، ولذلك فإنه يُظهر جلاله وجماله بواسطة الأنبياء والمرسلين والخلفاء والمجددين والأولياء والصالحين، وقد ورد في تفسير ابن عباس: "كنتُ كنزا مخفيّا فأحببتُ أن أُعْرَفَ فخلقتُ خلقًا". فما وجه الغرابة والاستنكار أن يبشّر الله ﷻ عبده الإمام المهدي عليه السلام بغلام يكون مظهر الحق والعلا؟ وما وجه الغرابة والاستنكار أن يوصف مجيء هذا الغلام كأن الله نزل من السماء؟

إن المعترضين لا يفهمون معنى قوله تعالى: "كأن الله نزل من السماء"، فيزعمون أن هذا يحط من شأن الله تعالى والعياذ بالله، مع أن رسول الله ﷺ قد أخبرنا عن نزول الله من السماء العليا إلى السماء الدنيا، وذلك في الحديث: "عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يتنزّل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخِر". (البخاري؛ كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل)

ويظن بعض المعترضين بأن الله تعالى يغادر عرشه وينزل بالفعل إلى السماء الدنيا في الجزء الأخير من الليل، ولعلهم لجهلهم لا يعلمون أنه في كل لحظة من لحظات اليوم الذي يتكوّن من 24 ساعة، يكون الجزء الأخير من الليل في منطقة من المناطق في هذه الدنيا التي نعيش فيها، وبالتالي إذا أخذنا بهذا الفهم السقيم، فإن الله يبقى دائما في السماء الدنيا في الجزء الذي يكون قد حلّ عليه الثلث الأخير من الليل.

إن نزول الله من السماء يعني أنه يكون أقرب إلى العبد الذي ينهض من فراشه في الثلث الأخير من الليل ويدعو ربه ويناجي خالقه، ولا يعني نزول الله إلى السماء الدنيا أنه ينتقل فعلا كما ينتقل البشر من مكان إلى مكان، وعلى ذلك فحين يوصف ذلك الغلام المبارك بأن مجيئه يكون كأن الله نزل من السماء، فإن هذا يعني أن هذا الغلام سيكون الوسيلة لتقريب الناس إلى الله

تعالى وهدايتهم إليه، وبذلك فإنه سيكون "المصلح الموعود" الذي يهبه الله تعالى قوة ربّانية وقدرة روحانية، فيكون سببا لهداية الكثير من خلق الله.

وقد وُلِد ذلك الغلام المبارك بتاريخ 10 جمادى الأولى 1306هـ الموافق 12-1-1889م، وكان متصفا بجميع الأوصاف والصفات المذكورة في الوحي الذي تلقاه عنه المسيح الموعود ﵇، وأصبح بذلك برهانا على صدقه. بل إنه أصبح برهانا على عظمة الله تبارك وتعالى وصدق رسوله الأكرم سيدنا محمد المصطفى ﷺ، وذلك لأن أعداء الإسلام طلبوا من المسيح الموعود ﵇ آية تدل على صدق محمد ﷺ وعلى صدق دين الإسلام وتكون برهانا على أن الإله الذي يعبده المسلمون هو إله حي قيوم يتكلم ويستجيب أدعيتهم. فالحمد لله أنه سبحانه قد أراهم هذه المعجزة العظيمة التي ظلت مشرقة في سماء العالم، ونوّرت الدنيا على مدى 75 عاما، بل وما زالت الجماعة الإسلامية الأحمدية تستفيد من العلم الرباني الذي تركه ذلك الغلام المبارك، ومن الأنظمة والمشروعات التي أقامها، والتي ستظل ثمارها تجود بخيرها إلى يوم القيامة إن شاء الله. نعم، إنه بشير الدين محمود أحمد؛ الخليفة الثاني للمسيح الموعود ﵇.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "اصطفيتك على العالمين"؟

الردّ:

إن الله تعالى اصطفى الكثير من الناس كما ورد ذلك في الكتاب العزيز إذ يقول سبحانه:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَاهِيمَ وَءَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران:34)

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (طه:14)

﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (طه:41-42)

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 43)

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة:123)

إن الله سبحانه فضّل بني إسرائيل على العالمين في عصرهم، واصطفى مريم على نساء العالمين في عصرها، وكذلك اصطفى المسيح الموعود ﵇ على العالمين في العصر الحاضر. إذا فضل الله رجالا ونساء من بني إسرائيل على العالمين فلا يعترض أحد، ولكن إذا قيل أن الله تعالى بخالص فضله ورحمته اصطفى على العالمين رجلا من خدام سيدنا محمد ﷺ، رفع الجميع عقيرتهم بالاعتراض والاستنكار!!

إن الله تعالى إذا شاء أن يبعث رجلا من الأمة الإسلامية ويجعله مثيلا لعيسى بن مريم الذي اتخذه المسيحيون هو وأمه إلهين من دون الله، فهذا شأن الله ﷻ، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، وهو حين يصطفي أحدا ويبعثه للناس رسولا فهذا من خواص شأنه، فهو الذي يقول:
﴿ اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج:76)
ويقول أيضا في القرآن المجيد: ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام:125)
وعلى هذا فإن الله ليس بحاجة إلى مشورة أهل العصر، فهو يعلم أين يجعل رسالته، ويعلم مَن مِن عباده هو الأولى والأكفأ لتحمل هذه المسؤولية. وبسبب عدم فهم هذه النقطة، قال بنو إسرائيل بأنه من المستحيل أن يصطفي الله ﷻ رجلا ويجعله نبيا من غير بني إسرائيل، ولهذا رفضوا الإيمان بأعظم الرسل ﷺ. وحين جاء سيدنا عيسى عليه السلام أثار أعداؤه نفس هذا الاعتراض، وليس من المستغرب أن يثير أعداء مسيح آخر الزمان نفس الاعتراض، ولذلك فقد كتب المسيح الموعود عليه السلام عن هذا الإلهام وقال ما تعريبه:
"... إن الله سبحانه أخبرني قائلا: أنا فضّلتك على جميع الناس الذين كانوا في عصرك" (الخزائن الروحانية: ج17، ص364).

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "الأرض والسماء معك كما هو معي"؟

الردّ:

تلقى المسيح الموعود عليه السلام حوالي عام 1883م وحيا من الله تعالى ورد فيه: "الأرض والسماء معك كما هو معي".
وقد شرح حضرته الوحي المذكور فقال ما تعريبه من اللغة الأردية:
1: يعود ضمير "هو" إلى المخلوق (فلأجل ذلك استُعمِل ضمير المذكر الغائب هو) (الخزائن الروحانية: ج12 -كتاب سراج منير ص81)
2: تدل هذه الكلمات على حب الله ﷻ وبركاته التي أنعم بها عليّ، ويمكن أن يحصل على هذه البركات كل مؤمن بفضل اتّباع خير الرسل محمد المصطفى ﷺ (الخزائن الروحانية: ج1، البراهين الأحمدية ج4، ص581)
3: في هذا الإلهام إشارة إلى أن أهل الأرض يقبلونك (أي يؤمنون بك) في المستقبل، وستؤيّدك الملائكة السماوية. وقد تحقق هذا النبأ في العصر الحاضر (المرجع السابق ص61)

وكما أسلفنا القول.. تلقى المسيح الموعود ﷺ هذا الوحي حوالي عام 1883م، ولم تكن معه في ذلك الوقت جماعة ولا عصبة، بل كان وحيدا؛ شأنه في ذلك شأن غيره من الناس. ولكن الله تعالى بخالص فضله أخبره بأن أمورا سوف تحدث في المستقبل، وأن أهل الأرض سوف يؤمنون به وسوف يقبلونه، وأن ملائكة الله سوف يؤيدونه من السماء. وقد تحقق هذا النبأ أثناء حياته الشريفة كوضوح الشمس، حيث آمن به مئات الألوف من أهل الأرض، وأيده الله تعالى بنصره على أعدائه، وفوّزه في مرامه، وحفظته ملائكة الرحمن من كل سوء ومن كل شر أراده له مخالفوه ومعارضوه، إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى. وما زال هذا النبأ يتحقق باستمرار، من خلال الانتصار والتقدم الذي تحرزه جماعته المباركة، ومن خلال الحفاظة والحماية التي يكلؤه بها الله تعالى عن طريق الملائكة، حتى أن كل ما حاكه أعداؤها من مؤامرات للقضاء عليها قد باء بالفشل الذريع، فوصلت الدعوة المباركة إلى أكناف العالم، وآمن بها الملايين من أهل الأرض.

الوجه الثاني:

لا يغيب عن البال أن استعمال الحرف "مع" يدل على المعية والمصاحبة أيضا، وقد قال تعالى في القرآن المجيد:

﴿وهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد:5)

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ (المائدة:13)

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:195)

﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة:154)

وتشير نصوص القرآن المجيد إلى أن الله كان مع بني إسرائيل، وهو مع المتقين والصابرين، فهل من المعقول أن خلقه- أهل الأرض والسماء - لا يكونون هم أيضا مع المتقين.. يؤيدونهم ويمهدون طريقا لتقدمهم وازدهارهم؟ وإذا كان الله تعالى يؤكد في كتابه العزيز على أنه كان مع المؤمنين الصالحين من بني إسرائيل، فأي وجه للغرابة أن يكون مع عبده المسيح الموعود ﷺ؟ والأرض والسماء هما من خلق الله تعالى، فإذا كان الخالق معه، فكيف لا يكون خلقه أيضا معه؟

الوجه الثالث:

كان السيد عبد القادر الجيلاني من أجلّ علماء الأمة ومن أقطابها، وقد كتب عن المرتبة التي يمكن أن يصل إليها السالك في وصال ربه فقال:

"... فحينئذ تكون وارث كل رسول ونبي وصدّيق، بك تُختَم الولاية وإليك تصدر الأبدال، وبك تنكشف الكروب وبك تُسقى الغيوث وبك تنبت الزروع، وبك تُدفَع البلايا والمحن عن الخاص والعام وأهل الثغور والراعي والرعايا والأمة وسائر البرايا، فتكون شحنة البلاد والعباد..." (فتوح الغيب؛ المقالة رقم 4)

وقال أيضا: "... بهم ثبات الأرض والسماء، وقرار الموتى والأحياء، إذ جعلهم مليكهم أوتادا للأرض التي دحى، فكلٌّ كالجبل الذي رسا..." (فتوح الغيب؛ المقالة رقم 14)

ومن الواضح أن كلمات الوحي الذي نحن بصدده تشير إلى نفس ما أشار إليه السيد عبد القادر الجيلاني.

الوجه الرابع:

حين هلك فرعون وجنوده قال ﷻ عنهم في القرآن المجيد:

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان:30)

وورد في "فتح البيان" حديث للرسول ﷺ: "ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلاّ بكت عليه السماء والأرض...".

فإذا كانت الأرض والسماء تبكيان على المؤمن الذي يموت في غربة بعيدا عن أهله، فلماذا يُستغرَب أن تكون الأرض والسماء مع المسيح الموعود عليه السلام الذي بعثه الله تعالى إماما مهديا ومسيحا موعودا؟

كلمة أخيرة عن هذا الوحي

قد يتساءل البعض عن استعمال ضمير المذكر "هو" للدلالة عن الأرض والسماء بدلا من "هما". وقد أجاب المسيح الموعود عليه السلام على هذا السؤال وأوضح كما سبق ذكره أن الضمير "هو" يرجع إلى المخلوق، أي المخلوق الموجود في الأرض والسماء يكون معك كما هو معي، وهذا أسلوب عربي صحيح واستعمله القرآن المجيد في عدة مواضع كما يلي:

في قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة:62)

وهنا يبدو من السياق أن كلمة ﴿يُرْضُوهُ﴾ كان الأولى أن تكون "يرضوهما" لأنها تعود إلى الله ورسوله، ولكنها تعود إلى "صاحب الحق"، فاستعملت بصيغة المفرد.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة:46)

هنا أيضا يبدو أن الضمير ﴿وَإِنَّهَا﴾ كان من الأولى أي يُثَنَّى فيكون "وإنهما" حيث إنه يعود إلى الصبر والصلاة، ولكنه يعود إلى "العبادة"، فاستعمل بصيغة المفرد.

وقوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ (البقرة:260)

هنا كذلك يبدو أنه كان الأصل بكلمة ﴿ يَتَسَنَّهْ﴾ أن تكون في صيغة المثنى، ولكنها تعود إلى الغذاء الذي يحتوي على الطعام والشراب، فاستعملت بصيغة المفرد.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة:34)

هنا أيضا يبدو أن كلمة ﴿وَلاَ يُنْفِقُونَهَا﴾ كانت من الأولى أن تكون "ولا ينفقونهما" ولكنها تعود إلى الثروة، فاستعملت بصيغة المفرد.

ويتبين من كل هذه الأمثلة القرآنية سلامة هذا الأسلوب العربي، وهو يستعمل للدلالة على البلاغة التي يريد المتكلم أن يضمنها حديثه، فيشير إلى أمر محذوف بكلمة أو ضمير تدل عليه، ويترك للمستمع استنتاج ذلك المحذوف، وهو أسلوب من أساليب البلاغة. وقد اعترض بعض المشايخ من الهنود على هذا الأسلوب الذي جاء في وحي المسيح الموعود عليه السلام وذلك لجهلهم بأساليب اللغة العربية. أما وقد تبين سلامة الأسلوب العربي وبلاغته، أفليس من الأولى بهؤلاء الذين يسوقون الاعتراضات جزافا أن يسألوا أنفسهم.. من أين تعلم المسيح الموعود عليه السلام هذه الأساليب العربية البليغة التي من النادر أن يستعملها العرب أنفسهم، إن لم يكن مصدرها هو الله تعالى العليم الخبير بكل لسان وبكل بلاغة؟

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي – أنت مني بمنزلة عرشي"؟

الردّ:

يقول الله تعالى في هذا الإلهام: "أنت مني" أي أنت مبعوث من قِبَلي، فهو مُرسلٌ من قِبَلِ الله تعالى ويتمتّع بحبه وقربه منه. وفي عصرنا الحالي يعلو توحيد الله تعالى في العالم بواسطته، وينتشر عن طريق دعوته، التي تحملها جماعته المباركة في جميع أكناف الأرض. وقد فسر المسيح الموعود عليه السلام هذا الوحي حسبما أفهَمَه الله تعالى وقال له ما تعريبه عن الأردية:

"إنك تحظى بقربي وحبي، وأنا أحب توحيدي وتفريدي، وكما أحب ذيوع توحيدي في الدنيا، فكذلك سوف يُذاع اسمك، وأينما يصل اسمي يصل اسمك أيضا". (الأربعين، رقم 3، ص25)

ويقول أيضا: "... فمعناه بأن ذلك الرجل يكون بمنزلة التوحيد، ويُبعث في عصر الإلحاد الذي يستهين الناس فيه بتوحيد الله ﷻ، ويكون ذلك المبعوث رمزا للتوحيد، وكل شخص يُحدد مقصده وغايته في حياته، وكذلك يُعين ذلك المبعوث لقيام التوحيد في العالم...". (الخطاب المطبوع في صحيفة الحكم بتاريخ 10-4-1907، ص9)

ويتضح جليا حسب الشرح الذي قدّمه المسيح الموعود عليه السلام أن معنى كلمات هذا الوحي هو أن الله قد بعثه من أجل أن يُعلم الناس توحيد الله، وأقامه من أجل قيام التوحيد في هذا العصر.. عصر الكفر والإلحاد.

إن التوحيد قد تأسس في الأرض منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام، ولكن كل نبي يأتي من عند الله تعالى يعيد تأسيس ذلك التوحيد مرة أخرى بعد أن يكون قد خالطه الكفر وامتزج به الشرك، حتى بين أولئك الذين يزعمون أنهم مؤمنون بالله تعالى، وقد زعم العرب في زمن بعثة المصطفى ﷺ بأنهم يعبدون الله تعالى فقالوا عن الأصنام:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ (الزمر:4)

ولذلك يقول تعالى عن هؤلاء الذين يدّعون أنهم من المؤمنين حين يبعث الله تعالى نبيا لدعوتهم إلى التوحيد الحقيقي:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف:107)

ولذلك فقد قضى الله ﷻ أنه حين يبعث نبيا لنشر التوحيد في الأرض، فإن طاعته تكون واجبة على كل إنسان يبتغي بالفعل أن يكون على صراط التوحيد المستقيم. ولا يمكن أن يصل المرء إلى التوحيد الحقيقي إلا بطاعة النبي المرسل من قبل الله تعالى، فإن طاعته من طاعة الله تعالى، ولذلك قال سبحانه في الكتاب العزيز:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ (النساء:81)

وليس ذلك لأن الرسول المبعوث من قبل الله قد صار مثيلا لله والعياذ بالله أو أنه قد أصبح كفئًا له، ولكن لأن التوحيد الحقيقي لا يتأتى، ولا يمكن الوصول إليه إلاّ عن طريق ذلك النبي المرسل من عند الله تعالى. وقد أمر رسول الله ﷺ جميع المسلمين أن يؤمنوا بالإمام المهدي وقال: "...فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي" (سنن ابن ماجه؛ كتاب الفتن، باب خروج المهدي)، وبذلك فإن طاعة سيدنا محمد ﷺ تقتضي طاعة الإمام المهدي عليه السلام، والإيمان بسيدنا خير الرسل ﷺ يتطلب الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام. وكما أن طاعة رسول الله هي بمنزلة طاعة الله تعالى، لأن توحيد الله الحقيقي لا يمكن أن يناله أحد إلاّ عن طريق رسول الله ﷺ،

فكذلك كان المسيح الموعود عليه السلام في هذه المنزلة التي لا يمكن الوصول إلى التوحيد الحقيقي إلا عن طريق طاعته.

ثم جاء في الإلهام الذي نحن بصدده، وهو قوله تعالى: "أنت مني بمنزلة عرشي". ويعني هذا أنك تقيم في العصر الحاضر عرش الله تعالى في قلوب الناس، والناس يتعلمون منك المفهوم الحقيقي لعرش الله وقدرته. ومع انتشار الجماعة الإسلامية الأحمدية في أكناف العالم، بدأ الناس يستوعبون المفهوم الحقيقي لتوحيد الباري تعالى. ودعوة المسيح الموعود عليه السلام وكلماته ومؤلفاته أدخلت وأنشأت حب الله سبحانه وتعالى وغرست توحيده وأقامت عرشه في قلوب الملايين من الناس في الهند وفي أمريكا وفي روسيا وفي أوروبا وفي أفريقيا، ممن لم يكونوا يعرفون اسم الله سبحانه وتعالى، بل كان بعضهم يكفر به، وكان البعض يستهزئ بوجوده، وكان البعض يعبد الأصنام والبقر والنار والثعابين، ولكن بفضل دعوة المسيح الموعود عليه السلام، تحولوا جميعا إلى عبادة الله سبحانه الأحد الذي لا شريك له، وكان ذلك هو الهدف من مجيئه والغاية من قدومه والغرض من بعثته. ويقول حضرته تعريبا عن اللغة الأردية:

"... فالله يريد أن يجمع على التوحيد جميع الأرواح ذوي الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، لا فرق إن كانوا أوروبيين أو آسيويين. ويريد أن يجمع عباده على دين واحد، فهذه هي غاية الله عز وجل التي أرسلني من أجلها..." (كتاب الوصية، ص 4)

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "آثرك الله على كل شيء، نزلت سرر من السماء ولكن سريرك وُضع فوق كل سرير"؟ هل معنى ذلك أنه يفضل نفسه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟

الردّ:

كتب المسيح الموعود عليه السلام هذا الوحي في كتابه: "حقيقة الوحي" وشرحه بنفسه فقال:

"... هذا أمر واضح وثابت، وهو أنني تلقيت من الله سبحانه وتعالى المكالمات والأمور الغيبية بكثرة، ولم يتلقَّ أحد كمثلي خلال الثلاثة عشر قرنا، ولم يحصل غيري على هذه النعمة حتى الآن...".

ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى أخبره بأن مقامه فوق جميع الأولياء والمجددين والصلحاء، الذين سبقوه بعد سيده وسيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهذا الإلهام يشبه إلهام "اصطفيتك على العالمين" الذي وضحناه آنفا، وبيّنا أن العالمين من المعاصرين، وليس من البشر أجمعين. وهنا وُضع سريرك فوق كل سرير من هذه الأمة، بعد سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "لا تخف إنك أنت الأعلى "؟ هل يعني أنه أعلى من النبيين جميعا؟

الردّ:

تلقى المسيح الموعود عليه السلام هذا الوحي في عام 1870م وكان حينذاك في عنفوان شبابه أي في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف. وفي عام 1884م حين نشر الجزء الرابع من كتابه "البراهين الأحمدية" كتب فيه عن خلفية هذا الإلهام ما يلي: "... رأيت في رؤيا صادقة.. كانت من نوع الكشف الواضح.. أن الرجل المسمّى " بشمبر داس الهندوسي الختري" الذي ما زال يعيش حاليا في قاديان، لم تحكم المحكمة ببراءته في القضية العسكرية التي كانت ضده، ولكنها خففت نصف عقوبته. أما زميله في السجن المسمّى "خوشحال" فيُعاقب بعقوبته كاملة. ولكن حينما رجع ملف قضيتهما من المحكمة العليا إلى المحكمة الأخرى، تصوّر أقاربهما أن المحكمة قد حكمت ببراءتهما. وذاع ذلك الخبر في البلدة قبيل صلاة العشاء، وكنت على أهبة أداء صلاة العشاء حين أخبرني أحد المصلين أن الخبر يدور في البلد بأنهما رجعا إلى البلدة بعد حكم البراءة. وكنت قد أعلنت بين الناس حسب الرؤيا وقبل أن يُعلن قرار المحكمة أن المحكمة لن تحكم بالبراءة، فلما سمعت خبرا مناقضا، شعرتُ في نفسي حزنا وقلقا وكربا لا أستطيع أن أُعرب عنه، وسرعان ما بشّرني ربي الذي هو دائما معي وحاميا لي- قبيل الصلاة أو أثناء الصلاة- فقال: "لا تخف إنك أنت الأعلى".

وفي صبيحة اليوم التالي تبين أن ذلك الخبر عن براءتهما لم يكن إلاّ كذبا وافتراءً، وقد حُكِم عليهما كما أُخبِرتُ وكما كنت قد أخبَرتُ الناس قبل قرار المحكمة، وكان من بينهم؛ شرمبت الهندوسي الآري" (الخزائن الروحانية: ج4 – كتاب البراهين الأحمدية ج1، ص657)

ولا يعني هذا الإلهام أن المسيح الموعود عليه السلام أفضل من النبي ﷺ، فهناك آية كريمة تتعلق بموسى عليه السلام، حيث يقول الله له ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه: 69).. وجاءت هذه الآية بعد أن أوجس موسى في نفسه خيفة من سحر السحرة، فطمأنه الله تعالى وقال له: لا تخف فستتفوق عليهم. وهكذا فهذا الإلهام كان متعلقا بأن المسيح الموعود عليه السلام سيظهر صدقه في هذه الحادثة. كما يحمل هذا الإلهام معنى أوسع؛ وهو أنه الأعلى في الأمة، وأنه سينتصر دوما في مواقف مشابهة، ولكنه لا يتفوق على سيده النبي ﷺ بداهةً.

الاعتراض:

ما هو معنى الإلهام: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله"؟

الردّ:

هذا الإلهام يماثل جزءًا من آية قرآنية، ومما كتبه المفسرون عن هذه الآية الكريمة ما أورده صاحب روح المعاني حيث قال:

"إذا نزل عيسى عليه السلام لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام، ولا يضر في ذلك ما ورد من أنه يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلا اسمه، إذ لا دلالة في الآية على الاستمرار. وقيل: المراد بالإظهار الإعلاء من حيث وضوح الأدلة" (كتاب روح المعاني؛ ج27، ص88)

وبنزول هذا الإلهام على المسيح الموعود عليه السلام في العصر الحاضر، فإن الله سبحانه يؤكّد له أن الانتصار النهائي على جميع الأديان يبدأ منه، ويستمر رويدا رويدا حتى يبلغ إلى كماله، ولن يبقى على وجه هذه الكرة الأرضية إلاّ دين الإسلام.. الدين الذي أتى به سيد الخلق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسوف يغزو الإسلام أفئدة الناس بالأدلة والبراهين.

وقد فسر المسيح الموعود عليه السلام الإلهام المذكور فقال:

"... أي ليُظهر دين الإسلام بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة على كل دين سواه، أي ينصر الله المؤمنين المظلومين بإشراق دينهم وإتمام حجّتهم". (البراهين الأحمدية، ص239)

وقال كذلك:

"... لا يكون في العالم إلا دين واحد وإمام واحد. لقد جئتُ لأبذر البذر، وقد زُرِعَ ذلك البذر بيدي، والآن لسوف ينمونّ وليزدهرنّ، ولا يستطيع أحد أن يصدّه" (تذكرة الشهادتين، ص65)

الاعتراض:

ما هو تعبير الكشف الذي رأى فيه المسيح الموعود عليه السلام أخاه يقرأ: "إنّا أنزلناه قريبا من القاديان"؟ هل معناه أن هناك آية غير موجودة في القرآن، وفيها ذكر اسم قاديان؟

الردّ:

قال المسيح الموعود المسيح الموعود عليه السلام:

"رأيت في حالة الكشف أن أخي المرحوم ميرزا غلام قادر جالس قريبا مني، ويتلو القرآن الشريف بصوت عال، وخلال التلاوة قرأ العبارة التالية: "إنّا أنزلناه قريبا من القاديان". وحين سمعتُ هذه الكلمات استغربتُ جدا، وقلتُ في نفسي: هل من المعقول أن يكون اسم القاديان في القرآن الشريف...؟" (إزالة الأوهام، ص76)

في الرؤى والكشوف إذا رأى الإنسان أو سمع آية ليست كما هي في القرآن الكريم، فهذا لا يعني أن هذا الأمر يعني تحريفا في القرآن والعياذ بالله، بل يعني بشارة معينة مرتبطة بما سمعه. وكما هو واضح من الرؤيا، فإن المسيح الموعود عليه السلام قد استغرب جدا من سماع ذلك.
وكان حضرته قد قال وأكد - بما تعريبه- ما يلي:
"لا يوجد اسم القاديان لا في القرآن الكريم ولا في أي كتاب من كتب الأحاديث" (الخزائن الروحانية: ج3 - كتاب: إزالة الأوهام، ص141)
وقد ذكر حضرته عن تعبير هذا الكشف ما يلي:
"... فيه سر كشفه الله سبحانه عليّ، وإذا أردنا أن نفهم تعبير هذا الكشف فعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار الاسم "غلام قادر"، فقد أُشير بلفظ "القادر" إلى القادر المطلق الذي هو الله سبحانه وتعالى، وهو سبحانه أفهمنا أن لا تستغربوا، لأن عجائبه وقدراته تظهر أحيانا وتبدو بهذا الشكل والأسلوب، فهو سبحانه عز وجل يُعزز ويكرّم الفقراء والمحتقرين، ويخذل المعززين والمكرمين وأصحاب المراتب العالية..." (المرجع السابق)
وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى بهذا الكشف إلى الإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام الذي بعثه تعالى في البنجاب بالهند وآتاه الأدلة والبراهين، وقد بدأ نور القرآن المجيد وحقائقه ومعارفه تنتشر في أرجاء العالم بواسطته، وبواسطة جماعته وأصحابه، لأنه هو الإمام المهدي الذي تلقى هداية القرآن المجيد بما يفي بمقتضيات العصر الحاضر، ولأن الله الهادي هو الذي اختاره وأقامه لإعادة كرامة القرآن الكريم واحترامه في أفئدة الناس، وسوف تعود هذه الكرامة ويملأ حب القرآن واحترامه قلوب الناس مرة أخرى بسبب تلك المعارف والحقائق والأنوار التي قدمها هو وخلفاؤه من بعده للعالم، والتي تحوي حلولا لجميع المشاكل التي يُعاني منها العالم، وذلك بفضل بعث التعاليم القرآنية في نفوس المسلمين الذين يبدو أنهم قد هجروا تلك التعاليم المباركة وتخلوا تماما عن حبل الله المتين، فجعلوا القرآن عضين، وكانت تنطبق عليهم الآية القرآنية:
﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان:31)
وسبق أن أخبرنا سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم عن انحدار أحوال المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم: يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلاّ اسمه، ولا يبقى من القرآن إلاّ رسمه..." (المشكاة، كتاب العلم، الفصل الثالث. وكنز العمال؛ ج6، ص43)
ثم بشّرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعودة الإيمان مرة أخرى فقال:

" لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال، أو رجل، من هؤلاء" (البخاري؛ كتاب التفسير، تفسير سورة الجمعة)

وحينما بعث الله المسيح الموعود عليه السلام كان أغلب المسلمين قد ابتعدوا عن القرآن وفقدوا إيمانهم به، وأولئك الذين كانوا يؤمنون بالقرآن أدخلوا في إيمانهم عقائد تحط من شأن القرآن وتُدخل الشك والريب فيه، وهو الذي يؤكد في بدايته على أنه ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾. فقد زعم الكثير من العلماء على أن في القرآن آيات ناسخة وأخرى منسوخة؛ أي أن هناك من الآيات ما بطل حكمه ولا يصح العمل بمقتضاها، وإنما هي في القرآن للقراءة فقط، فقالوا بأنها منسوخة حكما وباقية لفظا، وزعموا أن هناك آيات منسوخة لفظا وباقية حكما.. أي أن ألفاظ تلك الآيات ليست في القرآن الكريم، ولكن حكمها باق والعمل بها واجب!! كل هذا فتح السبيل أمام أعداء الإسلام للتهجم على عصمة القرآن الكريم، فراحوا ينتقدونه ويسخرون من تعاليمه.

وقد دحض المسيح الموعود عليه السلام هذه العقائد الباطلة التي روّجها بعض المسلمين ونسفها نسفا، وردّ هجوم أعداء الإسلام الذي كان موجّها إلى القرآن المجيد، وأثبت على رؤوس الأشهاد، وأعلن على الملأ بأنه كلامٌ رباني منزّل من السماء، ولا توجد به أي آية ناسخة ولا آية منسوخة. وكتب عليه السلام معارف القرآن المجيد كما تلقاها وتعلمها من الله عز وجل، فهو الذي فتح المنهل الصافي لتعاليم الإسلام الصحيح للعالم أجمع، وفجّر ينابيع المعارف القرآنية ليرتوي بها العطاشى والمحرومين، وأسال ماء القرآن العذب ليروي أرض القلوب التي أصبح ماؤها غورا، فآتاهم الله بماء معين، وهكذا بعث الحياة في القرآن الكريم وكأنه قد نزل من السماء مرة أخرى في القاديان على المسيح الموعود عليه السلام، وعلى جماعته التي تعمل بكل جهد دؤوب على نشر أنوار القرآن، وتجاهد في كل سبيل لإعلاء شأن القرآن، فترجمت معانيه إلى ما يزيد عن ستين لغة من لغات العالم، وترجمت بعض المختارات من آياته الشريفة إلى أكثر من مائة وعشرين لغة، فكان أن هدى الله تعالى الملايين من الناس بهدي القرآن المجيد الذي أنزله الله تعالى قريبا من القاديان. وكان هذا هو تعبير الكشف الذي رآه المسيح الموعود عليه السلام.

الاعتراض:

ألا يدل اسم (يلاش): بمعنى "يا لا شريك له" على أن المسيح الموعود عليه السلام قد أتى بعقائد جديدة؟ فهذا اسم ليس له وجود في القرآن ولا في السنة. وقد كرر المسيح الموعود عليه السلام مرارا أنه ما أتى بشريعة جديدة، وأنه مجرد خادم للرسول وللإسلام.

الردّ[8]:

(يلاش) اسم من أسماء الله أنزل على المسيح الموعود عليه السلام اختصارا لعبارة: يا لا شريك له. أي الله الذي لا شريك له. والاختصار موجود في اللغة العربية بكثرة؛ فهنالك البسملة، وتعني: بسم الله الرحمن الرحيم، والحوقلة تعني: لا حول ولا قوة إلا بالله، وغيرها. وفي القرآن الكريم يوجد مُقطّعات في بدايات السور، وهي اختصارات كما في بعض التفاسير. ويمكن مراجعة معنى: طه، يس، كهيعص، وغير ذلك.

وقد أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا.

وهذا الاسم (يلاش) هو مما علّمه اللهُ أحدًا من خلقه.

ولا يقولن أحد إن الفعل هنا ماضٍ فلا ينطبق إلا على البشر في الماضي، لأنه لو كان كذلك لحقّ أن ينطبق على العبارة التالية القياس نفسه، وهي (أنزلته في كتابك)، فهنالك أسماء لله لم تكن قد نزلت بعد، خصوصا أن القرآن الكريم لم يكن قد اكتمل نزولا. إن الماضي هنا يشمل الماضي والمستقبل.. وهو مثل قوله تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.. لذا؛ فالماضي هنا لا يقتصر على الزمن الماضي. وعن أبي بكر بن العربي المالكي؛ عن بعضهم أنه قال: لله تعالى ألف اسم.

باختصار، ما دمنا نؤمن بأن الله تعالى قد أرسل ميرزا غلام أحمد عليه السلام مسيحا ومهديا، فلا بد من الجزم بأن هذا الاسم قد علّمه الله تعالى إياه. وأما من لا يصدق المسيح الموعود عليه السلام، فلا مبرر له لمثل هذا التساؤل، فالتقول على الله جريمة عظمى، وتسمية الله اسما اختصاريًّا يدل على معنى عميق، لا يساوي شيئا أمام تلك الجريمة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام : "هذا اسم إلهامي جديد، ولم أجده على هذا الشكل في القرآن ولا في الحديث ولا في أي معجم، وقد كُشف عليّ معناه أنه "يا لا شريك له". والغرض الحقيقي لهذا الإلهام أنه ليس من إنسان يتصف بصفة حميدة أو باسم أو أي فعل معين إلا وهذا الاسم أو هذه الصفة أو هذا الفعل موجود في غيره، وهذا هو السرّ الكامن في أن صفات كل نبيّ ومعجزاته

---

[8] هذا الرد من إعداد هاني طاهر

تنعكس في أفراد من أمته من الذين يتصبّغون بصبغته ويفنَوْن فيه. وذلك حتى لا يصف أيُّ جاهل نبيًّا من الأنبياء بلا شريك له نظرًا لبعض الصفات التي يتحلّى بها. إنه لكُفر شديد أن يُسمى أحد الأنبياء باسم يلاش، لأنه لا يوجد أي معجزة أو أمر خارق للعادة لنبي من الأنبياء إلا ويشاركه فيه ألوف من الناس. إن أحب شيء إلى الله هو وحدانيته، ولأجل ذلك قد بعث الله الأنبياء. فإذا كان الله ﷻ يريد أن يعطي لبعض الناس بعض صفات ربوبيته، فلماذا أكّد على الكلمة الطيبة "لا إله إلا الله" التي لأجلها قد أُريقت دماء ألوف الناس في بلاد العرب؟ فيا أيها الأحباء؛ إذا كنتم تريدون أن ترحلوا من هذا العالم منقذين إيمانكم من الشيطان، فلا تصفوا أحدا بصفات خارقة للعادة، لأن هذا هو الينبوع الكدر الذي تتدفق منه نجاسات الشرك وتُهلك الناس؛ فيجب أن تنقذوا منه أنفسكم وذريتكم، لأن نجاتكم منوطة به".

ويتابع حضرته فيقول: "يا أيها العقلاء، تفكَّروا، إذا كان عيسى عليه السلام جالسا في السماء الثانية حيا منذ 1900 سنة، ورغم أنه قد التحق بالأرواح الميتة وجلس إلى جانب يحيى عليه السلام، فسيعود إلى هذا العالم في زمن يأتي بعد هلاك هذه الأمة.. فقدِّموا لنا نظيرا لهذه الصفة الخارقة للعادة.. اذكروا لنا أحدا قد صعد إلى السماء منذ ألفي سنة ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام.....".

ويتابع حضرته فيقول: "عندما ذهب نبينا ﷺ ليلة المعراج لم يره أحد صاعدا إلى السماء ولا نازلا منها! أما المسيح فسوف يُرى عند نزوله من السماء، وجميع المشايخ يرونه واضعا يديه على أكتاف الملائكة! وليس هذا فقط، بل المسيح قد أظهر تلك الأعمال التي لم يستطع نبينا ﷺ إظهارها رغم مطالبة المخالفين، بل اكتفى في كل مرة بأنه قدّم دليل الإعجاز القرآني فقط!! أنتم تقولون أن المسيح كان يحيي الأموات حقيقة، وقد أحيا مئات الألوف من الناس من الذين كانوا قد توفوا قبل آلاف السنين، وأنه ذات مرة أحيا مدينة كاملة، ولكن نبينا ﷺ لم يحيِ ولا ذبابة واحدة! ثم حسب قولكم قد خلق المسيح الطيور أيضا، وحتى الآن يوجد في العالم بعضها مِن خلقه وبعضها مِن خلق الله! وهو (عيسى) وحده لا شريك له". (التحفة الغولروية)

وهكذا يقرِّع المسيح الموعود عليه السلام القائلين بهذه العقائد والمصرّين على تأليه المسيح عليه السلام وتوحيده وتفريده.

فالحمد لله الذي علّم المسيح الموعود عليه السلام هذا الاسم العظيم، حسب ما وعد في هذا الحديث "اللهُمَّ... أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيع قَلْبِي" (مسند أحمد)

والحمد لله الذي بيّن من خلال هذا الاسم والكشْفِ الموضّح له صحَّةَ مقولة أن المقطّعات القرآنية إنما هي اختصارات لعبارات، وأن علينا أن نجتهد لمعرفتها، وأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه.

الاعتراض:

ما تفسير الوحي: يتم اسمك ولا يتمّ اسمي؟

الردّ:

تلقى المسيح الموعود عليه السلام هذا الوحي في عام 1882م، حيث كتب في البراهين: "أما الإلهام الذي تلقيته الآن في أثناء كتابة هذه الحاشية -أي في مارس/ آذار 1882م- وكُشفت فيه نبوءةً أن المعاندين سيُهزَمون هزيمة نكراء بعد نشر هذا الكتاب والإطلاع على مضامينه، وسيهتدي به طلاب الحق، وستزول معتقداتهم السيئة......

ثم كتب حضرته صفحة من الإلهام، وورد فيها هذا النص: "يا أحمد يتم اسمك ولا يتم اسمي"، وقد شرحه المسيح الموعود عليه السلام بين قوسين مباشرةً بعد أن أورده، وليس في نهاية نص الوحي كله، فقال: "أي أنت فانٍ ينقطع تحميدك، ولا ينتهي محامد الله، فإنها لا تُعدُّ ولا تُحصى". (البراهين الأحمدية؛ ج2، ص 242)

وكثير من الوحي الذي يعترض عليه الخصوم هو من الذي تلقاه حضرته قبل أن يعلن دعواه.. ونقصد من ذلك أن كبار المشايخ ظلوا يمتدحون حضرته ويجلّونه رغم أنهم يقرأون هذا الوحي.. ولكن لما أعلن أنه المسيح بدأوا يعترضون على حضرته في كل أمر.. مما يؤكد أنهم كانوا يفهمون هذا الوحي كما يشرحه حضرته من غير اعتراض.. فما الذي تغيّر؟

ويقول المسيح الموعود عليه السلام في الخطبة الإلهامية: "هذا هُوَ مُنْتَهَى سُلُوكِ السَّالِكِينَ، وَغايَةُ مَقْصِدِ الْعَارِفِينَ....... وَبَعْدَ ذَلِكَ يُكْسَى الإِنْسَانُ الْكَامِلُ حُلَّةَ الْخِلافَةِ مِنَ الْحَضْرَةِ............ثُمَّ يَمْكُثُ هذا الْعَبْدُ في الأَرْضِ إِلَى مُدَّةٍ شَاءَ رَبُّهُ رَبُّ الْعِزَّةِ، لِيُنِيرَ الْخَلْقَ بِنُورِ الْهِدَايَةِ. وَإِذَا أَنَارَ النَّاسَ بِنُورِ رَبِّهِ أَوْ بَلَّغَ الأَمْرَ بِقَدْرِ الْكِفَايَةِ، فَحِينَئِذٍ يَتِمُّ اسْمُهُ وَيَدْعُوهُ رَبُّهُ وَيُرْفَعُ رُوحُهُ إِلَى نُقْطَتِهِ النَّفْسِيَّةِ. وَهذا هُوَ مَعْنَى الرَّفْعِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ. (الخطبة الإلهامية)

إذن، هذا هو معنى يتم اسمه.. أي تُتوفى فينقطع تحميدك.

الاعتراض:

ما تفسير هذا الوحي: يريدون أن يروا طمثك[9]؟

---

[9] الرد على هذا الاعتراض والذي يليه حتى نهاية هذا الفصل من إعداد الحافظ عبد الحي البهتي

لقد شرح المسيح الموعود عليه السلام المقصود بهذا الوحي في كتابه "حقيقة الوحي" في سياق حديثه عن عن بابو إلهي بخش الذي سبَّ حضرته وشتمه كثيرا ووصفه بأبشع الأوصاف، فقال عليه السلام:

ورد في كتابي "أربعين رقم 4" عن بابو إلهي بخش إلهام نصه: "يريدون أن يروا طمثك، والله يريد أن يريك إنعامه. الإنعامات المتواترة. أنت مني بمنزلة أولادي. والله وليُّك وربك، فقلنا يا نار كوني بردا".. أي يريد بابو إلهي بخش أن يرى طمثك أو يطلع على عيب أو مثلبة، ولكن الله تعالى سيُريك إنعاماته المتتالية. ولا طمث لك، بل قد وُلد ولدٌ هو بمنزلة أبناء الله. بمعنى أن الحيض شيء قذر ولكن منه يتكوّن جسم الجنين. كذلك عندما يصبح الإنسان لله يتكوّن جسمه الروحاني من بين شوائب القذارة الطبيعية التي تشوب فطرته. فالطمث نفسه يصبح سببا لرقي الإنسان. لذا فقد قالت الصوفية: لولا الإثم لما أحرز الإنسان أي تقدم. والأمر نفسه كان سببا لتقدم آدم. ولهذا السبب ظل كل نبي عاكفا على الاستغفار نظرا إلى التقصيرات الخفية، وهذا الخوف كان سببا للترقيات دائما. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾؛ ففي كلٍّ من بني آدم يوجد شيء من نجاسة الحيض، ولكن الذي يتوب إلى الله تعالى بصدق القلب يكوِّن له الحيضُ نفسُه جسمَ طفلٍ طاهرٍ. وبناء على ذلك فإن الفانين في الله تعالى يُسمَّون أبناء الله، ولكنهم ليسوا أبناء الله حقيقةً لأن ذلك كفر، فالله تعالى منزه عن أن يكون له أبناء. إنهم يُسمّون أبناء الله على سبيل الاستعارة لأنهم يذكرون الله تعالى دائما بحماس القلب مثل الطفل الصغير؛ فقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى هذه المرتبة فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾. ولهذا السبب ذُكر الله تعالى بكلمة "الأب" في كتب جميع الأقوام. وهناك تشابه بين الله تعالى والأم أيضا على سبيل الاستعارة؛ وهو كما أن الأم تربِّي الجنين في بطنها، كذلك يتربّى عباد الله المحبوبون لديه في حضن حبه تعالى وينالون جسما طاهرا بدلا من الطبيعة السيئة. إذن، فالأولياء والصوفيون إنما يسمَّون أبناء الله على سبيل الاستعارة، إذ إن الله تعالى منزَّه عن الأبناء ومن صفاته أنه: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

أما الفقرة: "فقلنا يا نار كوني بردا" الواردة في الإلهامات المذكورة آنفًا، فالمراد منها أن بابو إلهي بخش قد أضرم نار الفتنة في الناس بواسطة كتبه وأننا سنبرِّدها. والحق أن موته قد حقّق جميع الأنباء، الحمد الله على ذلك. (حقيقة الوحي)

كما أن حضرته قد وضّح المقصود بهذا الوحي في كتابه "أربعين".

الاعتراض:

ما تفسير هذا الوحي: كل العقل في لبس النظيف وأكل اللطيف.

الردّ:

لقد شرحه عليه السلام بتفسير لطيف، وخلاصته أن أكل الحلال ولبس النظيف، دليل على رجاحة عقل الإنسان.

الاعتراض:

ما معنى إلهام: إن العذاب مربّع ومدوّر؟

الردّ:

هذا الوحي يتعلق بعذاب يحيط بالكافرين والمعارضين من الجهات الأربعة مرةً، ومن جميع الأطراف المختلفة كدائرة مرة أخرى.. بمعنى أنه عذاب شامل.

وقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام أنه متعلق بموت دوئي في المباهلة الشهيرة، وقد تلقى حضرته في 7-2-1907 هذا الوحي: "العيد الآخر، تنال منه فتحًا عظيمًا. دَعْني أقتلْ من آذاك. إن العذاب مربّع ومدوّرٌ. وإنْ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ". (الاستفتاء). وقد مات دوئي بعد ذلك بشهر، وذلك في 9-3-1907.

الاعتراض:

ما معنى إلهام: علم الدرمان 223؟

الردّ:

أوحي إلى المسيح الموعود عليه السلام في 15-10-1906م: رأيت في الرؤيا أنني أكتب، ورأيت خلال كتابتي الكلمات التالية: "علم الدرمان 223". وقال عليه السلام: "علم" كلمة عربية و"درمان" كلمة فارسية. وبعدهما رقم 223، لا أعلم ما المقصود منه.

قال المصلح الموعود رضي الله عنه في معنى هذا الإلهام : "علم" كلمة عربية ومعناها: "عِلْم" و"درمان" كلمة فارسية ومعناها:"علاج" والمراد أن علم العلاج سيظهر بعد 223 يوم من يوم الإلهام؛ وهو 15-10-1906م. والآن علينا أن نرى أي يوم أتى بعد 223 يوم من بعد 15-10. وإذا حسبتم رأيتم أنه 25 -5-1907م. وسيدنا المسيح الموعود عليه السلام توفي في 26-5-1908 طبق هذا الإلهام. والأمر الآخر الذي قد لا يقبله المخالف، هو أن هذا الإلهام نزل في عام 1906م ولكن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام توفي في 1908م. ومن هذا الحساب توفي سيدنا عليه السلام بعد سنة و223 يوم. فلا يخفى عليكم أن له سببيْن: الأول أن إلهام " إن المنايا لا تطيش

سهامه" جاء مع الإلهام السابق (والذي يدل أيضًا أن إلهام رقم 223 متعلق بالموت). ثم ألهم عليه السلام بعده إلهام "إنا نرينك بعض الذي نعدهم نزيد عمرك" (انظروا Review of Religions، ص2، 20-11-1906) والمراد من ذلك أن موتك كان في 1907م ولكننا أجّلناه. وزدناه سنة كاملة. فبدأ حساب 223 بعد سنة كاملة.

والسبب الثاني: إن موته كان في 26 أيار، ولو توفي في عام 1907م، لأثار بعض المعاندين ضجة بأن نبوءتهم تحققت.

وأيضًا؛ لو أن الوفاة ستكون في عام 1907م، لوجب أن تكون في يوم 27 أيار وليس 26 أيار، ولذا كان من الضروري أن يتوفى في سنة كبيسة (السنة التي يكون فيها عدد أيام شباط 29 يومًا) وذلك كي تكون وفاته في 26 أيار بعد 223 يوم. وواضح أن وفاته كانت في 1908م - وهي سنة كبيسة- وليست في 1907م التي كان عدد أيام شباط فيها 28 يومًا، ولا تكتمل 223 يومًا يومَ 26 أيار، بل تكتمل في 27 أيار. (مجلة تشحيذ الأذهان، حزيران وتموز 1908م)

الاعتراض:

النبي لا ينسى وحي الله، ولكن مؤسس جماعتكم قد نسي بعض الإلهامات والكشوف والرؤى؟

الردّ:

إذا تدبرنا إلهامات الأنبياء وكشوفهم نجد أن هذه الكشوف والرؤى والوحي والإلهام تنقسم إلى نوعين: الأول ما يتعلق بهداية الناس وإرشادهم، والثاني ما يختص بأشخاص الأنبياء وليس من الأمور الجوهرية التي تتعلق بعامّة الناس، وقد يظل ذلك النوع سرا بين الله وعبده. وقد يحدث في بعض الأحيان أن يمحو الله تعالى الوحي والإلهامات والكشوف التي تتعلق بالنوع الثاني حسب مقتضى حكمته، وقد جاء في الحديث: "... فقال اعتكفنا مع النبي صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين فخطبنا، وقال: إني أُريتُ ليلة القدر ثم أُنسيتُها -أو نُسّيتُها- فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر..." (البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر)

وفي رواية أخرى "خرج النبي ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: خرجتُ لأخبركم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان، فرُفِعَت، وعسى أن يكون خيرا لكم" (البخاري: كتاب صلاة التراويح، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس)

فهذا أمر الله، ولو كان المسيح الموعود عليه السلام غير صادق، لما تحدث عن وحيٍ نسيه، أو لم يسمع كلمة منه جيدا، أو لا يتذكر أكان الوحي بكلمة كذا أو بكلمة كذا.. لو لم يكن صادقا؛ لجزم بكلمة، أو لأهمل النصّ كله.

الاعتراض:

لماذا تلقى المسيح الموعود عليه السلام بعض الإلهامات في آيات قرآنية؟ هل يتنزّل القرآن ثانية؟ أم هو وحي مسروق؟

الردّ:

إن مطابقة الوحي النازل على المسيح الموعود عليه السلام لآيات قرآنية إنما هو أمر طبيعي تقتضيه تبعيته للنبي ﷺ، مع الانتباه إلى أن الوحي الذي على هذه الشاكلة قد جاء ليفيد بشارات تتعلق بزمان المسيح الموعود عليه السلام، أو أحداث خاصة ومواقف مرت معه. وسماع آيات قرآنية أو قراءتها في الرؤى؛ أمر تمتلئ به كتب تفسير الرؤى التي تفسر قراءة كل سورة ببشرى معينة.

ولا شك أن الوحي الذي يأتي على صورة آية من القرآن يمتاز بعظمة خاصة، وفيه تشريف لمن نزل عليه، ومن يستحق ذلك أكثر من المسيح الموعود عليه السلام؛ الخادم المخلص والتابع الكامل للنبي ﷺ.

ومن هذا المنطلق قال بعض علماء الأمة بنزول بعض آيات القرآن الحكيم مرة أخرى على بعض الأولياء من هذه الأمة التي جعلها الله تعالى خير أمة أخرِجَت للناس.

- يقول محيي الدين بن العربي رحمه الله:

"... أمّا الإلقاء بغير التشريع فليس بمحجور، ولا التعريفات الإلهية بصحة الحكم المقرر أو فساده، وكذلك تنزّل القرآن على قلوب الأولياء ما انقطع مع كونه محفوظا لهم، ولكن لهم ذوق الإنزال، وهذا لبعضهم..." (الفتوحات المكية؛ ج2، ص287).

"... إن القرآن، وكل كلام؛ يُنزّل على التالين والمتكلمين في حال تلاوتهم وكلامهم، ولولا ذلك ما تلوا ولا تكلموا..." (الفتوحات المكية؛ ج2، ص771)

"... وفينا من يأخذه – أي الحُكْم– عن الله، فيكون خليفة عن الله بعيد ذلك الحكم، فتكون المادة– من حيث كانت المادة– لرسوله ﷺ؛ فهو في الظاهر متّبع لعدم مخالفته في الحكم..." (فصوص الحِكَم)

● ويقول السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله:
"... ثم تُرفَعُ إلى الملك الأكبر فتُخاطَب بـ "إنك اليوم لدينا مكين أمين". (فتوح الغيب؛ رقم المقالة 28)

ومن المعلوم أن هذه العبارة التي ذكرها السيد عبد القادر الجيلاني قد وردت في الآية (55) من سورة يوسف. وقد ورد في شرح فتوح الغيب - الفارسي- بأن الله ﷻ قد أوحى إلى السيد عبد القادر الجيلاني بقوله: "واصطنعتك لنفسي"، وهذه أيضا آية قرآنية وردت في سورة طه، ورقمها: 42.

● وقال السيد خواجه مير درد الدهلوي بأن الآيات القرآنية التالية قد نزلت عليه أيضا:
"لا تتبع أهواءهم واستقم كما أمرت – قل حسبي الله – إن كثيرا من الناس لفاسقون – أفحكم الجاهلية يبغون – من أحسن من الله حكما لقوم يؤمنون". (تحديث نعمة الرب؛ ص61-62)

● جاء عن السيد أبي يزيد البِسطامي رحمة الله عليه:
"... ورد في تذكرة الأولياء ما معناه بأن السيد أبا يزيد البسطامي صلى صلاة الفجر وتوجّه إلى الناس وقال لهم: "إني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدون" فقال الناس بأن هذا الرجل صار مجنونا، فتركوه وذهبوا، ولكن الشيخ كان يتكلم بلسان الله تعالى..." (تذكرة الأولياء؛ ص134)

ومن المعلوم أن الكلمات التي وردت على لسان الشيخ: (لا إله إلاّ أنا فاعبدون) هي جزء من الآية 26 من سورة الأنبياء، ويتضح جليا من هذه الاقتباسات أن الآيات القرآنية أو أجزاء منها، قد نزلت على أولياء الأمة الإسلامية وصلحائها.

وإذا كان أولياء الأمة يتلقون إلهاما من الله تعالى ببعض آيات من القرآن المجيد، فمن الأولى أن يتلقى المسيح الموعود عليه السلام بعض الوحي الذي يحتوي آيات من القرآن الحكيم. وقد سبق أن ذكر كلا من الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد الوهاب الشعراني بأن هذا ما سيحدث لنبي آخر الزمان في هذه الأمة.

الاعتراض:

هل صحيح ما يقال بأن المسيح الموعود عليه السلام قال بأنه قد نُفخ فيه روح عيسى كما نُفخ في مريم، وحبِل بصورة الاستعارة، وبعد أشهر لا تتجاوز الأشهر العشرة، حُوِّل عن مريم وجُعل عيسى، وبهذا الطريق؛ صار ابن مريم (سفينة نوح، ص47)

الردّ:

يقول المسيح الموعود الطَّيْكِلا: "ولما كانت هذه الأمّة قد لقّبت بألوف من الألقاب القبيحة — كما يثبت من القرآن والأحاديث أنه قد قُدِّر لهم أن يصبحوا يهودًا- كان ينبغي في هذه الحالة أن يكون من مقتضى فضل الله أن يرثوا الخير أيضًا كما أخذوا من النصارى السابقين السيّئات. ومن أجل ذلك بشّر الله في آية ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيم﴾ من سورة الفاتحة بأن بعض أفراد هذه الأمة سيحظى بما أُنعِم به الأنبياء السابقون، لا أن يصبحوا كاليهود والنصارى فحسب، أو أن يأخذوا سيّئات هاتين الملتين دون أن يأخذوا حسناتهما. وإلى الأمر نفسه أشار سبحانه في آخِر سورة التحريم إذ قال في حق بعض أفراد الأمة بأنهم سيشابهون مريم الصّدّيقة التي قد أحصنت فرجَها؛ فنُفِخ في رحمها روحُ عيسى، فتولّد منه عيسى.

وكانت هذه الآية تتضمن إشارة إلى أنه سيكون في هذه الأمة رجل يُعطى أولا درجة مريم، ثم يُنفخ فيه روح عيسى، فعندها ينبثق من مريم عيسى؛ أي أنه ينتقل من صفاته المريمية إلى صفاته العيسوية، فكأنما الكينونة المريمية أنتجت الكينونة العيسوية، فسيسمى هو ابن مريم بهذه الصورة. وقد قال الإمام المهدي الطَّيْكِلا: كما أنني سُمِّيتُ أولاً مريم في براهين أحمدية، وإلى هذا أشير في إلهام في الصحيفة 241: "أنّى لكَ هذا"؟ أي يا مريم من أين حصلت على هذه النعمة؟ وإلى هذا الأمر نفسه إشارة في إلهام "هُزَّ إليكَ بجذع النخلة" الوارد في الصحيفة 226، بعد ذلك يندرج الإلهام الثاني في الصحيفة 496 من براهين أحمدية "يا مريمُ اسْكنْ أنت وزوجُكَ الجنةَ، نفَختُ فيكَ من لدُنّي رُوحَ الصِّدقِ" أي يا مريم ادخل أنت مع رفقائك الجنة، لقد نفخت فيك من لدني روح الصدق. لقد سمّاني الله روحَ الصدق في هذا الإلهام، لأنه مرادف لآية ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، ففي هذا المقام كأنّ روح عيسى قد حلّت في رحم مريم من قبيل الاستعارة التي اسمها روح الصدق. ثم في آخر الأمر إلهام في الصحيفة 556 من براهين أحمدية بولادة عيسى الذي كان في رحم مريم: "يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة". وقد سُمِّيتُ عيسى في هذا المقام. وقد بيَّن هذا الإلهامُ بأنه قد تولَّد عيسى الذي كان قد ذُكر نفخُ روحِه في الصحيفة 496، فباعتبار هذا المعنى دُعيت عيسى بن مريم، إذ إنّ صفتِي العيسوية إنما تولّدتْ من الصفة المريمية بنفخٍ من الله. انظروا الصحيفة 496 والصحيفة 556 من براهين أحمدية. إن هذه الواقعة نفسها لمذكورة بأتمّ الصراحة في آخِر سورة التحريم على سبيل نبوءة بأن عيسى بن مريم يولَد في هذه الأمة؛ على أن فردًا من أفراد هذه الأمة سيُجعل مريم أوّلا، ثم بعد ذلك يُنفخ في مريم هذا روح عيسى، ثم

يتولّد هو متسمًا بروحانية عيسى بعد أن يكون قد تربّى في رحم المريمية برهة من الزمان، وهكذا سيُدعى عيسى بن مريم.

إن هذا لهو ذلك النبأ في شأن ابن مريم المحمدي الذي سبق بيانه قبل اليوم بألف وثلاث مئة سنة في القرآن المجيد؛ وذلك في آخِر سورة التحريم.

إن الله ﷻ هو نفسه مَن أوحى بتفسير آيات سورة التحريم المذكورة في براهين أحمدية. إن القرآن المجيد لموجود، ضعوا براهين أحمديّة بجانب القرآن المجيد، ثمّ تدبروا بالعدل والعقل والتقوى كيف تحققت- بإلهامات براهين أحمديّة- النبوءةُ الواردة في سورة التحريم، وهي أن فردًا من أفراد هذه الأمة أيضًا سيُدعى مريم، ثم يُجعَل من مريم عيسى فكأنه يُولَد منها. أهذا كله في قدرة الإنسان أم من مقدرتي؟! أم كنت موجودًا لما كان القرآن المجيد يتنزّل حتى ألتمس من الله أن يُنزِل أيضًا آيةً لجعلي ابن مريم، لأُبَرَّأَ من الاعتراض: لماذا تُدعى ابن مريم!؟ أم هل كان يمكن يا ترى أن تَسبق مني هذه الخطة؛ أن أختلِق – قبل اليوم بعشرين أو اثنتين وعشرين سنة بل أكثر- من عندي إلهامًا أُسمّى بمقتضاه باسم مريم أولاً، ثم على فترة من ذلك أفتري إلهامًا أيضًا بأنه قد نُفِخ فيَّ روحُ عيسى على غرار مريم القرونِ الأولى، ثم أكتب في آخر الأمر في الصحيفة 556 من براهين أحمديّة بأنني قد تحولت الآن من مريم إلى عيسى. ألا فكّروا أيها الأعزاء وخافوا الله! كلاّ، ما هذا من صنْع الإنسان. إنّ هذه الحِكَم الدقيقة اللطيفة تفوق فهْمَ الإنسان وإدراكَه. لو كان ببالي هذه الخطة وقت تأليف براهين أحمديّة – الذي مضى على صدوره زمان- لما كتبت في براهين أحمديّة نفسه أن عيسى المسيح ابن مريم سينزل من السماءِ ثانية. فبما أن الله كان يعلم أنه بالإطلاع على هذه النكتة سيضعف هذا الدليل، لذلك -وإن كان قد سماني مريم في الجزء الثالث من براهين أحمديّة، ثم تربّيت لمدة حولين في الصفة المريمية كما يتبين من براهين أحمديّة، وبقيت أترعرع في الحجاب، فحين مر على ذلك عامان نفخ فيَّ روح عيسى كمثل مريم كما هو مذكور في الجزء الرابع من براهين أحمديّة؛ الصحيفة 496، ووُصفت حاملا على سبيل الاستعارة، وأخيرًا بعد عدة أشهر لا تتجاوز عشرةً، جُعلتُ عيسى من مريم بالإلهام المندرج في الجزء الرابع من البراهين الأحمدية، الصحيفة 556، فصرت ابن مريم على هذا المنوال- ما أَطْلَعني الله على هذا السر الخفي وقتَ تأليف براهين أحمديّة، مع أنه قد نزل عليّ الوحيُ الإلهي المشتمل على هذا السر قبل ذلك، وقد تمّ إيرادُه في براهين أحمديّة، إلا أنني ما أُطلِعْتُ على معانيه وهذا الترتيب، لذلك كتبت في براهين أحمديّة عقيدة المسلمين التقليدية، وذلك ليكون شاهدًا على بساطتي وعدمِ تصنّعي.

وإن ما كتبتُ آنذاك- والذي لم يكُن وحيًا، وإنما كان تقليدًا محضًا- لا يصلح لأن يكون حجةً للمخالفين، لأني لا أدَّعي الغيب من تلقاءِ نفسي ما لم يُفهِّمْني اللهُ نفسُه. (سفينة نوح)

فهذا هو الموضوع كله في سياقه: إنها درجات روحانية يرتقي فيها المسلم، منها الصالحية والصدّيقية والنبوة. ومريم كانت في درجة الصديقية.. والمسيح في درجة النبوة.. والمسيح الموعود عليه السلام تدريج من المريمية إلى النبوة.. فهذه درجات.. وقد كتب المسيح الموعود عليه السلام أنه قد ترقى في هذه الدرجات. وقبلها كان قد كتب إلهامات نزلت عليه حين كتب البراهين الأحمدية تشير إلى هذه الدرجات، ولكن قبل أن يصل إليها ...

ونود أن نلفت انتباه القارئ الكريم إلى قول الله تعالى الذي ورد في القرآن المجيد:

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ (التحريم:11-13)

في هذه الآيات الكريمة شبه الله سبحانه وتعالى الكافرين بامرأتين؛ هما امرأة نوح وامرأة لوط، وشبه المؤمنين أيضا بامرأتين هما؛ امرأة فرعون ومريم بنت عمران. فإذا قام أحد أعداء الإسلام وزعم أن الكافرين قد تحولوا إلى نساء مثل امرأة نوح وامرأة لوط، وأن جميع المؤمنين أيضا قد تحولوا إلى نساء مثل امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فلا يسعنا إلاّ أن نعجب لغباوته وسفاهة عقله.

لقد قال المسيح الموعود عليه السلام تعليقا على هذه الآيات الكريمة: "... إن الآية المشار إليها لترمي إلى أنه سيكون في هذه الأمة رجل يُعطَى أولا درجة مريم الصدّيقة، ثم يُنفَخُ فيه روح عيسى، فإذا مريم ينبثق منها عيسى، أي أنه ينتقل الرجل من صفاته المريمية إلى صفاته العيسوية... لقد سمّاني الله بروح الصدق في خطابه، وهو معنى مرادف لمفهوم الآية: ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، فكان نفخ الروح العيسوي في رحم مريم من قبيل الاستعارة..." (الخزائن الروحانية: ج19- كتاب: سفينة نوح ص63)

وهنالك قصة عن بروفيسور هندي كان قد قرأ الكثير من مؤلفات المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، ولكن الأمر لم يكن قد اتضح في ذهنه بعد، ثم حدث أن قرأ كتاب "التعليم" الذي تناول فيه مؤسس الجماعة هذا الموضوع وذكر حصوله أولا على الصفات المريمية ثم الصفات العيسوية. وبعد أن انتهى من الكتاب اقتنع تماما بصدق المسيح الموعود عليه السلام وانضم إلى هذه الجماعة المباركة. ولما سُئل ما الذي جعله يُغير من موقفه تجاه مؤسس الجماعة قال: إن الرجل العادي.. ودع عنك المفتري الكذاب.. لا تخطر على باله هذه الأمور، ولا يستعمل تلك التعبيرات إلا رجل مرّ فعلا بهذه المراحل، ويعرف تماما ما هي الحالة المريمية وما هي الحالة العيسوية، ثم يكتب عن هذه الأمور وهو يعلم مسبقا أن الأعداء سوف يستغلون ذلك للاستهزاء والسخرية، غير أنه يكتبه حسب التفهيم الإلهي بكل الصدق والأمانة، وهذا دليل قوي وشهادة واضحة على أنه كان صادقا، وكان بالفعل مبعوثا من الله سبحانه وتعالى، ولذلك آمنت به، وهذا هو ما قاله القرآن المجيد:

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا. يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: 27)

ما معنى فنفخنا فيها من روحنا؟

يقول الله تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: 92)

يقول الخليفة الثاني رضي الله عنه: "اذْكُرْ تلك المرأة التي حافظتْ على عفّتها. فقد أنزلنا عليها وحينا، وجعلناها وابنَها آية للدنيا كلها". (التفسير الكبير)

فمعنى النفخ من روح الله هو إنزال الوحي عليها، وليس نفخ مادة هرمونية في الفرج أنتجت طفلا. وسبب إنزال الوحي عليها هو أنها تقية نقية عفيفة وصلت درجة الصديقية فاستحقت هذا الوحي؛ لقد أحصنت فرجها فأنزل الله عليها الوحي بسبب هذا الإحصان وهذه العفة.

وهناك معنى آخر وهو أن "مريم قد حافظتْ على كل منافذها من الوقوع في الإثم" فحملُها لم يكن زنا، بل كان بأمر الله.

وهناك معنى ثالث وهو أن الآية تتحدث عن "الذين يتصفون بصفات مريم ثم يتقدّمون، حتى أنهم يتلقون كلام الله ويصيرون مسيحيَّ النفس". (التفسير الكبير).. وهذا المعنى هو المهم هنا، وهو الذي سنركز عليه.

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

وكذلك أُشير إلى المسيح الموعود في الكتاب الكريم.. أعني في سورة التحريم، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾، ولا شك أن المراد من الروح ههنا عيسى بن مريم. فحاصل الآية أن الله وعد بأنه يجعل أخشى الناس من هذه الأمّة مسيح ابن مريم وينفخ فيه روحه بطريق البروز، فهذا وعد من الله في صورة المثل لأتقى الناس من المسلمين. فانظر كيف سمَّى الله بعض أفراد هذه الأمّة عيسى بن مريم ولا تكن من الجاهلين. (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية؛ مجلد 16، ص 283، الحاشية)

لقد ظنّ البعض أن الضمير في ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ في الآية ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (التحريم: 13)، يعود إلى الفرج، وهذا خطأ، بل يعود إلى مريم نفسها. والقضية هنا أن مريم أنثى، والضمير يعود على مذكر!! من هنا فإن المقصود بمريم هنا رجل يصل إلى درجتها الروحانية، لذا كان الضمير العائد عليه مذكرا. فيكون معنى الآية كما يلي: سيكون في هذه الأمة رجل يصل درجة مريم، حيث يغلق جميع المنافذ أمام الشر، فينفخ الله في هذا الرجل روح عيسى بعد فترة، بمعنى أن الله يرفعه إلى درجة عيسى عليه السلام. وسيكون مصدِّقًا بالوحي النازل عليه وبالوحي السابق وبالكتب السابقة، وسيكون من القانتين.

تعالوا أولا نقارن بين آية سورة الأنبياء وآية سورة التحريم لنلحظ أن الأولى تتحدث عن مريم نفسها، وأن الثانية تضربها مثلا على رجل سيبلغ روحانيًّا الدرجة المريمية ثم الدرجة العيسوية.

يقول الله تعالى ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 92)

ويقول الله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا....مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ (التحريم: 12-13)

الآن لاحِظ الفروق: الآية الأولى تتحدث عن مريم وابنها حيث سيكونان آية للبشر. وتستخدم ضميرًا مؤنثا (فيها) يعود إلى مريم.

أما الآية الثانية فتتحدث عن مريم باعتبارها مَثَلا، وقد استُخدم في الآية ضمير يعود على المذكر، ثم تكمل الآية في الحديث عن مريم وحدها أنها صَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ، ولم تذكر مريم وابنها، أي أنها تتحدث عن رجل واحد سيصل درجة مريم ثم درجة عيسى.

والآن ننتقل إلى القضية الثانية وهي سياق آيات سورة التحريم:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (11)* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (12)* وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم: 11-13)

هذه الآيات من سورة التحريم تضرب مثلا للكافرين والمؤمنين؛ والمعنى أنه سيكون في هذه الأمة من يشبه حالة امرأة لوط وامرأة نوح، كما سيكون فيها من يشبه حالةَ امرأة فرعون، وحالة مريم.

والمثل مضروب للكفار والمؤمنين رجالا ونساء، أي سيكون في هذه الأمة أمثال امرأة فرعون التي أخفت إيمانها خوفا من زوجها. وسيكون أمثال مريم التي حافظت على عفتها من كل النواحي ولم تخشَ أحدا.. وأمثال امرأة فرعون سيدعون الله أن يدخلهم الجنة وينجيهم من النار، أما من هو مثل مريم فسينفخ الله فيه من روحه، وسيصدق بكلمات ربه النازلة عليه، وبكتب الله السابقة، وسيكون من القانتين.. أي أنه سينتقل من الدرجة المريمية إلى الدرجة العيسوية، وسيُنزل الله عليه وحيه ويرسله إلى الناس مسيحا.

وهذا هو المسيح الموعود عليه السلام. وقد أكد حضرته أنه هو المقصود من هذه الآية. واللافت أن الله تعالى كان قد أخبر المسيح الموعود عليه السلام هذه المراحل بوحيه الذي لم يستطع عليه السلام أن يفقهه وقت نزوله فقهًا كليًّا، وهذا كله ما بينه حضرته.

الفصل الثالث[10]

اعتراضات على دعوة المسيح الموعود عليه السلام وأفكاره وشخصه

الاعتراض:

يقال إن المسيح الموعود عليه السلام قد أهان المسيح عليه السلام واستهزأ بمعجزاته. فما صحة ذلك؟ ومن عباراته: "إن نبوءات هذا الرجل العاجز – يسوع –كانت غالبًا عن زلازل ومجاعات وحروب. .. لماذا يعتبر بني إسرائيل هذه الأشياء التي تحدث عادة أنها نبوءات؟"

الردّ:

لقد ورد هذا الاقتباس في سياق نقد يسوع حسب ما قد وُصف في الأناجيل، وليس عن المسيح الناصري عليه السلام.

ولا بد من معرفة خلفية هذه العبارات..

لقد وردت هذه الفقرة في كتاب (عاقبة آتهَم)، وهو كتاب للمسيح الموعود عليه السلام وضّح فيه كيف تحققت النبوءة بشأن موت القسيس آتهَم، ذلك الذي كان يطيل لسانه جدًّا ضد نبينا محمد ﷺ، وهي تلك النبوءة التي أثار النصارى وبعض المسلمين عليها لغطا طويلا، زاعمين أنها لم تتحقق.. وهذا الكتاب كان بلغة الأردو في جزء منه، وبالعربية في جزء آخر، كما ضمّ بعض القصائد الجميلة، كتلك التي مطلعها:

تذكرتُ موتَ دجالٍ رُذال... وقود النار آتَم ذي الخبال

أتاه الموت بعد كمال دجْلٍ.... وإنكار ومكرٍ في المقال

وكتلك التي مطلعها:

علمي من الرحمن ذي الآلاء... بالله حزت الفضل لا بدهائي

وقبل هذه العبارات كتب المسيح الموعود عليه السلام : "سألني شخص ما هي الآيات التي ظهرت تأييدا لدعواك؛ التي بالإمعان فيها يستيقن الباحث أنها من عند الله وليس من صنع البشر"؟ فأخذ عليه السلام يبين أن الآيات لا يؤمن بها كثير من الناس، بل يطالبون النبي بآيات، ثم يكذبونها بعد أن يروها. ثم أخذ يعدد بعض آيات صدقه؛ مثل أنه قد بُعث على رأس المائة، وأنه بُعث في وقت غلبة النصارى، وجاء ليكسر الصليب حسب نبوءات سيدنا محمدﷺ . ثم تحققت نبوءاته، حيث قال إنه كان خامل الذكر لا يأتي إليه أحد ولا يعرفنه أحد، فيقول: "فأُخبرت حينها أنك ستكون

[10] هذا الفصل؛ هو من بند الأسئلة والأجوبة في الموقع العربي الرسمي للجماعة، إلا إذا ذكر غير ذلك

مرجع الخلائق وسيذاع صيتك" ثم ذكر عددا من الإلهامات التي قال إنها متعلقة بآتهَم، وتابع يقول: "كانت النبوءة تتضمن الرجوع إلى الحق الذي استفاد منه آتْهَم، لأنه ظل متخوفا من تحقق النبوءة إلى آخر الأيام، حتى أصبح من الخوف كالمجانين، فأخّرَ الله تعالى تحقق النبوءة بحسب وعده، وكان النصارى يعرفون جيدا أن آتهَم أصبح شبه ميت بسبب خوفه من النبوءة، ولم يحلف ولم يرُدّ ما طلب منه، ثم شمر القساوسة عن سواعدهم مرة أخرى متأبطين شرا، وظلوا يفرحون ويمرحون في أمْرِتْسَر ومدن أخرى كثيرة، وأعلنوا أن الغلبة كانت حليفهم، وأنهم قد أظهروا خبثهم وسبوني بقسوة، فكان الله تعالى قد أخبرني قبل 15 سنة أن النصارى سيثيرون فتنة، وهذا ما حدث. وحالفهم المشايخ ذوو الصفات اليهودية، ففي نهاية هذه النبوءة كان الله تعالى قد قال: قل رب أدخلني مدخل صدق. وهذا ما حدث واقعا، وآتهَم- كما ورد في أكثر من إلهام- نال حتفه بسبب وقاحته خلال سبعة أشهر من الإعلان الأخير ".

ثم يتابع عليه السلام ليقول: "انظروا إلى عظمة هذه الآية.. إنها ليست آية بل آيتان

1- أنه قد أخبر عن فتنة النصارى قبل 15 عاما

2- أن آتهم قد مات بحسب النبوءة الثانية

عند ذلك كتب المسيح الموعود عليه السلام هذه الحاشية التي قال فيها :

"أحد عبدة الأموات (المسيحيين) اسمه فتح مسيح... قد أظهر وقاحته لأول مرة حين بعث إليّ رسالة مليئة بالسباب والكلام النابي، ثم أظهر وقاحته مرة أخرى وذكر فيها أن النبوءة عن آتهَم لم تتحقق، في حين أننا أوردنا أدلة كثيرة عن تحقق هذه النبوءة في كتبنا: أنوار الإسلام، وضياء الحق، وعاقبة آتْهَم، وقد ذكرنا الآن أيضا بأن أساس هذه النبوءة لم يوضع اليوم، بل وضع قبل 15 سنة. وقد جاء ذكره المفصل في (براهين أحمدية، ص241)، فتحقيق النبوءة بهذا الوضوح ليس من علم الإنسان، فلو أخرجوا لنا نبوءة واحدة تساوي هذه النبوءة من جملة نبوءات يسوع إله المسيحيين الميت، فنكون جاهزين لدفع أي غرامة".

"إن نبوءات هذا الإنسان العاجز كانت تقتصر على حدوث الزلازل ووقوع المجاعات ونشوب الحروب، فلعنة الله على قلوب اتخذوا من هذه النبوءات دليلا على ألوهيته، واتخذوا ميتا إلهًا لهم. ألا تحدث الزلازل دائما؟ ألا تقع المجاعات بين حين وآخر؟ ألا تظل الحروب قائمة هنا أو هناك؟ فلماذا يُسمّي هذا الإسرائيلي الغبي هذه الأمور البسيطة نبوءة؟ فقط لأن اليهود قد أزعجوه (مطالبين بآية). وعندما طلبت منه المعجزة قال يسوع: "جيل شرير يطلب آية..."

ونكرر ما قلناه: ما قاله المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام كان من باب المحاجّة فقط، وهو يقدّر المسيح الناصري كل التقدير، ولكنه ينتقد يسوع الإنجيلي من باب إفحام القسس.

الاعتراض:

هل كان المسيح الموعود عليه السلام يهين المسيح الناصري عليه السلام؟ وما معنى العبارة التالية: "مومس جميلة تجلس بقرب يسوع وكأنها تحاول إثارته، أحيانًا تقوم بتدليك رأسه بالعطر أو تحتضن قدميه، وأحيانًا تمرر شعرها الأسود الجميل على قدميه وتلعب على ركبته. في هذا الوضع فإن السيد المسيح كان يجلس منتشيًا. فإن نهض أحدهم ليعترض بأن هذا الفعل مشين بالنظر إلى سن المسيح الشاب، إضافة إلى شربه للكحول وحياة العزوبية، تقوم مومس جميلة بالتمدد أمامه وتلامس جسدها بجسده! هل هذا تصرف رجل مستقيم؟ وما هو الدليل على أن المسيح لم تغلبه النشوة الجنسية من لمسات تلك المومس؟ للأسف فإن يسوع لم يكن له بالإمكان الاتصال جنسيًّا مع أي زوجة تخصه بعد أن أمضى وقته مع تلك العاهرة. أية شهوة جنسية يمكن أن تثيرها لمسات وألاعيب تلك المومس البائسة!! لا بد أن المتعة والإثارة الجنسية قد أعطت أثرها إلى أقصى غاية. لهذا السبب لم يستطع يسوع أن يفتح فمه قائلاً "أيتها العاهرة ابتعدي عني". إنه من المعلوم في الإنجيل أن تلك المرأة كانت عاهرة وسيئة السمعة في جميع أرجاء المدينة. (كتاب نور القرآن – الخزائن الروحانية؛ ج9، ص449)

الردّ:

أيها المسلمون العرب، لقد قام كثير من المشايخ الهنود والباكستانيين بنقل صورة مشوّهة للمسيح الموعود عليه السلام إليكم، مستغلين عدم معرفتكم بلغة الأوردو. وهناك أدلة لا تُحصى على كذبهم وتشويههم، ولعل مثالا يتضح الآن من خلال الإجابة على هذا الاعتراض، ويمكنكم أن تقيسوا عليه البقية. وهذا المثال يوجب عليكم أن لا تصدِّقوهم، أو على الأقل أن تتبيّنوا وتتثبتوا قبل أن تثقوا بأقوالهم.. فقد قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع. (مسلم)

كان المسيح الموعود عليه السلام يرد على اعتراضات القساوسة ضد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهنا يذكر اعتراضهم الخامس، وهو قولهم: إن نبيكم قد وقع نظره على امرأة غير مُحْرمة عليه، فجاء إلى بيته فقضى حاجته مع زوجته سودة، فالإنسان الذي لا يستطيع أن يتمالك نفسه عند وقوع نظره

على الغربيات عنه، ما لم يَقْضِ حاجته مع زوجته وما لم يشبع جَشَع شهوته، كيف يكون مثل هذا رجلا كاملا؟

وقد استدلّوا بحديث على ذلك.. فأخذ سيدنا المسيح الموعود يردّ عليهم ردًّا مفحمًا مبكِّتًا ومطوّلا -استغرق أربع صفحات- منزهًا نبينا ﷺ عن مثل هذه التهم، حتى قال لهم متحدثا عن يسوع كما تصفه الأناجيل وليس عن عيسى عليه السلام:

"ولكن ماذا نكتب وماذا نقول عن يسوعكم؟ وإلى متى نبكي على حاله؟ هل كان مناسبا أن يهيئ فرصة لامرأة زانية أن تجلس ملتصقة معه في عز شبابها حاسرة الرأس، وتلمس قدميه بشعرها بكل غنج ودلال، وتدهن رأسه بعطر كسبته بالحرام؟ لو كان قلب يسوع بريئا من الأفكار الفاسدة أو السيئة لمنع مثل هذه المرأة المومس من الاقتراب إليه حتما.. " فهنا يتحدث المسيح الموعود عليه السلام عن يسوع حسب ما جاء في الأناجيل، أي من باب المحاجّة، وليس عن المسيح الناصري الذي يكرمه القرآن الكريم باعتباره رسولا إلى بني إسرائيل.

ثم عرّج المسيح الموعود عليه السلام للحديث عن سيدنا محمد ﷺ، فقال: "ولكن، انظروا إلى تقوى سيدنا ومولانا أفضل الأنبياء خير الأصفياء محمد ﷺ، حيث لا يصافح أي امرأة حتى الشريفة، بل حين كن يأتينه للبيعة كان يُجْلِسهن على بعد منه، ويعظهنّ بالتوبة".

ثم عاد عليه السلام إلى الحديث عن يسوع كما وُصف في الأناجيل، فذكر الكلام الذي أشار إليه السؤال، وإن كان في الترجمة بعض الخطأ.

باختصار، المسيح الموعود عليه السلام يردّ على القساوسة الذين يشوهون صورة نبينا ﷺ، ويهاجم يسوع الإنجيلي وليس المسيح الناصري عليه السلام.. فقام المشايخ الهنود بقصّ هذه العبارات متجاهلين سياقها، ومفترين بادعائهم أن المسيح الموعود عليه السلام يهاجم المسيحَ الناصري عليه السلام.

وكيف يهاجم المسيحُ الموعودُ عليه السلام المسيحَ الناصريَّ وهو شبيهه؟ وكيف يهاجمه وهو نبي الله؟ فلماذا الكذب؟

وللتفصيل في هذا الموضوع يرجى مراجعة كتيّب (تكريم المسيح الناصري عليه السلام) فهو يوضح كيف أن المسيح الموعود عليه السلام يكرّم المسيح الناصري عليه السلام. ونورد فيما يلي بعض أقوال المسيح الموعود عليه السلام من كتبه في تفنيد شبهة إهانة المسيح عليه السلام، حيث قال حضرته عليه السلام :

"عندما يجرح المسيحيون أفئدتنا بشتى الهجمات الفظيعة على شخصية الرسول ﷺ نرد عليهم هجومهم هذا من خلال كتبهم المقدسة والمسلَّم بها لديهم، لكي ينتبهوا وينتهوا عن أسلوبهم... هل يمكنهم أن يَعرضوا أمام الناس من مؤلفاتنا ردًّا هجوميًّا على سيدنا عيسى عليه السلام ليس له

أساس في الإنجيل؟ إنه لمن المستحيل أن نسمع إهانة سيدنا محمد المصطفى ﷺ ونسكت عليها" (الملفوظات؛ ج 9، ص 479)

وقال عليه السلام: "أما قولك بأنني استعملت كلمة "الشتم" في حق المسيح وكأنني لم أحترمه، فهذا ليس إلا سوء فهمك. إنني أؤمن بأن المسيح عليه السلام كان نبيًّا وعبدًا محبوبًا عند الله جل جلاله. وأما الذي كتبتُه فكان هجومًا منكم علينا، ولكني جعلتُه يرتد عليكم، إذ كان طبقًا لمعتقدكم." (جنغ مقدس، الخزائن الروحانية؛ ج 6، ص 107)

وقال عليه السلام: "ليتذكر القُرّاء أننا كنا مضطرين لدى الحديث عن الديانة المسيحية أن نختار نفس الأسلوب الذي اختاره هؤلاء ضدنا. الحقيقة إن المسيحيين لا يؤمنون بسيدنا عيسى عليه السلام الذي قال عن نفسه بأنه عبد ونبي فحسب، وكان يؤمن بصدق جميع الأنبياء السالفين، وكان يؤمن من صميم قلبه بمجيء سيدنا محمد المصطفى ونبّأ عن بعثته ﷺ. وإنما يؤمنون بشخص آخر يسمى يسوع، ولا يوجد ذكره في القرآن. ويقولون بأن ذلك الشخص ادعى الألوهيةَ، وقال عن الأنبياء السابقين إنهم "سُرّاق" و"لصوص". ويقولون أيضا إن هذا الشخص كان شديد التكذيب لسيدنا محمد المصطفى ﷺ، وتنبأ بأنه لا يأتي بعده إلا المفترون. وتعرفون جيدا أن القرآن الكريم لا يأمرنا بالإيمان بمثل هذا الشخص، بل يقول صراحةً بأن الذي يدعي بأنه إله من دون الله فسوف ندخله جهنم. ولهذا السبب لم نُبدِ لدى الحديث عن يسوع المسيحيين الاحترام اللازم تجاه رجل صادق، إذ لولم يكن ذلك الرجل (المزعوم) فاقدَ البصر، لما قال بأنه لن يأتي بعده إلا المفترون، ولو كان صالحًا ومؤمنًا لما ادّعى الألوهية. فعلى القراء ألا يعتبروا كلماتنا القاسية موجَّهةً إلى سيدنا عيسى عليه السلام. كلا، بل إنها موجهة إلى يسوع الذي لا يوجد له ذكر ولا أثر، لا في القرآن ولا في الأحاديث." (مجموعة الإعلانات؛ مجلد 2، ص 295 و296)

وقال عليه السلام: "إننا - بعد تخصيص منصب الألوهية لله وحده - نعتبر سيدنا عيسى عليه السلام صادقا وصالحًا في جميع الأمور، وجديرًا بكل نوع من الاحترام الذي يجب القيام به تجاه كل نبي صادق". (كتاب البرية، الخزائن الروحانية؛ ج 13، ص 154)

وقال عليه السلام: "إن المسيح من عباد الله المحبوبين والصالحين جدا، ومن الذين هم أصفياء الله، والذين يطهرهم الله تعالى بيده ويُبقيهم تحت ظل نوره. غير أنه ليس إلهًا كما زُعم. نعم إنه من الواصلين بالله تعالى ومن أولئك الكُمَّل الذين هم قلةٌ". (تحفة قيصرية، الخزائن الروحانية؛ ج 12، ص 272، 273)

وقال الطَيْنِ: "لقد كُشف عليّ أنا العبدِ المتواضع أن حياتي مماثلة للفترة الأولى من حياة المسيح من حيث الفقر والتواضع والتوكل والإيثار والآيات والأنوار، ويوجد تشابهٌ بين فطرتي وفطرة المسيح، وكأننا جزءان من جوهرة واحدة، أو ثمرتان من شجرة واحدة. وهنالك مشابهة ظاهرية أخرى أيضا؛ فإن المسيح كان تابعًا لنبي كامل عظيمٍ هو موسى، وكان خادمًا لدينه، وإنجيلُه كان فرعًا للتوراة، كذلك أنا العبد المتواضع أيضا من الخدام المتواضعين لذلك النبي الجليل الشأن الذي هو سيد الرسل وتاج المرسلين جميعا". (براهين أحمدية، الخزائن الروحانية؛ ج 1، ص 593 و594 الحاشية على الحاشية رقم 3)

وقال الطَيْنِ: "قال الله تعالى لي: "أنت أشد مناسبةً بعيسى بن مريم، وأشبَهُ الناس به خُلقًا وخَلقًا وزمانًا." (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية ج5، ص 165)

وقال الطَيْنِ: "**ومن جملتها** إلهام آخر خاطبني ربي فيه وقال: إني خلقتُك من جوهر عيسى. وإنك وعيسى من جوهر واحد وكشيء واحد." (حمامة البشرى، ص 44)

وقال الطَيْنِ: "ولست أنكر شأن عيسى الطَيْنِ، وإن كان الله قد أخبرني أن المسيح المحمدي أفضل من المسيح الموسوي، ولكنني مع ذلك أحترم المسيح ابن مريم جدَّ احترام، وذلك لأنني -من حيث الروحانية- خاتم الخلفاء في الإسلام كما كان المسيح ابن مريم خاتم الخلفاء للأمة الإسرائيلية. كان ابن مريم مسيحًا موعودًا في الأمة الموسوية، وأنا المسيح الموعود في الأمة المحمدية، لذلك فإني أحترم الذي أنا سَمِيُّه، ومفسدٌ ومفترٍ مَن يتهمني بأني لا أحترم المسيح ابن مريم. وليس ذلك فحسب بل إنّني أحترم إخوانه الأربعة أيضًا، لأنّهم الخمسة أبناء أمّ واحدة، ولا يتوقف الأمر على هذا بل فوق ذلك إني أعتبر أختيه أيضًا قديستين لأنّ جميع أولئك الأبرار من رَحِم مريم العذراء، وما أعظمَ شأن مريم التي منعت نفسها عن القِران مدة طويلة ثم قامت بعقد القِران على إصرار أولي الأمر من القوم بسبب الحمل، وإن كان الناس يعترضون: لماذا تم عقد القران في أثناء الحمل خلاف تعليم التوراة؟ ولماذا تم نقض عهد العذرية؟ ولماذا سُنّ تعددُ الزواج؛ أي لماذا رضيت مريم بأن تتزوج يوسف النجار مع أن زوجته الأولى كانت موجودة؟ ولكني أقول إنها كانت كلها ضرورات ظهرت، وكان أولئك الناس في تلك الحالة يستحقون الرحمة وليس الملامة". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية؛ ج19، ص 17-18)

وقال الطَيْنِ: "**إني رأيت** عيسى الطَيْنِ مرارًا في المنام ومرارًا في الحالة الكشفية. وقد أكل معي على مائدة واحدة. ورأيته مرة واستفسرته عما وقع قومه فيه. فاستولى عليه الدهش، وذكر عظمة

الله، وطفق يسبح ويقدس، وأشار إلى الأرض وقال: إنما أنا تُرابيٌّ وبريء مما يقولون. فرأيته كالمنكسرين المتواضعين.

ورأيته مرة أخرى قائمًا على عتبة بابي وفي يده قرطاس كصحيفة، فأُلقي في قلبي أن فيها أسماءَ عباد يحبون الله ويحبهم، وبيانَ مراتب قربهم عند الله. فقرأتُها فإذا في آخرها مكتوب من الله تعالى في مرتبتي عند ربي: هو مني بمنزلة توحيدي وتفريدي. فكاد أن يُعرَف بين الناس". (نور الحق، ص 33)

وقال العَلَيْهِ: "نكشف للقراء بأن عقيدتنا في سيدنا المسيح العَلَيْهِ سليمة جدًّا، وإننا نؤمن من أعماق قلوبنا بأنه كان نبيًا صادقًا من الله ﷻ، ومحبوبًا لديه. ونؤمن حسبما أنبأنا القرآن الكريم بأنه كان يؤمن من صميم فؤاده بمجيء سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ. وكان خادمًا مخلصًا من مئات الخدام لشريعة سيدنا موسى العَلَيْهِ. فنحن نكرمه تمامًا بحسب مقامه، ونأخذ مقامه هذا بعين الاعتبار دائمًا." (نور القرآن، الخزائن الروحانية ج9، ص 374)

وقال العَلَيْهِ: "إنه لخبيث الذي يطيل لسانه على الكُمَّلِ الصالحين اتباعًا لأهواء نفسه. وإنني على يقين بأن من المستحيل أن يبقى مثل هذا الشخص بعد الطعن في الصلحاء مِثل الحسين أو عيسى العَلَيْهِ حيًّا ولو لليلة واحدة، بل إن الوعيد الإلهي: "مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...." سيبطش به على الفور". (إعجاز أحمدي، الخزائن الروحانية؛ ج19، ص 149)

الاعتراض:

يتهم البعض المسيح الموعود العَلَيْهِ بأنه يحتقر معجزات المسيح العَلَيْهِ.

الردّ:

نكتفي بإيراد أقواله العَلَيْهِ في ذلك، حيث يقول العَلَيْهِ:

"ومن اعتراضاتهم أنهم قالوا: إن هذا الرجل يحقّر معجزاتِ المسيح ويستهزئ بها ويقول إنها ليست بشيء، ولو أردتُ لأُرِيَ مثلَها بل أكبر منها، ولكني أكره ولا أتوجّه إليها كالشائقين.

أما الجواب فاعلم أن المعجزة ليست من فعل العباد، بل من أفعال الله تعالى؛ فما كان لرجل أن يقول أني أفعل كذا وكذا باختياري وإرادتي. وما يفعل إنسان باختياره وإرادته وتدبيره فهو فعلٌ من أفعال الإنسان، ولا نسمّيه معجزة، بل هو مكيدة أو سحر. فافْهَمْ يا أخي.. زادك الله رشدا.. أني ما قلت كما فهِم المستعجلون، بل قلتُ متكلما بزيِّ رجلٍ محمدي نظرًا على فضلٍ كان على سيدنا محمد المصطفى خاتم النبيين.

وما ضحكتُ على المسيح وما استهزأت بمعجزاته، بل كان مرادي من كلماتي كلها أنّا أُوتينا دينًا كاملا ونبيا كاملا، ولا شك أنّا نحن خير أُمّة أُخرجتْ للناس. فكم من كمال يوجد في الأنبياء بالأصالة، ويحصُل لنا أفضلُ منه وأولى منه بالطريق الظلّي، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء. ألا ترى قول رسول الله ﷺ: إن في الجنة مكانا لا يناله إلا رجل واحد، وأرجو أن أكون أنا هو، فبكى رجل من سماع هذا الكلام وقال: يا رسول الله ﷺ، لا أصبر على فراقك، ولا أستطيع أن تكون في مكان وأنا في مكان بعيد عنك محجوبا عن رؤية وجهك، فقال له رسول الله ﷺ: أنت تكون معي وفي مكاني. فانظرْ كيف فضّله على الأنبياء الذين لا يجدون ذلك المكان". (حمامة البشرى، ص 162-163)

وقال ؑ: "وأمّا كراهتنا من بعض معجزات المسيح فأمرٌ حق، وكيف لا نكرَه أمورا لا توجد حِلّتَها في شريعتنا؟ فمثلا.. قد كُتب في إنجيل يوحنا، الإصحاح الثاني أن عيسى دُعي مع أُمّه إلى العُرس، وبعد أن نفدت الخمر، جعَل الماء خمرا من آنية ليشرب الناس منها. فانظر.. كيف لا نكره مثل هذه الآيات؟ فإنّا لا نشرب الخمر، ولا نحسبه شيئا طيبا، فكيف نرضى بمثل هذه الآية؟ وكم من أمور كانت من سنن الأنبياء، ولكنا نكرَهها ولا نرضى بها، فإن آدم.. صفيّ الله.. كان يُزوّج بنته ابنه، ونحن لا نحسب هذا العمل حسنا طيبا في زماننا، بل كنا كارهين". (حمامة البشرى، ص 163-164)

الاعتراض:

هل قال الخليفة الثاني:"إننا نخالف المسلمين في كل شيء: في الله، في الرسول، في القرآن، في الصلاة، في الصوم، في الحج، في الزكاة، وبيننا وبينهم خلاف جوهري في كل ذلك" (صحيفة "الفضل" في 30-7-1931).

الردّ:

هذه العبارة قيلت في سياق الردّ على أحمدي قال بأنه لا فرق كبيرًا بيننا وبين غيرنا من المسلمين، فما دمنا جميعا نؤمن بالله ورسوله وكتابه، وما دمنا نصلي الصلوات ذاتها ونصوم رمضان نفسه ونحج الكعبة نفسها ونزكي بنفس الطريقة، فليس هنالك فرق كبير. وهذا الأحمدي يتحدث في سياق أن المسيح الموعود ؑ لم يبتدع دينا جديدا، بل لم يأتِ بحكم جديد.

ورغم أن هذا القول صحيح من باب، لكنه ليس صحيحا من باب آخر، ذلك أن المسيح الموعود ؑ قد فنّد كثيرا من الأخطاء التي وقع فيها المسلمون عبر تاريخهم، فكأن كل شيء قد صار عندهم خاطئا ولا علاقة له بالإسلام، وكأن المسيح الموعود ؑ قد جاء بالإسلام مرة أخرى.

فهنا صحّح الخليفة الثاني هذا الفهم الخاطئ، ذلك أن الخلاف بيننا وبين غيرنا من المسلمين كبير جدا، فتصورهم عن الله فيه خطأ كبير، فهو عندهم لم يعُد يتكلم، ولم يعد يستجيب الدعاء، وفي عقائدهم تشبيه وتجسيم، ويظنون بالله ظن السوء، حيث يرى كثير منهم أنه يعمل على إضلال الناس، وإلا فكيف يعطي الدجال معجزات كبيرة، بحيث يحيي الموتى وينزل المطر؟

ونحن نخالفهم في الرسول؛ فهو عندنا آخر نبي تشريعي، ولن يأتي أي نبي يستدرك عليه، بينما يؤمنون هم أن عيسى عليه السلام سينزل لينسخ الحرية الدينية.. وبينما نؤمن نحن أن فيوض النبي ﷺ مستمرة إلى يوم القيامة، يرون هم أنه ﷺ لم ينجح في ذلك، لذا سيبعث الله نبيا من أمة أخرى لإصلاح أمة القرآن.

ونحن نخالفهم في القرآن الكريم؛ فهو عندهم يحوي ثلاث أنواع من النسخ، بينما عندنا منزه عن ذلك كله ..

وجوهر صلاتنا هو الخشوع والدعاء والتذلل إلى الله تعالى، وليس مجرد حركات روتينية.

وصلاتنا وصيامنا ينهياننا عن الفحشاء والمنكر. فرغم أن الصلاة والصوم والحج والزكاة تتشابه مع صلاتهم وصيامهم وحجهم وزكاتهم من ناحية شكلية، لكن المضمون فيه اختلاف جوهري.

الاعتراض:

هل قال المسيح الموعود عليه السلام : "أنا دائم المرض، ينتابني بين حين وآخر دوار الرأس والصداع والتشنج القلبي؟" فهل يصاب الأنبياء بمثل هذه الأمراض؟

الردّ:

لقد ذكر المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام أنه ينتابه دوار الرأس والصداع وتشنج القلب، كما ذكر أنه كان يعاني من كثرة التبوّل.

وحيث إنه عليه السلام كان متفانيا في خدمة الإسلام، وكان دائم العبادة والكتابة والتأليف، فقد ازداد جسمه ضعفًا.

والإعجاز أنه كان يقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام بوسائل مختلفة رغم هذه الأمراض، فكان يتحدى أعداء الإسلام رغم ذلك كله، بل كان يتحدى بالمباهلة عتاة الكفر وهو بهذه الصحة؛ والتي رغم اعتلالها، عاش عمرا طويلا.

واللافت أن مرضيْه؛ الصداع وكثرة التبول، هما تحقيق لنبوءة الرسول ﷺ التي تصف المسيح حين نزوله بأنه ينزل بين مهرودتين (مسلم)، أي بين ثوبين أصفرين؛ والثوب الأصفر في علم تعبير الرؤى يعني المرض. فهما دليل على صدقه عليه السلام.

ويفتري الخصوم قائلين إنه كان يعاني من نوبات الهستيريا، وهذا كذب محض. بل هي مجرد تهمة داحضة اتُّهم بها الأنبياء السابقون.

ويعترض بعض الخصوم على أمراضه عليه السلام معتبرين إياها دليلا على غضب الله عليه وعلى عدم صدقه، فنرد مذكرين بقول الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. وينسب التفسير المتداول إلى أيوب عليه السلام أمراضا شتى خطيرة، حتى أنه أصبح مضرب المثل في الصبر على المرض في التراث الشعبي .كما ينسبون إلى إدريس عليه السلام أن إحدى عينيه كانت أعظم من الأخرى (الإتقان في علوم القرآن). ويقولون عن شعيب عليه السلام إنه قد عمي في آخر عمره. فالمرض لم يُعصم منه النبيون.

الناس يمرضون عادة، لكن بعضهم يمرض بسبب خطئه في الأكل والشرب وعدم الحيطة، أما البعض الآخر فهو بسبب التفاني في خدمة الدين والتضحية في سبيله. فكم هو عظيم مَن مَرِضَ وهو يخدم الدين! وكم هو لئيم من يعترض على مرضه!

باختصار، إن مَرَضا المسيح الموعود عليه السلام، كانا تحقيقًا لنبوءة الثوبين الأصفرين، ثم هما دليل على تفانيه في خدمة الدين، ثم هما دليل آخر على الإعجاز، إذ كيف لمريض أمراضا مزمنة أن يجاهد كل هذا الجهاد لولا توفيق الله تعالى؟

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "كنت أشعر بضعف شديد بسبب الضعف الدماغي والدُوار حتى خفتُ أن حالتي لم تعد صالحة للتأليف. وقد بلغ مني الضعف مبلغا وكأنه لا روح في الجسد. وفي هذه الحالة تلقيت إلهاما نصه: "تُرَدُّ إليك أنوار الشباب". فشعرت بعد بضعة أيام من ذلك كأن قوتي المفقودة بدأت تعود إليّ رويدا رويدا، وفي غضون بضعة أيام أحرزت من القوة ما أستطيع بها أن أكتب بيدي مجلدين كل يوم. ولم يقتصر الأمر على الكتابة فقط بل تيسرت أيضا قوة التفكير والتأمل والتدبر الكامل الضرورية للتأليف والتصنيف. صحيح أن هناك مرضينِ يلازمانني؛ أحدهما في الجزء العلوي من الجسم والثاني في الجزء السفلي منه. المرض في الجزء العلوي من الجسم هو الدُوار، أما في الجزء السفلي منه فهو كثرة التَبَوُّل. وإن هذين المرضين يرافقانني منذ زمنٍ أعلنت فيه أني مبعوثٌ من الله تعالى. لقد دعوت أيضا للشفاء منهما ولكني تلقيت جوابًا بالنفي، وأُفهمت أن نزول المسيح الموعود بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ قد جُعل آية له منذ البداية. فإن هذين المرضينِ هما المهرودتان اللتان لازَمَتا جسدي. والمراد من المهرودة، باتفاق الأنبياء عليهم السلام هو المرض. والمهرودتان هما المرضان يصيبان جزأين من الجسد. ولقد

كُشف عليّ أيضا أن المراد من المهرودتين هو مرضان. وكان لا بد من أن يتحقق ما قال الله تعالى". (حقيقة الوحي)

الاعتراض:

لماذا سميت الجماعة بالأحمدية وليس بالمحمدية؟ ألا يدل هذا على أنها منسوبة لمؤسس جماعتكم وليس إلى رسول الله ﷺ؟

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد سُمّيتْ هذه الفرقة بـ"الفرقة المسلمة الأحمدية" لأن نبينا ﷺ كان له اسمان اثنان؛ أحدهما محمد ﷺ والآخر أحمد ﷺ. أما محمد ﷺ فكان اسمًا جلاليًّا، وكان يتضمن نبوءة أن النبي ﷺ سوف يعاقب بالسيف هؤلاء الأعداء الذين هجموا على الإسلام بالسيف، فقتلوا مئات من المسلمين. ولكن أحمد ﷺ كان اسمًا جماليًّا، وكان يشير إلى أن النبي ﷺ سينشر الأمن والصلح في العالم. لقد قسّم الله هذين الاسمين بهذا الشكل؛ فقد تم ظهور اسم أحمد ﷺ في الفترة المكية من حياة النبي ﷺ، حيث كان التعليم هو التحلي بالصبر. ثم تمّ ظهور اسم محمد ﷺ في الفترة المدنية، حيث اقتضت حكمة الله تعالى ومصلحته قطعَ دابر المعارضين. ولكن أُنبئ أيضًا أن ظهور اسم أحمد سوف يتمّ مرة أخرى في الزمن الأخير أيضًا، وسوف يُبعث شخص تظهر بواسطته الصفات الأحمدية للنبي ﷺ (أي الصفات الجمالية)، فبالتالي ستتم القضاء على جميع الحروب. فلهذا السبب رأيتُ مناسبًا أن تُسمى هذه الفرقة بالفرقة الأحمدية، ولكي يفهم كل واحد عند سماع اسمها أن هذه الفرقة أنشئت لنشر الأمن والصلح في العالم، ولا علاقة لها مطلقًا بالحرب والجدال." (مجموعة الإعلانات؛ ج3، ص365- 366)

إذن، واضح أن التسمية هي نسبة للرسول ﷺ التي ظهرت صفاته الأحمدية في هذا العصر.

الاعتراض:

هناك تناقض في أقوال مؤسس الجماعة، فمرة يقول: لا نبي بعد سيدنا محمد ﷺ،ثم يدّعي النبوة. فقبل أن يدّعي النبوة قال "وقد قال رسول الله ﷺ بأنه لا نبي بعده"، وسماه خاتم النبيين، فمن أين يأتي نبي بعده؟ ألا تتفكرون يا معشر المسلمين؟"

فكيف تفسرون هذا التناقض؟

الردّ:

لا تناقض، بل النص هنا ينفي مجيء نبي بعد نبينا محمد ﷺ غير تابع له، بل نبي من أمة أخرى ينسخ أحكامًا إسلامية، كما هو في ذهن عامة المسلمين، حيث ينتظرون عيسى بن مريم عليه السلام.

فالنص هنا لينفي نزول عيسى بن مريم عليه السلام بجسده العنصري، وليس لينفي أحاديث النزول التي تتحدث عن نبي بنص صريح كما في صحيح مسلم، حيث وردت صفة نبي للمسيح أربع مرات في حديث واحد.

وباختصار: حيثما نقرأ للإمام المهدي عليه السلام نفيا للنبوة بعد سيدنا محمد ﷺ، فالمعنى نفي النبوة التشريعية أو النبوة الكاملة المستقلة، لا النبوة التابعة. وحيثما نقرأ له إقرارا بها، فهذا يعني إثبات النبوة التابعة، فالمنفي شيء والمثبت شيء آخر.

الاعتراض:

الله ليس كمثله شيء، ولكن يقال أن المؤسس شبه الله بالإخطبوط، فما صحة ذلك؟

الردّ:

إن من دلائل صدق المسيح الموعود عليه السلام أن له أعداء كُثْرًا من المجرمين، وهذا مصداق قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾.. وله أعداء كُثْرٌ مِن السادة ومن الرعية ينسقون فيما بينهم لمحاربته وجماعته، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾. (الأنعام: 113)

وهذه الحرب عمادهم فيها الكذب؛ فمعاذ الله أن يصف المسيح الموعود عليه السلام الله سبحانه وتعالى بحيوان أو بأي مخلوق! يقول حضرته عليه السلام عن الله تعالى:

"إنه ذلك الأحد الذي لا شريكَ له، ولا ولدَ له، ولا صاحبةَ له. وإنه ذلك الفريد الذي لا كفوَ له... إنه قريب مع بُعده، وبعيد مع قربه، وإنه يمكن أن يُظهر نفسه لأهل الكشف على سبيل التمثُّل، إلا أنه لا جسمَ له ولا شكلَ". (الوصية، ص11)

الحقيقة أن المسيح الموعود كان يبين بأن الله تعالى هو عِلّة العِلل؛ الذي تقوم بوجوده كل الموجودات. ثم يقول: إن علاقة الله بالمخلوقات والعالمين جميعا كعلاقة الروح بالجسد، فكما أن جميع الأعضاء تكون تابعة لإرادة الروح وتميل حيثما مالت الروح، فالأمر ذاته بالنسبة إلى العلاقة بين الله ومخلوقاته.

ثم يقول: لقد كشف عليَّ الحكيمُ مُطلقُ الحكمةِ هذا السرّ؛ بأن هذا الكون كله مع جميع أجزائه هو كالأعضاء التي لا تقوم بنفسها، بل تستمد القوة كل حين من ذلك الروح الأعظم من أجل تنفيذ أفعال علّة العِلل تلك وإراداتِها، كما تكون جميع قوى الجسم بوجود الروح فيه، وبعض أشياء هذا الكون -الذي هو بمنزلة الأعضاء لذلك الروح الأعظم- هي بمنزلة نور وجهه سبحانه وتعالى التي تمدّ بالنور ظاهرًا أو باطنًا بحسب إراداته سبحانه وتعالى، وبعض هذه الأشياء هي بمنزلة يده، وبعضها بمنزلة

رجله، وبعضها بمنزلة نَفَسِه ﷻ. باختصار، إن مجموعة هذا العالم هي بمنزلة الجسم بالنسبة إلى الله تعالى، وكل ما لهذا الجسم من رونق وبهاء وحياة إنما هو بسبب ذلك الروح الأعظم الذي هو قيّومه. وكلما تحركت إرادة ذلك القيوم تحركت أعضاء هذا الجسم كلها أو بعضها بحسب ما يقتضيه القيوم.

ولتصوير البيان المذكور آنفًا يمكننا أن نفرض على سبيل التخيّل أن قيّوم العالمين هو وجود أعظم له أعضاء من أيدٍ وأرجل تخرج عن حدّ الإحصاء والطول والعرض، وأنّ لهذا الوجود الأعظم خيوطًا -كما تكون للإخطبوط- تصل إلى أنحاء صفحة الوجود كله وتعمل عمل الجاذبية، وهذه الأعضاء هي نفسها التي تسمى العالم. وكلما تحرَّك قيّوم العالم حركة جزئية أو كلية، فلا بد من أن تحدث حركة في أعضاء هذا العالم، وسوف ينفِّذ جميع إراداته من خلال هذه الأعضاء وليس بطريق آخر. فهذا هو المثال الوحيد سهل الفهم لهذا الأمر الروحاني. (الخزائن الروحانية؛ ج3، توضيح المرام، ص88-90)

لقد كان المسيح الموعود عليه السلام قبل ذلك يتحدث عن دور الملائكة، وهنا يبين قيّومية الله ﷻ بمثال لتسهيل الفهم كما قال ليس أكثر.

الاعتراض:

يقول المؤسس أن عمر الكرة الأرضية ستة آلاف سنة، بينما المعروف أن عمرها ملايين أو مليارات السنين، فما ردكم؟

الردّ[11]**:**

لا بد من أخذ الأمور التالية بعين الاعتبار لتوضيح مسألة عمر الدنيا:

1- صحيح أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد تعرض لهذا الموضوع في عديد من كتبه. ولكنه حيثما ذكر عمر الدنيا بيّن بوضوح تام أن المقصود من هذا العمر هو الفترة الزمنية الممتدة من آدم إلى زمننا الراهن. فالفترة ما بين آدم والنبي الكريم عليهما السلام هي خمسة آلاف سنة تقريبًا- حيث أوحى الله ﷻ للمسيح الموعود عليه السلام بأن هذه الفترة تساوي ما تساويه "سورة العصر" في حساب الجُمّل- وبعد ذلك مضى ألف عام، ثم في الألف السابع وُلد المسيح الموعود عليه السلام.

2- ليس المراد من ذلك الفترة الزمنية منذ خلَق الله هذه الدنيا وإلى أن تقوم القيامة الكبرى، فمن المعروف أن الديناصورات كانت قبل هذه الفترة بآلاف السنين، ولا ينكر أحد أن تاريخ

---

[11] هذا الرد من إعداد المبشر محمد طاهر نديم

الدنيا منذ خلقها موغل في القدم. لم يترك المسيح الموعود عليه السلام هذا اللبس، بل دفعه بوضوح فقال أثناء حديثه عن عمر الدنيا ما تعريبه:

"إن كان تاريخ خلق السماوات والأرضين يضم مئات الألوف من السنوات أو ملايين السنين فلا يعلمها إلا الله، غير أن الفترة الزمنية منذ ولادة أبي نوع البشر آدم صفيّ الله إلى عصر النبي ﷺ هي كما أسلفنا، أي 4739 عاما بحساب التقويم القمري و4598 عاما بحسب التقويم الشمسي." (تحفة غولروية، الخزائن الروحانية؛ ج 17، ص 247، الحاشية)

ومما يدل على أن المسيح الموعود عليه السلام كان يقول بأن عمر البشرية طويل هو ما جاء في "التفسير الكبير" للخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام، حيث يقول: "وأذكر في هذه المناسبة حوارا جرى بين مؤسس الجماعة الأحمدية وبين مُنجِّم أسترالي حول مسألة خلق آدم. وقد زار هذا المنجِّم عدة مدن في الهند، والتقى معه في لاهور، حيث دار بينهما هذا الحوار:

سؤال: ورد في التوراة أن آدم أو الإنسان الأول ظهر في أرض جيحون وسيحون، وقطن هناك، فهل هؤلاء المقيمون في أمريكا وأستراليا وغيرها هم أيضا من أبنائه؟

جواب: لسنا نقول بذلك، ولا نتبع التوراة في هذه القضية.. حتى نقول بما تدّعيه من أن الدنيا بدأت بخلق آدم منذ ستة أو سبعة آلاف عام، ولم يكن قبل ذلك شيء، فكأن الله عز وجل كان متعطلا! كما أننا لا ندّعي أن بني نوع الإنسان الذي يقطنون اليوم في مختلف أنحاء الأرض هم أولاد آدم هذا الأخير، بل إننا نعتقد بأن بني الإنسان كانوا موجودين قبله.. كما يتبين من كلمات القرآن الحكيم.. ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. فلا يمكن لنا الجزم بأن سكان أستراليا وأمريكا من أولاد آدم هذا، ومن الجائز أن يكون بعض الأوادم الآخرين."

ويتابع ابن المسيح الموعود عليه السلام قائلا في تفسيره: "وأشير بهذا الصدد إلى كشف عجيب رآه الشيخ محي الدين بن عربي– وهو شخصية إسلامية بارزة– فقد قال:

" أراني الحق تعالى فيما يراه النائم.. وأنا أطوف بالكعبة مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم، فأنشدونا بيتين نسيت أحدهما وأذكر الثاني وهو:

لقد طفنا كما طفتم سنينا   بهذا البيت طرًا أجمعينا

فتعجبت من ذلك. وتسمى لي أحدهم باسم لا أذكره، ثم قال لي: أنا من أجدادك. قلت: كم لك منذ مت؟ فقال: لي بضع وأربعون ألف سنة. فقلت له: فما لآدم هذا القدر من السنين؟! فقال لي: عن أي آدم تقول، عن هذا الأقرب إليك عن غيره؟ فتذكرت حديثا لرسول الله ﷺ أن

الله خلق مائة ألف آدم، وقلت: قد يكون ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك ".(كتاب الفتوحات المكية؛ ج3، الفصل الخامس في المنازلات، باب 309)

يفهم من هذا الكشف أن آدم الموحى إليه، والذي ينتسب إليه بنو آدم اليوم، لم يكن آدم الأول، بل إنه آخر الآوادم. وكذلك يظهر منه أن كلمة "آدم" قد تستعمل كصفة أيضا، وذلك بمعنى الجد الأكبر، وأن الوجود البشري مازال مستمرا منذ أقدم العصور، وأن الدور المذكور في الأحاديث النبوية الشريفة.. والمحدد بسبعة آلاف سنة.. إنما أريد به دور آدم الأخير فقط.. وليس أدوار البشرية جمعاء." (التفسير الكبير، المجلد الأول)

الاعتراض:

أنتم تنتقدون بشدة القول بحياة المسيح عليه السلام في السماء، وترونه شركًا، لكن مؤسس جماعتكم ظل يقول بذلك عشرات السنين، فهل كان مشركًا؟ وهل يبعث الله المشركين أنبياء؟

الردّ[12]:

إن إيمان المسيح الموعود عليه السلام بحياة المسيح عليه السلام في السماء في كتابه "براهين أحمدية" دليل على براءته من تهمة التخطيط المبكّر لادعاء أنه المسيح الموعود، فلو كان الأمر مدبَّرا لما أعلن إيمانه بأمر، ثم تراجع عنه لاحقًا. وهذا الذي يجب أن يتنبه إليه مَن وهبه الله صفة إحسان الظن.

أما سببُ وصفِ المسيحِ الموعود عليه السلام القائلين بحياة المسيح عليه السلام في السماء بالشرك وسوء الأدب، فهذا بعد أن أقيمت عليهم الحجة. أما من لم يسمع بالأدلة على ذلك، فلا تثريب عليه.

إن القول ببقاء المسيح في السماء آلاف السنين فيه سوء أدب، لأنه يتضمن تفضيلا للمسيح على سيدنا محمد ﷺ، ولأنه يتضمن عدم نجاحه ﷺ في إصلاح أمته، مما حتّم الاستنجاد بنبي من أمة أخرى، ولأنه ينسب العجز إلى الله تعالى باعتباره غير قادر على خلق مثيل للمسيح. وفيه إساءة لهذه الأمة باعتبارها عاجزة عن إنجاب مصلح لها مثل بقية الأمم.

وفيه شرك، لأنه ينسب إلى المسيح صفات لا يتصف بها غير الله؛ كالإحياء المادي، والخلق المادي، والجلوس على يمين الله. يقول المسيح الموعود عليه السلام : "بل هو تُوفّي كمثل إخوانه، ومات كمثل أهل زمانه. وإنّ عقيدة حياته قد جاءتْ في المسلمين من الملّة النصرانية، وما اتّخذوه إلهًا إلا بهذه الخصوصية، ثم أشاعها النصارى ببذل الأموال في جميع أهل البدْو والحضر، بما لم يكن أحد فيهم من أهل الفكر والنظر." (الاستفتاء)

---

[12] إعداد هاني طاهر

وهذا لا يتضمن أن القائلين قَبْل ذلك بصعود المسيح إلى السماء حيًّا سيئو الأدب ومشركون. بل هم مجتهدون مخطئون، لأنهم لم يتنبهوا لخطورة هذا الاعتقاد، ولم يتفكروا في المسألة وفيما تتضمنه، بل مروا عليه كما يمرون على أي مسألة غيبية يفوضون أمرها إلى الله تعالى، ولأن هذا ما أدى إليه اجتهادهم، ولأنهم لم يسمعوا بأدلة ناقضة لقولهم.. ولم يُعرضوا عن الحق بعد أن جاءهم. يقول المسيح الموعود عليه السلام: "وأما المتقدّمون من المسلمين فلم يصدر منهم هذا القول إلا على طريق العثار والعثرة، فهم قوم معذورون عند الحضرة، بما كانوا خاطئين غير متعمّدين. وما أخطأوا إلا من وجه الطبايع الساذجة، والله يعفو عن كلّ مجتهد يجتهد بصحّة النيّة، ويؤدّي حقّ التحقيق من غير خيانة على قدر الاستطاعة. إلا الذين جاءهم الإمام الحَكَم مع البيّنات من الهُدى، وفرّق الرُّشد من الغيّ وأظهر ما اختفى، ثم أعرضوا عن قوله وما وافَوا دروب الحقّ بل منعوا من وافى. وخالفوه وماتوا على عناد وفساد كالعدا، وفرحوا بهذه ونسوا غدا." (الاستفتاء)

لماذا لم يقل المسيح الموعود عليه السلام بوفاة المسيح منذ البداية؟

وأمّا ما دفع المسيح الموعود عليه السلام إلى عدم القول بوفاة المسيح عشر سنين رغم الوحي والإلهام، فسَبَبُه تمسُّكُه بعقيدته، ومحاولتُه تأويل الإلهامات بشأن وفاة المسيح؛ فقد كان يرى أن تفسير العلماء المتداول هو الحق، وأن أي إلهام لا بدّ من فهمه في ضوء القرآن وتفسيره المعروف. ولكن لما أمره الله تعالى بأن يصدع بحقيقة أنه هو المسيح، ما كان له أن يتأخر عن أمر الله. أما قبل الأمر بالصدع، فهذا اجتهاده الذي غيّره الله لاحقا. وهذا ما قاله عليه السلام: "الوحي الرباني كان واضحًا، لكنني مثل غيري من البشر أتعرض للخطأ وللنسيان"

ويقول عليه السلام:

أما الاعتراض: كيف كتبت هكذا، ولماذا حصل التناقض في أقوالك، فاسمعوا وعُوا: إن مَثَل هذا التناقض كمثل التناقض الموجود في "براهين أحمدية"، حيث كتبتُ فيه أن المسيح ابن مريم سوف ينزل من السماء، ثم كتبت فيما بعد أنني أنا المسيح الموعودُ ظهورُه. وإنما سبب ذلك التعارض أنه، بالرغم من أن الله تعالى قد سماني عيسى في "براهين أحمدية" كما قال لي أيضًا: إن الله ورسوله قد أخبرا بمجيئك، إلا أن طائفة من المسلمين - وكنتُ من بينهم - كانوا يعتقدون بكل شدة بأن عيسى سوف ينزل من السماء، لذلك لم أُرد حمل وحي الله سبحانه وتعالى على الظاهر، بل قمت بتأويله، وظللتُ متمسكًا بعقيدة جمهور المسلمين، ونشرتُها في "براهين أحمدية". ولكن بعد ذلك نزل علي وحي الله في هذا الشأن كالمطر قائلا: إنك أنت المسيح الموعودُ نزولُه، كما ظهرت معه مئات الآيات أيضًا، وقامت السماء والأرض كلتاهما شاهدةً على صدقي، وإن

آيات الله المشرقة اضطرتني إلى الاقتناع بأنني أنا ذلك المسيح الموعود مجيئه في الزمن الأخير. وإلا فلم تكن عقيدتي الشخصية إلا ما كنت سجّلته في "براهين أحمدية".

ثم إني لم أكتفِ بذلك، بل عرضتُ هذا الوحي على القرآن الكريم، فثبت بآيات قطعية الدلالة أن المسيح ابن مريم قد تُوفي فعلاً، وأن الخليفة الأخير سيأتي باسم المسيح الموعود من هذه الأمة نفسها. وكما أن الظلام يتبدد بطلوع النهار، كذلك قد اضطرتني مئات الآيات والشهادات السماوية والآيات القرآنية القطعية الدلالة والنصوص الحديثيّة الصريحة للإيمان بأني أنا المسيح الموعود. لقد كان يكفيني أن يرضى الله عني. إني لم أكن أتمنى هذا المنصب قط. كنت في زاوية الخمول، ولم يكن أحد يعرفني، كما لم أكن أحب أن يعرفني أحد، ولكن الله ﷻ نفسه أخرجني من زاوية الخمول قسرًا. لقد وددت أن أعيش خاملاً وأموت خاملاً، ولكنه تعالى قال: إني سأنشر اسمك بالعزة في الدنيا كلها. فاسألوا الله تعالى لماذا فعل هكذا؟ ما ذنبي في ذلك؟

كذلك تمامًا كنت أعتقد في أول الأمر وأقول: أين أنا من المسيح ابن مريم؟ إذ إنه نبي، ومن كبار المقربين عند الله تعالى، وكلما ظهر أمر يدل على فضلي، كنت أعتبره فضلا جزئيًّا، ولكن وحي الله ﷻ الذي نزل علي بعد ذلك كالمطر لم يتركني ثابتًا على العقيدة السابقة، وأُعطيتُ لقب "نبي" في صراحة تامة، بحيث إنني نبي من ناحية، وتابعا للنبي ﷺ ومِن أُمته من ناحية أخرى.....

وملخص القول؛ ليس هناك من تناقض في كلامي. إنما أتّبع وحي الله تعالى. فما لم يأتني منه علمٌ ظللتُ أقول نفسَ ما قلت في أول الأمر، ثم قلتُ خلافَه بعد أن جاءني العلم منه ﷻ. إنما أنا بشر، ولا أدّعي معرفة الغيب". (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج 22، ص 152 - 154)

الاعتراض:

لقد بشر الرسول ﷺ بنزول عيسى بن مريم نفسه، وأنتم تقولون شبيهه! من أين أتيتم بكلمة شبيهه؟ أليس هذا تحريفا منكم للنص؟

الردّ:

لو كان عيسى عليه السلام حيًّا لكان هذا الاعتراض له وزن، أما وقد ثبتت وفاته بأدلة دامغة، فبات واضحا أن المقصود بنزوله بعثة شبيه له. وذِكرُ شخص باسمه، وإرادة غيره؛ أسلوب شائع جدا في اللغة، ولا زال الناس يستخدمونه، والسياق يبيّن المقصود بسهولة، فحين يقول خطيب الجمعة: ما لم يقم فينا "صلاح الدين" فلا أمل في النصر. فمن المقصود؟ هل يشك الناس في قصده؟ وإذا ردّ

شخص على الخطيب وقال: ما لم يقُم فينا جيل "صلاح الدين" فلن يقوم صلاح الدين. فمن المقصود؟ وحين يقال: قم يا صلاح الدين وارفع ذلَّنا. فما المقصود؟

وحين يكتب شخص لصديقه معبرا عن إعجابه بأدائه: كلما رأيتك تتحدث في التلفاز، عرفت أن الشافعي قد قام فينا. فما المقصود؟

وحين تقرأ خبرا عريضا بعنوان: ستالين يعود لموسكو بعد نصف قرن على وفاته. فما المقصود؟

وهناك مئات من الأمثلة التي يتحدث بها الناس من هذا القبيل، ويفهمون منها بسلاسة أنه ليس المقصود خروج "صلاح الدين" من قبره، بل نهوض شخص من هذه الأمة بمستواه.

فما الفرق بين هذه الأمثلة وبين أحاديث النبي ﷺ التي تتحدث عن نزول المسيح؟ هل يعود المسيح الذي مات؟ هل انقطع الخير من هذه الأمة بحيث لا يستحق أحد منها هذا اللقب ليأتي الله بنبي من أمة أخرى؟ هل هذا من سنة الله؟

وهذا الأسلوب نفسه استخدمه الرسول ﷺ مرة في غير موضوع نزول المسيح أيضا، حيث قال بعد أن أُخبر بقتل أبي جهل: "الحمد لله الذي قد أخزاك يا عدو الله. هذا كان فرعون هذه الأمة". (البداية والنهاية، ج 3 ص 353) مع أن أبا جهل لم يكن فرعونا ولا حتى مصريا.

وختام المسك لهذا الاستخدام هو الآية القرآنية، فهي القول الفصل، حيث يقول الله تعالى ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ *.... فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.. فالآية تقول حرفيا: إن بني إسرائيل ورثوا ملك مصر بعد غرق فرعون، وهذا غير صحيح، فهم لم يرثوا ملك مصر، بل ورثوا فلسطين. وهذا يعني أن الله تعالى قد أطلق على فلسطين اسم مصر هنا للمشابهة بينهما.

الاعتراض:

ما هو نسب مؤسس الجماعة؟ مرة يقول أنه مغولي، ومرة يقول أنه فارسي، فكيف ذلك؟

الردّ:

كتب المسيح الموعود عليه السلام في كتاب الاستفتاء يقول: "وقع في نفسي أن أكتب شيئًا من سوانحي وسوانح آبائي في هذه الرسالة، لأعرّف به الناسَ أمري، لعل الله ينفعهم، ويزيدهم قوّة لِرفع الضلالة، ولعلّهم يفكّرون في أصل الحقيقة، ويميلون إلى العدل والنَّصَفة.

فاعلموا، رحمكم الله، أني أنا المسمى بـ غلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى، وميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد، وميرزا عطا محمد بن ميرزا كل محمد، وميرزا كل محمد بن ميرزا فيض محمد، وميرزا فيض محمد بن ميرزا محمد قائم، وميرزا محمد قائم بن ميرزا محمد أسلم، وميرزا محمد أسلم

بن ميرزا دلاور بيك، وميرزا دلاور بيك بن ميرزا إله دين، وميرزا إله دين بن ميرزا جعفر بيك، وميرزا جعفر بيك بن ميرزا محمد بيك، وميرزا محمد بيك بن ميرزا محمد عبد الباقي، وميرزا محمد عبد الباقي بن ميرزا محمد سلطان، وميرزا محمد سلطان بن ميرزا هادي بيك.

ثم اعلموا أنّ مسكني قريةٌ سُمّيت ببلدة الإسلام، ثم اشتهر باسم "قاديان" في هذه الأيام. وهي واقعة في الفنجاب بين النهرين "الراوي" و"البياس"، إلى جانب المشرق مائلا إلى الشمال من "لاهور" الذي هو صدر الحكومة ومركز البلاد الفنجابية.

وإني قرأتُ في كتب سوانح آبائي وسمعت من أبي أن آبائي كانوا من الجرثومة المغْليّة. ولكن الله أوحى إليّ أنّهم كانوا من بني فارس لا من الأقوام التركيّة. ومع ذلك أخبرني ربي بأنّ بعض أمهاتي كُنَّ من بني الفاطمةِ، ومن أهل بيت النُّبوّةِ، والله جمع فيهم نسل إسحاق وإسماعيل من كمال الحكمة والمصلحة.

وسمعتُ من أبي وقرأت في بعض سوانحهم أنّهم كانوا في بدء أمرهم يسكنون في بلدة "سمرقند"، قبل أن يرحلوا إلى الهند، وكانوا من أمراء تلك الأرض ووُلاتها، ومن أنصار الملّة وحُماتها. ثم طرحتْهم النوى مَطارحَها، وبسطتْ إليهم سيول السفر جوارحَها، حتى إذا وطئوا أرض هذه البلدة التي تسمى بـ"قاديان" ورأوا هذه الخِطّة المباركة، والتُّربة الطيبة، سرّتْهم ريحها وماؤها، وسوادها وخضراؤها، فألقَوا فيها عصا التَّسْيار....."

وقد أثار البعض شبهةَ أن هناك تناقضا في أقوال المسيح الموعود ؑ بشأن نسبه، وقد ردّ عليهم الخليفة الرابع للمسيح الموعود ؑ، حيث جاء في خطبة جمعة ألقاها رحمه الله بتاريخ 29-3-1985م ما يلي:

أما فيما يتعلق بسلسلة نسبه ؑ فيقول حضرته:

"إن فرع قومنا هي "مغول برلاس". ويتبين من مستندات آبائنا المحفوظة إلى الآن أنهم كانوا قد هاجروا إلى هذه البلاد من "سمرقند". وكان عددهم الذي شمل الأهل والخدم حوالي 200 نسمة. ودخلوا هذه البلاد بصفتهم زعماء محترمين." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية؛ ج13 ص162-163، الحاشية)

ثم يقول حضرته: "إن هذه الأسرة اشتهرت بأسرة مغولية -كما ظُنَّ ظاهريا - ولكن الله تعالى العالم بالغيب أظهر عليّ الحقيقة بالتكرار في وحيه المقدس أن هذه الأسرة فارسية الأصل. ودعاني بكلمة "أبناء الفارس." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج22 ص80، الحاشية)

الواقع أن الأمور الثلاثة المذكورة لا تحتوي على أي تعارض بل كلها صحيحة في آن معًا... عندما حققتُ في الموضوع تبين لي أن جدَّ سيدنا المسيح الموعود ﷺ كان قد هاجر من سمرقند، ولكن سمرقند لا تقع في إيران اليوم. هنا ظهرت المشكلة للعيان أنه إذا كان فعلا قد هاجر من سمرقند وكان يُدعى مغوليًّا أيضا، فكيف أصبح من أهل فارس؟ ومن ناحية ثانية كان الله ﷻ قد أخبر سيدنا المسيح الموعود ﷺ بالوحي أنه فارسي الأصل، وبطبيعة الحال لم يكن لدى حضرته خبرٌ أكثر صدقًا منه في هذا الصدد. فأقرَّ حضرته ﷺ معتمدا على علم الجغرافية السائد آنذاك وقال: إننا كنا قد هاجرنا من سمرقند إلى هنا، وأقرَّ أيضا بأننا من المغول، ويؤكد المؤرخون أيضا على كوننا مغولا. فلم يكذب حضرته ﷺ فيما قال، وأوضح أيضا قائلا: إنني لا أرى سببا ولا أجد برهانا ظاهريا على كوني فارسي الأصل، غير أن الله ﷻ العالمَ بالغيب أخبرني بأنك فارسي الأصل."

فعندما بحثتُ في الموضوع أكثر تبين لي أن الجغرافية السياسية أيضا تتغير أحيانا مع مرور الوقت وليس للبلاد حدود ثابتة ودائمة. فقد جاء في الموسوعة البريطانية:

"في زمن الإمبراطور فيروز شاه بور - قبل حوالي300 عام من بعثة النبي ﷺ- كانت سمرقند عاصمة ولاية "سوغ ديانة" (ولاية حدودية إيرانية). وكانت سمرقند تقع داخل الحدود الإيرانية بأكثر من 120 كيلومترًا، إذ كانت سلطنة إيران ممتدة إلى هذه الدرجة."

وتضيف الموسوعة وتقول ما معناه:

"...كانت سمرقند جزءا من ولاية إيران أيضًا في زمن الإمبراطور خسرو برويز (كسرى (ملك الفُرس) الذي عاصر رسول الله ﷺ)، ثم ما زالت المدينة جزءا من إيران إلى مئات السنين." (الموسوعة البريطانية ج9)

إذن فالخبر الذي تلقاه سيدنا المسيح الموعود ﷺ من عالم الغيب والشهادة كان صحيحا تماما، وليس هناك أي تعارض بين تصريحاته ﷺ. الواقع أن أجداد سيدنا المسيح الموعود ﷺ كانوا قد هاجروا من سمرقند التي كانت عندها ولاية في سلطنة إيران، وكان سكان سمرقند يسمَّون "أهل فارس".

أما السؤال: هل كان حضرته من المغول أم لا، فيصبح أمرا ثانويا، لأن المغول الذين سكنوا الهند دُعوا المغولَ الهنود، والذين قطنوا أفغانستان دُعوا المغول الأفغان وهكذا دواليك. فهكذا يسقط هذا السؤال تلقائيا فيما إذا كان حضرته من المغول أم لا. ولكن لو أصر معارضونا على إثارة الاعتراض لا محالة، فليسمعوا شهادة المحققين أيضا في هذا الصدد. فيقول السيد "ستينلي

بول" في تأليفه عن الملوك المغول ما تعريبه: إن مصطلح المغول قد اختُرع لتمييز الهنود السود من سكان آسيا البيض الآخرين. لقد اختلط الغزاة المختلفون والحكام المسلمون أتراكا وأفغانا وبتانا ومغولا بعضُهم ببعض لدرجة أُطلقتْ عليهم جميعا كلمةُ المغول دون تمييز.

إذن فلا غرابة في ذلك، ولا معنى للاعتراض فيما إذا كان حضرته عليه السلام من المغول أم غيرهم. ما يقوله حضرته هو أن أُسرته تُدعى مغولا، ولكنه ليس متأكدا من حقيقة الأمر. من الممكن أن خطأً ما، قد وجد طريقه إلى التاريخ في هذا الصدد، لأن المؤرخين أيضا يعترفون بإمكانية حدوث مثل هذا الخطأ. أما فيما يتعلق بكونه من أهل فارس، فلا جدال فيه ولا شك.

انظر: الخطبة العاشرة في كتاب "زهق الباطل" على موقعنا islamahmadiyya.net

الاعتراض:

هل صحيح أن المؤسس قال "إن مؤتمرنا السنوي هو الحج، وأن الله اختار المقام لهذا الحج القاديان"، وهناك عبارات للخليفة الثاني يقول فيها ذلك بصراحة.

الردّ:

هذا من الكذب المجرد. المؤتمر ليس حجا، بل اجتماع سنوي، وله غاياته التي وضَّحها المسيح الموعود عليه السلام.

ينسب بعض المعارضين إلى جماعتنا إلغاءها ركن الحجّ إلى البيت الحرام في مكة المكرمة، وقولها بوجوب الحج إلى قاديان. ولما سُقط في أيديهم وثبت للناس كذبهم غيَّروا في هذه التهمة، فنسبوا لنا أننا نرى أن الحج إلى البيت الحرام لا يكتمل من دون زيارة قاديان.. أي أننا أضفنا ركنا جديدا للحج. وقال آخرون: إن الجلسة السنوية هي بديل عن الحج.. إلى غير ذلك من أكاذيب يتنافسون في اختراعها.

لو كنا نعتبر بأن الحج إنما يكون إلى قاديان كما يزعم المفترون، لما ذهب الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام للحج في عام 1912م، ولما ذهب ظفر الله خان -وهو الابن البار البطل للجماعة الإسلامية الأحمدية- للعمرة، ونزل في ضيافة الملك فيصل.

ولو كان افتراؤهم صحيحا ما ذهب العديد من الأحمديين للحج رغم منع الحكومات والسلطات من ذلك، حيث يُلقى القبض على بعض الأحمديين وهم في الحج؛ فقد ألقي القبض في أوائل السبعينيات على شودري محمد شريف مع زوجته، وسجنوهما شهورا منفصلين، وهما من كبار السن، وقد هددوهما بالقتل، فقال لهم هذا السجين المظلوم: افعلوا ما شئتم. وكان قد وشى بهما أحد كبار معارضينا في باكستان، وهو الشيخ منظور الشنيوتي. وقد اعتاد المشايخ البحث عن

الأحمديين في الحج، ليخبروا السلطات هناك باعتقادهم، فلو كانوا ينكرون هذه الفريضة فهل يخاطرون بحياتهم وحريتهم؟

ثم كيف يبتدع المسيح الموعود عليه السلام حجًّا وهو الذي أكد مرارا على أن الشريعة الإسلامية كاملة ولا نسخ فيها إلى الأبد؟ كيف له عليه السلام أن ينسخ الجهاد أو يغير الحج أو أي حكم وهو الذي نادى بكمال الإسلام وكمال الرسول وكمال القرآن الكريم وتنزيهه عن النسخ كله؟

يقول حضرته: "ونعتقد بأن الصلاة والصوم والزكاة والحج من فرائض الله الجليل، فمن تركَها متعمدا غيرَ معتذر عند الله فقد ضل سواء السبيل." (مواهب الرحمن، ص56)

ويقول حضرته عليه السلام: "وهنالك نوع آخر من العبادة وهو الحج. ولكن يجب ألا يكون الحج حجًّا ظاهريا فقط؛ بأن يأخذ الإنسان ما جمع من حلال وحرام من المال، ويتجه إلى بيت الله الحرام بالباخرة أو غيرها، ويردد بلسانه فقط ما يردد الناس هنالك، ثم يرجع ويفتخر بأنه الحاج. كلا، فليس الغرض الذي من أجله وضع الله الحج أن يحصل هكذا، والحق أنه من آخر مراحل العبادة والسلوك أن ينقطع الإنسان عن نفسه، ويعشق ربه، ويغرق في بحر حبه. فالمحب الصادق يضحى بقلبه ومهجته. والطواف ببيت الله الحرام رمز لهذه التضحية وهذا الفداء. وكما أن هناك بيتا لله تعالى على الأرض، فكذلك هنالك بيت لله في السماء، وما لم يطف به الإنسان لا يصح طوافه". (خطب الاجتماع السنوي سنة 1906م)

ويقول عليه السلام: "فيا جميع أولئك الذين تحسبون أنفسكم جماعتي لن تُعدّوا جماعتي في السماء إلاّ حين تسلكون سبل التقوى بالحق، لذلك فأقيموا صلواتكم الخمس بالخشوع وحضور القلب كأنكم ترون الله، وأتمّوا صيامكم لله بالصدق، وكل من وجبت عليه الزكاة فلْيؤدّها، ومن فُرض عليه الحج ولا مانع له فليحجّ". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية؛ ج 19، ص 15)

ثم كيف يمكن تصديق ما يُنسب للخليفة الثاني رضي الله عنه من إلغاء الحج، وهو من أدى هذه الفريضة، وكتب في التفسير الكبير صفحات كثيرة عن الحجّ والحكمة من كل مناسكه بتفصيل ممتع مفيد؟ وكيف يخطر بباله أن يخالف ما قاله القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم والمسيح الموعود عليه السلام؟

وفيما يلي نتطرق إلى بعض عبارات الخليفة الثاني التي يقدمها الخصوم مبتورة لنقرأها في سياقها:

يتحدث حضرته في بداية خلافته عن أهمية زيارة قاديان، فيقول: "هذا الحماس الذي تولد فيكم بالإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام يجب أن تستغلوه استغلالا صحيحا، وإلا فالحماس الخاطئ يدمّر؛ استغلوه لتعلم الدين....... وأول طريقة لتعلم الدين أن يكون لكم علاقة بالمركز الذي قد جعله الله تعالى في هذا العصر أُمًّا لكل الدنيا. وسواء صدق أحد أم لم يصدق، اعترف أم لم يعترف،

إلا أن الصحيح أن المولود لا يمكن أن يتربى تربية صحيحة إلا بلبن أمه، يمكن أن يتربى بلبن الماعز والبقر والجاموس، لكن لا يمكن أن ينال القوة الكاملة، لأن القوة الحقيقية إنما ينالها بلبن أمه. لقد جعل الله تعالى قاديان أُمًّا لقرى العالم كله في هذا العصر، لذلك لن تحيا أي قرية حياة روحانية كاملة إلا التي تتغذى من ثدي هذه الأم. فالطريق الحق والكامل لتعلم الدين إنما هو أن تأتوا هنا وتتعلموه من هنا. ولو قال أحد أن الحليب يمكن أن يُبعث إلى أماكن بعيدة في العُلَب، فلماذا لا نستفيد من هذا الطريق؟ ولكن شتان بين الحليب الطازج وغير الطازج. لا شك أن هذا الحليب يُبعث إلى الخارج في العلب -أعني الجرائد-، ولكن الفرق بينهما فرق الطازج وغير الطازج. فإذا كنتم تريدون أن تنتفعوا حقيقة فعليكم أن تأتوا هنا وتنتفعوا هنا من هذا الحليب، وإلا سوف نبعث لكم هذا الحليب في العلب على كل حال.

لعل بعضكم يقول أن حضورنا إلى قاديان في الجلسة السنوية يكفينا، ولكن هذا ليس صحيحا، لأننا في هذه المناسبة نبين الأمور إجمالا ونحث على العمل، ولا يكون عندنا فرصة للتعليم والتربية، وإنما تتيسر الفرصة لذلك في أيام سوى الجلسة. لذلك يجب أن تحضروا هنا في وقت آخر أيضًا. إن الإخوة الذين يأتون هنا في أوقات أخرى قد رأوا الفرق بين الحليب الطازج والمعلب، ولذلك لا يضيّعون أيّ إجازة ولا فرصة للمجيء هنا. إنهم يشقّون على أنفسهم ويتركون راحتهم ويفارقون أهلهم، ويحضرون هنا حتما، وينتفعون كثيرا بالفعل. إن حضورهم هنا مرة بعد أخرى نفسه دليل على أنهم يجدون فائدة في المجيء هنا، وإلا لماذا يأتون؟ فالحق أن الحضور هنا ضروروي هنا. لقد حث المسيح الموعود عليه السلام على ذلك كثيرا، وقال إن الذين لا يحضرون هنا مرة تلو مرة أخاف على إيمانهم، فالذي لن يبقى على صلة مع قاديان سوف يُقطع. فاحذروا من أن يُقطع أحدكم. وثانيا: إلام يبقى هذا الحليب طازجا؟ ألا ترون أن حليب الأمهات أيضا يجفّ! ألم يجفّ الحليب في ثدي مكة والمدينة؟ كذلك سيأتي وقت يرمي الله تعالى فيه بهذا الحليب بعيدا عن أولادنا وعن أولادهم أيضا، وذلك حين يجفّ هذا الحليب. ذلك الوقت سيأتي حتما، لذلك فمن واجبكم أن تشربوا هذا الحليب وتنتفعوا منه. إن مجيئكم إلى هنا مرة واحدة في السنة لن ينفعكم كثيرا، ولكن الأسف أن معظم الناس لا يهتمون بهذا الأمر. (أنوار العلوم، المجلد الرابع، ص135-136. اطلبوا العلم، خطاب الجلسة السنوية 27-12-1917)

فعبارة: ألم يجفّ الحليب في ثدي مكة والمدينة؟ تعني: أنه لم يعُد في مكة والمدينة علماء ربانيون يعلِّمون الناس دينهم الحقّ.

نوع من الحجّ الظلّيّ:

وقد اتهم الخارجون على الخليفة حضرتَه بأنه اعتبر حضور الجلسة السنوية في قاديان حجًّا، فردَّ عليهم حضرته في خطابه في الجلسة السنوية عام 1933م، وقال بعد أن بيّن ما في برامج الجلسة من تجهيزات وتوسيعات وما شابه ذلك: "على الإخوة أن يسعوا جاهدين للحضور إلى الجلسة السنوية كل سنة بأعداد أكثر من ذي قبل، فحضور هذه الجلسة ليس أمرا عاديا، بل فيه بركات كثيرة. هناك بيت شعر شهير للمسيح الموعود عليه السلام يردده الصغار أيضا، وهو أن أرض قاديان صارت محترمة الآن وصارت أرضًا حَرَمًا من كثرة الخلائق. لقد سبق أن قلت في خطبة قبل هذه الجلسة -وأنا أحثّ الإخوة على حضورها- بأن حضورها نوع من الحجّ الظلّيّ، وعندما نشرت جريدة "الفضل" هذه الخطبة فقد كتبتْ في العنوان الرئيس: "نوع من الحجّ الظلّيّ"، ولكن خلال متن الخطبة نسوا أن يذكروا كلمة "نوع من" التي قلتها. وحتى لو لم تكن هذه الكلمات، فهناك عبارة "الحجّ الظليّ"، مما يعني أن الحج الحقيقي قائم بذاته، فإننا عندما نقول أن المسيح الموعود عليه السلام نبي ظليّ، فهل يعني هذا أن رسالة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قد انتهت والعياذ بالله؟... إلى أن قال حضرته: "فالحق أن اعتراض غير المبايعين فارغ، فنظرًا للبركات التي قد جعلها الله تعالى في قاديان ولا سيما البركات التي في الجلسة السنوية هنا، فإن اعتبار حضور هذه الجلسة نوعا من الحج الظلي صحيح تماما. (جريدة الفضل، قاديان دار الأمان المجلد 20، العدد80 تاريخ 5-1-1933)

إذن، الاعتراض كان من غير المبايعين، وهذا لحسدهم لحضرته. ثم هو يدلّ على أنّ المسيح الموعود عليه السلام لم يقل بأن الجلسة بديل عن الحج قط، وإلا ما اعترضوا على الخليفة الثاني وحاولوا تشويه عبارته.

والمشكلة أن المفترين يستدلون أيضا بما جاء في جريدة للأحمديين الخارجين على خلافة حضرة الخليفة الثاني رضي الله عنه، وهي: "بيغام صلح، 19-4-1933"، وصاحب المقال يريد أن يتهمنا بأننا نعتبر زيارة قاديان بديلاً للحج، وينسب هذا القول إلى أحد الأحمديين.. ولكنه لم يكن صادقا للأسف، بل شوّه العبارات البريئة كما شوّهوا عبارة حضرة الخليفة الثاني.

اللافت في هذه النصوص كلها التي يلوون أعناقها أنها تكون في سياقات مختلفة؛ مثل الحضّ على حضور الجلسة. ولكن هؤلاء ينزعون كلمة من سياقها، وهذا واضح في المثال التالي؛ حيث يقول الخليفة الثاني رضي الله عنه وهو يحثّ الأحمديين على حضور الجلسة السنوية والاستفادة روحانيا من بركاتها: "قد صار الحج في هذه الأيام صعبا لكثير من الناس، لأنه لم يبقَ في تلك المنطقة الأمن والأمان الذي هو ضروري للحج أولا، وثانيا: ليس هنالك نظام لتحقيق الفوائد والمنافع التي هي المقصود

الحقيقي للحج، وثالثا: لأن الله تعالى يرى أن أهل الهند أكثر استعدادًا من غيرهم في سبيل خدمة دينه في هذا الزمن. وحيث إنه لا يمكن أن يذهب للحج إلا أصحاب المقدرة والثروة من جهة، ومن جهة أخرى فإن الفقراء الذين يتسببون في ازدهار الجماعات الربانية معذورون شرعًا من الحج بسبب فقرهم، ولذلك قد جعل الله تعالى حجًّا ظليًّا لكي يشترك فيه مسلمو الهند الفقراء الذين يرى الله تعالى فيهم الوسيلة لرقي الإسلام في هذا العصر. في العصر الأول للإسلام كانت مسؤولية نشر الإسلام ملقاة على العرب أكثر من غيرهم، وكانوا يستطيعون أن يصلوا مكة بسهولة، ولذلك كانت هناك فرص كثيرة في الحج لإنجاح هذه الخطة الربانية (نشر الإسلام)، ولكن لا يوجد في بلاد العرب في هذا العصر نظام لإنجاح هذه الخطة الإلهية، كما لا يمكن أن يصل الناس جميعا من كل العالم إلى هناك، ولذلك فإن عبادة الحج باقية، وستبقى إلى يوم القيامة، مثل فريضة الصلاة الباقية إلى يوم القيامة، وإن فريضة أداء عبادة الحج هنالك في أيام محددة، واجبة على كل من استطاع إليه سبيلا، ولكن ليس في مكة جماعة في هذا العصر تُعتبر مسؤولة عن نشر الإسلام، كما ليست حالة العرب ولا نظامهم قادر على تبليغ الإسلام، وإنما هذا النظام موجود الآن في الهند، والقوم الذين يقومون بهذه المهمة أيضا موجودون هنا، لذلك قد جعل الله تعالى الآن حجًّا ظليًّا، وجعل مركزه قاديان. وما دام نظام التبليغ هذا باقيًا في الهند، وما دامت قاديان مركزا له، وما دام أهل الهند يدركون أن الله تعالى قد ألقى عليهم مسؤولية نشر الهدى والرشد في العالم، فكل من يأتي إلى هذه الجلسة سوف ينال ثوابا، إضافةً إلى المنافع العلمية التي يكسبها بسماع الخطب في الجلسة، ولكن لو أن مسلمي الهند نسوا هذه النعمة الإلهية -لا قدّر الله- ولم يقدروها حق قدرها، واتخذ الله مكانا آخر مركزا لإنجاز هذه المهمة، **فحيث إنه ليس في هذه الجلسة أي شعائر تعبدية، إذ إن هذا العنصر مخصوص بمكة المكرمة فقط**، لذا سوف يصبح هذا الاجتماع في قاديان مجرد تقليد، ولن يبقى فيه ثواب. فمن واجب كل أحمدي أن يقدر هذه النعمة الإلهية حقّ قدرها وعظمة ثوابها، ويسعى جاهدا لإنجاح هذه الجلسة السنوية؛ سواء بالمال أو بالجهد أو بتقديم بيته للضيوف أو بأي خدمة أخرى. (خطبات محمود، مجلد 13، خطبات الجمعة، ص628، سنة 1931- 1932م، رقم الخطبة 73، يوم 25-11-1932)

واضح أن حضرته ﷺ يحث على حضور الجلسة، وخلال النصّ يبين أنه ليس هنالك شعائر تعبدية في الجلسة، وأنه إذا فُقدت الروحانية منها، فليس في حضورها ثواب.

ثم إن الجلسة السنوية لا تُعقد فى قاديان وحدها، بل فى عشراتٍ مِن دول العالم، فهل الحج في هذه البلاد كلها أيضا؟

لقد تحدث المسيح الموعود عليه السلام كثيرا عن الحج، وتمنى مرارا أن يزور مكة والمدينة، ويجعل "كحل عينيه تلك الثرى"، ثم إن الخليفة الأول والثاني قد حجّا بيت الله الحرام، ولا زال الأحمديون يحجون رغم المضايقات الكبيرة التي يواجهونها، وسيظلّون يحجّون.

الاعتراض: إن الله يرسل الرسول بلسان قومه، فلماذا نزل وحي على مؤسس جماعتكم بالعربية وبلغات أخرى؟

الردّ:

يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، وهذا حق، فكيف للرسول أن يوصلها إليهم وهو يتحدث بلغة أخرى ووحيه بلغة مختلفة؟

لقد نزل الوحي على المسيح الموعود عليه السلام بالعربية في غالبيته، وهو مفهوم له، وكذلك هناك قسم منه بالأوردو التي هي لغته اليومية؛ فالعربية هي لغة الدين الإسلامي، لغة القرآن، لغة المسلمين.. والأوردو هي لغة المخاطَبين الأوائل بدعوة المسيح الموعود عليه السلام.

إذًا، هذا هو موضوع الآية. ولا تقول الآية بأنه لا يجوز أن ينزل شيء من الوحي على الرسول بلغة أخرى غير لغته. كأن تكون آية على صدقه مثلا.

إن هذا موضوع آخر؛ فالآية لم تمنع أن ينزل وحي على المسيح الموعود عليه السلام بلغة لا يعرفها، بحيث تكون آية أخرى من آيات صدقه الكثيرة، إذ كيف يمكن له أن يفتري هذا القول بلغة لا يعرف منها شيئا؟ وهذا الوحي قليل جدا في وحي المسيح الموعود الذي نزل عليه بكثرة في العربية خاصة ثم بالأردية.

الاعتراض:

تفسيركم للدجال معقد، ولو صحّ لكان الرسول ﷺ يتحدث بألغاز وحاشاه.

الردّ:

هذه ليست ألغازا، بل هي نبوءات واضحة لمن اتقى الله وتدبر في آياته.

ولا بد أن يعلم كل إنسان أن النبوءات لا تقع على ظاهرها غالبًا، بل هي بحاجة إلى تفسير غالبا. وتفسيرها ليس صعبا، بل سهل ميسور، وإلا فهل يمكن أن يكون هناك حمار حقيقي كما تصفه الروايات؟ هل يعقل أن يسافر "تميم الداري" هذا السفر العجيب ويلقى دابة تفهم اللغة العربية؟ وأين هذه الدابة؟ ثم هل يعقل أن هنالك أناسا بالمليارات مختفين خلف سد ولا يُعرف عنهم

شيء؟ أسئلة عديدة تهدم التفسير المتداول من جذوره، وتجزم بصحة تفسيرنا وبساطته وعفويته.. وتؤكد على صدق سيدنا محمد ﷺ.

الاعتراض:

يقال أن المسيح الموعود عليه السلام قد شبّه الله تعالى بالملائكة؟

الردّ:

العبارات التي قصّها المفترون هنا قد كتبها حضرته لتنفي النزول المادي للملائكة.. فقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "واعلم.. حماك الله وحفظك ورَحَضَ درن أوزارك.. أن للمخالفين اعتراضات أخرى قد نشأت من سوء فهمهم وقلة تدبرهم، فأردنا أن نكتبها في كتابنا هذا مع جوابها لينتفع بها كل من كان رشيدا من الناس، مُصطفى مُبرًّا من دنس التعصب وكان من الطالبين.

فمنها أنهم يقولون إن الملائكة ينزلون إلى الأرض كنزول الإنسان من جبل إلى حضيض، فيبعُدون عن مقرهم، ويتركون مقاماتهم خالية إلى أن يرجعوا إليها صاعدين. هذه عقيدتهم التي يبيّنون، وإنّا لا نقبلها ونقول إنهم ليسوا فيها على الحق. فاشتد غيظهم وقالوا إن هؤلاء خرجوا من عقائد أهل السُنّة والجماعة، بل كفروا وارتدوا، فقاموا علينا معترضين.

وأما الجواب فاعلم أنهم قد أخطأوا إذ قاسوا الملائكة بالناس، ولا يخفى على الذي خُلق من طينة الحرية، وتفوّقَ دَرَّ الدراية اليقينية، أن الملائكة لا يشابهون الناس في صفة من الصفات أصلا، ولم يقم دليل من الكتاب ولا السُنّة ولا الإجماع على أنهم إذا نزلوا إلى الأرض فيتركون السماوات خالية كبلدة خرجت أهلها منها ويقصدون الناس بشقّ الأنفس، ويصلون الأرض بعد مكابدة الأسفار وآلامِ بُعدِ الشُقّة ومتاعبها وشدائدها، ومعاناةِ كل مشقة وجهد، بل القرآن الكريم يبيّن أن الملائكة يشابهون بصفاتهم صفاتِ الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، فانظر.. رزقك الله دقائق المعرفة.. أنه تعالى كيف أشار في هذه الآية إلى أن مجيئه ومجيء الملائكة ونزوله ونزول الملائكة متّحد في الحقيقة والكيفية. " فقال الخصم هنا تعليقا إن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام يقول: "الملائكة يشابهون بصفاتهم صفات الله تعالى في الحقيقة والكيفية" فانظر إلى هذا القصّ! يتحدث المسيح الموعود عليه السلام عن مشابهة نزول الملائكة بنزول الله، والخصم يقول: إن المسيح الموعود عليه السلام يشبه الملائكة بالله!

ويتابع المسيح الموعود عليه السلام يقول: "ولا حاجة إلى أن نذكّرك ما ثبت من نزول الله تعالى من العرش في الثلث الآخر من الليل فإنك تعرفه، ومع ذلك ما أظن أن تحمل ذلك النزول على

النزول الجسماني وتعتقد أن الله تعالى إذا ما نزل إلى السماء الدنيا فبقِي العرش خاليا من وجوده. فاعلم أن نزول الملائكة كمثل نزول الله كما تشير إليه الآيات المتقدمة، واللهُ أدخلَ وجود الملائكة في الإيمانيات كما أدخل فيها نفسه وقال: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ والْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾، وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ﴾. فبيّن للناس أن حقيقة الملائكة وحقيقة صفاتهم متعالية عن طور العقل، ولا يعلمها أحد إلا الله، فلا تضربوا لله ولا لملائكته الأمثال وأْتوه مسلمين.

وأنت تعلم أن كل مسلم مؤمن يعتقد أن الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل مع وجوده واستوائه على العرش، ولا يتوجّه إليه لومُ لائم ولا طعنُ طاعن لأجل هذه العقيدة، بل المسلمون قد اتفقوا عليها وما حاجّهم أحدٌ من المؤمنين. فكذلك الملائكة ينزلون إلى الأرض مع قرارهم وثباتهم في مقامات معلومة، وهذا سرٌ من أسرار قدرته، ولولا الأسرار لما عُرف الرب القهّار. ومقامات الملائكة في السماوات ثابتة لا ريب فيها كما قال عز وجل حكاية عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾. وما نرى في القرآن آية تشير إلى أنهم يتركون مقاماتهم في وقت من الأوقات، بل القرآن يُشير إلى أنهم لا يتركون مقاماتهم التي ثبّتهم الله عليها، ومع ذلك ينزلون إلى الأرض ويُدركون أهلها بإذن الله تعالى، ويتبرزون في برزات كثيرة، فتارة يتمثلون للأنبياء في صور بني آدم، ومرة يتراءون كالنور، وكرّة يراهم أهل الكشف كالأطفال وأخرى كالأمارد، ويخلق لهم الله في الأرض أجسادًا جديدة غير أجسادهم الأصلية بقدرته اللطيفة المحيطة، ومع ذلك تكون لهم أجساد في السماء، وهم لا يفارقون أجسادهم السماوية، ولا يبرحون مقاماتهم، ويجيئون الأنبياءَ وكل من أُرسِلوا إليه مع أنهم لا يتركون المقامات. وهذا سر من أسرار الله فلا تعجب منه، ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير، فلا تكن من المكذبين.

وانظر إلى الملائكة.. كيف جعلهم الله كجوارحه، وجعلهم وسائط قدره في الأمور وكُنْفَيَكُونِيّتِهِ في كل أمر، ينفخون في الصور على مكانتهم، ويبلّغون صيحتهم إلى من يشاءون، ولا يعجز أحد منهم عن أن يدرك كلَّ من في المشارق والمغارب في طرفة عين أو في أقل منها، ولا يشغله شأن عن شأن. فانظروا مثلا إلى ملك الموت الذي وُكِّل بالناس.. كيف يقبض كل نفس في الوقت المقدر، وإن كان أحد من الذين يُتَوَفَّون في آن واحد في أقصى المشرق والآخر في منتهى بلاد المغرب. فلو كانت سلسلة هذا النظام الإلهي موقوفة على نقل خطوات الملائكة من السماء إلى الأرض، ثم من بلدة إلى بلدة، ومن مُلكٍ إلى مُلكٍ، لفسد هذا النظام الأمريّ، ولتطرّقَ حرج عظيم في أمور قضاء الله وقدره، ولَمَا كان لملَكٍ عند انتقاله من مكان إلى مكان أن يأمن إضاعة

الوقت وفوت الأمر المقصود، ولَوَرَدَ في وقت من الأوقات مورد العتاب، ولأُرْهِقَ في يوم من الأيام بعتبة رب الأرباب، لأجل ما فاته فعلُ الأمر على وقته، ولأُخِذَ بأنواع العقاب. وأنت تعلم أن شأن الملائكة منزّهٌ عن هذا، وهم يفعلون من غير مُكْثٍ، وفعلُهم فعلُ الله من غير تفاوت، فتدبر ولا تكن من الغافلين. (حمامة البشرى)

ويقول المسيح الموعود الطَيْلا :

تقولون إعراضا عن مقالتي، وإظهارًا لضلالتي، إن الملائكة ينزلون إلى الأرض بأجسامهم ويُقْوُون أماكنَ مقامهم، ويتركون السماوات خالية، وربما تمرّ عليهم برهة من الزمان لا يرجعون إلى مكان، ولا يقرَبونه لتمادي الوقت على وجه الأرض لإتمام مهمات نوع الإنسان، ويضيعون زمان السفر بالبطالة كما هو رأي شيخ البطالة؛ وإنه قال في هذا الباب مجملا، ولكن لزمه ذلك الفساد بداهة، فإن الذي محتاج إلى الحركة لإتمام الخطة، فلا شك أنه محتاج إلى صرف الزمان لقطع المسافة وإتمام العمل المطلوب من هذا السفر ذي الشأن، فالحاجة الأُولى توجب وجود حاجة ثانية، فهذا تصرُّفٌ في عقيدة إيمانية. ثم من المحتمل أن لا يفضُل وقت عن مقصود، ويبقى مقصود آخر كموءود؛ فانظر ما يلزم من المحذورات وذخيرةِ الخزعبلات، فكيف تخرجون من عقيدة إيمانية إلى التصرفات والتصريحات، وأنتم تعلمون أن وجود الملائكة من الإيمانيات، فنزولهم يشابه نزول الله في جميع الصفات. أيقبل عقلٌ إيمانيٌّ أن تخلو السماوات عند نزول الملائكة ولا تبقى فيها شيء بعد هذه الرحلة؟ كأنّ صفوفها تقوضت، وأبوابها قُفلت، وشؤونها عُطّلت، وأمورها قُلّبت، وكل سماء ألقت ما فيها وتخلّتْ. إن كان هذا هو الحق فأَخرِجوا مِن نصٍّ إن كنتم صادقين. ولن تستطيعوا أن تخرجوا ولو متم، فتوبوا واتقوا الله يا معشر المعتدين.

اعلموا أن الدراية والرواية توأَمانِ، فمَن لا يراهما بنظر واحد فيقع في هوة الخسران، ويُضيع بضاعة العرفان، ثم بعد ذلك يُضيع حقيقة الإيمان ويلحق بالخاسرين. ومن خصائص ديننا أنه يجمع العقل مع النقل، والدراية مع الرواية، ولا يتركنا كالنائمين. (سر الخلافة)

باختصار، يتحدث المسيح الموعود الطَيْلا عن أن الملائكة لا يفارقون أماكنهم في السماء، وأن نزولهم ليس جسمانيًّا، بل هو شبيه بنزول الله المشار إليه في حديث (ينزل الله في الثلث الأخير من الليل)، فوجه الشبه أن كلا النزولين ليس نزولا بالجسم. وليس وجه الشبه أن الملائكة تشبه الله كما أراد الكاتب الكاذب أن يقول من خلال اقتباسه بعض العبارات على طريقة "ويل للمصلين".

ولمزيد من التوضيح ننقل قولا آخر للمسيح الموعود الطَيْلا بشأن نزول الملائكة:

"وأعتقد أنّ لله ملائكةً مقربين، لكل واحد منهم مقام معلوم، لا ينزل أحدٌ من مقامه ولا يرقى. ونزولهم الذي قد جاء في القرآن ليس كنزول الإنسان من الأعلى إلى الأسفل، ولا صعودهم كصعود الناس من الأسفل إلى الأعلى، لأن في نزول الإنسان تحولا من المكان، ورائحةً من شِقّ الأنفس واللغوب، ولا يمسّهم لغبٌ ولا شقّ، ولا يتطرّق إليهم تغيّر، فلا تقيسوا نزولهم وصعودهم بأشياء أخرى، بل نزولهم وصعودهم بصبغ نزول الله وصعوده من العرش إلى السماء الدنيا، لأن الله أدخل وجودهم في الإيمانيات، وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ، فآمنوا بنزولهم وصعودهم ولا تدخلوا في كنههما، ذلك خيرٌ وأقرب للتقوى. وقد وصفهم الله بالقائمين والساجدين والصافّين والمسبحين والثابتين في مقامات معلومة، وجعل هذه الصفات لهم دائمة غير منفكّةٍ، وخصّهم بها؛ فكيف يجوز أن يترك الملائكة سجودهم وقيامهم، ويقصموا صفوفهم، ويذروا تسبيحهم وتقديسهم، ويتنزلوا من مقاماتهم، ويهبطوا الأرض، ويُخلوا السماواتِ العُلى؟ بل هم يتحركون حال كونهم مستقرين في مقاماتهم، كالملك الذي على العرش استوى. وتعلمون أن الله ينزل إلى السماء في آخر كل ليل، ولا يقال إنه يترك العرش ثم يصعد إليه في أوقاتٍ أخرى، فكذلك الملائكة الذين كانوا في صبغة صفات ربهم، كمثل انصباغ الظلّ بصبغة أصله، لا نعرف حقيقتها ونؤمن بها. كيف نشبّه أحوالهم بأحوال إنسان نعرف حقيقة صفاته، وحدود خواصه، وسكناته وحركاته، وقد منعنا الله من هذا وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾، فاتقوا الله يا أرباب النُهى. (التبليغ)

الاعتراض:

قرأت مقالا أن مؤسس جماعتكم يؤمن بما لا تؤمنون به، فهو يؤمن بأن المسيح عيسى عليه السلام كان يخلق الطير حقيقة، ويحيي الموتى حقيقة وإنْ كان بشكل مؤقت.

الردّ:

لقد نزع مترجم هذا المقال العبارات من سياقها، لذا سنوردها كما هي، ليتبين منها بوضوح أن المسيح الموعود عليه السلام ينكر أن يكون المسيح الناصري عليه السلام قد أحيى إحياء حقيقيا أو خلق خلقا حقيقيا. بل تحدث عن إحياء إعجازي باعتباره سرا من أسرار الله، ولكنه ليس بإحياء حقيقي. وسنضع خطا تحت العبارات التي لم ينقلها المترجم صاحب طريقة "ويل للمصلين".

في كتاب (حمامة البشرى) يناقش المسيح الموعود عليه السلام القائلين بعودة المسيح عليه السلام، ويستدل بالآيات القرآنية ﴿وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ و﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ و﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾. ثم يقول: "فانظر أيها العزيز! كيف نترك هذا الحق

الصريح بناء على خيالات واهية وتحكّمات فاسدة؟ فتفكرْ واتق الله، إن الله يحب المتقين. ثم يتساءل:

"وربما يختلج في قلبك أن رجوع الموتى إلى الدنيا بعد دخولهم في الجنة ممنوع، ولكن أي حرج في رجوعٍ كان قبل دخول الجنة؟"

فيجيب مباشرة بقوله: " فاعلم أن آيات القرآن كلها تدل على أن الميت لا يرجع إلى الدنيا أصلاً، سواء كان في الجنة أو في جهنم أو خارجا منهما، وقد قرأنا عليك آنفا آية: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ و﴿أَنَّهُمْ لا يَرْجَعُونَ ﴾. ولا شك أن هذه الآيات تدل بدلالة صريحة على أن الذاهبين من هذه الدنيا لا يرجعون إليها أبدا بالرجوع الحقيقي. وأعني من الرجوع الحقيقي رجوع الموتى إلى الدنيا بجميع شهواتها ولوازمها، ومع كسب الأعمال من خير وشر، ومع استحقاق الأجر على ما كسبوا، ومع ذلك أعني من الرجوع الحقيقي لُحُوقَ الموتى بالذين فارقوهم من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة الذين هم موجودون في الدنيا، وكذلك رجوعهم إلى أموالهم التي كانوا اقترفوها، ومساكنِهم التي كانوا بنَوها، وزروعِهم التي كانوا زرعوها، وخزائنهم التي كانوا جمعوها. ثم من شرائط الرجوع الحقيقي أن يعيشوا في الدنيا كما كانوا يعيشون من قبل، ويتزوجوا إن كانوا إلى النكاح محتاجين، وأن يؤمنوا بالله ورسوله فيُقبَل إيمانهم ولا يُنظَر إلى كفرهم الذي ماتوا عليه، بل ينفعهم إيمانهم بعد رجوعهم إلى الدنيا وكونهم من المؤمنين. ولكنا لا نجد في القرآن شيئا من هذه المواعيد، ولا سورةً ذُكرتْ فيها هذه المسائل، بل نجد ما يخالفه كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين * خَالِدِينَ فِيهَا ﴾. فانظر كيف وعد الله للكافرين لعنة أبدية، فلو رجعوا إلى الدنيا وآمنوا بكتبه ورسله لوجب أن لا يُقبَل عنهم إيمانهم، ولا يُنزَع عنهم اللعنة الموعودة إلى الأبد كما هو منطوق الآية. وأنت تعلم أن هذا الأمر يُخالف هدايات القرآن كما لا يخفى على المتفقهين.

وأما إحياء الموتى من دون هذه اللوازم التي ذكرناها، أو إماتة الأحياء لساعة واحدة ثم إحياؤهم من غير توقف كما نجد بيانه في قصص القرآن الكريم فهو أمر آخر، **وسرٌّ من أسرار الله تعالى،** ولا توجد فيه آثار الحياة الحقيقي ولا علامات الموت الحقيقي، بل هو من آيات الله تعالى وإعجازات بعض أنبيائه، نؤمن به وإن لم نعلم حقيقته، **ولكنا لا نسمّيه إحياءً حقيقيا ولا إماتة حقيقية**. فإن رجلا مثلا أُحيِيَ بعد ألف سنة بإعجاز نبي ثم أُميت بلا توقف، وما رجع إلى بيته، وما عاد إلى أهله وإلى شهوات الدنيا ولذّاتها، وما كان له خِيَرَةٌ مِن أن تُرَدّ إليه زوجه وأمواله وكل ما ملكت يمينه من ورثاء آخرين، بل ما مَسَّ شيئا منها ومات بلا مكث ولحق بالميتين، فلا نسمي

مثل هذا الإحياء إحياءً حقيقيًّا، بل نسميه آية من آيات الله تعالى ونفوّض حقيقته إلى رب العالمين. ولا شك أن إحياء الموتى وإرسالهم إلى الدنيا يقلِّب كتاب الله بل يُثبت أنه ناقص، ويوجب فتنًا كثيرة في دين الناس ودنياهم، وأكبرها فتن الدين. (حمامة البشرى)

معجزة عصا موسى وخلق الطيور:

هذا ما كتبه المسيح الموعود عليه السلام في سياقه، والناقل لم ينقل إلا ما تحته خط:" ومن اعتراضاتهم أنهم قالوا إن هذا الرجل لا يؤمن بأن المسيح كان خالق الطيور وكان محيي الأموات وكان في العصمة مخصوصا متفردا محفوظا من مسّ الشيطان لا يُشابهه في هذه الصفة أحد من النبيين.

أما الجواب فاعلم أنّا نؤمن بإحياء إعجازي وخلق إعجازي، ولا نؤمن بإحياء حقيقي وخلق حقيقي كإحياء الله وخلق الله، ولو كان كذلك لتشابهَ الخلق والإحياء، وقال الله سبحانه: ﴿ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ ﴾ وما قال فيكون حيًا بإذن الله، وما قال فيصير طيرا بإذن الله. وإن مثل طير عيسى كمثل عصا موسى، ظهرت كحية تسعى ولكن ما تركتْ للدوام سيرته الأولى. وكذلك قال المحققون إن طير عيسى كان يطير أمام أعين الناس وإذا غاب فكان يسقط ويرجع إلى سيرته الأولى. فأين حصل له الحياة الحقيقي؟ وكذلك كان حقيقةُ الإحياء.. أعني أنه ما ردّ إلى ميّت قط لوازمَ الحياة كلها، بل كان يُري جلوةً من حياة الميّت بتأثير روحه الطيب، وكان الميّت حيًّا ما دام عيسى قائما عليه أو قاعدا، فإذا ذهب فعاد الميّت إلى حاله الأول ومات. فكان هذا إحياءً إعجازيًّا لا حقيقيًّا، والله يعلم أن هذا هو الحقيقة الواقعة، ثم مازَجَها أغلاطُ بيان الناس، وزادوا فيها ما شاءوا كما لا يخفى على من له شَمّة من العلم والبصيرة، فدَقِّقِ النظر في مطاوي الآيات ومعانيها ليُكشَف عنك الضلال والظلام وتكون من المتبصّرين. (حمامة البشرى)

الخلاصة:

ما دامت هذه العبارات قد وردت في سياق تأكيد المسيح الموعود عليه السلام على عدم عودة الموتى، وعلى عدم مشاركة المسيح ربه في شيء مما ينفرد سبحانه وتعالى به، فهل يمكن أن نظن أنه يؤمن بعكس ذلك؟

الاعتراض:

كان المؤسس يؤمن بتمثل الجن، ولكنكم تنكرون الجن من أصله، فما هذا التناقض؟ والدليل ما قاله في كتاب التبليغ، وهو: " أيها الأعزةُ.. إن حضرة الله تعالى حضرةٌ عجيبةٌ، وفي أفعال الله أسرارٌ غريبةٌ، لا يبلغ فهم الإنسان إلى دقائقها أصلا. فمن تلك الأسرار تمثُّل الملائكة والجنِّ،

ومنها حقيقة نزول المسيح التي دقّ فهمُها وعسُر اكتناهُها على أكثر الناس، فلا يفهمون الحقيقة، ولا أرى في فطرتهم إلا غضبا. (التبليغ)

الردّ[13]:

أولا نحن لا ننكر الجن من أصله، بل نرى أن للجن معاني عديدة تُفهم وفق السياق؛ فلا نقصره على الشياطين غير المرئية. وننكر التلبس وما يتعلق به من أفكار خرافية وبدع.

وهذا الفهم هو فهم المسيح الموعود عليه السلام، حيث كان المسيح الموعود عليه السلام قد أشار إلى أن جِنّ سليمان عليه السلام هم بَشَر من أعدائه الذين سُخِّروا للعمل عنده. وقد ورد قوله عليه السلام هذا في بيت شعر بالعربية.. ففي كتابه "سرّ الخلافة" نظَم المسيح الموعود عليه السلام قصيدة سمّاها: "القصيدة في مدح أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين".. قال فيها عن أبي بكر رضي الله عنه:

وإني أرى الصدّيقَ كالشمس في الضحى..... مآثرُه مقبولةٌ عندَ هوجرِ

ثم تحدث حضرته عن أبي بكر في عدد من الأبيات، ثم تحدث بعد ذلك عن عمر رضي الله عنه فقال:

وشابَهَهُ الفاروق في كل خطّةٍ.........وساسَ البرايا كالمليك المدبّرِ

ثم بعد عدد من الأبيات قال حضرته عليه السلام واصفا حكم الفاروق عمر:

وفي وقته أفراسُ خيلِ محمّدٍ.........أثرنَ غبارا في بلاد التنصّرِ

وكسَّر كسرى عسكرُ الدين شوكةً.........فلم يبق منهم غيرُ صُور التصوّرِ

وكان بشوكته سليمانَ وقتِهِ......... وجُعلتْ له جِنُّ العِدا كالمسخَّرِ

أي أن مُلك عمر رضي الله عنه كان مثل ملك سليمان عليه السلام، حيث سُخِّرت له جنّ الأعداء. ومعلوم أن عمر رضي الله عنه لم تُسخَّر له أشباح الفرس، بل إن أعدادا كبيرة من الأعداء الغرباء صاروا عمالا عنده رضي الله عنه، كما صار أعداء غرباء عمالا عند سليمان عليه السلام.

فالحقّ أن حضرته يقصد بالجنّ في الفقرة السابقة محل الاعتراض الشيطان الذي يوسوس للناس. وهذا من علم الغيب كما هم الملائكة من علم الغيب. ولا يعني أنه عليه السلام يؤمن أن هناك كائنات مكلفة بالشريعة الإسلامية اسمها الجنّ، وأنها تتلبس بالناس كما هو في ذهن العامة؛ بل إن كلمة الجن تُطلق على الشيطان أيضا. ولا بد أن حضرته عليه السلام قد قصد بها الشياطين هنا، وهي مخلوقات غير مرئية، عملها الوسوسة والإيحاء بالأفكار الشريرة، وهذه المخلوقات مسيّرة غير

---

[13] إعداد هاني طاهر

مكلفة، وهي ضعيفة وليس لديها قوى للسيطرة على البشر أو غيرهم من المخلوقات. وهذه المخلوقات هي نقيض الملائكة؛ المسيّرة غير المكلفة، التي توحي بالأفكار الحسنة، والتي لديها قوى جبّارة، وموكول إليها عظيم الأعمال بأمر الله.

الاعتراض:

إن المسيح الموعود عليه السلام يدعي بأنه أتم بناء الإسلام الذي كان ناقصًا، وأنه هو اللبنة الأخيرة في صرح الإسلام، وهذا يعني أنه أتى بشريعة جديدة. والدليل قوله: "فأراد الله أن يتم النبأ ويكمل البناء باللبنة الأخيرة، فأنا تلك اللَّبِنَة أيها الناظرون." (الخطبة الإلهامية).

الردّ:

نقدم فيما يلي النص كله، حيث يتضح منه أن المسيح الموعود عليه السلام هو اللَّبِنَة الأخيرة في مجموعة من نبوءات متعلقة بتشابه هذه الأمة مع الأمة الإسرائيلية، وليس اللَّبِنَة الأخيرة في الدين والشريعة. يقول حضرته عليه السلام: "هذان حزبان من المغضوب عليهم وأهل الصلبان ذكرهما الله في الفاتحة وأشار إلى أنهما يكثران في آخر الزمان ويبلغان كمالهما في الطغيان ثم يُقيم رب السماء حزبًا ثالثا في تلك الأوان لتتم المشابهة بأمّة أولى ولتشابه السلسلتان فالزمان هذا الزمان وتمّ كل ما وعد الرحمن ورأيتم المتنصّرين من المسلمين وكثرتهم ورأيتم يهود هذه الأمّة وسيرتهم؛ فكان خاليا موضع لبنة أعني المنعَم عليه من هذه العمارة.. فأراد الله أن يُتمّ النبأ ويُكمل البناء باللبنة الأخيرة، فأنا تلك اللَّبِنَة أيها الناظرون. وكان عيسى عِلْمًا لبني إسرائيل وأنا عِلْمٌ لكم أيها المفرطون. فسارعوا إلى التوبة أيها الغافلون." (الخطبة الإلهامية)

الاعتراض:

إباحة الحشيش، والدليل ما جاء في حمامة البشرى عن تاجر الحشيش من مكة المكرمة الذي امتدحه المسيح الموعود عليه السلام.

الردّ:

الحشيش هنا هو طعام الدواب، وليس الحشيش المعروف الآن، وهو نوع من المخدرات. وهل يخطر ببال عاقل أن يكون في مكة المكرمة تاجر مخدرات معروف للجميع؟!

الاعتراض:

لقد شبّه المسيح الموعود عليه السلام وحيه بالقرآن، وذلك في قوله: أقسم بالله تعالى أنني أؤمن بهذا الوحي النازل عليّ كما أؤمن بالقرآن الشريف وبكتب الله الأخرى، وأني أعتبره قطعيًّا ويقينيًّا كما أعتبر القرآن قطعيًّا ويقينيًّا.

الردّ:

إن المسيح الموعود عليه السلام في هذه العبارة يؤكد على إيمانه بالوحي النازل عليه، ويقول بأنه يؤمن بصحة نسبته إلى الله، كما يؤمن بصحة نسبة القرآن إلى الله، وليس لهذا علاقة بالأفضلية والمساواة.

الاعتراض:

أكد المسيح الموعود عليه السلام أن عيسى عليه السلام مات قبل فساد دين النصارى، وذلك بقوله: "انظر كيف ثبت وقوع موته قبل فساد مذهب النصارى واتخاذهم عيسى إلهًا"(حمامة البشرى). ولكن حضرته وصف بولس بأنه "أول رجل أفسد دين النصارى وأضلهم وأجاح أصولهم ومكر مكرًا كبارا" (حمامة البشرى). أليس هذا تناقضا، فبولس مات سنة 64م، أي أن النصارى فسدوا قبل هذه السنة، ولكن المسيح مات سنة 120م كما تقولون، فكيف لم يفسد دين النصارى قبل سنة 120م، وفسد بعد سنة 64م؟

الردّ:

المقصود من الفساد في العبارة الأولى (انظر كيف ثبت وقوع موته قبل فساد مذهب النصارى واتخاذهم عيسى إلهًا)، هو تأليه المسيح. فهذا لم ينتشر ولم يصبح عقيدة أكثر النصارى إلا بعد سنة 325م، وذلك عند دخول "قسطنطين" المسيحية وتلاعبه بها. والمقصود بالفساد في العبارة الثانية- التي اعتُبر فيها بولس بأنه أول رجل أفسد دين النصارى وأضلهم وأجاح أصولهم- هو أن بولس قد بذر هذه البذرة، ولكن الفساد لم ينتشر إلا بعده بفترة طويلة.

الاعتراض:

إن المسيح الموعود عليه السلام يهاجم خصومه بقسوة، وهذا يتنافى مع وجوب الدعوة بحكمة وموعظة حسنة.

الردّ:

لقد ردّ حضرته عليه السلام على تهمة إساءته إلى العلماء الصالحين، قائلا: "نعوذ بالله من هتك العلماء الصالحين وقدحِ الشرفاء المهذّبين، سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين أو الآرية، بل لا نذكر من سفهاء هذه الأقوام إلا الذين اشتهروا في فضول الهذر والإعلان بالسيئة، والذي كان هو نقيَّ العِرض عفيفَ اللسان، فلا نذكره إلا بالخير ونُكرمه ونُعزّه ونحبّه كالإخوان." (لجة النور)

إن المسيح الموعود عليه السلام يفرق بين كافر عاتٍ وكافر عادي في غير ذلك أيضًا، ففي مسألة عذابهم الدنيوي يقول عليه السلام: " ودافعَ الله عن عبده كلّ ما مكروا، ولو كان مكرهم يزيل الجبال، وأنزل على كلّ مكّارٍ شيئًا من النكال. وكلُّ من دعا على عبده ردّ عليه دعاءه، ﴿ وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾. وأهلك أكابرهم عند المباهلة متعطّفًا على الضَّعَفة، حميمًا بالذين لا يعلمون حقيقة الحال. (الاستفتاء)

إن هذا كله مصداق لقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. وقوله تعالى ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾.

ولقد وصف الله تعالى بعض عتاة الكفر بقوله ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾، وبقوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: وليكن معلوما أيضا مع أنكم ستجدون بعض الكلمات القاسية في كتبي، وقد تستغربون هذه القسوة.. ولكن سرعان ما يزول هذا الاستغراب حين تقرأون منظومه ومنثوره البذيء للغاية؛ فقد تجاوز هذا الشقي في بذاءة اللسان وكيل الشتائم كل الحدود، ولا أظن أن أبا جهل استخدم لسانا بذيئا إلى هذه الدرجة ضد النبي ﷺ، بل أقول يقينا إنه لا يمكن العثور على عدو استخدم لسانا بذيئا مثل سعد الله ضد أي نبي من أنبياء الله الذين جاءوا إلى الدنيا. إنه لم يدخّر جهدا في أي نوع في العداوة والبغضاء، وقد لا يعرف السَفَلَة من الناس أسلوبا بذيئا للشتائم مثله. فكان يستخدم أقسى الكلمات وأبذأ الشتائم وبكل وقاحة.. متخليا تماما عن الحياء بحيث لا يجاريه أحد في تلك الطبيعة الخبيثة، إلا الذي وُلد من بطن أمه بطبيعة ملوثة. إن أولاد الأفاعي أفضل من مثل هؤلاء الناس. لقد صبرت كثيرا على بذاءة لسانه وتمالكت نفسي ولكنه حين تجاوز جميع الحدود وانهار سدُّ بذاءته الباطنية.. استعملتُ بحسن النية كلمات كانت في محلها. لا شك أن تلك الكلمات كما ورد فيما سبق قاسية بعض الشيء ولكنها ليست من قبيل الشتائم بل تطابق الواقع، وكُتِبت عند الضرورة تماما. لا شك أن كل نبي كان حليما، ولكن كل واحد منهم اضطُرّ لاستخدام مثل هذه الكلمات في حق أعدائه نظرا إلى واقع الأمر. فمثلا كم يدّعي الإنجيل تعليما ليّنًا، ومع ذلك وردت في الأناجيل نفسها عن الكتبة والفريسيين وعلماء اليهود كلمات مثل المخادعين، والمكارين، والمفسدين وأولاد الأفاعي والذئاب وذوي طبائع السيئة، والبواطن الفاسدة، وأن المومسات يدخلن الجنة قبلهم.

كذلك وردت في القرآن الكريم كلمة "زنيم" وغيرها. فالظاهر من ذلك كله أن الكلمة التي تُستخدَم في محلها لا تُعدُّ من الشتائم. لم يسبق نبي من الأنبياء بكلام قاسٍ، بل عندما بلغت بذاءة لسان الكفار الخبثاء ذروتها عندئذ استخدموا تلك الكلمات بوحي من الله أو بإذنه.

وهكذا تماما جرت عادتي مع معارضيّ، وليس لأحد أن يثبت أني سبقت أحدا من المعارضين بكلام قاسٍ قبل استخدامه هو كلاما بذيئا. عندما تجاسر المولوي محمد حسين البطالوي وتشدق، وسماني دجالا، وأملى فتوى التكفير ضدي، ودفع مئات المشايخ من منطقة البنجاب والهند ليشتموني، وليعتبروني أسوأَ من اليهود والنصارى، وسمّاني كذابًا ودجالا، مفتريًا، مخادعًا، مراوغًا، فاسقًا، فاجرًا وخائنًا، عندها ألقى الله تعالى في رُوعي أن أدافع عن نفسي ضد تلك الكتابات بحسن النية. لستُ عدوًّا لأحد بدافع الثوائر النفسانية، بل أودُّ أن أحسن إلى الجميع، ولكن ماذا أفعل إذا تجاوز أحدٌ الحدودَ كلها؟ وإني لآمل العدل من الله ﷻ. وقد آذاني هؤلاء المشايخ إيذاء كثيرًا، بل إلى حد لا يطاق، وجعلوني عرضة للاستهزاء والسخرية في كل شيء. فماذا عسى أن أقول إلا: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؟ (حقيقة الوحي)

ثم إن وصف القرآن الكريم للكفار بالأنعام والدواب والقردة والخنازير لا يكاد يُجهل.

الاعتراض:

إن المسيح الموعود لم يستغفر الله قط، وقد ورد ذلك في الرواية التالية:

قال حضرة السيد مرزا بشير أحمد ؓ في كتابه"سيرة المهدي":

قالت لي والدتي -أم المؤمنين- أن حضرة المسيح الموعود - ميرزا غلام- كان يكثر من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. وقد ذكرتُ ما روته والدتي إلى الصحابي شير علي. فأكد لي الأخير ما قالته والدتي وأضاف قائلًا: ومع هذا فإنني لم أسمع المسيح الموعود مرزا غلام يستغفر الله قط.

الردّ[14]**:**

إن عدم سماع شخصٍ شخصًا آخر لا يعني شيئًا. فعدم المعرفة بالشيء لا تدل على عدمه. ولإثبات أن المسيح الموعود عليه السلام كان يكثر من الاستغفار نورد الأدلة التالية:

* لقد أعلن حضرته عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه ما يلي:

"قل.. رب اغفر وارحم من السماء" (التذكرة، ص91)

"فقل لهم ميسورا واستغفر لهم..." (التذكرة، ص 205)

* وكتب حضرته هذا الدعاء وكان يردده كثيرا: "ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وادفع بلايانا وكروبنا، ونج من كل هم قلوبنا، وتب علينا يا محبوبنا".

[14] هذا الرد من إعداد المبشر محمد حميد كوثر

كذلك فقد كتب الدعاء التالي في كتابه: دافع الوساوس، ص15: "رب انظر إلينا وإلى ما ابتلينا، واغفر لنا ذنوبنا واعف عن معاصينا، لا يتغير أمر بدون تغييرك، ولا يأتي ولا يُرد بلاء إلا بتقديرك" (الخزائن الروحانية: ج5)

* وقد كتب الدعاء التالي في نهاية كتابه: إعجاز المسيح: "رب إن كنت تعلم أن أعدائي هم الصادقون المخلصون، فأهلكني كما تُهلَك الكذابون، وإن كنت تعلم أني منك ومن حضرتك، فقم لنصرتي فإني أحتاج إلى نصرتك، ولا تفوّض أمري إلى أعداء يمرون عليّ مستهزئين، واحفظني من المعادين والماكرين، إنك أنت راح راحتي، وجَنّتي وجُنّتي، فانصرني في أمري واسمع بكائي ورُنّتي، وصل على محمد خير المرسلين، وإمام المتقين، وهب له مراتب ما وهبت غيره من النبيين، رب أعطه ما أردت أن تعطيني من النعماء، ثم اغفر لي بوجهك وأنت أرحم الرحماء". (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية؛ ج18، ص203)

وكتب يحث أفراد جماعته على دوام الاستغفار فقال:

"اعلموا أن الذين يدعون الله السميع المجيب، ويستغفرون ويتصدّقون قبل نزول البلاء، فإن الله عز وجل يترحم عليهم، ويعصمهم من عقابه. لا تأخذوا نصائحي هذه لَهْوًا، إنما أنصحكم لوجه الله ﷻ. عليكم بالتدبر في أوضاعكم وظروفكم، وعليكم الاستغراق في الدعاء واطلبوا من أصدقائكم أن يدعوا الله سبحانه أيضا. واعلموا أن الاستغفار بمثابة جُنّة أو ترس للوقاية من العذاب الإلهي والمصائب الشديدة، فقد قال ﷻ في القرآن المجيد: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. (الملفوظات؛ ج1، ص207)

وقال: "فاعلموا أنه من الحماقة أن يعتمد الإنسان على الدواء والتدبير فقط ويترك الله سبحانه عز وجل على حدة، وعليكم أن تغيروا أنفسكم تغييرا جذريا كأنكم نلتم حياة جديدة، وعليكم أن تستغفروا بكثرة". (المرجع السابق، ص265)

وقال: "من الناس من يقعون تحت شدة الآلام والمصائب المتواصلة بسبب أعمالهم السيئة؛ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهْ﴾، والمفروض على المرء أن يستغفر دائما. وعليه أن يراقب نفسه بأن لا تتجاوز أعماله السيئة حدودها، فتجلب غضب الله عز وجل وسخطه. حينما يمن الله ﷻ على أحد يلقي محبته في أفئدة الناس، ولكن عندما يتجاوز شر الإنسان حدًّا معينا، فإنما يثير ضده غضب الله تعالى من السماء، وحسب إرادته عز وجل تصبح أفئدة الناس قاسية عليه، ولكن إذا تاب واستغفر ولجأ إلى عتبة الله ﷻ، تعود إليه "الرحمة"، وتعود الرحمة في قلوب الناس عليه، حيث

لا يعرف أحد بأن بذور الحب قد بذرت في أفئدة الناس. المهم هو أن التوبة والاستغفار وصفة مجربة يستفيد منها الإنسان". (المرجع السابق، ص298)

وحول التوبة والاستغفار، يقول حضرته عليه السلام: "التوبة والاستغفار شيئان مهمان؛ فالاستغفارُ يفوق التوبة، لأن الاستغفار عبارة عن الاستعانة والاستمداد من الله. والتوبة عبارة عن وقوف الإنسان على قدميه. ومن سنة الله أنه إذا استعانه الإنسان فإنه يهب له قوة يقوم بها الإنسان على قدميه. وبالتالي سيتمتع بقوة لكسب الحسنات، الأمر الذي سُمِّي بـ ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ في الآية القرآنية (التحريم:9).

فقد وضع الله تعالى فيها طريقا للسالكين وهي أن يستعين السالك بالله دوما، فإن لم يستمد منه طاقة وقوة فماذا إذن بوسعه أن يفعل؟ الإنسان يوفق للتوبة بعد أن يقوم بالاستغفار. وإن التوبة تفقد قوتها إن لم يكن معها الاستغفار. فإن استغفرتم بهذه الطريقة ثم قمتم بالتوبة فلا بد أن تحصلوا على النتيجة وهي أن الله يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى. هذه سنة الله المستمرة أنكم إذا استغفرتم ثم تبتم إلى الله فتنالون مراتبكم." (الملفوظات؛ ج2، ص 68-69)

وقال عليه السلام:

"ثمة ناموسان؛ ناموس القضاء والقدر يخص ملائكة السماء وهو أنهم لا يقدرون على المعصية البتة، وناموس في الأرض يتعلق بقضاء الله وقدره الخاص بالناس، وهو أنهم قد مُنحوا من السماء القدرة على اقتراف المعصية، غير أنهم إذا التمسوا القوة من الله أي استغفروه، فمن الممكن أن يزول ما بهم من ضعف بتأييد من روح القدس، ويجتنبوا ارتكاب الذنب كما يجتنب أنبياء الله ورسله، وإذا كان ثمة أناس مذنبون أفادهم الاستغفار من حيث إنهم يُعصمون من مغبّة الذنب أي العذاب لأن الظلمة لا يمكن أن تبقى بعد مجيئ النور. وأما الذين لا يستغفرون الله من المصرّين على الجريمة أي أنهم لا يلتمسون منه القوة فهم لا ينفكون ينالون الجزاءَ على جرائمهم". (سفينة نوح)

وقال عليه السلام في كتابه (فلسفة تعاليم الإسلام) :

"والمعرفة الثالثة هي أنّ سلسلة الارتقاء في عالم المعاد هي بدون نهاية. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم:9).

فقوله عن الذين آمنوا أنهم لن ينفكّوا يدعون ربهم أن يتمّ لهم نورهم.. إنما هو إشارة إلى ترقّيات غير متناهية، بمعنى أنهم كلما استكملوا درجةً من درجات النّور.. تراءت لهم درجةٌ أخرى منه،

فيرون كمالهم الحاصل نقصًا بالنّسبة إلى الكمال التالي.. فيلتمسون من الله إحرازَ تلك الدّرجة، فإذا أحرزوها.. تراءت لهم درجة ثالثة منه، فيعتبرون الكمالات الأولى ناقصة، ويطمعون في هذه الأخيرة. إنّ هذا النّزوع المستمرّ للرّقي يعبّر عنه قولهم : ﴿أَتْمِمْ﴾.

إذن فهكذا سوف تستمرّ حلقات من سلسلة غير متناهية من الارتقاء، ولن يصيبهم الانحطاط أبدا، كما أنهم لن يخرجوا من جنّتهم، بل سيتقدّمون يوما بعد يوم ولا يتراجعون.

وهنا وعند قولهم ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ينشأ سؤال: ألم يغفرِ الله لهم وقد دخلوا الجنّة؟ وما الحاجة إلى الاستغفار ما داموا قد غُفر لهم؟

والجواب أنّ المغفرة معناها في الأصل سَتر الحالات النّاقصة غير الملائمة.. وتغطيتها. فالمراد أنّ أصحاب الجنَّة سيطمعون أن ينالوا الكمال التّام، وأن يغوصوا في النّور كلّيةً. إنهم باستمرار يجدون حالتهم الأولى ناقصةً عند رؤيتهم الدّرجة التالية من الكمال، فيودّون تغطية حالتهم الأولى. ثم إذا رأوا درجة الكمال الثّالثة تمنّوا تغطية حالتهم الثّانية.. أي أن تُستر حالتهم النّاقصة تلك وتُخفى. وهكذا سوف يظلّ أصحاب الجنَّة يتمنّون المغفرة غير المتناهية بعد كل مرحلة.

إنّ كلمة الاستغفار أو الغفران هي نفس الكلمة التي يطعن بها بعض الجاهلين في نبيّنا ﷺ. ولعلكم – أيها المستمعون الكرام – قد أدركتم مما سلف أنّ الرّغبة في الاستغفار إنما هي مفخرة للإنسان. فمن كان مولودًا من بطن امرأة.. ومع ذلك لا يتخذ الاستغفارَ دَيْدنًا له في كل حال.. فهو دودة وليس إنسانا، وأعمى وليس بصيرا، ونجسٌ وليس طيبًا.

فخلاصة القول إنّ الجنّة والجحيم، بحسب تعليم القرآن الكريم، ليستا شيئًا ماديًّا جديدًا يأتي من الخارج.. وإنما هما في الحقيقة آثار الحياة البشريّة وظلالُها. إنّه لحقّ أنّ كل واحدة منهما ستتمثّل عندئذ مجسّمة.. ولكنها لا تكون في الحقيقة إلا آثار الحالات الرّوحانية وأظلالها. إنّنا لا نؤمن بجنّة هي عبارة عن أشجار مغروسة غرسًا ظاهريًّا، ولا نؤمن بجحيم فيها أحجار من كبريت مادّي، بل الجنّة والجحيم – طبقًا للعقيدة الإسلامية – إنما هما انعكاسات للأعمال التي يعملها الإنسان في الحياة الدنيا. (فلسفة تعاليم الإسلام)

وقال عليه السلام: "فاعلموا يا إخوان أن اسمي غلام أحمد، واسم أبي غلام مرتضى، واسم أبيه.... فذلك اسمي وهذه أسماء آبائي، غفر الله لنا ولهم وهو أرحم الراحمين." (التبليغ)

الاعتراض:

إذا فسرتم (خاتم النبيين) بمعنى الذي يصدق لهم، فهل محمد ﷺ هو الذي أعطى شهادات للأنبياء بأنهم أنبياء؟!! وكيف يختم للأنبياء مَن جاء بعدهم؟

الردّ:

من خلال القرآن الكريم تبين صدق هؤلاء الأنبياء، فمثلا كان المسيح الناصري يعتبر كاذبا ملعونا برأي اليهود، فجاء سيدنا محمد ﷺ ونزَّهه عن اللعنة كلها. وكان اليهود لا يعترفون بنبوة أي نبي من غير بني إسرائيل، فجاء القرآن الكريم يعلن ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِير﴾، وذكر نبوة عدد من الأنبياء من غير بني إسرائيل كصالح وهود، وبهذا فإن الرسول ﷺ قد صدّق على نبوتهم، أي ختم لهم.

الاعتراض:

قال المسيح الموعود عليه السلام إنه "لا توجد معجزة أو كرامة خارقة لنبي إلا يشاركه فيها آلاف من الناس"، فما هي الحكمة من إعطاء معجزات الأنبياء لمن هم ليسوا بأنبياء؟ علمًا أن معجزة رسولنا محمد ﷺ هي القرآن، فهل أُعطيت هذه المعجزة لأحد غيره؟

الردّ:

المشاركة هنا جزئية، فقد كلّم الله تعالى الأنبياء في السابق بكلام حرفي محدود جدا، كما أنه يكلم الأمة الإسلامية بهذه الطريقة أيضا. فهذا تشابه. كما أن القرآن الكريم يتميز بأنه كتاب كامل من الوحي الحرفي النقي الذي لم يكن لأحد سابقا بهذه الصورة. فهكذا نرى أن هناك اشتراكا بين النبي ﷺ وغيره من الأنبياء وغيرهم في أصل الوحي الحرفي، ولكن الفارق كبير في نوعيته وكمّه ومستواه.

الاعتراض:

يذكر المسيح الموعود عليه السلام أن له مليون آية، فما هي هذه الآيات؟ وهل يعقل ذلك العدد من الآيات؟

الردّ:

إن كل لحظة من حياة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام يمكن اعتبارها آية نظرا لظروفه الصعبة وصحته ومن ثم النجاحات التي حققها. فكيف يمكن لشخص فيه مرضان في قرية نائية أن يضطلع بكل هذه المهام وينجح فيها؟ فالمتدبر لا بد أن يرى بأن هذه المسيرة عبارة عن آيات متسلسلة مستمرة. وهناك العديد من الآيات التي هي سلسلة متصلة من عدد لا ينتهي من الآيات، فمعجزة الطاعون مثلا ليست مجرد آية واحدة، بل هي آية ظلت تتجدد في كل لحظة عبر سنوات متواصلة من نجاة الأحمديين وموت كبار الخصوم، وخصوصا من المباهلين، وكيف أدّى ذلك إلى بيعة أعداد هائلة من طاهري الفطرة.

الاعتراض:

قال المسيح الموعود عليه السلام في كتاب (المسيح الناصري في الهند) بأن البوذيين تعلموا الرهبنة من المسيح، ولكن أليس النصارى هم من ابتدع الرهبنة؟

الردّ:

إن أصل الرهبنة في المسيحية يشابه التصوف في الإسلام. ولا شك أن النصارى قد ابتدعوها نتيجة اتّباعهم للمسيح عليه السلام ومتأثرين بشخصيته؛ حيث كان عازفا عن الدنيا وزينتها ومهتما بصلته بالله تعالى وبتنميتها، ولكنهم لم يرعوها حق رعايتها، وتطرفوا فيها بشكل يخالف الفطرة.

إذ يقول الله تعالى:

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسى بن مريم وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: 28)

والبوذيون على ما يبدو قد تأثروا هم أيضا بشخصية المسيح، وابتدعوا رهبانية أكثر تطرفا من الرهبانية المسيحية. فيصح أن نقول إنهم قد تعلموها من المسيح، ولكنه بريء من تطرفهم وانحرافهم بها.

الاعتراض:

ما معنى هذه العبارة لمؤسس الجماعة: "اعلموا أن الختمية أعطيت من الأزل لمحمد ﷺ ثمّ أعطيت لمن علمه روحه وجعله ظله فتبارك من علّم وتعلّم. فإن الختمية الحقيقية كانت مقدرة في الألف السادس، الذي هو يوم سادس من أيام الرحمن" (الخطبة الإلهامية).. ألا يعني هذا أنه يرى نفسه صاحب الختم، وأنه أفضل الأنبياء؟

الردّ:

فيما يلي سنذكر ما قاله المسيح الموعود عليه السلام، وسيتبين منه أسلوب المعترض في التحريف.

يقول المسيح الموعود عليه السلام : " وأمّا عيسى الذي هو صاحب الإنجيل فقد مات وشهد عليه ربّنا في كتابه الجليل، وما كان له أن يعود إلى الدنيا ويكون خاتم الأنبياء، وقد خُتِمت النبوة على نبيّنا ﷺ، فلا نبي بعده إلاّ الذي نُوِّرَ بنوره وجُعل وارثه من حضرة الكبرياء. اعلموا أن الختمية أعطيت من الأزل لمحمد ﷺ، ثم أُعطيت لمن علّمه روحه وجعله ظلّه فتبارك من علّم وتعلّم.. فإن الختمية الحقيقية كانت مُقدّرة في الألف السادس الذي هو يوم سادس من أيام الرحمن، ليشابه أبا البشر

من كان هو خاتم نوع الإنسان. واقتضت مصالح أخرى أن يُبعث رسولنا في اليوم الخامس.. أعني في الألف الخامس بعد آدم، لما كان اليوم الخامس يوم اجتماع العالم الكبير وهو ظل لآدم الذي أعزّه الله وأكرم، فإن آدم جمع في نفسه كل ما تفرّق فيه ووصل كل ما تجذّم. فلا شك أن العالم الكبير قد نزل بمنزلة خِلقةٍ أولى لآدم في صورٍ متنوّعةٍ، فقد خُلِق آدم بهذا المعنى في اليوم الخامس من غير شك وشبهة، ثم أراد الله أن يُنشِئ نبينا الذي هو آدم خلقًا آخر في الألف السادس من أيام بدأ الفطرة ليتم المشابهة في الأولى والأخرى، وهو يوم الجمعة الحقيقية، وكان جمعة آدم ظلاًّ له عند أولي النُّهَى، فاتّخذ على طريق البروز مظهرًا له من أمّته، وهو له كالعين في اسمه وماهيّته. وخلقه الله في اليوم السادس بحساب أيام بدء نشأة الدنيا لتكميل مماثلته.. أعني في آخر الألف السادس ليشابه آدم في يوم خلقته، وهو الجمعة حقيقة، لأن الله قدّر أنه يجمع الفرق المتفرّقة في هذا اليوم جمعا برحمةٍ كاملةٍ، ويُنفَخُ في الصور.. يعني يتجلّى الله لجمعهم فإذا هم مجتمعون على ملّة واحدة إلاّ الذين شقوا بمشيئة، وحبسهم سجن شقوة، وإليه أشار سبحانه في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُم﴾ في سورة الجمعة، إيماءً إلى الجمعة الحقيقية. وأراد من هذا القول أن المسيح الموعود الذي يأتي من بعد خاتم الأنبياء هو محمد ﷺ من حيث المضاهاة التامة، ورفقاؤه كالصحابة، وإنه هو عيسى الموعود لهذه الأمّة، وعدًا من الله ذي العزّة في سورة التحريم والنور والفاتحة.. قول الحق الذي فيه يمترون، ما كان لنبي أن يأتي بعد خاتم الأنبياء إلاّ الذي جُعِل وارثه من أمّته وأُعْطى من اسمه وهويّته ويعلمه العالمون. فذلك مسيحكم الذي تنظرون إليه ولا تعرفونه وإلى السما أعينكم ترفعون. أتظنّون أن يردّ الله عيسى بن مريم إلى الدنيا بعد موته وبعد خاتم النبيين؟ هيهات هيهات لما تظنون! وقد وعد الله أن يُمسك النفس التي قضى عليها الموت والله لا يُخلف وعده ولكنكم قوم تجهلون. أتزعمون أنه يُرسل عيسى إلى الدنيا ويوحي إليه إلى أربعين سنة ويجعله خاتم الأنبياء وينسى قوله: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾؟ سبحانه وتعالى عما تصفون! (الخطبة الإلهامية)

وقال المسيح الموعود عليه السلام في الحاشية مقابل عبارة (فتبارك من علّم وتعلّم): "هذه إشارة إلى وحي من الله كُتِبَ في "البراهين الأحمدية" وقد مضى عليه أزيد من عشرين سنة من المدة، فإن الله كان أوحَى إليّ وقال: (كُلّ بَرَكَةٍ مِن مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمْ) يعني أن النبي ﷺ علّمك من تأثير روحانيته وأفاض إناء قلبك بفيض رحمته ليُدخلك في صحابته وليُشركك في بركته وليُتم نبأ الله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ بفضله ومنّته. ولما كان هذا النبأ الأصل المحكم والبرهان الأعظم على دعواي في القرآن.. أشار الله سبحانه إليه في "البراهين" ليكون ذكره هذا حُجّة على الأعداء من جملة طول الزمان. (الخطبة الإلهامية).

إذن، بات واضحا أن المعترض حرّف المعنى؛ بقصد أو بغير قصد. فما دام المسيح الموعود عليه السلام يشير إلى وحي: "كُلُّ بَرَكَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمْ"، فهذا كافٍ لدحض شبهته. فالرسول ﷺ هو المعلِّم، والمسيح الموعود عليه السلام هو المتعلِّم؛ فالختمية الحقيقية هي نفيُ بعثة نبي من أمة أخرى، ونفيُ نسخِ أي حكم من الشريعة الإسلامية، والتأكيد على عظمة رسولنا ﷺ وسموّه على جميع الخلق، وهذا ما أكّد عليه المسيح الموعود عليه السلام مرارا وتكرارا.. فالمعنى الحقيقي لختم النبوة سوف يظهر في الألف السادس متمثلا في ظهور المسيح المحمدي، فعندئذ يدرك الناس ألا نبيّ جديدا بعد محمد ﷺ، فيدركون المعنى الحقيقي لختم النبوة.

الاعتراض:

لقد أعلن المؤسس أنه نبي تشريعي، بينما لا تفتأون تقولون أنه نبي تابع غير تشريعي، لكن المؤسس قد قال:

"إذا قلتم أن الملهم المفتري الذي يدّعي كونه صاحب شريعة فقط هو الذي يهلك، حسب هذا الوعيد، وليس كل من افترى إلهاما، فأولا: لا يوجد أي دليل على إثبات هذا الزعم، والله عز وجل لم يتقيد بإهلاك من يفتري إلهاما إذا ادّعى أنه يتلقى وحيا تشريعيا. ثانيا: عليكم أن تفهموا ما هي الشريعة؛ فالملهم الذي ذُكر في وحيه بعض الأوامر والنواهي، وأوجد قانونا جديدا لأمته، فهو صاحب شريعة. وحسب هذا التعريف يقع أعداؤنا تحت الأمر الواقع، لأن الوحي الذي نزل إليّ يوجد فيه أمر ونهي. فعلى سبيل المثال أُنزل إليّ: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم)، وهذا الوحي مكتوب في كتاب: "البراهين الأحمدية"، ويوجد فيه أمر ونهي أيضا، ومضى على نزوله ثلاثة وعشرون عاما." (الخزائن الروحانية: ج 17 - كتاب: الأربعين، ص435)

الردّ:

هذه الفقرة كتبها المسيح الموعود عليه السلام نقضًا لقول من قال بأن الله تعالى تعهد بقتل من يدعي أنه يتلقى وحيا فيه تشريع، أما من يدعي النبوة التابعة فلم يتعهد الله بقتله. وقد أرادوا من ذلك القول أن المسيح الموعود عليه السلام لا يثبت صدقه من خلال نجاته وازدهار جماعته.

فرد عليهم عليه السلام بما يدحض اعتراضهم بهذه الحجة.. ومفادها أنه إذا كان النبي الذي يُقتل عندكم هو مَن نسب إلى الله كذبا أحكاما، فإنه قد أوحيَ إليَّ أحكام، فلماذا لم أُقتل ولم تهلك دعوتي؟ فهذا يعني أنّها من الله تعالى.

وهذه الأحكام التي تلقاها حضرته هي نفسها الأحكام الإسلامية.. أي أنه تلقى وحيا فيه نفس الأحكام الإسلامية، وليست أحكاما جديدة، ومنها "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم" ومنها: "ولا تصعّر لخلق الله ولا تسأم من الناس". فهذه أيضا أحكام. ومنها "وسِّعْ مكانك"، ومنها "وبشِّرِ الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربّهم" ومنها: "واتل عليهم ما أوحي إليك من ربّك".. فهذه كلها أوامر ونواهٍ، لكنها ليست تشريعا جديدا.

لذا فإن حضرته ليس نبيا جاء بتشريع جديد، لكنه نبي تابع، وتلقى وحيا فيه أحكام وشرائع إسلامية.

المهم أن حضرته لم يدّعِ قط أنه نبي مشرّع. إنه لم يكتب أبدا أنه تلقى وحيا ناسخا لأمر من أوامر الشريعة المحمدية، بل كان يعتقد اعتقادا راسخا أن باب هذا النوع من الوحي التشريعي مسدود ومغلق إلى الأبد. فقد ألّف حضرته كتابه "الأربعين" في سنة 1900م وبعد خمس سنوات- في عام 1905م- كتب حضرته كتاب: "الوصية"، وإليكم منه اقتباسا في هذا الموضوع (معرّب عن الأردية):

"... ومع ذلك اعلموا أن باب النبوة التشريعية بعد محمد المصطفى ﷺ قد أُغلق نهائيا، ولا كتاب بعد القرآن المجيد يأتي بأحكام جديدة أو ينسخ حكما من أحكام القرآن المجيد أو يُعطل نفاذه، فهو معمول به إلى يوم القيامة." (الخزائن الروحانية: ج20 - كتاب الوصية، ص311، الحاشية)

كما أكد ذلك في عديد من كتبه ومنها كتاب "الاستفتاء" الذي كتبه سنة 1907م، وكذلك كتاب "حقيقة الوحي" المنشور في عام 1907م، حيث قال حضرته:

"ولا يغيبنّ عن البال أن كثيرًا من الناس ينخدعون لدى سماع كلمة "نبي" في دعواي، ظانين وكأنني قد ادعيت تلك النبوة التي نالها الأنبياء في الأزمنة الخالية بشكل مباشر. إنهم على خطأ في هذا الظن. أنا لم أدّعِ ذلك قط، بل - تدليلا على كمال الإفاضة الروحانية للنبي ﷺ - قد وهبتْ لي الحكمةُ الإلهية هذه المرتبةَ، حيث أوصلتني إلى درجة النبوة ببركة فيوضه ﷺ. **لذلك لا يمكن أن أُدعى نبيًّا فقط، بل نبيًّا من جهة،** وتابعا للنبي ﷺ ومِن أُمته **من جهة أخرى. وإن نبوتي ظلٌّ لنبوة النبي ﷺ، وليست بنبوة أصلية. ولذلك فكما أنني سُمِّيتُ - في الحديث الشريف وفي إلهاماتي – نبيًّا، كذلك سُمِّيتُ نبيا تابعا** للنبي ﷺ ومِن أُمته **أيضًا**، وذلك إيذانًا بأن كل ما يوجد فيّ من كمال إنما كان بسبب اتّباعي للنبي ﷺ وبواسطته". (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج 22، ص 154 الحاشية، طبعة 1907)

وبعد هذا الكلام الواضح الصريح، الذي لا يحتاج إلى توضيح أو تصريح، لا يصح لأحد أن يزعم

بأن المسيح الموعود عليه السلام قد ادّعى أنه نبي تشريعي.

الاعتراض:

يقال أن المسيح الموعود عليه السلام قد ادّعى أنه أفضل من جميع الأنبياء.

الردّ[15]:

لقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام مرارا وتكرارا أنه خادم أمين لسيده وسيد الخلق أجمعين؛ محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. حيث قال في شعر له:

لاَ شَكَّ أَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْوَرَى   رَيْقُ الْكِرَامِ وَنُخْبَةُ الأَعْيَانِ

يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ بَابَكَ لاَهِفًا   وَالْقَوْمُ بِالإِكْفَارِ قَدْ آذَانِي

انْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ وَتَحَنُّنٍ   يَا سَيِّدِي أَنا أَحْقَرُ الْغِلْمَانِ

وقال:

وَاللهِ إِنِّي قَدْ تَبِعْتُ مُحَمَّدًا وَفِي كُلِّ آنٍ مِنْ سَنَاهُ أُنَوَّرُ

وقال كذلك في مؤلفاته:

- إن كل ذرّة من وجودي فِدَى سبيله، إذ أنني قد شاهدت أخفى محاسن محمد صلى الله عليه وسلم
- إنني لا أعرف أحدًا من الأساتذة، إذ أنني تعلمت في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم
- لقد أَعطيتُ الناس نبع المعارف الجاري، وليس هذا إلاّ قطرة من بحر محمد صلى الله عليه وسلم
- إن الله سبحانه وتعالى شرّفني بمكالمته ومخاطبته، وحصل لي هذا الشرف باتّباع النبي صلى الله عليه وسلم وحده، ولو لم أكن من أمته ولم أتّبعه، وكانت لي من الأعمال ما يُقابل جبال الأرض، لما كان من الممكن لي قط أن أتشرّف بالمكالمة والمخاطبة الإلهية، لأن النبوّات كلها قد انقطعت إلاّ النبوة المحمدية. فلا يمكن أن يأتي نبي مُشرّع، أمّا بعث نبي بغير شريعة فمن الممكن بشرط أن يكون ذلك أولا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. (تجليات إلهية، ص28)

أما العبارات التي استدلوا منها ذلك، فليس المقصود منها سوى أن الله منحه هذه النعم الإلهية أكثر من الآخرين في عصره، وليس بالطبع المقصود بها أنه أبلغ المتكلمين منذ بداية العالم حتى نهايته. وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم حيث جاء فيه عن النعم التي أنعمها الله تعالى على بني إسرائيل:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: 123)

---

[15] هذا الرد من إعداد المبشر محمد حميد كوثر

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَآءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 43)

ومن المعلوم أن الأفضلية التي حصل عليها بنو إسرائيل، كانت بالنسبة لبقية العالمين في عصرهم وليس في العالمين قاطبة. وكذلك فإن السيدة مريم كان اصطفاؤها وتفضيلها على نساء العالمين في عصرها وليس العالمين إلى الأبد.

الاعتراض:

لماذا قال مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية أنه جمع في نفسه كل شأن النبيين؟ وما هو المقصود من هذه العبارة؟

الردّ[16]:

إذا اطلعنا على كتب الأديان المختلفة، لوجدنا أن الكثير من الأنبياء والرسل والأولياء الذين بُعثوا في العصور الماضية إلى شعوب مختلفة وأمم متنوعه وأقوام متباينة، قد أخبروا أنهم سوف يرجعون إلى أممهم وأقوامهم مرة ثانية في آخر الزمان قبيل يوم القيامة، وذلك حتى ينشروا في الأرض الدين الصحيح، ويحققوا ملكوت الله في هذه الدنيا، ويهدوا أقوامهم إلى طريق الله ﷻ.

وتوجد الكثير من النبوءات في مختلف الأديان عن عودة أولئك الأنبياء في ظروف تتشابه فيها أحوال الدنيا، وتشير كلها إلى آخر الزمان عند فساد الناس وانحرافهم عن صراط الله المستقيم، وخروجهم عن تعاليم أنبيائهم ورسلهم، فيعود أولئك الأنبياء والرسل لكي يهدوا أقوامهم مرة أخرى إلى طريق الله، ويدينوا الأشرار ويقضوا عليهم، حتى ينتصر الحق ويعلو في جميع أنحاء الأرض.

وعلى سبيل المثال.. نجد في الديانة الهندوسية نبوءات عن عودة "كرشنا" في آخر الزمان، كذلك في الديانة البوذية نجد أيضا نبوءات عن عودة "بوذا" قبل يوم القيامة، وفي الديانة الزرادشتية هناك كذلك نبوءات عن عودة "مسيّو" قبل انتهاء العالم. وفي الديانات السامية.. أي اليهودية والمسيحية والإسلام.. نجد أيضا نفس الظاهرة، فهناك نبوءات في التوراة عن عودة إيليا النبي، وهناك نبوءات في الإنجيل عن عودة المسيح عليه السلام. وفي الإسلام نجد أن هناك أيضا نبوءات عن نزول المسيح، ويؤمن الكثير من أهل الشيعة بعودة الإمام المهدي- محمد بن الحسن العسكري- الذي اختفى منذ مئات السنين.

---

[16] إعداد المبشر محمد حميد كوثر

وهناك ما يشير في القرآن الكريم إلى عودة رسول الله ﷺ؛ حيث ذكر الله تعالى أنه سبحانه قد قدّر أن تكون له بعثتين.. بعثة في الأولين وبعثة في الآخرين، فقال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّين رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة: 3-4)

وتشير هذه الآية أن الله تعالى قد قضى أن يبعث رسول الله ﷺ في الأميين، وأن يبعثه أيضا في ﴿ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، ويشير استخدام الحرف "لما" بدل "لم" إلى انقضاء فترة زمنية بين البعثتين.

ولما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ فهم المسلمون بأنه سيكون للنبي ﷺ بعثة ثانية، وكانوا يعلمون بالطبع أن المقصود من البعثة الثانية لرسول الله هو بعث نبي من عند الله تعالى يشابه رسول الله ﷺ، ولذلك جاء في صحيح البخاري ما يلي:

"عن أبي هريرة ﷺ قال: كنا جلوسا عن النبي ﷺ فأُنزلَت عليه سورة الجمعة ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال: قلتُ: من هم يا رسول الله؟ فلم يُراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي، وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريّا، لناله رجال (أو رجل) من هؤلاء". (البخاري - كتاب التفسير: سورة الجمعة).

ويشير هذا الحديث الشريف إلى أنه حينما يفقد الناس الإيمان، فيبتعد من الأرض حتى كأنه صعد إلى مجموعة نجوم الثريا، فإن رجال (أو رجل) من قوم سلمان الفارسي سوف يعيده مرة أخرى إلى قلوب الناس.

فإذا وضعنا في الاعتبار النبوءات المذكورة في الأديان الأخرى جميعها، وحملنا تلك النبوءات على حرفيتها، لاصطدمنا بمشكلة عويصة، فكل النبوءات تشير إلى عودة هذا الجمع الكبير من الأنبياء في نفس الوقت وعند نفس العلامات وفي نفس الظروف، وكلها كما أسلفنا القول تشير إلى آخر الزمان قبيل يوم القيامة. ومن غير المعقول طبعا أن يعود كرشنا ليدعو الناس إلى دينه، ويعود في نفس الوقت بوذا ليدعو الناس إلى دينه، بينما يعود زرادشت ليدعو الناس إلى دينه، وينزل إيليا من السماء ويدعو الناس إلى دينه، وينزل أيضا المسيح ويدعو الناس إلى دينه، ويأتي ذلك الرجل من قوم سلمان الفارسي ليعود بالإيمان إلى قلوب الناس. فحيث إن الله تعالى قضى بقوله:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمَ﴾ (آل عمران: 20)

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 86)

فهذا يعني أن على أتباع الأديان كلها أن يدخلوا في دين الإسلام، حيث إنه هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله تعالى لعباده إلى يوم القيامة، وبالتالي فليس هناك ما يدعو إلى عودة كل هؤلاء الأنبياء السابقين لكي يدعوا أقوامهم إلى أديانهم التي نسخها الإسلام. وعلى ذلك يكون معنى كل تلك النبوءات التي جاءت في مختلف الأديان عن عودة هؤلاء الأنبياء الكرام هو ظهور مبعوث واحد من عند الله تعالى، يكون على دين الإسلام ومن أتباع رسوله الكريم، يدعو الناس جميعا إلى صراط الله المستقيم وسُنّة رسوله الكريم ﷺ. وهذا المبعوث يجمع في نفسه كل شأن أولئك النبيين المزمع عودتهم إلى الدنيا مرة أخرى في آخر الزمان، أي أنه يُشابه أولئك النبيين ويرتبط بهم بصلة ما.

وهذا هو المقصود من العبارة التي ذكرها مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية حين قال بأنه جمع في نفسه كل شأن النبيين. فقد بعثه الله تعالى في "الهند" التي بعث فيها بوذا، والقوم الذين كان يعيش بينهم في الهند هم الهندوس، أتباع كرشنا، كذلك فإنه يرتبط بالزرادشتيين الذين هم من أصل فارسي، لأنه هو أيضا من أصل فارسي كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الشريف الذي رواه البخاري، وحيث إنه من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام فله ارتباط كذلك باليهود، ولأنه كان يعيش تحت حكومة مسيحية فله كذلك ارتباط مع أتباع المسيح، وحيث إنه من خدام وأتباع رسول الله ﷺ فهو أيضا يُمثل البعثة الثانية للنبي الأكرم ﷺ، كما أنه يُشابه رسول الله ﷺ في الخُلُق كما جاء ذلك في بعض الأحاديث والآثار. فقد أخرج أبو داود عن أبي اسحاق قال: قال عليّ عليه السلام، ونظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ سيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم، يشبهه في الخُلُق ولا يشبه في الخَلق. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلا اسمه اسمي، وخُلُقُه خُلُقي، يكنى أبا عبد الله". أخرجه الحافظ أبو نعيم في صفة المهدي.

لقد جاء ذلك المسيح الموعود عليه السلام، وهو مؤسس الجماعة الإسلامية الإحمدية، وقد دعا الناس كافة إلى دين الله الإسلام، وآمن به الكثير من الهندوس والبوذيين والزرادشتيين واليهود والنصارى والمسلمين، وجميعهم رأوا فيه الموعود المنتظر لهم، ومن أجل ذلك وصفه الله تعالى بأنه (جَرِيُّ اللهِ فِي حُلَلِ الأَنْبِيَاءِ) كما جاء ذلك في كتاب "التذكرة، ص79"، وهو الكتاب الذي يضم كل كلمات الوحي التي تلقاها مؤسس الجماعة من الله عز وجل. وبناء على هذه الحقائق.. كتب المسيح الموعود عليه السلام محدِّثًا بنعم الله عليه فقال:

"... إنه جمع في نفسي كل شأن النبيين على سبيل الموهبة والعطاء، فهذا هو الحق الذي فيه يختلفون. لا يعود إلى الدنيا آدم، ولا نبينا الأكرم، ولا عيسى المتوفى المتهم، سبحان الله وتعالى عما يفترون. أليس هذا الزمان آخر الأزمنة؟ ما لكم لا تفكرون؟..." (الخزائن الروحانية: ج16 - كتاب: الخطبة الإلهامية، ص324)

الاعتراض:

معلوم أن الأنبياء على خُلُق عظيم، ولا يستخدمون الكلمات القاسية بحق خصومهم، بينما نجد مؤسس الأحمدية يصف العلماء المسلمين بأنهم أولاد حرام، ويشتمهم بأشد الألفاظ، فما ردكم؟

الرد[17]:

الشتم شيء، والتوصيف شيء آخر.

فلنقرأ الآيات التالية:

﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ (الأعراف:177)

﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف: 167)

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ (الجمعة:6)

﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ (المائدة:61)

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنفال:56)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البيّنة:7)

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة:28)

﴿ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ (التوبة:95)

﴿ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم:11-14)

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: 19)

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد:2)

وإذا تصفحنا الأناجيل فإننا نجد فيها نفس هذا الأسلوب؛ إذ جاء فيها على لسان المسيح عليه السلام:

"لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير" (متّى7: 6)

---

[17] هذا الرد من إعداد المبشر محمد حميد كوثر

"أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا" (يوحنا8: 44)
"فأجاب وقال لهم: جيل شرير فاسق يطلب آية" (متّى12: 39)
"أيها الحيات أولاد الأفاعي" (متّى23: 33)
"اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار" (متّى25: 41)
"وقولوا لهذا الثعلب" (لوقا13: 32)
"أيها الجهال والعميان" (متّى 17:23)
ومن النبوءات والكلمات التي وصف بها ﷺ العلماء في زمن ظهور المهدي:
"علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود" (مشكاة المصابيح؛ كتاب العلم، الفصل الثالث. وكنز العمال؛ ج11، تتمة الفتن)
"تكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير" (كنز العمال، ج14، الخسف والمسخ)
والآن.. تعالوا نبحث فيما قاله المسيح الموعود عليه السلام.. لقد ألّف كتابه: "لجّة النور" باللغة العربية في عام 1900م، وتطرق فيه إلى وضع المسلمين وعلمائهم، وذكر بعض المعاصي والذنوب التي ارتكبها علماء المسلمين وأئمتهم، والتي بسببها أساءوا إلى الإسلام أبلغ إساءة، وفتحوا المجال أمام أعداء الإسلام للتهجم على الإسلام وتعاليمه، ومن المعروف أن المبشرين المسيحيين وقادة الهندوس كانوا في تلك الآونة يشنون هجوما عنيفا على الإسلام وعلى مؤسسه سيدنا محمد المصطفى ﷺ. ومع ذلك.. حينما وجّه المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام النقد إلى علماء المسلمين وأئمتهم وأمرائهم الذين أساءوا بتصرفاتهم إلى الإسلام، لم ينس أن يذكر بالثناء الجليل العلماء الشرفاء الصالحين.
قال المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام عن العلماء الصالحين:
- "... هذا ما أردنا أن نكتب شيئا من مفاسد هذا الزمان، ونزّهنا كتابنا هذا عن إزراء الأخيار الذين هم على دين من الأديان، ونعوذ بالله من هتك العلماء الصالحين، وقدح الشرفاء المهذبين، سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين أو الآرية، بل لا نذكر من سفهاء هذه الأقوام إلاّ الذين اشتهروا في فضول الهذر والإعلان بالسيئة. والذي كان هو نقي العرض عفيف اللسان.. فلا نذكره إلاّ بالخير، ونُكرمه ونُعزه ونُحبه كالإخوان، ونسوّي فيه حقوق هذه الأقوام الثلاثة، ونبسط لهم جناح التحنن والرحمة، ولا نعيب هؤلاء الكرام تصريحا ولا تعريضا رعاية للأدب" (الخزائن الروحانية: ج16 - كتاب لجة النور: ص409)

- "... ليس كلامنا هذا في أخيارهم بل في أشرارهم" (الخزائن الروحانية: ج18-كتاب الهدى والتبصرة لمن يرى: ص314 في الحاشية)

وذكر أفعال بعض العلماء الأشرار وتأثيرها السيئ في نفوس الناس فقال:

" كان في ديارنا رجل من الواعظين، وكان الناس يحسبونه من الصالحين الموحدين، فاتفق أن رجلا دخل عليه مفاجئا كالزائرين، فوجده يشرب الخمر مع ندماء من الفاسقين. فقال: يا لعين.. عملك هذا.. وقولك ذلك؟ فأجاب وأرى العجاب.. قال: أروني عالما لا يشرب الخمر، أو يتجنب الزنا والزمر!!

وكذلك كان عالم آخر قريبا من قريتي، وكان يُنكر برتبتي، فشرب الخمر في مجلس كافر يهوى الإسلام، فلعنه الكافر ولام، وقال إن كان هؤلاء هم أئمة الإسلام، فكفري خير لدنياي من أن ألحق بهذه اللئام" (الخزائن الروحانية: ج16-كتاب لجنة النور: ص460، الحاشية)

لذلك.. وبسبب هذه الحوادث المتكررة.. فقد استعمل المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام عن مثل أولئك العلماء والأمراء كلمات قاسية لإيقاظ حميتهم وإثارة غيرتهم على الدين، آملا أن يتجنبوا فعل المعاصي وارتكاب الذنوب والسيئات التي سدّت الطريق أمام غير المسلمين لقبول الإسلام، خاصة وأنهم قد أظهروا اشمئزازهم وكراهيتهم إزاء الإسلام بسبب تلك الأعمال الشنيعة.

ومما قاله المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام عنهم:

"... وما بقي من معصية إلاّ ارتكبوها، وما من جريمة إلاّ ركبوها، وتركوا القرآن وما دعا إليه، واتبعوا الشيطان وما أغرى عليه" (المرجع السابق، ص350)

"... ومنهم قوم يستوكفون الأكف بالوعظ والنصيحة كالعلماء، ويطلبون الصيد بتقمص لباس الفقهاء، ويأمرون الناس بالبر وطريق الصلحاء، وينسون أنفسهم ويحسبون هذا الطريق من الدهاء. لا ينقدون أمور الدين بعين المعقول، ولا يُمعنون النظر في مباني الأصول، ولا يسلكون مسلك التحقيقات، وما تجدهم إلاّ كالعجماوات، بل هم كالجمادات، ويُظهرون الحلم والرفق كأنهم هُذّبوا بأخلاق النبوة والولاية..." (المرجع السابق، ص357)

"... فلا شك أن هذه العلماء قد انتهوا في غلوائهم، وسجروا في خيلائهم، وأصروا على جهلاتهم، ولوّنوا الناس بألوان خزعبيلاتهم، وقد جاوز الحد غيّهم، وأهلك الناس بغيهم. إذا وعدوا أخلفوا، وإذا غضبوا أغلظوا، وإذا حدّثوا كذبوا" (المرجع السابق، ص359)

"... لا يعلمون شيئا من الحقيقة والمعرفة، وجمعوا في أقوالهم وأعمالهم أنواع البدعة، وأما عامة الناس من المسلمين، فقد تبع أكثرهم الشياطين" (المرجع السابق، ص365)

"... ويشربون الخمر ويتمرمرون، وبالجواري يلعبون، وفي الليالي يزنون، وفي النُهر يظلمون" (المرجع السابق، ص421)

"... ويقول أحد إني آليت أن لا أتزوج إلا هذه البغي، ويقول الآخر إن فزتَ فقد وجدتَ الكوكب الدرّي، ويتزوجون البغايا فيسري سيرهن في وُلدهن" (المرجع السابق، ص428)

"... وكم منهم مالوا من صلاة الصبح إلى الصبوح، ومن العشاء إلى الغبوق في الصروح، واشتغلوا من شرح الوقاية والهداية، إلى العواهر والبغايا" (المرجع السابق، ص459)

"... وداست الغفلة قلوب الناس وصار أكثرهم كالكلاب، وتوجّهوا إلى الأموال والعقار والأنشاب، ونسوا حظهم من ذوق العبادات، وأقبلوا على الدنيا وزينتها وما بقي الدين عندهم إلا كالحكايات..." (الخزائن الروحانية: ج19-كتاب مواهب الرحمن:ص240)

"... وما ترى بلدة من البلاد، إلا وتجد فيها فوجا من أهل الردّة والارتداد، وقد تنصّروا بسهم من المال لا بالسهام، وكذلك أُغير على ثلث ملة الإسلام، وسُلب منا أحبابنا وعادا من واخا..." (الخزائن الروحانية: ج18-كتاب الهدى والتبصرة لمن يرى:ص352)

ويوضح هذا المقطع الأخير أحوال المسلمين المتردية في شبه القارة الهندية حيث عاث فيهم المبشرون المسيحيون يُغرونهم بالأموال حتى تنصر في كل بلدة من البلدان أعداد غفيرة من المسلمين وارتدوا عن الإسلام.. تماما كما يذكر المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بقلب يعتصره الحزن والأسى. ثم نستعرض بعضًا مما كتبه المسيح الموعود عليه السلام عن أعداء الإسلام:

"... وكتاب آخر سبق كلها، ألّفته في هذه الأيام.. اسمه "دافع الوساوس"، وهو نافع جدا للذين يريدون أن يروا حسن الإسلام، ويكفّون أفواه المخالفين. تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها ويقبلني ويُصدق دعوتي إلاّ ذريّة البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون..." (الخزائن الروحانية: ج5-كتاب مرآة كمالات الإسلام:ص547)

لقد كتب المسيح الموعود عليه السلام مؤلّفات عديدة في الرد بقوة وإفحام على كتب أعداء الإسلام، الذين كانوا يطعنون بها سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويتقوّلون على أزواجه، وأشار عليه السلام في هذا الاقتباس الأخير إلى تلك الكتب، وقال إن كل مسلم سوف يقبلها بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها ويستفيد من علومها، ويقبل كل ما رددتُ به على الأعداء، ويُصدق كل ما قدّمت من أدلة وبراهين في مؤلفاتي لإظهار شأن الإسلام، ويصدّق أنني أدعو الناس إلى طريق الإسلام العظيم. ولكن أعداء الإسلام لن يقبلوا هذه الكتب، وبكل أسف.. كان هناك فريق من العلماء الموتورين من بين المسلمين وأتباعهم من اتخذوا جانب أعداء الإسلام في تلك المعارك التي كانت

تدور على أشدها في ذلك الوقت، وكان هؤلاء يتحالفون مع ما يقوله الأعداء رغم إساءته للإسلام، وأعمتهم الكراهية نحو المسيح الموعود ﷺ وجماعته حتى أنهم لم يروا حرجا في تحالفهم مع أعداء الإسلام ضده، وراحوا يرددون ما يفتريه أولئك الأعداء من مطاعن ضد الإسلام، وعن هؤلاء الأعداء والعلماء الذين تحالفوا معهم قال حضرته تلك الجملة التي يحلو لمعارضي الأحمدية أن ينتزعوها من سياقها ويقدموها محاولة منهم لوصم كتاباته بشتم المسلمين عموما وكل من لا يؤمن به ويقبل دعوته. إن الاستثناء المذكور في الجملة: "إلاّ ذريّة البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون" يعود على المخالفين ولا يعود على المسلمين الذين ينتفعون بتلك الكتب في كف أفواه المخالفين. وقد أوضح الكاتب بنفسه المقصود بهذه الجملة فقال أن ذريّة البغايا هم: "الذين ختم الله على قلوبهم". وكتب صاحب قاموس "تاج العروس" يقول تأييدا لهذا المعنى: "والبغية في الولد نقيض الرشد، يُقال هو ابن بغية" (تاج العروس من جواهر القاموس ج10 ص40 تحت كلمة: بغى)، وهذا هو نفس المعنى الذي قصده المسيح الموعود ﷺ، ولم يقصد أبدا أن كل المسلمين الذين لا يقبلونه قد وُلدوا من أمهات بغايا، كما يحاول أعداء الأحمدية أن يشيعوا زورا وبهتانا.

وهناك بعض الاصطلاحات التي تستعمل في اللغات، ومنها على سبيل المثال الاصطلاح: "ابن السبيل"، ويطلق على المسافر، ولا يفهم أحد إذا قيل عن أحد المسافرين: "ابن السبيل"، بأنه من نسل السبيل وليس من نسل أبيه. كذلك فإن التعبير: "ابن البغي" يُطلق على من يحيد عن الرشد ويطغى على الحق، وليس معناه أبدا أن أمه كانت بغيا. هذا من الناحية اللغوية، وإذا كان التعبير: "ابن السبيل" قد كثر استعماله بحيث يفهمه عامة الناس، بينما تعبير: "ابن البغي" يندر استعماله حتى جهل الناس معناه اللغوي الحقيقي، فليس من الأمانة استغلال ذلك لاتهام المسيح الموعود ﷺ بأنه يرمي الناس بأعراضهم.

الاعتراض:

يدّعي معارضو الأحمدية أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية كان مدمنا على تعاطي الأفيون، وكان ينصح الناس بتعاطيه، فما هي حقيقة الأمر؟

الردّ[18]:

هذا من الكذب الفاحش، وقد ردّ على ذلك حضرة الخليفة الرابع للمسيح الموعود ﷺ، فقال:

[18] هذا الرد من إعداد المبشر محمد حميد كوثر

"انظروا إلى هذا البهتان العظيم المزعزع.. والمضحك في الوقت ذاته.. إذ من الجائز أن يكون المسيح الموعود عليه السلام الذي كان على علم بأمور الطب أيضا.. قد أوصى أحد المرضى أن يتناول الأفيون كدواء لمرضه، أما أن يُقال بأن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية كان ينصح أفراد جماعته بتعاطي الأفيون فهذا هو منتهى الكذب والافتراء. (خطبة الجمعة للخليفة الرابع في 18 شوال1408هـ الموافق 3-6-1988).

جاء في كتاب سيرة المهدي رواية من الروايات التي يثيرها معارضو الأحمدية دائما وهي – معربة عن الأردية– كما يلي:

قال ميرزا بشير أحمد رضي الله تعالى عنه، وهو ابن المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام:

حدثني الدكتور مير محمد اسماعيل بأن الأدوية التي كان يضعها المسيح الموعود عليه السلام في صندوقه دائما هي كما يلي:

من الأدوية الإنجليزية التي كانت عنده: كونين – ايستن سيروب – فولاد – أركت – واينم ابيكاك – كوكا – مركبات كولا – سبرت أمونيا – بيد مسك – سترنس واين أوف كاديور أويل – كلورودين كاكل – بل سلفيورك – ايسد أيروميتك – سكائس ايملشنز

ومن الأدوية اليونانية التي كانت عنده: مسك – عنبر – كافور – هينك (الحلتيت)* – جدوار، وكذلك كان يصنع بنفسه دواء اسمه "ترياق إلهي" وكان يقول أن الحلتيت هو مسك للفقراء، وكان يقول أنه توجد فوائد طبية عجيبة وغريبة في الأفيون، فلأجل ذلك يسميه الأطباء "ترياق"، وكان يستعمل بعض الأدوية لنفسه، والبعض للناس الآخرين الذين كانوا يأتون إليه للعلاج وأخذ الدواء".

وهناك روايات أخرى مماثلة لها، وقد ذُكرت فيها وصفات طبية مختلفة لأمراض شتى، وبناء على هذه الوصفات الطبية يتهم معارضو الأحمدية المسيح الموعود عليه السلام هذه الاتهامات السخيفة التي لا تدل إلاّ على غباوتهم وأحقادهم.

ويعلم هؤلاء المعارضون تماما أنه منذ 150 عاما لم يكن يتواجد أي مستشفى في قاديان ولا حولها في منطقة يبلغ قطرها خمسين كيلومترا. وكانت تلك المنطقة متخلفة تخلفا شديدا، وأغلب سكانها كانوا يأتون إلى ميرزا غلام مرتضى.. والد المسيح الموعود عليه السلام.. للعلاج والاستشفاء،

---

* جاء في لسان العرب؛ ج2، ص25 تحت كلمة "حلت": قال: وهو نبات يَسْلَنْطِحُ (أي ينمو طولاً وعرضًا)، ثم يخرج من وسطه قَصَبَةٌ، تَسْمُو في رأْسها كُعْبُرَةٌ، قال: والحلتيت أيضا صمغ يخرج في أصول ورق تلك القصبة، قال: وأهل تلك البلاد يطبخون بقلة الحلتيت، ويأكلونها، وليست مما يبقى على الشتاء.

حيث إنه كان طبيبا حاذقا، وكان يعالج الناس مجانا، وبعد وفاته جاءوا إلى المسيح الموعود عليه السلام.
ومن سمات أسرة المسيح الموعود عليه السلام أن أفرادها يحبون الطبابة خدمة لبني البشر.

ومن المعلوم أنه قبل 150 عاما لم تكن المنوِّمات الحديثة معروفة، ولم يكن غير الأفيون أو بعض الأعشاب المماثلة في تلك المنطقة، وكان الأطباء والحكماء يستعملون أجزاء من الأفيون في الدواء لعلاج المريض وتنويمه، كما تُستعمل في العصر الحاضر المواد المنومة كالمورفين والفالمفين وإيكامغين في الأدوية والمستشفيات لعلاج المرضى. ويتناول المشائخ والمتدينون وغيرهم تلك الأدوية ولا يخطر على بالهم بتاتا أنهم يتعاطون المخدرات.

وخلاصة القول أن الأطباء كانوا يصنعون الأدوية من النباتات والأعشاب والجذور والحبوب، وكانوا يخلطون تلك المركّبات مع أدوية أخرى، وكانوا أحيانا يضيفون جزءا من الأفيون إلى هذه الأدوية لمداواة المرضى ومعالجتهم حسب أنواع أمراضهم. ولا يغيب عن البال أنه في تلك الفترة لم يكن هناك من قانون يُحرم تداول هذه العقارات أو يمنع استخدامها، وحتى في عصرنا هذا.. يُسمح فقط لشركات تصنيع الأدوية التعامل في بعض المواد المخدرة المحظور استعمالها على الجمهور، وذلك لأن إضافة تلك المواد المخدرة إلى بعض الأدوية يعتبر أمرا هاما وتقتضيه الضرورة.

إباحة المحرمات عند الضرورة

لا يكاد يجهل أحدٌ القاعدة الفقهيةَ التي تنص على أن الضرورات تبيح المحظورات، وهي مبنية على قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة:174).. وقد ورد في روح المعاني تفسيرا للآية المذكورة يقول:

"... واستُدل بعموم الآية على جواز أكل المضطر ميتة الخنزير والآدمي خلافا لمن منع ذلك.... فلا إثم عليه، أي في تناوله، بل ربما يأثم بترك التناول" (تفسير روح المعاني للألوسي؛ ج2، ص42)

وكتب سيد قطب تفسيرا لهذه الآية فقال:

"... وهو مبدأ عام ينصب هنا على هذه المحرمات، ولكنه بإطلاقه يصح أن يتناول سواها في سائر المقامات، فأيما ضرورة ملجئة يخشى منها على الحياة..." (في ظلال القرآن؛ ج1، ص222)

باختصار: يسمح القرآن المجيد بأكل الميتة ولحم الخنزير في الحالات الاضطرارية، ولا سيما إذا اضطر الإنسان لإنقاذ حياته، وذلك عملا بالقاعدة الشرعية التي تقول: إن الضرورات تبيح

المحذورات.

لم يستعمل المسيح الموعود عليه السلام الأدوية المذكورة إلاّ بغرض علاج الناس وتطبيبهم، ولم يستعملها إلا في أحوال الضرورة.

الاعتراض:

يقال أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية كان يصنع العَرَق ويوزعه على أصحابه، فما هي حقيقة الأمر؟

الردّ:

إن كلمة "العَرَق" في بعض اللغات وعند بعض الناس تعني الخمر، كما أنها أيضا تطلق على عصير الفواكه والزهور. وكلمة الشراب في الأردية تعني الخمر، بينما تعني في العربية أي مشروب.

ومن المعروف أن الدواء المسمى: "تشارت" هو مجموعة أربع أنواع من العصير المعروف عند الأطباء الذين يعالجون بالأعشاب. ومن المعروف أيضا أن المسيح الموعود عليه السلام كان طبيبا حاذقا، وكان يصنع الأدوية من مختلف النباتات، ومن ضمنها عصير الزهور والفواكه والأعشاب، وكان يعالج بها المرضى حسب أنواع أمراضهم.

فكلمة "عرق" التي وردت عن هذا الدواء، لا تعني إلا عصير بعض الفواكه والزهور، ولا علاقة لها بالخمر مطلقا.

الاعتراض:

يقال إن ميرزا غلام أحمد قد ادعى أنه المهدي لإصابته بالهستيريا.

الردّ[19]:

رد المسيح الموعود عليه السلام على هذا الانتقاد، حيث كتب المسيح في كتابه "إزالة الأوهام" في سنة 1891م ردا على انتقاد المعارضين ما تعريبه: "... الانتقاد الثاني الذي وُجّه إليّ بأنني ما ادّعيت بكوني مسيحا موعودا إلاّ بسبب الهيستريا والجنون، فإنني أقول ردّا على هذا بأني لا أغضب على أحد يتهمني بالجنون أو بإصابة في العقل، بل أفرح لذلك لأن كل نبي ورسول سُمي بهذا الاسم في زمنه، ونال المصلحون هذا اللقب من أقوامهم منذ القدم. وأنا سعيد لتحقق هذا النبأ عني أيضا، فقد تلقيته من الله سبحانه وتعالى ونُشِرَ في كتابي: "البراهين الأحمدية"، وقد جاء فيه أن الناس سوف يقولون عني أني مجنون..." (الخزائن الروحانية ج3 - كتاب: إزالة الأوهام، ص403)

---

[19] هذا الرد من إعداد المبشر محمد حميد كوثر

ثم كتب حضرته أيضا، تعريبا عن الأردية:

"... كان الله ﷻ يعلم أنه لو أصابني مرض خبيث كالجذام أو الجنون أو العمى أو الصرع.. فيستنتج الناس منه نزول الغضب الإلهي عليّ، ولأجل ذلك بشّرني قبل فترة طويلة، وسجّلتُ بشارته في كتابي: "البراهين الأحمدية" حيث يقول: "أعصمك من كل مرض خبيث وأتمم نعمتي عليك." (الخزائن الروحانية ج17 -كتاب: الأربعين، ص219). وقد استمر تحقق هذه البشارة الإلهية إلى آخر لحظة في حياته الشريفة، ولم يُصب بأي مرض خبيث يؤثر عليه بحيث يمنعه من أداء مهامه.

الأنبياء السابقون اتُّهموا بالسحر والجنون

ومن المدهش جدا أن معارضي الأحمدية قد نسوا.. أو لعلهم تناسوا.. الاتهامات التي وُجّهت إلى الأنبياء من قبل، حيث أتهمهم معارضوهم بالسحر والجنون، ويبدو أن معارضي المسيح الموعود عليه السلام على شاكلة معارضي الأنبياء فيما سبق ولا فرق بينهما سوى أن معارضي المسيح الموعود عليه السلام يعيشون في عصر تقدمت فيه العلوم والفنون، ولذلك فهم يحددون نوع الجنون بالهيستريا!!

يقول تعالى في القرآن المجيد:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذاريات:53)

﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ (الفرقان: 9)

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوآ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ (الصافات:37)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا فَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرْ﴾ (القمر:10)

﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (الشعراء:28)

﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر:7)

وهكذا تتشابه قلوب وأقوال معارضي الأنبياء في كل زمان ومكان، وقد زعم بعض المستشرقين المغرضين الذين هم على شاكلة معارضي المسيح الموعود عليه السلام أن سيدنا رسول الله ﷺ قد أصيب بالصرع والجنون، وهم يتلمسون الكلمات التي قد تُفهم على أكثر من معنى، ويتمسكون بأعراض تبدو في خيالهم المريض أنها نوبات الصرع، فيَصِمون الرسول الأكرم ﷺ بأنه كان يعاني من الجنون والصرع.

اعتراض:

يُنسب إلى المسيح الموعود عليه السلام أنه أهان فاطمة الزهراء رضي الله عنها، إذ قال إنه رأى أنه قد وضع رأسه على فخذها.

الردّ:

لنقرأ الفقرات التالية للمسيح الموعود عليه السلام حيث يتحدث حضرته عن أحد كشوفه الواضحة، فيقول عليه السلام:

"**وإني** رأيته (أي عليًّا رضي الله عنه) وأنا يقظان لا في المنام، فأعطاني تفسير كتاب الله العلام، وقال: هذا تفسيري، والآن أُولِيتَ فَهُنّيتَ بما أُوتِيتَ. فبسطتُ يدي وأخذت التفسير، وشكرت الله المعطي القدير. ووجدتُه ذا خَلْقٍ قويم وخُلقٍ صميم، ومتواضعا منكسرا ومتهلّلاً منوّرا. وأقول حلفًا إنه لاقاني حُبًّا وأُلْفًا، وأُلقي في روعي أنه يعرفني وعقيدتي، ويعلم ما أخالف الشيعة في مسلكي ومشربي، ولكن ما شمخ بأنفه عُنفًا، وما نأى بجانبه أنفًا، بل وافاني وصافاني كالمحبين المخلصين، وأظهر المحبة كالمصافين الصادقين. وكان معه الحسين بل الحسنينِ وسيد الرسل خاتم النبيين، وكانت معهم فتاة جميلة صالحة جليلة مباركة مطهّرة معظّمة مُوَقرة باهرة السفور ظاهرة النور، ووجدتها ممتلئة من الحزن ولكن كانت كاتمة، وأُلقي في روعي أنها الزهراء فاطمة. فجاءتني وأنا مضطجع فقعدت ووضعَتْ رأسي على فخذها وتلطفَتْ، ورأيتُ أنها لبعض أحزاني تحزن وتضجر وتتحنن وتقلق كأمّهات عند مصائب البنين. فعُلّمتُ أني نزلتُ منها بمنزلة الابن في عُلَق الدين، وخطر في قلبي أن حزنها إشارة إلى ما سأرى ظلما من القوم وأهل الوطن المعادين. ثم جاءني الحسنان، وكانا يبديان المحبة كالإخوان، ووافياني كالمواسين. وكان هذا كشفًا من كشوف اليقظة، وقد مضت عليه بُرْهة من سنين.

ولي مناسبة لطيفة بعليّ والحسين، ولا يعلم سرّها إلا رب المشرقين والمغربين. وإني أحبّ عليا وابناه، وأعادي من عاداه، ومع ذلك لستُ من الجائرين المتعسفين. وما كان لي أن أعرض عما كشف الله عليَّ، وما كنت من المعتدين. وإن لم تقبلوا فلي عملي ولكم عملكم، وسيحكم الله بيننا وبينكم، وهو أحكم الحاكمين". (سر الخلافة، ص 53-54)

إذًا، هي التي تضع رأسه كما تضع الأم رأس ابنها تحننًا، وليس في المسألة أي إهانة، بل الكشف فيه تعظيم لفاطمة رضي الله عنها ولابنيها وزوجها رضي الله عنهم.

الاعتراض:

مرة تقولون هو المهدي ومرة المسيح ومرة الحَكَم، فما لقبه بالضبط؟

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام : "وأسماء هذا المجدد ثلاثة، وذِكرها في الأحاديث الصحيحة صريح: حَكَمٌ ومهديٌّ ومسيح. أما الحَكَم فبما رُوِيَ أنه يخرج في زمن اختلاف الأمّة، فيحكُم بينهم بقوله

الفصل والأدلة القاطعة، وعند زمن ظهوره لا توجد عقيدة إلا وفيها أقوال، فيختار القولَ الحق منها ويترك ما هو باطل وضلال. وأمّا المهدي فبما رُوِيَ أنه لا يأخذ العلم من العلماء، ويُهدى مِن لدن ربه كما كان سُنّة الله بنبيّه محمد خير الأنبياء، فإنه هُدي وعُلّم من حضرة الكبرياء، وما كان له معلِّم آخر من غير الله ذي العزّة والعلاء. وأما المسيح فبما رُوِيَ أنه لا يستعمل للدّين سيوفا مشهَّرة ولا أسنّة مذرَّبة، بل يكون مُداره على مسحِ بركات السماء، وتكون حَرْبَتُه أنواع التضرّعات والدعاء. فاشكروا الله أنه موجود في زمنكم وفي هذه البلدان، وأنه هو الذي يكلّمكم في هذا الأوان". (نجم الهدى، الخزائن الروحانية؛ ج14، ص 89-92)

الاعتراض:

هناك تناقض في أقوال المسيح الموعود عليه السلام، فمرة ينفي عن نفسه النبوة، ومرة يدّعيها.

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام : "حيثما أنكرت نبوتي ورسالتي فبمعنى أنني لست حامل شرع مستقل، كما أنني لست بنبي مستقل. ولكن حيث إني قد تلقيت علمَ الغيب من الله تعالى بواسطة رسولي المقتدى ﷺ، مستفيضًا بفيوضه الباطنة، ونائلا اسمَه[20]، فإنني رسول ونبي، ولكن بدون أي شرع جديد. ولم أنكر أبدًا كوني نبيًّا من هذا المنطلق، بل إن الله تعالى قد ناداني نبيًّا ورسولًا بنفس هذا المعنى. لذلك لا أنكر الآن أيضا كوني نبيًّا ورسولًا بهذا المفهوم". (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية؛ ج 18، ص 210 -211)

ويقول عليه السلام: "لا بد من أن تتذكروا أمرًا هامًا ولا تنسوه أبدًا وهو أنه بالرغم من أنني قد نوديتُ بكلمات "نبي" و"رسول" إلا أنني قد أُخبرتُ من عند الله تعالى أن كل هذه الفيوض لم تنزل علي مباشرة، وإنما ببركة الإفاضة الروحانية من شخصية مقدسة في السماء.. أعني محمدًا المصطفى ﷺ. فبالنظر إلى هذه الوسيلة، ومن خلالها، وبفضل نيلي اسمَيه محمد وأحمد.. فأنا رسول ونبي أيضًا. أي أنني مرسل، وأتلقى أنباء الغيب من الله تعالى. وهكذا بقي خاتم "ختم النبوة" مصونًا، لأنني حَظِيت بذلك الاسم على سبيل الانعكاس والظِّلّية من خلال مِرآة المحبة. ولو أن أحدًا غضب من هذا الوحي الإلهي وقال: لماذا سماني الله نبيًّا ورسولاً فلا شك أن هذا يدل على حمقه". (إزالة خطأ، الخزائن الروحانية؛ ج 18، ص 211)

ويقول عليه السلام: "ولا شك أن التحديث موهبة مجردة لا تُنال بكسبٍ البتّة.. كما هو شأن النبوة، ويُكلِّم الله المحدَّثين كما يُكلِّم النبيين، ويرسل المحدَّثين كما يرسل المرسل، ويشرب المحدَّث

---

[20] أي: اسم محمد وأحمد ﷺ. (المترجم)

من عين يشرب فيها النبي، فلا شك أنه نبي لولا سد الباب، وهذا هو السر في أن رسول الله ﷺ إذا سمى الفاروق محدَّثا فقفّى على أثره قوله: لو كان بعدي نبي لكان عمر، وما كان هذا إلا إشارة إلى أن المحدث يجمع كمالاتِ النبوة في نفسه، ولا فرق إلا فرق الظاهر والباطن، والقوة والفعل. فالنبوة شجرة موجودة في الخارج مثمرة بالغة إلى حدها، والتحديث كمثل بذر فيه يوجد في القوة كلُّ ما يوجد في الشجر بالفعل وفي الخارج. وهذا مثال واضح للذين يطلبون معارف الدين، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ في حديث: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، والمراد من العلماء المحدَّثون الذين يُؤتَون العلم من لدن ربهم ويكونون من المكلَّمين.

وقد استصعب الفرق بين التحديث والنبوة على بعض الناس، فالحق أن بينهما فرق القوة والفعل كما بينتُ آنفا في مثال الشجرة وبذرها، فخُذْها مني ولا تخفْ إلا اللهَ، وادعُ الله أن تكون من العارفين. هذا ما قلنا في بعض كتبنا استنباطًا من الأحاديث النبوية والقرآن الكريم، وما قال بعض السلف فهو أكبر من هذا، ألا ترى إلى قول ابن سيرين أنه ذُكر المهدي عنده وسئل عنه هل هو أفضل من أبي بكر فقال: ما أبو بكر؟ هو أفضلُ من بعض النبيين!

هذا ما كتب صاحب "فتح البيان" صدّيق حسن في كتابه "الحُجَج"، ومثله أقوال أخرى ولكنا نتركها خوفا من الإطناب". (حمامة البشرى، ص 171)

الاعتراض:

ما حقيقة أن ميرزا غلام أحمد تعلم العرافة في صغره من أبيه؟

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام في كتابه التبليغ متحدثا عن سيرة حياته: "ولما ترعرعتُ ووضعتُ قدمي في الشباب، قرأتُ قليلا من الفارسية، ونبذة من رسائل الصرف والنحو وعدة من علوم تعميقية، وشيئًا يسيرًا من كتب الطب؛ وكان أبي عرّافًا حاذقًا، وكانت له يد طولى في هذا الفن، فعلمني من بعض كتب هذه الصناعة، وأطال القول في الترغيب لكسب الكمال فيها، فقرأت ما شاء الله، ثم لم أجد قلبي إليه من الراغبين". (التبليغ)

السياق يوضح جيدا أن "عرّافًا" تعني طبيبا، وقد جاء في لسان العرب: "ويقال للحازِي عَرَّافٌ وللقُناقِن عَرَّاف وللطَبيب عَرَّاف لمعرفة كل منهم بعلْمِه" (لسان العرب، ج9، ص236)

ثم لو أنّ أباه كان عرّافا بالفهم المتداول، فهل ترى الخصوم يسكتون عن ذلك؟

إن حياة المسيح الموعود عليه السلام صفحة مكشوفة، وليس هنالك أشياء خافية من حياته، ومعلوم أن أباه كان طبيبا، وأنه تعلم منه بعض الشيء في ذلك، ومعلوم أن أباه لم يكن عرّافا.

الاعتراض:

من أين ابتدعتم البيعة؟ وما فائدتها؟

الردّ:

أولا بيعة الامام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ليست بدعة، بل هي ما أمرنا بها رسول الله ﷺ فقال "فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي". وكذلك روي عنه ﷺ: "من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية".

أما الفائدة من البيعة فيقول المسيح الموعود عليه السلام في حقيقتها:

"إن نظام البيعة لا يهدف إلا إلى تكوين جماعة من المتقين، لكي تترك هذه الجماعة المتألفة من المتقين على الدنيا تأثيرها الحسن. ولكي يكون اجتماعهم مدعاة للخير والبركة والعاقبة الحسنة للإسلام. ولكي يستخدموا لأداء الخدمات النبيلة للإسلام ببركة إجماعهم على كلمة واحدة، ولكي لا يكونوا مسلمين كسالى وبخلاء لا فائدة منهم، ولا مثل هؤلاء الجهال الذين ألحقوا بالإسلام أضرارا فادحة بسبب تفرقتهم وتشتتهم، ووصموا وجهه الجميل بسبب تصرفاتهم الفاسقة. ولا مثل النساك الغافلين والمنطوين على أنفسهم الذين لا يعرفون شيئا عن حاجات الإسلام، ولا يهتمون بمؤاساة إخوانهم شيئا، ولا يجدون في أنفسهم أدنى حماس لإيصال الخير إلى الناس. بل يجب عليهم أن يكونوا متعاطفين مع الأمة حتى يصبحوا ملاذا للفقراء، ولليتامى كالآباء، ويظلوا جاهزين للتضحية في سبيل خدمة الإسلام مثل العاشق المشغوف. ويبذلوا قصارى جهودهم أن تنتشر بركاتهم العميمة في الدنيا وينفجر الينبوع الطاهر لحب الله ومؤاساة عباده من كل قلب، ثم يتمركز في مكان واحد ويتراءى مثل البحر الزاخر. لقد أراد الله جل جلاله أن يجعل بفضله البحت ورحمته المحضة من أدعية هذا العبد الضعيف وتوجّهاتي المتواضعة وسيلة لظهور قدراتهم الطيبة. ولقد وهبني ذلك القدوس عز وجل حماسا مفرطا لأربي هؤلاء الباحثين تربية روحانية، وأن أسعى ليل نهار لإزالة أوساخهم، ولأبحث لهم عن نور يتحرر الإنسان بسببه من عبودية النفس وعبودية الشيطان، فيشرع في حب سبل الله تعالى بطبيعته. وأن أطلب لهم روح القدس التي تتولد عند اجتماع الربوبية الكاملة والعبودية الخالصة. وأن أتحرى لهم النجاة من الروح الخبيثة التي تنجم عن علاقة قوية بين النفس الأمارة والشيطان. فبتوفيق من الله تعالى لن أتكاسل ولن أتوانى ولن أغفل أمر تحري إصلاح الأصدقاء الذين اختاروا الانضمام إلى هذه الجماعة بصدق طويتهم، بل لن أخشى الموت من أجل حياتهم. ولسوف أطلب لهم من الله تعالى قوة روحية يجري تأثيرها في

كل ذرة من وجودهم مثل التيار الكهربائي. وإنني على ثقة بأن هذا ما سوف يحصل بالضبط للذين ينتظرون بالصبر والمثابرة بعد انضمامهم إلى هذه الجماعة، لأن الله تعالى قد أراد أن يخلق هذه الجماعة ثم يهبها تقدما ليظهر جلاله ويري قدرته لكي ينشر في الدنيا حب الله تعالى والتوبة النصوح والطهارة والبر الحقيقي والأمن والصلاحية ومؤاساة البشر. فهذه الجماعة ستكون جماعته المختارة التي سوف يهبها القوة بروحه الخاصة ويطهرهم من الحياة القذرة، وسوف يحدث تغييرا طيبا في حياتهم. وكما أنه سبحانه وتعالى قد وعد في أنبائه المقدسة فإنه سوف يجعل هذه الجماعة تزدهر، ويدخل فيها ألوفا من الصلحاء. إنه تعالى سوف يرويها بنفسه ويكتب لها الازدهار حتى إن كثرتها وبركتها سوف تبدو غريبة للأعين. وسوف ينشرون ضوءهم إلى جميع أرجاء المعمورة مثل المصباح الموضوع في المكان المرتفع، وسيكونون نموذجا للبركات الإسلامية. إنه جَلَّ جَلالُهُ سوف يهب للأتباع الكاملين غلبة على الفئات الأخرى كلها في مجال كل نوع من البركات، ولسوف يكون في هذه الجماعة إلى يوم القيامة أناس يوهبون القبول والنصرة. هذا ما أراد الله الرب الجليل، إنه لقادر يفعل ما يريد، له القوة وله القدرة. فالحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا أسلمنا له، هو مولانا في الدنيا والآخرة، نعم المولى ونعم النصير". (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية؛ ج 3، ص 561 - 563)

ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إن الله يريد أن يجذب إلى التوحيد جميع الأرواح ذوي الفطرة الصالحة من مختلف أقطار المعمورة، سواء كانوا من أوروبا أو آسيا، وأن يجمع عباده على دين واحد. هذه هي غاية الله عز وجل التي أُرسِلتُ من أجلها". (الوصية، ص 7)

ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: "كان الصحابة يبايعون على تضحية الأنفس. إننا نأخذ البيعة بأمر من الله، حيث سجّلنا في الإعلان المطبوع أيضا الوحي التالي: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله". (الملفوظات؛ ج2، ص 295)

ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: "كل من يبايع على يدي يجب أن يعلم ما هو الهدف من بيعته؟ هل يبايع للدنيا أو لرضا الله تعالى؟ هناك كثير من الأشقياء الذين تكون الدنيا وحدها غايتهم المنشودة من البيعة، ولا يحدث فيهم أي تغير إثر البيعة، ولا يتولد فيهم نور المعرفة واليقين الحقيقي اللذان هما نتاج البيعة الحقيقية وثمارها، ولا تصفو أعمالهم ولا تتحسن. ولا يتقدمون في الحسنات، ولا يتجنبون من الذنوب. فمثل هؤلاء الناس الذين يجعلون الدنيا غايتهم الوحيدة يجب أن يتذكروا أن الدنيا فانية ثم العودة إلى الله سبحانه وتعالى. فهذه الحياة الفانية سوف تنقضي في كل حال، سواءً في العسر أو في اليسر، ولكن أمر الآخرة خطير جدًا. إنها دار الخلود، ولا تنقطع. فإذا انتقل

الإنسان إلى تلك الدار بحيث تكون معاملته مع الله تعالى نزيهةً صافية وكانت خشيته مسيطرةً على قلبه، وتجنّب - بعد التوبة من المعاصي - من كل الذنوب التي سماها الله تعالى ذنوبًا، عندها سيأخذ الله تعالى بيده رحمةً منه وفضلاً، وسيحظى هذا الشخص بمكانة حيث يكون الله تعالى راضيًا عنه وهو راضٍ عنه سبحانه وتعالى. ولو لم يفعل ذلك بل قضى حياته في حالة الغفلة لكانت عاقبته وخيمة.

لذا يجب أن يؤخذ القرار عند البيعة، ويرى المبايع ما هو المقصود من البيعة وماذا تكون الفائدة منها؟ فإذا كانت البيعة للدنيا فلا طائل من ورائها. أما لو كانت للدين ولرضى الله تعالى لكانت مباركة ومصحوبة بالهدف والغاية الحقيقية منها، وتُتوقع منها تلك الفوائد والمنافع التي تُنال إثر البيعة الصادقة. مثل هذه البيعة تعود على الإنسان بفائدتين كبيرتين:

أولا: إنه يتوب من ذنوبه، والتوبة الحقيقية تجعل الإنسان محبوبًا لدى الله تعالى، وبسببها يوفَّق الإنسانُ للتقوى والطهارة، كما وعد الله تعالى في القرآن الكريم في قوله: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.. أي أن الله تعالى يحب الذين يقومون بالتوبة ويتطهرون مما يدفع إلى الذنوب من أهواء. الحق أن التوبة لو تمت بحسب مقتضياتها الحقيقية لبُذرت في الإنسان لتوّها بذرةُ الطهارة التي تجعله وارثًا للحسنات. لذلك قال النبي ﷺ أيضا: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له".. أي تُغفر له الذنوب التي سبقت التوبة. ويعفو الله تعالى له بفضل منه عما كان عليه من قبل، وعن كلِّ ما وُجد في أعماله من تصرفات غير لائقة وغير متوازنة، ويعقد التائب عقدًا جديدًا للصلح مع الله تعالى، وتبدأ معاملته معه سبحانه وتعالى من جديد. فلو كان قد تاب في حضرة الله بصدق القلب لكان لزامًا عليه ألا يشرع بالذنوب من جديد، ولا يوسِّخ نفسه بأوساخ المعصية، بل يبقى متوجهًا إلى طهارته وتزكيته بالاستغفار والدعاء بصورة مستمرة، ويفكر دائمًا للحصول على رضى الله تعالى، ويبقى نادمًا خجلاً على أحوال حياته السابقة.

هناك فترات كثيرة لحياة الإنسان، وكل فترة تتسم بأنواع عدة من الذنوب. منها فترة الشباب التي تتسم بالكسل والغفلة. ثم بعدها فترة أخرى من الحياة حيث تصحبها مختلف أنواع الذنوب كالخداع والغش والرياء. فلكل فترة من الحياة هناك ذنوب مختلفة تختص بها.

فمن فضل الله علينا أنه أبقى باب التوبة مفتوحًا، وأنه يغفر الذنوب للتائبين. وعن طريق التوبة يستطيع الإنسان أن يقيم الصلح مع الله تعالى مجددًا. إن الإنسان عندما يُدان بارتكاب جريمة فإنه يستوجب العقاب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيى﴾. وهذه عقوبةُ جريمة واحدة، فما بالك بالذي ارتكب ألوفًا، بل مئات الألوف من

الجرائم. فإذا تمثَّل أحد أمام المحكمة وتمت إدانته أيضًا، ومع ذلك لو عفتْ عنه المحكمة، كم كانت منة الحاكم عليه كبيرة؟ فالتوبة هي بمثابة العفو الذي يتم بعد الإدانة. إن الله تعالى لا يلبث أن يغفر الذنوب إثر التوبة، لذا يجب على الإنسان أن يحاسب نفسه وينظر كم كان متورطًا في الذنوب، وكم استحق عليها من العقاب، ولكن الله تعالى عفا عنه بفضل منه.

فأنتم الذين قمتم بالتوبة الآن يجب أن تعوا حقيقة هذه التوبة، وتجنبوا جميع الذنوب التي كنتم متورطين فيها والتي قررتم تركها. يجب أن تتجنبوا كل الذنوب التي لها علاقة باللسان أو العين أو الأذن، إذ لكل عضوٍ ذنوبٌ تخصه. فإن الذنب سمٌّ يقتل الإنسانَ. إن سمَّ الذنوب يظل يتراكم يومًا بعد يوم، وفي النهاية يبلغ مقدارًا يقتل الإنسان. فالفائدة الأولى من البيعة هي أنها بمثابة الترياق لسم الذنوب، وتحمي من تأثيرها وتمحوها نهائيا. والفائدة الثانية هي أن البيعة التي تتم بصدق القلب على يد مأمور من الله تتسم بالقوة والطاقة. إن التوبة التي يقوم بها المرء بنفسه تنهار في معظم الأحيان، إذ يتوب مرارًا، ثم ينقض توبته مرارًا، ولكن التوبة التي يقوم بها على يد مأمور من الله بقلب صادق، فبما أنها تكون وفق إرادة الله تعالى لذا يقوي اللهُ صاحبَها من عنده، فيوهَب للثبات عليها قوةً من السماء. والفرق بين التوبة الذاتية والتوبة على يد المأمور من الله هو أن الأولى تكون ضعيفةً والثانيةَ قويةً، لأنها تكون مصحوبة بعناية المأمور الشخصية واجتذابِه وأدعيتِه التي تقوّي عزيمة التائب وتهبه قوة سماوية تتسبب في إحداث التغيير الطيب فيه، وتزرَع فيه بذرة الحسنة، فتصبح شجرة مثمرة في نهاية المطاف.

فلو بقيتم صابرين صامدين لرأيتم بعد أيام قلائل أنكم تقدمتم كثيرًا على الحالة الأولى.

فهناك فائدتان من البيعة التي تؤخذ على يدي:

أولا: أن الذنوب تُغفر، ويصبح الإنسان مستحقًّا لمغفرة الله تعالى حسب وعده.

ثانيا: يوهب التائب قوةً لدى التوبة أمام المأمور من الله فيتّقي هجمات الشيطان. فحذار ثم حذار أن تكون الدنيا هي المقصود من الدخول في هذه الجماعة، بل ينبغي أن يكون الهدف هو الحصول على رضى الله تعالى. فإن الدنيا دار الفناء ولا بد أن تنقضي في كل حال. يقال في مثل فارسي: الليلُ ينقضي لا محالة، سواءً نمتَ على سطح التنور أو على فراش الحرير.

يجب أن تتركوا الدنيا وأهدافها كليًّا، ولا تخلطوها بالدين إطلاقًا، لأن الدنيا فانية، أما الدين وثماره فهي أبدية لا تفنى. الدنيا عمرها قصير جدا. ترون أن ألوفًا من الناس يموتون في كل لحظة وآن. وهناك أنواع مختلفة من الأوبئة والأمراض التي تحصد الدنيا حصدًا. كانت الكوليرا تُهلك أحيانًا، والطاعون يُهلك الآن. لا يعرف أحد مَن سيبقى حيًّا وإلى متى؟ إذا كان الإنسان لا

يعرف متى سيحل به الموت، أفليس من الخطأ الفاحش والغباوة المتناهية أن يبقى غافلا عنه. لذا من الواجب أن تتفكروا في الآخرة، ومَن يفكِّر في الآخرة يرحمه الله في الدنيا. هناك وعدٌ من الله أن الإنسان عندما يصبح مؤمنًا كاملا يجعل الله بينه وبين غيره فرقانًا، لذا يجب أن تكونوا مؤمنين أولا. وإنما يتم ذلك إذا لم تخلطوا على الإطلاق أهدافًا دنيوية بأهدافِ البيعة الحقيقية التي هي مبنية على خشية الله وتقواه. أقيموا الصلاة، وثابِروا على التوبة والاستغفار. حافِظوا على حقوق الناس، ولا تؤذوا أحدا، وتَقدَّمُوا في التقوى والصدق، ينزل اللهُ عليكم كلَّ نوع من فضله. كما يجب أن تعِظوا النساء أيضًا في بيوتكم بإقامة الصلاة، وانهوهن عن الشكاوى والغيبة، وعلِّموهن التقوى والصدق". (جريدة "الحكم" مجلد 7، رقم 38، ص 2، عدد 17-10-1903)

ويقول الطَّيْفِلا: "معنى البيعة هو بيع النفس. وهذه حالة يشعر بها القلب. وتتولد هذه الحالة حين يتقدم المرء في صدقه وإخلاصه حتى يبلغ درجة يضطر فيها للبيعة من تلقاء نفسه. وما لم تتولد هذه الحالة يجب أن يعرف الإنسان أن صدقه وإخلاصه ما زالا ناقصين". (الملفوظات؛ ج2، ص 244)

ويقول الطَّيْفِلا: "البيعة ليست لُعبة أطفال. المبايع الحقيقي هو ذلك الذي يأتي الفناءُ على حياته السابقة وتبدأ حياةٌ جديدة. لا بد من إحداث التغيير في كل شيء. إن العلاقات السابقة تنعدم وتبدأ علاقات جديدة. عندما كان الصحابة رضي الله عنهم يُسلمون، كان بعضهم يواجهون ظروفا تضطرهم للانفصال عن الأصدقاء والأقارب جميعًا". (الملفوظات؛ ج3، ص 339-340)

ويقول الطَّيْفِلا: "كل مؤمن يمر بالظروف نفسها. المؤمن عندما يكون لله تعالى بكل إخلاص ووفاء يكون الله تعالى وليًّا له. ولكن إذا كانت بناية الإيمان بالية فهناك خطر. إننا لا نعلم ما في قلب أحد، والله وحده عليم بذات الصدور، غير أن الإنسان يؤخذ بخيانته هو. لو لم يكن الأمر سويًّا مع الله تعالى لن تنفع البيعة. أما إذا كان خالصا لله فإن الله تعالى يحميه حمايةً خاصة. لا شك أن الإنسان كله مِلْكٌ لله تعالى، ولكن الذين يخلصون لله سبحانه وتعالى فإنه يتجلى عليهم تجليًا خاصًا. والإخلاص لله يعني أن تفنى النفسُ كلية ولا تبقى منها ذرة". (الملفوظات؛ ج5، ص 70-71)

ويقول الطَّيْفِلا: "البيعة على يدي تتطلب منكم موتًا لكي تحظَوا بولادة جديدة في الحياة الجديدة. إذا لم تكن البيعة من القلب فلا فائدة منها. إن الله تعالى يريد إقرار القلب من خلال بيعتي.

فالذي يقبلني بقلب صادق ويتوب عن ذنوبه توبةً نصوحًا يغفر له الله الرحيم الكريم بإذنه تعالى، ويصبح وكأنه خرج من بطن الأم، فتحميه الملائكة". (الملفوظات؛ ج 3، ص 262)

ويقول عليه السلام: "البيعة هي عملية بذْرِ البذور للأعمال الصالحة شأن البستاني الذي يزرع شجرة أو يبذر بذرة. فلو زرع أحد شجرةً أو بذر بذرةً ثم تركها على حالها ولم يهتم بِرَيِّها في المستقبل ولم يحفظها لضاعت البذرة أيضا. تذكَّروا أن هناك بركةً في الإقرار بالتوبة لدى البيعة. ولو فرض الإنسان على نفسه تقديمَ الدِّين على الدنيا لأحرز الرقي. ولكن تقديم الدين ليس بوسعكم، بل هناك حاجة ماسة إلى نصرة الله، كما يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُم﴾. وكما أن البذرة دون بذل المجهود والريِّ تبقى عديمة البركة بل تفنى أيضا، كذلك لو لم تذكَّروا أنتم هذا الإقرار كلَّ يوم، ولم تَدْعوا الله تعالى بأن ينصركم، فلن ينـزل فضله. وحدوث التغيُّر بدون نصرة الله محال. إذا كنتم لا تدعون بعد بذر البذرة تبقون محرومين حتمًا. إن الفلّاح الذي يجتهد ويحرث الأرض جيدًا لا بد أن ينجح أكثَر، وأما الفلاح الذي لا يجتهد أو يجتهد أقلَّ نسبيًّا فيبقى محصوله ناقصًا على الدوام، وقد لا يستطيع به دفعَ الضرائب الحكومية أيضا، ويظل فقيرًا دائمًا. ونفس الحال بالنسبة إلى أعمال الدين أيضًا. فمن الناس منافقون، ومنهم كسالى، ومنهم صالحون يصلون إلى مرتبة الأبدال والأقطاب، وينالون درجةً عند الله. وهناك مَن يصلّي إلى أربعين سنة، ومع ذلك يبقى على ما كان عليه في اليوم الأول، ولا يحدث فيه أي تغيير، ولا يشعر بأية فائدة من ثلاثين صومًا. هناك كثير من الناس الذين يقولون إننا متقون ونصلّي منذ مدة طويلة، ولكننا لا نتلقى أية نصرة. السبب أنهم يعبدون عبادة تقليدية فارغة. لا يفكرون في التقدم الروحاني إطلاقا، ولا توجد لديهم رغبة في البحث عن ذنوبهم، ولا يوجد لديهم طلب صادق للتوبة، فيَظَلُّون على حالتهم الأولى. وأمثال هؤلاء ليسوا بأقلَّ من البهائم، ومثل هذه الصلوات تجلب عليهم الويل من عند الله تعالى". (جريدة الحَكَم؛ مجلد 8، عدد 38، 39 ص 6-8 بتاريخ 10 إلى 17-11-1904)

الاعتراض:

تحريم زواج الأحمدية من غير الأحمدي تشريع جديد، وهذا يدل على أن الأحمدية جاءت بتشريع يخالف الإسلام.

الردّ:

هذا المنع ليس تشريعا جديدا، وهو ليس تحريما. بل منع. ومن حقّ وليّ الأمر أن يقيّد ما هو مباح، ولكن لا يجوز له أن يمنع من الواجب والمندوب. أما المباح فهو الأمر الذي يجوز فعله ويجوز تركه. وأي مباح يصبح حراما إن كان يؤدي إلى حرام، ويصبح واجبا إن كان تركه يؤدي إلى حرام. ولما كان زواج الأحمدية من أي مسلم يكفر بالمسيح الموعود عليه السلام يؤدي غالبا إلى أن تضطر لأن تسمع استهزاء بحضرته وشتما له أو استخفافا ببعثته، ويؤدي إلى بناء بيت ليس فيه سكينة ولا طمأنينة، فلذا لا بد من منع هذا المباح، لأنه يؤدي إلى محرم غالبا. من هنا فقد منع حضرته من هذا الزواج. وهذا المنع ليس تشريعا كما قلت.. بل هو تقييد للمباح، وكثيرا ما يتم تقييد المباح من قبل الناس حسب قاعدة ما يؤول إليه فعل هذا المباح. المهم أن عصيان المسيح الموعود عليه السلام في أي أمر أمره هو فيه إثم، فلو قال لأحدنا: قف أو اجلس ولم يقم بذلك فهو عاصٍ وآثم. ولا يقال إن أمره فلانا بالوقوف أو الجلوس تشريع جديد، بل هو أمرٌ منه عليه السلام، وعلينا أن نطيع أوامره.

ومن هنا، فقد منع حضرته هذا الزواج، فصار فاعله آثما لأنه عصى حضرته. ولكن لا يُقال إن هذا الزواج حرام، أو أن هذا تشريع جديد.

الاعتراض:

لماذا يتوسل المسيح الموعود عليه السلام بالنبي خاتم النبيين ﷺ وليس بالله تعالى؟ لماذا لا يتوسل إلى الله مباشرة؟ هل يجعل واسطة بينه وبين الله؟

الرد:

التوسل لا يعني بحال أن تجعل بينك وبين الله وساطة، ولو كان هذا معناه لكان باطلا ومخالفا للتوحيد.

التوسل بالنبي ﷺ هو أن تستمطر رحمة الله ليحقق طلبك من أجله ﷺ الذي يحبه الله والذي خلق الأفلاك من أجله. ومثاله: ما يقوله المتسوّل للناس: من أجل الله أعطني، أو من أجل ابنك أعطني؛ فهو يريد العطاء من الشخص، وهو يسأله مباشرة، ولكنه يستمطر رحمته وعطفه بتذكيره بالله أو بابنه أو بشيء عزيز عليه.

وقد بيّن المسيح الموعود عليه السلام في سؤال أن التوسل بالأحياء جائز، ومثاله: أن تقول: اللهم اسقنا المطر من أجل فلان من الصلحاء. فذات مرة قد كان المسيح الموعود عليه السلام جالسًا في زاوية من المسجد بعد صلاة المغرب حين سئل: هل يجوز بعد ترديد كلمات الدعاء أن يقول أحد: اللهم استجب دعائي بوجه المسيح الموعود. فقال المسيح الموعود عليه السلام: جواز التوسل بالأحياء ثابت في الشرع، ولا شركَ فيه في الظاهر. وقد ورد هذا في الحديث أيضا بأنهم دعوا للمطر بوجه عم

الرسول ﷺ. (ملفوظات221/4 نقلاً عن الحكم، مجلد 6، عدد 42، ص5، 24-11-1902). وقد يُفهم منه حرمة التوسل بالميت، لكن هذا ليس صحيحا، فالمحرم هو دعاء الأموات وممارسة الشرك على قبورهم، لا عموم التوسل؛ فقد توسل المسيح الموعود عليه السلام بالرسول ﷺ وبالصالحين عموما حين قال: "ربِّ بوجهِ المصطفى ودرجتِه العليا، والقائمين في آناء الليل والغازين في ضوء الضحى... أَصْلِحْ بيننا وبين إخواننا". فالتوسل جائز، وهو ليس دعاء وطلبًا من الميت، بل هو دعاء وطلب من الله مباشرة من غير أي وساطة، ولكنه في الوقت نفسه دعاء مع استمطار رحمة الله بذكر ذلك الإنسان الصالح الحبيب إلى الله تعالى.

الاعتراض:

كان ميرزا غلام أحمد قد وعد بأن يؤلف خمسين مجلدا من البراهين الأحمدية، ولكنه لم يؤلف سوى خمسة، وحين سئل عن ذلك قال: لا فرق بين الخمسين (50) والخمسة (5) إلا في النقطة.

الردّ:

الحقّ أن الناسَ لم يسألوه عليه السلام عن بقية الأجزاء، ولم يقولوا له لماذا هي خمسة لا خمسين، بل إنه عليه السلام ذكر هذه العبارة في سياق أن الخمسة حقَّقت في مضمونها ما كانت ستحققه الخمسون، بل إن الخمسة في شكلها أيضا تشبه الخمسين.

مع أنه ليس هنالك ما يمنع حضرته من تسمية مختلف كتبه عليه السلام "براهين أحمدية"، ولو سماها لصارت البراهين مائة جزء لا خمسين. فلو كانت المسألة بالعدد، لما صعب على حضرته أن يأتي بهذا العدد؛ لكن القضية ليست في العدد ولا في التسمية.

صحيح أنه عليه السلام كان قد ذكر أنه سيكتب خمسين جزءا من البراهين الأحمدية، ولكنه بعد أن أنهى كتابة المجلد الرابع من البراهين، رأى أن المشيئة الإلهية تريد توجيهه وجهة أخرى، فكتب على غلاف الجزء الرابع: "عندما أُلِّف هذا الكتاب بداية كان الوضع مختلفا... ثم أطلعني، أنا أحقر العباد، التجلي المباغتُ لقدرة الله - مثل موسى تماما - على عالَمٍ ما كنت مطّلعا عليه من قبل. أي كنتُ أتجول مثل ابن عمران في ليلة مظلمة لأفكاري، إذ سمعت دفعة واحدة صوتا من الغيب: "**إني أنا ربك**"، وكُشفت عليَّ الأسرار التي لم تكن في متناول العقل والتصور. فالآن؛ إن وليّ هذا الكتاب وكفيله ظاهرا وباطنا، هو الله ربّ العالمين، ولا أدري إلى أيّ مدى وقدرٍ يريد سبحانه وتعالى إيصاله. والحق أن أنوار صدق الإسلام التي كشفها سبحانه وتعالى إلى الجزء الرابع من الكتاب تكفي لإتمام الحجة. وآمل من فضل الله تعالى ورحمته أنه سيظل يؤيدني بتأييداته الغيبية ما لم يُزِل ظلمة الشكوك

والشبهات كليا. ومع أنني لا أعرف كم يمكن أن تطول حياتي، لكنني جدّ سعيد على أن الله الحيّ القيوم والمنزَّه عن الفناء والموت قائم على نصرة الإسلام دائما وإلى يوم القيامة. وإن فضله على سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ عظيم بحيث لم يسبق له نظير على نبي من الأنبياء من قبل". (غلاف الجزء الرابع من البراهين الأحمدية)

وبعد 23 عاما.. كتب المسيح الموعود عليه السلام في مقدمة الجزء الخامس من البراهين الأحمدية: "لقد اتفق بحكمة الله وقَدَره أن ظلّت طباعة هذا الكتاب مؤجّلة إلى 23 عاما تقريبًا بعد طباعة أربعة أجزاء منه. والأغرب من ذلك أنني ألّفت في هذه المدة قرابة ثمانين كتابا، بعضها كبير الحجم، ومع ذلك لم يَمِل قلبي إلى إكمال هذا الكتاب".

ثم يبين حضرته أنه كان ضروريا أن يؤخَّر تأليف البراهين الأحمدية حتى تنكشف الأسرار والنبواءت الكامنة في أجزائه الأولى، وتتحقق الأدلة المذكورة فيها بمرور الزمان، والتي منها أن الله تعالى قد كشف على حضرته معارف القرآن الكريم وحقائقه بحسب ما ورد في أجزاء البراهين السابقة، وبهذا أُظهِرت آيات عظيمة على صدق الإسلام.

ثم بيّن حضرته أنه لا بد من وجود نوعين من الأدلّة لإثبات صدق أيّ دين ولإثبات أنه من الله تعالى.

أولهما: "أن يكون ذلك الدين جامعا وكاملا وتاما ومنزها من النقص من حيث معتقداته وتعليمه وأحكامه".

وثانيهما: المعجزات الحيّة.

ثم يبين حضرته أن القرآن الكريم قد أعلن أنه الدين الكامل، وذلك من خلال آية إكمال الدين (*المائدة: 4*)، لكن التوراة قد أعلنت أنه سيأتي بعدها من يُكمل الدين، وكذلك الإنجيل. واستدل حضرته بنصّ من التوراة ونص من الأناجيل على ذلك. ثم تحدث عن المعجزات الحية في القرآن الكريم، ثم قال: "كنت أنوي أن أكتب 300 دليل في "البراهين الأحمدية" لإثبات حقّية الإسلام، ولكن حين تأملت في الموضوع، توصّلت إلى نتيجة أن هذين النوعين من الأدلة يقومان مقام آلاف الأدلة في الحقيقة. فصرف الله قلبي عن تلك الإرادة، وشرَحَه لتحرير الأدلة المذكورة آنفا".

إذن، أدلة صدق الإسلام قد تناولها حضرته بأسلوب آخر.. أي أنّ ما كان ينويه قد تحقق في جوهره وحقيقته، وإنْ لم يتحقق في شكله الخارجي؛ ولأن العبرة بالمضمون لا بالشكل، فقد تحققت الغاية.

ثم يقول حضرته: "إن المعرفة الكاملة لا تُنال ما لم يُعطَ الإنسان بركات ومعجزات حية من الله تعالى. فهذه هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الدين الصادق التي تُفحم المعارضين جميعا".

ثم يقول: "وليكن معلوما أيضا أن التأجيل إلى 23 عاما في طباعة الجزء المتبقي *(الخامس)* من البراهين الأحمدية لم يكن عبثا دون هدف ومعنى، بل كان في ذلك حكمة ألا يُطبع جزؤه الخامس ما لم تظهر في الدنيا كافة الأمور التي أُنبئ عنها في أجزائه السابقة، لأنها مليئة بنبوءات عظيمة. فكان الهدف الأعظم من الجزء الخامس أن تتحقق الأنباء الموعودة كلها. وإنها لآية عظيمة من الله أنه أبقاني حيا بفضله الخاص إلى هذا الوقت حتى ظهرت تلك الآيات كلها. وبذلك قد حان أوان تأليف الجزء الخامس... وكذلك كان ضروريا أن تُذكَر - شكرا لله تعالى - النصرة الإلهية التي حالفتني في تأليف الجزء الخامس. فلإظهار هذا الأمر، كذلك سميتُ الجزء الخامس من البراهين الأحمدية؛ "نصرة الحق" أيضا عند تأليفه، ليكون هذا الاسم آية أبدية على أن نصرةَ الله وعونَه فقط، قد وهبته خِلْعَةَ الوجود على الرغم من مئات العوائق والموانع. لذا فقد كتبتُ "نصرة الحق" على رأس كل صفحة من صفحاته الأولى، ثم كتبتُ على الصفحات التالية "البراهين الأحمدية، الجزء الخامس" تذكيرا بأنه الكتاب نفسه الذي طُبعت أربعة أجزاء منه من قبل. (البراهين الأحمدية، ج5).. وهنا يتابع حضرته قائلا: "كنت أنوي تأليف خمسين جزءا بداية، ثم اكتفيت بخمسة بدلا من خمسين، وحيث إن الفرق بين العدد خمسين وخمسة هو نقطة واحدة، لذا فقد تحقق ذلك الوعد بتأليف خمسة أجزاء".

فهذا هو السياق.. أي أن حضرته لا يقول بأن الخمسين تساوي الخمسة، بل يقول إن هذه الأجزاء الخمسة قد سدّت مسدّ الخمسين التي وعد بها، والأدلة التي تحققت الآن سدّت مسدّ الأدلة الثلاثمائة التي وعد بنشرها. والوعد تحقق بمضمونه، بل حتى في شكله تقريبا، فالخمسة أخت الخمسين في الشكل، فالفرق ليس إلا في نقطة.

ولعلّه عليه السلام يشير أيضًا إلى حديثِ فرْض الصلاة في المعراج، حيث فُرضت خمسين ثم صارت خمسا، وبقي أجرها أجر خمسين صلاة.. فلعله يشير إلى قَدَر الله الذي جعل خمسةً تُحقّق ما تحققه خمسون.

الاعتراض:

قال ميرزا غلام أحمد عن عبارة " وجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة" أنها نص قرآني، لكن الحقيقة أن هذه ليست آية قرآنية. أفلا يعتبر هذا افتراء على القرآن الكريم أو تحريفا له؟

الردّ:

كان حضرته (عليه السلام) يشرح هذه الآية، ولا يذكرها نصا.. وهذا هو السياق كله..
"فانظر هذه الدولةَ.. أيُّ فساد توجد فيها من هذه المفاسد؟ أتمنعنا من صلواتنا وصومنا وحجّنا وإشاعة مذهبنا؟ أو تقاتلنا في ديننا أو تخرجنا من أوطاننا؟...... بل القرآن يأمر بالقسط والعدل والإحسان والله يحب المقسطين. وقد قال في القرآن: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وما قال "ولتكن منكم أُمّةٌ يقتلون الكفار ويُدخلونهم جبرًا في دينهم". وقال جَادِلْهم (أي جادِل النصارى) بالحكمة والموعظة الحسنة، وما قال اقتلوهم بالسيوف والصوارم إلا بعد صدّهم عن سبيل الله ومكرهم لإطفاء نور الإسلام وقيامهم في مقام المعادين، فانظُرْ ما قال ربنا رب العالمين. (نور الحق)

الاعتراض:

ألا تعتبر معجزة الحبر الأحمر تجسيدا لله؟ هل الله يوقّع وله قلم وللقلم حبر؟

الردّ:

هذا كشف، والكشف لا يعني التجسيم. أما هذا الكشف فإن المسيح الموعود (عليه السلام) ذكره في حقيقة الوحي، فقال: "ذات مرة رأيت الله تعالى على سبيل التمثل وكتبت عدة نبوءات بيدي، وكان المراد من ذلك أنه ينبغي أن تحدث مثل هذه الأحداث، ثم قدّمت هذه الورقة بين يدي الله تعالى من أجل التوقيع. فوقّع الله عليها بالحبر الأحمر دون أدنى تردد. وعند التوقيع هزّ القلم كما نهزُّه حين يتجمّع على ريشته حبر بكمية أكبر من المفروض، ثم وقّع على الورقة. فغلبتني الرقة المتناهية نظرا إلى أفضال الله عليَّ إذ قد وقّع (عز وجل) دون تردد على ما أردتُ، ثم استيقظت بغتة. كان ميانْ عبد الله السنوري حينذاك يدلِّك قدميّ في حجرة المسجد. فوقعت قطرات الحبر على مرأى منه على قميصي وعلى قبعته أيضا. واللافت في الأمر أن سقوط قطرات الحبر وهزة القلم حدثا في آن واحد، ولم يكن بينهما فارق زمني ولا ثانية واحدة. الشخص العادي لن يدرك هذا السر بل سيرتاب في أمره لأنه قد يعتبر الأمر مجرد رؤيا، أما الذي لديه إلمام بالأمور الروحانية فلن يرتاب فيه؛ فالله تعالى قادر على أن يخلق من العدم.
على أية حال، حكيت القصة كلها لميانْ عبد الله والدموع تنهمر من مآقيّ. وقد ترك الحدث تأثيرا عميقا على عبد الله الذي هو شاهد عيان عليه، واحتفظ بالقميص معه تبركا ولا يزال موجودا عنده". (حقيقة الوحي)
وحول هذه المعجزة يقول حضرته (عليه السلام) في كتابه "نزول المسيح":

ذات مرة - قرب عام 1887م- ظهرت على مرأى من صديقنا المخلص ميان عبد الله السنوري -محصل الضرائب الزراعية في ولاية بتياله- آيةٌ من الله؛ فقد أُرِيتُ أولا في الكشف بأني كتبتُ عديدا من أوامر القضاء والقدر المتعلقة بحسنات أهل الدنيا وسيئاتهم، وكذلك المتعلقة بي وبأصدقائي، وتمنيتُ أن تحدث الأحداث كما أريدها تماما. ثم رأيت الله تعالى - الذي لا مثيل له ولا نظير - على سبيل التمثل، وقدمت تلك الورقة أمام الله جل شأنه لكي يوقِّع عليها لتحدث كل الأمور المذكورة في الطلب. فوقّع الله تعالى عليها بالحبر الأحمر، وهزّ القلم لإزالة الحبر الزائد من على ريشته. وعلى إثر الهزة سقطت قطرات الحبر الأحمر على ثيابي وثياب ميانْ عبد الله. ولأن الإنسان في حالة الكشف ينال نصيبا من اليقظة أيضا، رأيت تلك القطرات بأم عينيّ. فاغرورقت عيناي دموعا متأثرا بتوقيع الله تعالى على طلبي، وكانت الرقة مستولية على قلبي بكل معنى الكلمة. عندها أيقظني ميان عبد الله من تلك الحالة متسائلا: من أين سقطت علينا هذه القطرات الحمراء؟ فرأيت على قميصي وقبعته قطرات حمراء رطبة لم تجف بعد، وسردتُ له تفصيل الكشف كلَّه. بحثنا جيدا في كل حدب وصوب، ولكن لم نعثر على شيء يمكن أن تسقط منه القطرات. عندها تيقّن ميان عبد الله أيضا أن القطرات الحمراء هي على سبيل المعجزة. ولا تزال بعض تلك الثياب في حوزة ميان عبد الله، الذي ما زال حيا يُرزق بفضل الله تعالى، ويسكن في قرية غوث غَرَه في منطقة بتياله ويمكنه أن يؤكد تلك الحالة حالفا بالله.

أما السؤال: إلامَ تشير القطرات الحمراء؟ فجوابه أن هذه الآية أُظهِرت قبل الأوان للإشارة إلى أن آياتٍ قاهرةً ستظهر من السماء، وتحدث وفياتٌ مهيبةٌ آيةً، مثل موت بانديت ليكهرام، وحَصْدِ الطاعون الناسَ حصدًا.

شهود العيان الأحياء عليها: الشاهد عليها هو ميان عبد الله السنوري وكثير من الناس الآخرين الذين شاهدوا هذا القميص. (نزول المسيح)

باختصار يؤكد حضرته أنه كان في عالم الكشف، وأن الله تعالى قد خلق حبرا من العدم على قميص حضرته عليه السلام وعلى قبعة صاحبه لكي يؤكد له أن هذا الكشف حقٌّ، وأن مضمونه سيتحقق على أرض الواقع. وليس في المسألة تجسيم، لأن حضرته بنفسه قد بحث عن مصدر ماديٍّ محتملٍ لهذه القطرات ولم يجد، فسلَّم أن الله تعالى قد خلقها من العدم تأكيدا على عظمة هذا الكشف.

الاعتراض:

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إنه من غير المعقول أبداً، ومن السفاهة حقاً أن يتلقى الإنسان وحياً وهو ليس بلغته أو لا يفهمه" (الخزائن الروحانية؛ ج23،ص218) ، ثم بعد ذلك يقول: "من الوحي الذي أتلقاه ما يكون بلغات لا أعرفها إطلاقاً مثل الإنجليزية والسنسكريتية والعبرية وغيرها" (الخزائن الروحانية؛ ج18، ص435) أليس هذا تناقضا؟

الرد:

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"ومن غير المعقول أن يكون إنسان يتحدث بلغة ويتلقى إلهاما بلغة أخرى لا يفهمها، لأنه تكليف ما لا يطاق. وما الفائدة من إلهام يفوق فهم الإنسان؟ فبحسب مبدأ آريا سماج، فإن الفيدات (الكتب المقدسة) التي نزلت على رهبانهم، لم تكن في اللغة السنسكريتية (لغتهم)، ولم يكونوا قادرين على فهم هذه اللغة ولا الحديث بها، فإلهام الله إليهم بلغة لا يعرفونها، يتضمن أنه تعالى حرمهم من تعليمه هو".

وواضح أن قوله عليه السلام يتعلق بوحي الأحكام والعقائد، وهذا لا يتناقض مع أن يُنزِل الله على عبده عبارةً أو بعض العبارات بلغة أخرى من باب إعجازي، ولا يتنافى مع أن يُنزِل الله تعالى على عبده وحيا بلغته ولا يفهم تأويله، بل يُفهَم في وقته بعد زمن طويل. فالموضوع هنا عن مبشرات أو نبوءات مستقبلية، وليس عن أحكام وشرائع.

الاعتراض:

أين المنارة التي نزل عندها المسيح؟ ولماذا حاول بناءها مع أنها يجب أن تكون موجودة حين ينزل؟

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام: أما منارة المسيح المذكورة في الأحاديث، فإنما المراد منها في الحقيقة أن نداء المسيح ونورَه سينتشر في العالم بسرعة كما ينتشر الصوتُ والنورُ من المنارة العالية. لهذا فإن اختراع القطار والباخرة والبرقية والبريد وجميع الوسائل لتسهيل نشْر الدعوة وتيسير السفر خاصة، من علامات المسيح التي ذكرها معظم الأنبياء، وقد قال الله تعالى ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.. أي أن زمن الدعوة العامة -الذي هو زمن المسيح الموعود- سيأتي عندما تتعطل الجمال، أي ستظهر مركبةٌ جديدة لن تبقى بوجودها أي حاجة إلى الجمال. كما ورد في الحديث "لَتُترَكَنّ القِلاص، فلا يُسعى عليها"، وهذه العلامة لم يُعطَها أي نبي آخر. فاشكروا لله إذ إن هناك استعدادات في السماء لنشر النور، وفي الأرض تفور البركات الأرضية.. أي تلاحظون في الحل والترحال وفي كل

شيءٍ راحةً لم يلاحظها آباؤكم، فكأن الدنيا تجددت؛ تتيسر الفواكه في غير موسمها، المسافة التي كانت تُقطع في ستة أشهر، تُقطع الآن في بضعة أيام، تتوارد الأخبار من آلاف الأميال خلال ساعة. لقد ابتُكرت آلات وأجهزة لتسهيل كل عمل وفعل، إذ يمكن أن يسافر المرء بالقطار وكأنه يتنقل داخل حديقة بيته، أفلم يحدث في الأرض انقلابٌ؟ فإذا كان الانقلاب المثير للعجب قد حدث في الأرض، فإن الله القادر ﷻ يريد أن يَحدث الآن انقلابٌ مثير للعجب في السماء أيضا، وكلاهما من آيات زمن المسيح.. وإلى هاتين الآيتين يشير الوحيُ الذي تلقيتُه وسجلتُه في كتابي "البراهين الأحمدية" قبل عشرين سنة من اليوم وهو "إن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما".. أي كانت السماء والأرض مربوطتين كحزمة، وكانت أسرارها مخفية، ففكَكْنا كلتا الحزمتين وكشفناها. (الحكومة الإنجليزية والجهاد)

الاعتراض:

إن الإسلام بدأ كالهلال (يعني نقصان)، ثم قُدّر له أن يكون في هذا القرن كالبدر (يعني كامل)، وإلى هذا أشار الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.. (الخطبة الإلهامية) ألا تدل هذه العبارة على أن مؤسس الجماعة ينتقص من الإسلام؟

الرد:

لقد كان المسلمون ضعفاء في مكة قبل الهجرة، فهل معنى هذا أن الصحابة لا خير فيهم أو أن الرسول ﷺ لم يكن تقيا والعياذ بالله؟ القضية أن الإسلام سيسود في الزمن الأخير، وسينتشر أكثر من الزمن الأول، وهذا لا يعني بحال أن الناس الآن أفضل من الصحابة، أو أن المسيح الموعود عليه السلام أفضل من سيدنا محمد ﷺ.

الاعتراض:

ورد في كتاب: إزالة الأوهام " أنا مسيح موعود وممكن أن يجيء مسيح آخر في دمشق".

الردّ:

لقد بيّن حضرته في كتابه إزالة الأوهام أن بعض النبوءات ستنطبق عليه هو شخصيا وستتحقق في حياته، بينما بعضها الآخر قد ينطبق على من سيخلفه وسيسمى مسيحا لأنه تابع كامل للمسيح الموعود الذي هو حضرته عليه السلام؛ حيث إن كل ما سيحدث مع خلفائه وأتباعه المخلصين سيكون له هو، حيث يقول حضرته:

"إضافة إلى ذلك نقول أيضا بأنه إذا أُريدَ حملُ الأحاديث المختلفة التي لا تطابق حالتي في الوقت الراهن فلا ضير في ذلك أيضا، لأنه من الممكن أن يحققها الله تعالى في زمن من الأزمان بواسطة تابع كامل لي يهبه ﷺ مرتبة مثيل المسيح. ويُدرك الجميع أن بعض المهمات تتحقق على يد الأتباع كتحققها على يد المتبوع، ولا سيما إذا تصبّغ بعض أتباعي بصبغتي تماما سالكين مسلك "الفناء في طاعة الشيخ "، فيهبهم الله تعالى بفضله –بصورة ظلية– مرتبة وهبنيها. ففي هذه الحالة تُعتبَر إنجازاتهم كلها كأنها إنجازاتي أنا دون أدنى شك، لأن الذي يسلك مسلكي ليس منفصلا عني، والذي يحقق أهدافي بواسطتي أنا، فإنه داخلٌ في وجودي أنا. فيكون مشتركا في النبوءة مع المسيح الموعود أيضا، لكونه جزءا مني وغصنا من شجرة وجودي؛ لأنه ليس منفصلا عني. فإذا أُعطِي هذا الشخص من الله اسم "مثيل المسيح" بصورة ظلية واشترك في لقب "الموعود" أيضا، فلا ضير في ذلك، لأن الجميع موعودون لكونهم من المسيح الموعود – وإن كان المسيح الموعود واحدا – لأنهم أغصان شجرة واحدة، ومتمِّمون ومُكْملون لهدفٍ موعودٍ وحيد بسبب اتحادهم الروحاني، فتعرفونهم بثمارهم." (إزالة الأوهام)

وفي هذا السياق وتأكيدا عليه يقول المسيح الموعود عليه السلام:

إنْ قدَّمَ الشيخ المحترم (يعني البطالوي) شبهةَ أنه قَبِلَ في تقريظه إمكانية أني مثيلٌ للمسيح، وكذلك قَبِل أني المسيح الموعود أيضا بصورة ظلية وروحانية، ولكن متى قَبِلَ أني المصداق الكامل من كل الوجوه للأنباء الواردة في الصحاح عن المسيح ابن مريم؟

فالجواب على هذه الوسوسة أنني ما ادّعيتُ قط أن سلسلة مجيء المسحاء قد انقطعت عليّ ولن يأتي مسيح في المستقبل، بل أؤمن وأقول مرارا وتكرارا بأنه يمكن أن يأتي أكثر من عشرة آلاف مسيح.. دَعْ عنك مسيحا واحدا، ومن الممكن أن يأتي بعضهم بشوكة وجلال ظاهري أيضا، وممكن أيضا أن ينزل بدايةً في دمشق.

ولكن اعذُرني يا صديقي من قبول نزول المسيح ابن مريم – الذي مات – من السماء بجسده. (إزالة الأوهام)

فواضح من السياق أن حضرته كان يناقش أن مسألة نزول المسيح ابن مريم من السماء مستحيلة، بغض عن النظر عن معنى نزول آلاف المسحاء الآخرين.

وفي كتابه "حمامة البشرى" قال حضرته حول مسألة النزول بدمشق:

"فلو سلم صحة الحديث فيثبت أن المسيح الموعود أو أحدٌ من خلفائه يسافر من أرض وينزل بدمشق في وقتٍ من الأوقات، فلم يكون الناس على لفظ دمشق؟ بل يثبت من لفظ النزول عند

منارة دمشق أن وطن المسيح الموعود الذي يخرج فيه هو مُلكٌ آخر، وإنما ينزل بدمشق بطريق المسافرين"

إذن، فالقضية هي أنه لا ينبغي التمسك بدعوى أنه يجب أن تتحقق النبوءات كاملة في حياة حضرته؛ حيث إن منها ما سيتحقق في أزمنة مختلفة على خلفائه وأتباعه المخلصين، وستكون منسوبة لحضرته هو، كما سيسمى خلفاؤه بالمسيح لأنهم سيكونون مُثلاء له. ولن يكون هنالك مسحاء آخرين منفصلين عن حضرته.

الاعتراض:

ورد في كتاب إزالة الأوهام: " أنا ما ادعيت بأني أنا المسيح الموعود ولا يكون بعدي مسيح آخر، بل أنا أعتقد أو أكرر هذا القول بأنه من الممكن أن يجيء بعدي لا مسيح واحد، بل عشرات الآلاف". فهل معنى هذا أنكم تؤمنون أن ميرزا غلام أحمد مجرد مسيح من عشرات الألوف من أمثاله؟ وأين هم؟

الردّ:

الرد السابق يصلح هنا أيضا، إذ إن المقصود هو أنه سيكون هنالك خلفاء من أتباعه يكونون بمنزلة مسحاء.

الاعتراض:

ورد في البراهين الأحمدية أن حضرته عليه السلام لم يدَّعِ أنه المسيح الموعود بل ادعى أنه مثيله، وأنه كان يؤمن بنزول المسيح من السماء.

الرد:

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

صحيح أنه لم يُحكم في البراهين الأحمدية بالإلهام بحقيقة نزول المسيح ابن مريم الذي ينتظره الناس خارجاً من الجنة ونازلاً من السماء إلى الأرض حقيقةً على أكتاف الملائكة. بل كل ما كتبتُه في البراهين الأحمدية عن المجيء الثاني للمسيح ابن مريم إلى الدنيا، فقد كتبته نظرا إلى الاعتقاد الشائع الذي تميل إليه أفكار إخواننا المسلمين في هذه الأيام. فبناء على هذا الاعتقاد الشائع كتبتُ في البراهين الأحمدية أني لست إلا مثيل الموعود، وأن خلافتي إنما هي خلافة روحانية، وأنه حين يأتي المسيح ستقوم خلافته بكِلا الوجهين الظاهرية والمادية أيضا. فهذا الذي ورد في البراهين الأحمدية إنما هو بسبب الاتّباع العادي لآثار النبي ﷺ المروية، وهو واجب على الملهم قبل أن تُكشف عليه حقيقة الأمر. وذلك لأن الذين يتلقّون الإلهام من الله لا ينطقون دون الإنطاق، ولا يفهمون بغير

الإفهام، ولا يدّعون شيئا إلا إذا أُمِروا، ولا يسعهم أن يتجرأوا على شيءٍ من عند أنفسهم. فلهذا السبب كان نبينا ﷺ يفضِّل اتّباع سنن أهل الكتاب الدينية في أداء بعض العبادات ما لم ينزل عليه الوحيُ، فكان يتركها على حالها إلى نزول الوحي وكشفِ حقيقتها. فمن هذا المنطلق لم أدخُلْ في البراهين الأحمدية في نقاش من تلقاء نفسي حول المسيح ابن مريم عليه السلام. أما الآن، وقد أظهر الله تعالى عليّ حقيقة الأمر، فصار واجبا عليّ أن أُعلنها إعلانا عاما. ولكنني أتأسف على مشايخ هذا العصر الذين شرعوا في كتابة الردود على كتاباتي قبل أن يقرأوها بإمعان.

يعرف المنصفون والمحققون جيدا أن بعض المشايخ المعاصرين قد اعتبروني معارضا لأفكارهم القديمة إلى حد كبير، ولكن التأمل الرصين يبرهن على أني لا أعارض أفكارهم بالقدر الذي أثاروا به ضجة، إذ ما ادّعيت إلا كوني مثيل المسيح، وكذلك ما ادّعيت أن فكرة المماثلة قد انقطعت من بعدي، بل من الممكن عندي أن يأتي في المستقبل حتى عشرة آلاف من أمثال المسيح مثلي. أما في هذا العصر فأنا مثيل المسيح فيه، ولا جدوى من انتظار مثيل آخر. (إزالة الأوهام)

فهذه هي القضية أنه هو المسيح الموعود الآن، ولا داعي لانتظار غيره.

الاعتراض:

إن "نور الدين" هو الذي طرح على ميرزا غلام أحمد فكرة أن يعلن أنه المسيح الموعود، والدليل ما ورد في مكتوبات أحمدية، حيث كتب ميرزا غلام أحمد لنور الدين: لقد تساءل حضرتكم: ما المانع أن يدّعي العاجز أنه مثيل المسيح، ويُنَحّى جانبا مَن يكون مصداقا لحديث نزول المسيح شرقي دمشق. فأيُّ ضرر في ذلك؟ فليعلمْ حضرتكم أن العاجز ليس بحاجة أبدًا أن يكون مثيلاً للمسيح.. إن همه الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين. (مكتوبات أحمدية 85/5)

الردّ:

إن قصّ هذه العبارة فيه خبث واضح، وإلا فإن تكملتها تبيّن الفكرة، فقد تابع المسيح الموعود عليه السلام يقول: غير أنه لا يمكننا أن نفرّ من الابتلاء بأي حال (أي أنه لا يمكننا إلا أن نستجيب لأمر الله هذا بأني المسيح)، فقد جعل الله تعالى الابتلاء وحده سبيل الترقيات كما قال ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ *(العنكبوت: 3)*.. لا أدري هل بعثتَ الرسالتين اللتين وعدتَ بهما أم لا. هذا البحث قد ورد في كتاب "إزالة الأوهام" بإسهاب لم يرد في أي كتاب آخر؛ أي أن قضية دمشق ونزول المسيح قد وضحتُها مسبقا في كتابي "إزالة الأوهام" بتفصيل لم أذكره في أي كتاب آخر. (مكتوبات أحمدية 85/5)

إن تاريخ هذه الرسالة هو 24-1-1891، وكان المسيح الموعود عليه السلام قد أعلن أنه المسيح الموعود قبل ذلك بعدة أشهر، ونشر هذه الدعوى في كتابَي "فتح الإسلام" و"توضيح المرام"، وكان قد أسهب في الكلام في حديث النزول شرقي دمشق وتأويله في كتاب "إزالة الأوهام" - الذي قد أعدّه بعد الكتابين المذكورين مباشرة، ولكن لم يكن قد طُبع بعد- ولم يكن المولوي نور الدين يعرف شيئًا عما كتبه المسيح الموعود عن حديث دمشق في "إزالة الأوهام"، إذ لم يكن مقيمًا في قاديان عندئذ، بل كان يعمل طبيبا ملكيًا في ولاية جامون (كشمير)، ولم يستقر في قاديان إلا في أواخر 1892م، لذا فإن المسيح الموعود عليه السلام يوضح له في هذه الرسالة أنه قد تناول موضوع الحديث الدمشقي بإسهاب في "إزالة الأوهام" غير أنه لا يطمع أبدًا في أي منصب كهذا، بل "همه الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين".

ويقول حضرته وهو يدحض فكرة النزول المادي: "واعلموا يقينا أن المبدأ نفسه ينطبق على النبوءة التي قيل فيها إن ابن مريم سينزل عند منارة شرقي دمشق واضعا يديه على كتفَي مَلكينِ، لأنه لو كان المراد هو تحقق النبوءة بهذا الأسلوب وبصورة ظاهرية هكذا، لما أنكرها أحد من سكان الأرض في حالة النزول بهذه الطريقة. فاسألوا جميع الأمم القاطنة على وجه المعمورة- سواء أكانوا يهودا أو نصارى أو هندوسا أو بوذيين أو مجوسا أو غيرهم- أنه إذا رأوا بأم أعينهم نبيا نازلا على هذا النحو، فهل سيشكّون في نبوته أو يرتابون في دينه؟ (إزالة الأوهام).

الاعتراض:

لقد وصف ميرزا غلام أحمد الصحابي أبا هريرة بالغبي، وهذا يعني أنه كان يسبّ الصحابة.

الردّ:

كان المسيح الموعود عليه السلام يجلّ الصحابة إجلالا كبيرا، ومنهم أبا هريرة أيضا، فقد ترضّى عنه مرارا، ولكنه عليه السلام في سياق حديثه عن قول أبي هريرة بحياة المسيح عليه السلام في السماء بيّن أن أبا هريرة ضعيف الدراية والفهم مقارنة بعموم الصحابة، وخصوصا كبارهم مثل أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

أما كلمة "غبي" بالأردية فلا تعني المعنى المتبادر إلى ذهن العربي حاليا، فهي ليست سُبّة، بل تعني الساذج أو ضعيف التركيز والفهم وقليل الدراية، بل هذا هو معناها في العربية أيضا، وهو "قليل الفطنة" كما في المنجد.. والسياق يوضح ذلك ويؤكده، فقد كان المسيح الموعود عليه السلام يتحدث عن استدلال أبي بكر رضي الله عنه بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

الرُّسُلُ﴾.. ثم قال: "إنه للحق أن أبا بكر ﷺ والصحابة كلهم – وكانوا جميعا موجودين هنالك دون استثناء – فهموا من هذه الآية أن الأنبياء قد ماتوا قاطبةً. ويبدو أن صحابيا أو اثنينِ من الصحابة ممن لم تكن درايتهم أيضا جيدة – وكانوا قد سمعوا أقوال المسيحين الساكنين في الجوار؛ كانوا يظنون إلى حد ما أن عيسى حيٌّ في السماء – مثل أبي هريرة الذي كان ساذجا وضعيف الدراية، ولكن أبا بكر ﷺ الذي وهبه الله تعالى علم القرآن الكريم...." (إعجاز أحمدي). فهذا هو سياق العبارة؛ إذ ليس فيه أي شتيمة، بل هي مقارنة بين فقهاء الصحابة وبسطائهم في الفهم في سياق قضية هامة كان لا بد فيها من هذه المقارنة لإسكات الذين يُهملون استدلال أبي بكر وموافقة مئات الصحابة على استدلاله بهذه الآية، ويركّزون على اجتهاد أبي هريرة الخاطئ.

ومما يدل أيضا على أن كلمة "غبي" هنا بمعنى الساذج والبسيط هو أنه عليه السلام استخدم بدلا منها كلمة الساذج والبسيط في نفس السياق في كتب أخرى، منها حقيقة الوحي والبراهين، حيث قال عليه السلام: فالحاصل أنه يتبين من الرثاء المذكور أن بعض الصحابة من قليلي التدبر الذين لم تكن درايتهم جيدة –مثل أبي هريرة– كانوا يظنون نظرا إلى نبوءة مجيء عيسى الموعود أن عيسى عليه السلام سيعود بنفسه. كما كان أبو هريرة واقعا في هذا الخطأ منذ البداية، وكان يخطئ في أمور كثيرة بسبب بساطته وضعف درايته. فقد أخطأ أيضا في نبوءة دخول صحابي في النار. (حقيقة الوحي)

وكذلك قال عليه السلام: "قال صاحب التفسير "الثَّنائي" إن فهم أبي هريرة للقرآن الكريم كان ضعيفا وناقصا، والمحدِّثون يعترضون على درايته. لقد كان أبو هريرة قديرا في نقل الرواية، ولكنه لم يُعطَ في الفهم والدراية إلا شيئا يسيرا. وأما أنا فأقول بأنه لو استنبط أبو هريرة ﷺ ذلك المعنى فهذا خطأه، كما أن المحدِّثين قد أثبتوا في عدة أماكن أخرى أن أبا هريرة تعثّر وأخطأ في كثير من الأمور التي تتطلب الفهم والدراية. (البراهين الأحمدية، ج5)

ثم إن هذا الرأي بضعف أبي هريرة في الفهم والدراية رأي قديم قاله علماء سابقون، وقد ذكر المسيح الموعود عليه السلام أحدهم، فقال حضرته في حمامة البشرى وفي السياق نفسه:

وأما ما رُوِيَ في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذا الباب، فلا تحسبه شيئا يُتوَجّه إليه، وعندنا كتاب الله فلا تطلب الهدي من غيره، فترجع بالخيبة ولن تكون من المهتدين. قال **صاحب التفسير المظهري** إن أبا هريرة صحابي جليل القدر، ولكنه أخطأ في هذا التأويل، ولا يوجد في حديث ما يؤيد زعمه، ولا نرى مستفادًا من الآية ما فهمه، فلا شك أنه خالفَ الحق المبين.

وما ثبت أن مأخذ قوله من مشكاة النبوة والسُنّة المطهرة، بل هو رأي سطحي، وكان رضي الله عنه كثير الخطأ في بعض اجتهاداته، كما ثبت خطؤه في حديث ذكره البخاري في صحيحه...

ثم ذكر المسيح الموعود عليه السلام مثالا وعلّق عليه بقوله: "إن هذا ما زعم أبو هريرة، ولكن الذي اغترف شيئا من بحر كلام الله فيعلم بالبداهة أن هذا الزعم فاسد".

ووصف عليه السلام أبا هريرة بأنه "استعجل في هذا الرأي، وما أرصد نفسه لشهادة بينات القرآن". (حمامة البشرى)

فوصْفُ صحابيٍّ أو أي إنسان جليل بأنه أقلّ فطنة ودراية من غيره ليس فيه أي إساءة إن كان هذا الوصف من باب الشهادة وكان ضروريا وتتعلق به قضية هامة.

الاعتراض:

يُنسب إلى المسيح الموعود عليه السلام قوله أن الله تعالى أمر بتقديم هدية لمن يريد أن يتحدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أن حضرته يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتلقي الرشوة.

الردّ:

للرد على هذه الشبهة نأتي بهذه العبارة في سياقها؛ فبعد أن ذكر المسيح الموعود عليه السلام شروط الدفن في مقبرة الجنة قال: "وقد يعترض علينا في ذلك مَن غلب عليه سوء الظن". ثم قال عليه السلام: "ولا ريب أن الله أراد أن يميز المنافقين من المؤمنين بهذا النظام".

ثم تحدث عن ضرورة الابتلاء وقال: "هذا الابتلاء ليس بشيء يُذكر. أما الصحابة رضي الله عنهم فقد ابتُلوا بالتضحية بأنفسهم، فقدّموا رؤوسهم في سبيل الله".

ثم قال: "لقد قدَّر الله تعالى في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الابتلاءات الخفيفة أيضًا.. فقد سنّ مثلا ألاّ يستشير أحدٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، مهما كان نوع استشارته، ما لم يقدِّم له هديةً، فكان في ذلك أيضًا ابتلاء للمنافقين".

ويشير حضرته في ذلك إلى قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (المجادلة 13).. فالآية تأمر من يريد أن يتحدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم بتقديم صدقة قبل أن يتحدث معه منفردا. والصدقة تشمل الهدايا والتصدق على الفقراء وغير ذلك. وإذا كانت الصدقة هديةً للرسول صلى الله عليه وسلم فلا يليق أن تُسمّى صدقة، بل هدية. مع أن الهدية التي تُقدَّم للرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يهديها أو يتصدق بها غالبا، ولا يأخذها لنفسه.

فالآية عمّمت وأطلقت لفظ الصدقة، ولكن المسيح الموعود عليه السلام ذكر شكلا خاصا منها في هذا السياق الذي يتحدث فيه.

أما القول إن هذا اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بتلقي رشوة فهذا يدل على غباء صاحب هذه الشبهة؛ ذلك أن الذي آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم وأمّنه على دينه لا يمكن أن يخوّنه في حفنة من القروش.

ثم إن المسيح الموعود عليه السلام لم يكن يشرح الآية، ولم يكن يبين مصاديقها، بل كان يستدلّ منها على أن نظام الوصية لا يخالف الشريعة الإسلامية. وللمستدلّ أن يستدلّ من الآية بالقدر الذي يريد، وليس واجبا عليه أن يشرحها تفصيلا.

الاعتراض:

يقول ميرزا غلام أحمد أن موسى حيّ في السماء، مع أنه ظلّ ينفي وجود عيسى في السماء، فما هذا التناقض؟ فقد قال في كتاب نور الحق: هذا هو موسى فتَى الله، الذي أشار الله في كتابه إلى حياته، وفرض علينا أن نؤمن بأنه حيٌّ في السماء ولم يمت وليس من الميتين".

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام في كتاب نور الحق بالعربية: وأما العقيدة المشهورة.. أعني قول بعض العلماء أن المسيح الموعود ينزل من السماء ويقاتل الكفار ولا يقبل الجزية بل إما القتل وإما الإسلام.. فاعلموا أنها باطلة ومملوءة من أنواع الخطأ والزلّة ومن أمور تخالف نصوص القرآن، وما هي إلا تلبيسات المفترين. يا حسرة عليهم! إنهم أَطْرَأُوا عيسى مِن غير حق حتى قال بعضهم إنه ملَك كريم وليس من نوع الإنسان! وقال بعضهم إن هو إلا كلمة الله وروح الله، وليس في هذه المرتبة شريكا له. وزاد بعضهم عليه حواشي أخرى، وقال هو مخلوق أقرب إلى الله وأفضل من الملائكة، فإن الملائكة لا يُرفَعون إلى العرش وهو مرفوع على العرش لأنه مرفوع إلى الله، فهو أفضل من الملائكة كلهم ومن كل ما خُلِقَ وذُرِئَ. هذا بيان بعض العلماء، وأما صاحب "الإنسان الكامل" عبدُ الكريم الذي هو من المتصوفين، فبلّغ الأمرَ إلى النهاية، وقال إن التثليث بمعنى حق ولا حرج فيه، وإن عيسى كذا وكذا، بل أشار إلى أنه ليس بمخلوق. ومنهم من اعتدى في كذبه وقال: بسم الله الآب والابن وروح القدس. كذلك أيّدوا الفِرْية ونصروها. وكان الكذب في أول الأمر قليلا، ثم من جاء بعد كاذبٍ ألحقَ بكذبه كذبا آخر، حتى ارتفعت عمارة الكذب، وجُعل ابنُ عجوزةٍ ابنَ الله، وبعد ذلك جُعل إلهَ العالمين، ألا لعنة الله على الكاذبين. إنْ عيسى إلا نبي الله كأنبياء آخرين، وإنْ هو إلا خادم شريعة النبي المعصوم الذي حرّم الله عليه المراضع حتى أقبلَ على ثدي أُمّه، وكلّمه ربُّه على طور سينين وجعله من المحبوبين. هذا هو موسى(كتب المسيح الموعود عليه السلام هنا في الحاشية: الفائدة: كلّم اللهُ موسى على جبل وكلّم الشيطانُ عيسى

على جبل، فانظر الفرق بينهما إن كنت من الناظرين) فتَى الله، الذي أشار الله في كتابه إلى حياته، وفرض علينا أن نؤمن بأنه حيٌّ في السماء ولم يمت وليس من الميتين". (نور الحق)

وقد أوضح المسيح الموعود عليه السلام هذا الموضوع في كتابه "حمامة البشرى" فقال: "أعيسى حيٌّ ومات المصطفى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! اعدلوا هو أقرب للتقوى. وإذا ثبت أن الأنبياء كلهم أحياء في السماوات، فأيّ خصوصية ثابتة لحياة المسيح؟ أهو يأكل ويشرب، وهم لا يأكلون ولا يشربون؟ بل حياة كليم الله ثابت بنص القرآن الكريم.. ألا تقرأ في القرآن ما قال الله تعالى عز وجل : { فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ} . وأنت تعلم أن هذه الآية نزلت في موسى، فهي دليل صريح على حياة موسى عليه السلام ، لأنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأموات لا يلاقون الأحياء. ولا تجد مثل هذه الآيات في شأن عيسى عليه السلام. (حمامة البشرى).

إذن، الأنبياء جميعا أحياء وليس المسيح وحده، وهي حياة مختلفة عن حياتنا. وموسى بالذات هناك آية تتحدث عن حياته، أما المسيح فليس هنالك أي آية.. أي أن موسى أولى أن يُقال إنه حيّ من المسيح. مع أنهما أحياء حياة برزخية خاصة.

والخلاصة أن هذا الأمر في معرض نقض القول بحياة المسيح عليه السلام وبتميزه وبتفوقه على غيره من الأنبياء.

الاعتراض:

يرى مؤسس الجماعة أن آدم أول البشر، بدليل قوله: "وكم من أمور كانت من سنن الأنبياء، ولكنا نكرَهها ولا نرضى بها، فإن آدم.. صفيّ الله.. كان يُزوِّج بنته ابنه ونحن لا نحسب هذا العمل حسنا طيبا في زماننا، بل كنا كارهين". (حمامة البشرى)

الردّ:

كان زواج الإخوة مباحا في شريعة آدم القديمة جدا، ولم يكن هذا لأن آدم أول البشر ولا لأنه لا يوجد أناس آخرون. وكما أن بعض الأعراف اليوم تحرِّم زواج أبناء العمومة وترى في إباحتها غرابة شديدة فنحن نرى غرابة شديدة في زواج الإخوة، ولكنه كان مباحا في الماضي السحيق. وأحكام الله تختلف من شريعة لأخرى، والله هو الأعلم بما هو الأصلح دوما.

الاعتراض:

مؤسس الجماعة يؤمن بأن عرش بلقيس أُحضر في لمح البصر من اليمن، والدليل قوله: "أتحسبون أن ملائكة الله كانوا أقل همة وقوة من صاحب سليمان الذي ما قام من مجلسه وما نُقل إلى مكان وأتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان؟ فتدبر، والإشارة كافية للعاقلين". (حمامة البشرى)

الردّ:

المسيح الموعود عليه السلام يخاطب الناس حسب اعتقادهم من باب إلزامهم بما يؤمنون به؛ حيث إن العبارة جاءت توبيخًا، وهذا لا يعني أنه عليه السلام يقول بأن صاحب سليمان قد أحضر العرش نفسه من اليمن، بل إن حضرته كتب في شعرٍ في كتاب سر الخلافة بيّن فيه أن جن سليمان بشر لا أشباح، فقد قال حضرته عليه السلام واصفا حكم الفاروق عمر:

وفي وقته أفراسُ خيلِ محمّدٍ......... أثرنَ غبارا في بلاد التنصّرِ

وكسَّر كسرى عسكرُ الدين شوكةً......... فلم يبق منهم غيرُ صُور التصوّرِ

وكان بشوكته سليمانَ وقتِهِ......... وجُعلتْ له جِنُّ العِدا كالمسخَّرِ (سرّ الخلافة)

أي أن مُلك عمر رضي الله عنه كان مثل ملك سليمان عليه السلام، حيث سُخِّرت له جنّ الأعداء. ومعلوم أن عمر رضي الله عنه لم تُسخَّر له أشباح الفرس، بل إن أعدادا كبيرة من الأعداء الغرباء صاروا عمالا عنده رضي الله عنه، كما صار أعداء غرباء عمالا عند سليمان عليه السلام.

علما أن كتاب سر الخلافة وكتاب حمامة البشرى ألّفهما حضرته في نفس العام، وهو 1894.

ثم إن حضرته لم يقل في هذه العبارة إن صاحب سليمان كان جنًّا، ولم يقل كيف أتى بعرش بلقيس، وإنما استخدم تعبيرا مجملا مشابها للتعبير القرآني، فانظر وقارن بين: "وأتى بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان"، وبين {أَنَا آتِيكَ بِهِ (بعرش بلقيس) قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ} (النمل 41).

الاعتراض: هل قال المسيح الموعود عليه السلام: "صار آدمُ ذليلاً مصغرًا، ثم خلقني الله لكي أهزم الشيطان".

الردّ: وهذا كذب مجرد ليس له أثر في كلام المسيح الموعود عليه السلام، بل إن حضرته يؤمن بنبوة آدم عليه السلام ويعتبر نفسه مثيلا له، فهل يعتبر نفسه مثيلا لذليل مصغَّر؟!

الاعتراض: هل قال المسيح الموعود عليه السلام: "إن الله أنزل لصدق دعواي آيات وبينات بهذه الكثرة لو أنزلتْ على نوح لم يغرق أحدٌ من قومه"؟ وهل هذا يعني أنه يستخف بنوح عليه السلام؟

الردّ: العبارة التي قالها حضرته هي: "إن الله تعالى يُري من أجلي آياتٍ لو ظهرت في زمن نوح ﷺ لما غرق أولئك الناس" (حقيقة الوحي). وفيما يلي سياقها ومعناها:

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "أكرر وأقول: لو اجتمع المعارضون قاطبة، من الشرق والغرب، لما استطاعوا أن يوجِّهوا إليَّ اعتراضًا إلا وقد وُجِّه مثله إلى نبي من الأنبياء السابقين. إنهم يواجهون الخزي والإهانة دائما نتيجة جسارتهم ومع ذلك لا يتورّعون. واللهُ تعالى يُري من أجلي آياتٍ لو ظهرت في زمن نوح ﷺ لما غرق أولئك الناس. ولكن بِمَن أُشَبِّهُ هؤلاء القوم؟ إنهم كصاحب الطبيعة الممسوخة الذي يرى النهار الساطع ويصرّ على أنه ليل. لقد أنبأ الله تعالى بالطاعون قبل الأوان وقال ما نصه: "الأمراض تُشاع والنفوسُ تُضاع"، ولكنهم لا يلقون بالاً لهذه الآية. ثم أنبأ الله بزلزال غير عادي كان وقوعه مقدرا في هذا البلاد في 4-4-1905م، فوقع وحصد مئات الناس، ولكنهم لم يعبأوا به. ثم قال الله إن زلزالا آخر سيقع في فصل الربيع، فوقع ولكنهم أعرضوا عنه أيضا. ثم أنبأ الله بظهور كرة نارية ظهرت في 31-3-1907م وشوهدت إلى ألف مِيل تقريبا بصورة غريبة، ولكنهم لم يتعلموا منها درسًا. ثم ....." (حقيقة الوحي)

فالعبارة في سياق توبيخ المعارضين لحضرته الذين لا يؤمنون مع كثرة الآيات الدالة على صدقه.. أي أن حضرته يشير إلى أن قومه أسوأ من قوم نوح، فكُفْرُ القومِ مع كثرة الآيات يدلُّ على أنهم أشد كفرًا من قوم نوح. وليس في هذا القول أي استخفاف بنوح عليه السلام ولا بآياته.

الاعتراض: هل قال المسيح الموعود عليه السلام أنه أفضل من كل الأنبياء مجتمعين، وهل قال: "لقد جاء أنبياء كثيرون ولكن لم يتقدم عليّ أحدٌ في معرفة الله، وكل ما أُعطيَ لجميع الأنبياء أعطيتُ أنا وحدي بأكمله".

الردّ: هذا من الكذب المجرّد؛ فقد ذكر المسيح الموعود ﷺ مرارا وتكرارا أنه خادم أمين لسيده وسيد الخلق أجمعين؛ محمد المصطفى ﷺ. حيث قال في شعر له:

لاَ شَكَّ أَنَّ مُحَمَّدًا خَيْرُ الْوَرَى رَيْقُ الْكِرَامِ وَنُخْبَةُ الأَعْيَانِ
يَا سَيِّدِي قَدْ جِئْتُ بَابَكَ لاَهِفًا وَالْقَوْمُ بِالإِكْفَارِ قَدْ آذَانِي

انْظُرْ إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ وَتَحَنُّنٍ   يَا سَيِّدِي أَنا أَحْقَرُ الْغِلْمَانِ

وقال:

وَاللهِ إِنِّي قَدْ تَبِعْتُ مُحَمَّدًا وَفِي كُلِّ آنٍ مِنْ سَنَاهُ أُنَوَّرُ

وقال كذلك في مؤلفاته:

إن كل ذرّة من وجودي فِدَى سبيله، إذ إنني قد شاهدت أخفى محاسن محمد ﷺ

إنني لا أعرف أحدًا من الأساتذة، إذ إنني تعلمت في مدرسة محمد ﷺ

لقد أَعطيتُ الناس نبع المعارف الجاري، وليس هذا إلاّ قطرة من بحر محمد ﷺ

"إن الله ﷻ شرّفني بمكالمته ومخاطبته، وحصل لي هذا الشرف باتّباع النبي ﷺ وحده، ولو لم أكنْ من أمته ولم أتّبعْه، وكانت أعمالي كجبال الأرض، لما تشرّفتُ بالمكالمة والمخاطبة الإلهية، لأن النبوّات كلها قد انقطعت إلاّ النبوة المحمدية. (تجليات إلهية)

فهل يمكن أن يقول المسيح الموعود عليه السلام بعد هذا أن سيده وسيدنا رسول الله ﷺ لم يتقدم عليه في معرفة الله؟ أو أنه عليه السلام أُعطيَ أكثر منه ﷺ أو أنه أفضل منه وأعلى درجة عند الله تعالى؟ حاشا وكلا.

وإذا أحسنّا الظنّ بالمعترض فإننا سنعتبر أنه يتحدث عن عبارة أخرى، وهي التي قالها المسيح الموعود عليه السلام محدِّثًا بِنِعَم الله عليه حين ذكر أن الله تعالى جمع في نفسه كل شأن النبيين على سبيل الموهبة والعطاء، لكن سياق هذه العبارة لا يخدم ما ذهب إليه قط، فسياقها أنه بعد أنْ عدّد المسيح الموعود عليه السلام ثلاثة أسباب لتسمية الله له بالمسيح قال: "فهذه ثلاثة أوجه لتسمية المسيح الذي هو خاتم الخلفاء، ففكِّرْ فيه إنْ كنت من أهل الدهاء. وإنه مستفيض من نبيّه الذي ملَك هذه الصفاتِ الثلاث بالاستيفاء، فاتركْ ذكر عيسى وآمِنْ بظِلِّ خيرِ الرسل وخاتم الأنبياء". (الخطبة الإلهامية)

أي أن الرسول ﷺ قد ملك هذه الصفاتِ التي ذكرها وافية تامة، أما المسيح الموعود عليه السلام فهو ظلُّه وتابعُه وخادمُه.

ثم تابع المسيح الموعود عليه السلام يقول: "وكان من أهم الأمور عند الله أن يجعل آخر الأزمنة زمانَ البعث.. أعني زمان تجديد سلسلة الإحياء، وإنه الحقّ فلا تجادل كالجهلاء. وكذلك كان من أعظم مقاصد الله أن يُهلك الشيطان كل الإهلاك، ويردّ الكَرّةَ لآدم ويملأ الأرض قسطا وعدلا ومن أنواع البركات والآلاء، ويكشف الحقائق كلها ويُشيع الأمر والمأمور في جميع الأنحاء، ويُظهر

في الأرض جلاله وجماله ولا يغادر في هذا الباب شيئا من الأشياء. فأقام عبدًا من عنده لهذا الغرض ولتجديد الشريعة الغرّاء، وجعله من حيث الآباء من أبناء فارس، ومن حيث الأمهات من بني فاطمة، ليجمع فيه الجلال والجمال، ويجعل فيه نصيبا من أحسن سجايا الرجال، ونصيبا من أجمل شمائل النساء، فإن في بني فارس شجعانا يردّون الإيمان من السماء، ولذلك سمّاني الله آدمَ والمسيحَ الذي أرى خلق مريمَ، وأحمدَ الذي في الفضل تقدّمَ، ليُظهر أنه جمَع في نفسي كل شأن النبيين على سبيل الموهبة والعطاء، فهذا هو الحق الذي فيه يختلفون. لا يعود إلى الدنيا آدم، ولا نبينا الأكرم، ولا عيسى المتوفى المتّهَم. سبحان الله وتعالى عما يفترون!" (الخطبة الإلهامية)

وهذه العبارات لا تعني قط أنه عليه السلام فضَّل نفسه على سيده وسيدنا محمد ﷺ، بل تعني أنه هو المقصود بنزول المسيح وعودة آدم وبعثة سيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام جميعا. وحضرته بهذا يشير إلى قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجمعة: 3-4).. فهذه الآية تشير إلى أن الله تعالى قد قضى أن يبعث رسول الله ﷺ في الأميين، وأن يبعثه أيضا في ﴿آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، ويشير استخدام الحرف "لَمَّا" بدل " لَمْ" إلى انقضاء فترة زمنية بين البعثتين.

ولما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ فَهِم المسلمون بأنه سيكون للنبي ﷺ بعثة ثانية، وكانوا يفقهون أن المقصود من البعثة الثانية لرسول الله هو بعثُ نبي من عند الله تعالى تابع لرسول الله ﷺ، ولذلك جاء في صحيح البخاري ما يلي: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عن النبي ﷺ فأُنزِلَت عليه سورة الجمعة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال: قلتُ: من هم يا رسول الله؟ فلم يُراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي، وضَع رسولُ الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريّا، لناله رجال (أو رجل) من هؤلاء". (البخاري، التفسير)

ويشير هذا الحديث الشريف إلى أنه حينما يفقد الناس الإيمان، فيبتعد من الأرض حتى كأنه صعد إلى مجموعة نجوم الثريا، فإن رجال (أو رجل) من قوم سلمان الفارسي سوف يعيده مرة أخرى إلى قلوب الناس.

وعودة النبي ﷺ نفسه لا يقول بها أحد. مع أن كثيرا من الناس للأسف يقولون بعودة المسيح عليه السلام بعد أن أصعده بعضُهم إلى السماء، وبعد أن قال بإحيائه مِن الموت آخرون. وكذلك الحال مع إيليا، ومهدي الشيعة الذي يرَوْن أنه غاب. وهذا هو الحال عند الأديان الأخرى في

الشرق مثل البوذية والزرادشتية والهندوسية، فالجميع ينتظر مبعوثا، والجميع تقول النصوص عنده إنه سيعود.

فالنبوءات تشير إلى عودة هذا الجمع الكبير من الأنبياء في نفس الوقت وعند نفس العلامات وفي نفس الظروف، وكلها تشير إلى آخر الزمان قبيل يوم القيامة. ومن غير المعقول أن يعود كرشنا ليدعو الناس إلى دينه، ويعود في نفس الوقت بوذا وزرادشت ليدعو الناس إلى دينه، وينزل إيليا من السماء، وينزل أيضا المسيح ويدعو كلٌ منهم الناس إلى دينه، ويأتي أيضا ذلك الرجل من قوم سلمان الفارسي ليعود بالإيمان إلى قلوب الناس. فحيث إن الله تعالى قد حكم أن ﴿الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمَ﴾ (آل عمران: 20)، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 86)، فهذا يعني أن على أتباع الأديان كلها أن يدخلوا في دين الإسلام، فإنه هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله تعالى لعباده إلى يوم القيامة، وبالتالي فليس هناك ما يدعو إلى عودة كل هؤلاء الأنبياء السابقين لكي يدعوا أقوامهم إلى أديانهم التي نسخها الإسلام. وعلى ذلك يكون معنى كل تلك النبوءات التي جاءت في مختلف الأديان عن عودة هؤلاء الأنبياء الكرام هو ظهور مبعوث واحد من عند الله تعالى، يكون على دين الإسلام ومن أتباع محمد ﷺ، يدعو الناس جميعا إلى صراط الله المستقيم وسُنّة رسوله الكريم ﷺ. وهذا المبعوث يجمع في نفسه كل شأن أولئك النبيين المزمع عودتهم إلى الدنيا مرة أخرى في آخر الزمان، أي أنه يُشابه أولئك النبيين ويرتبط بهم بصلة ما.

وهذا هو المقصود من عبارة المسيح الموعود عليه السلام السابقة؛ فقد بعثه الله تعالى في "الهند" التي بعث فيها بوذا، والقوم الذين كان يعيش بينهم في الهند هم الهندوس، أتباع كرشنا، كذلك فإنه يرتبط بالزرادشتيين الذين هم من أصل فارسي، لأنه هو أيضا من أصل فارسي كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الشريف الذي رواه البخاري، وحيث إنه من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام فله ارتباط كذلك ببني إسرائيل، ولأنه كان يعيش تحت حكومة مسيحية فله كذلك ارتباط مع أتباع المسيح، وحيث إنه من خدام وأتباع رسول الله ﷺ فهو أيضا يُمثل البعثة الثانية للنبي الأكرم ﷺ.

الاعتراض:

هل قال المسيح الموعود عليه السلام: "إن لمحمد ثلاثة آلاف معجزة، ولكن معجزاتي زادت على مليون؟ ألا يعني هذا أنه يفضل نفسه على سيدنا محمد ﷺ؟

الردّ: هذا تدليس واضح.. فليس هنالك مثل هذه العبارة، ولكن الحقيقة أن المسيح الموعود عليه السلام قال في كتاب حقيقة الوحي: "أقول حلفًا بالله الذي نفسي بيده إنه هو الذي بعثني، وهو الذي سماني نبيا، وهو الذي دعاني مسيحًا موعودًا، وقد أظهر لتصديقي آيات عظيمة يبلغ عددها ثلاثمائة ألف، وقد كتبتُ بعضها مثالا في هذا الكتاب. لو لم تشهد على صدقي أفعالُه المعجزة وآياته البينة التي يبلغ عددها آلافًا لما أخبرت أحدًا بمكالمته ﷻ، ولم أستطع القول بيقين إن هذا هو كلامه تعالى، ولكنه ﷻ أظهر في تأييد أقواله أفعالا أصبحت كالمرآة الصافية والساطعة التي تُري وجهه". (حقيقة الوحي)

وفي كتاب آخر اسمه "التحفة الغولروية" ذكر حضرته أنه قد ظهرت على يديه آيات كثيرة وتحققت نبوءات كثيرة، مثل نبوءة مقتل ليكهرام الهندوسي في التواريخ المحددة، ومثل نبوءة بقاء عبد الحق الغزنوي حتى وُلد لحضرته أربعة أبناء، ومثل نبوءة ولادة ابن على جسمه بثور في بيت المولوي نور الدين، وغيرها كثير.. ثم انتقد حضرته اعتراض الخصوم على نبوءة أو اثنتين لعدم فهمهم كيفية تحققها، ثم يقول: "هناك أكثر من مائة نبوءة تحققت وقد ذكرتها في كتابي "ترياق القلوب"، فإن عدم ذكرهم لهذه النبوءات كلها، وتركيزهم مرة بعد أخرى على بقاء زوج "محمدي بيغم" حيًا وعلى "آتهم" لأَمْرٌ يخدعون به الناس، ومثل ذلك كمثل شرير لا يذكر المعجزات الـ 3000 التي ظهرت على يد النبي ﷺ ويظل يكرر أن نبوءة الحديبية لم تتحقق. (التحفة الغولروية)

فهذه عبارة وتلك عبارة أخرى. وأما عدد الآيات فإنه يعتمد على طريقة تقسيم الآيات وطريقة عدّها، فيمكن أن نقول مثلا: إن آيات صدق المسيح الموعود عليه السلام ثلاثون دليلا، وهنا نكون قد عدَدْنا النبوءات دليلا واحدا. ويمكن أن نقول إنها مائة ألف، وهنا نكون قد عدَدنا كل نبوءة آية، وعدَدْنا كلَّ مَن آمن بحضرته وتطوّرَ أخلاقيا وروحانيا آيةً على صدق حضرته، ويمكن أن نقول إنها نصف مليون، وهنا نكون قد عدَدْنا بعض النبوءات عددا من الآيات، فهناك نبوءات مركبة وتتعلق بعدة أمور، وتحقُّقُ كلِّ أمر يُعتبر آيةً. كما يمكن أن نعتبر إيمان بعض الأشخاص أكثر من آية، فتطورُه الروحاني آية واستجابةُ أدعيته بكثرة آية، وهكذا.

وهذا الحال ينطبق على ما قاله المسيح الموعود عليه السلام، فليس المهم هو عدد الآيات فقط، بل المقصود بكل آية.

ثم إن كثرة عدد الآيات لا يلزم منه الأفضلية، بل يلزم منه بُعْدُ القوم عن الدين وقسوةُ قلوبهم.

ثم إن المسيح الموعود عليه السلام قد حسم الأمر حين قال: "لم تظهر على يد أي نبي معجزات بقدر ما ظهرت على يد نبينا الأكرم ﷺ. إن معجزات الأنبياء السابقين قد انتهت بوفاتهم، أما معجزات نبينا ﷺ فلا تزال تظهر وستظل تظهر إلى يوم القيامة. وكل ما يظهر في تأييدي إنما هي معجزات النبي ﷺ كلها. أين القساوسة أو اليهود أو الأقوام الأخرى الذين يقدرون على إظهار الآيات مقابلها؟ كلا، ثم كلا، ثم كلا، ولو ماتوا ساعين لذلك لما استطاعوا أن يظهروا آية واحدة لأن آلهتهم زائفة، فهم لا يتبعون الإله الحق. إن الإسلام بحر المعجزات، لم يستعمل الإكراه قط، فما هو بحاجة إليه أصلا". (حقيقة الوحي)

الاعتراض:

هل قال المسيح الموعود عليه السلام: "أنا المقصود بقول الله سبحانه (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله).

الردّ: لقد أعلن المسيح الموعود عليه السلام أنه قد تلقّى هذا الإلهام، وقد فسره عليه السلام بقوله:

"... أي ليُظهر دين الإسلام بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة على كل دين سواه، أي ينصر الله المؤمنين المظلومين بإشراق دينهم وإتمام حجّتهم". (البراهين الأحمدية، ص239)

وقال كذلك:

"... لا يكون في العالم إلا دين واحد وإمام واحد. لقد جئتُ لأبذر البذر، وقد زُرِعَ ذلك البذر بيدي، والآن لسوف ينمونّ وليزدهرنّ، ولا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك." (تذكرة الشهادتين، ص65)

وبنزول هذا الإلهام على المسيح الموعود عليه السلام في العصر الحاضر، فإن الله سبحانه يؤكّد له أن انتصار الإسلام النهائي على جميع الأديان يبدأ منه، ويستمر رويدا رويدا حتى يبلغ إلى كماله، ولن يبقى على وجه هذه الكرة الأرضية إلاّ دين الإسلام.. الدين الذي أتى به سيد الخلق محمد المصطفى ﷺ، وسوف يغزو الإسلام أفئدة الناس بالأدلة والبراهين. فهذا هو معنى نزول هذا الإلهام على حضرته.

الاعتراض:

هل قال المسيح الموعود عليه السلام: أنا المراد في قوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين).

الردّ: أولا لم يقل المسيح الموعود عليه السلام ذلك قط. وثانيا: إن نزول آيات قرآنية إلهامًا على صلحاء الأمة أمر معروف. ونكتفي بذكر مثال واحد على ذلك، حيث يقول السيد عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "... ثم تُرفَعُ إلى الملك الأكبر فتُخاطَب بـ "إنك اليوم لدينا مكين أمين". (فتوح الغيب؛ رقم المقالة 28). وثالثا: لقد نزلت هذه الآية الكريمة على رسول الله ﷺ، فهو رحمة للعالمين. وقد نزلت أيضا على المسيح الموعود عليه السلام الذي هو الخادم الصادق للرسول الذي هو رحمة للعالمين ﷺ فهو عليه السلام أيضا رحمة للعالمين. كان الأنبياء قبل سيدنا محمد ﷺ يُبعثون لأقوامهم، أما الرسول ﷺ فقد بُعث للناس كافة، وكذلك الحال مع خادمه المسيح الموعود عليه السلام.

الاعتراض:

ورد في سيرة المهدي أنه عندما لم يبق إلا يوم واحد للمدة المضروبة لتحقُّق النبوءة بحق النصراني "آتهم" طلَب المسيح الموعود عليه السلام بقراءة تعويذة على حبات حمص وإلقائها في بئر مهجورة. فما حقيقة هذه القصة؟

الردّ:

كتب مؤلف "سيرة المهدي" الميرزا بشير أحمد رضي الله عنه ابن الميرزا سيدنا الميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام ما يلي:

أخبرني السيد "ميان عبد الله السنوري" أنه عندما لم يبق إلا يوم واحد للمدة المضروبة لتحقُّق النبوءة بحق النصراني "آتهم" طلَب سيدُنا المسيح الموعود عليه السلام مني ومِن "ميان حامد علي" المرحوم أن نأخذ حبات الحمص بعدد معين -لا أذكر الآن عدد الحبات التي حددها لنا- وطلب منا أن نقرأ عليها تعويذة من سورة معينة بمرات محددة -ولا أذكر الآن عدد المرات التي حددها لقراءة تلك التعويذة. وقد أخبرني ميان عبد الله قائلًا "لا أذكر اسم السورة، لكنني أذكر أنها كانت من قصار السور مثل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل). فأمضينا كلّ الليل تقريبًا لإكمال ترديد تلك التعويذة. وبعد إتمام قراءة التعويذة أخذْنا تلك الحبّاتِ إلى حضرته عليه السلام إذ كان قد أمَرنا أن نأتي بها إليه بعد إكمال التعويذة. ثم قادَنا حضرته عليه السلام إلى خارج قاديان، وأظنه أخذَنا باتجاه الشمال، وأمَرنا بإلقاء تلك الحبات في بئر مهجورة. ثم قال لنا: "بعد أن أرميَ بتلك الحبات في البئر المهجورة علينا جميعا أن نعود مسرعين ولا نلتفت إلى الوراء". وفعلًا قام حضرته عليه السلام برمي تلك الحبات في البئر المهجورة، ثم أشاح بوجهه فورًا وعاد، وقد عدنا نحن أيضًا معه بسرعة كبيرة ولم يلتفت أي منا إلا الوراء مطلقًا." (سيرة المهدي، الجزء الأول رواية رقم 160)

وفيما يلي تعليق المؤلف على هذه الرواية، وهو وارد بين قوسين بعد هذه الرواية مباشرة ولم يذكروه:

لقد قمنا بشرح ما ورد في هذه الرواية من قراءة تعويذة على هذه الحبات وإلقائها في البئر، وذلك في الرواية رقم 312 في الجزء الثاني من هذا الكتاب، حيث أوردنا رواية "بير سراج الحق المرحوم" الذي بيّن فيها أن المسيح الموعود عليه السلام قد قام بهذا العمل ليحقق في الظاهر إحدى الرؤى، وإلا فإن مثل هذا العمل خلاف لعادة وسنة المسيح الموعود عليه السلام. والحق أنه كان لهذه الرؤيا تأويل خاص تمثّلَ في هذه اللغة التصويرية، وقد ظهر في وقته. (سيرة المهدي، ج1، تعليق على رواية 160)

وقد أورد المؤلف الرواية الثانية المشار إليها كما يلي:

لقد ذكر لي "بير سراج الحق النعماني" أنه لما أوشكَ موعد النبوءة المتعلقة بـ "آتهم" على الانتهاء رأت زوجةُ المولوي نور الدين المحترم (الخليفة الأول) رؤيا بأن أحدًا يقول لها يجب أخذ ألف حبة من "الماش" (يشبه العدس) ويجب قراءة سورة (ألم تر كيف) ألف مرة عليها، ثم يجب إلقاؤها في بئر والعودةُ منها من دون التفات إلى الوراء. وسرد الخليفة الأول ﷺ هذه الرؤيا للمسيح الموعود عليه السلام أمام المولوي عبد الكريم وقت العصر، فقال المسيح الموعود عليه السلام: يجب تحقيق هذه الرؤيا ظاهرا، إذ كان من عادته عليه السلام أنه إذا رأى هو أو أحد أحبابه رؤيا سعى جاهدًا لتحقيقها ظاهرًا أيضا، وهذا ما فعل المسيح الموعود عليه السلام هنا أيضا. فاقترح عليه عليه السلام حضرةُ المولوي عبد الكريم اسمي واسمَ عبد الله السنوري (للقيام بهذا العمل)، فاستحسن حضرته عليه السلام هذا الرأي، وأمرَنا نحن الاثنين بقراءة سورة (ألم تر كيف) ألف مرة على حبات "الماش". فبدأْنا هذا الوِرد بعد صلاة العشاء وأنهيناه في الساعة الثانية ليلا.

أقول (أي المؤلف): كنتُ قد استغربتُ بسماع رواية "ميان عبد الله" وقلتُ: لأي حكمة فعل المسيح الموعود عليه السلام هذا، لأن مثل هذا العمل كان خلافا لعادته عموما، ولكن بعد سماع هذه الرواية من السيد "بير" قد انحلّ هذا الإشكال، وعلمت أنه قد فعله في الواقع بناءً على رؤيا أراد تحقيقها في الظاهر أيضا، إذ كانا من عادته عليه السلام السعي لتحقيق الرؤى في ظاهرها أيضا شريطة ألا يكون تحقيقها الظاهري مخالفًا لحكم من أحكام الشريعة.

وتأويل هذه الرؤيا أن الله تعالى كما حمى الكعبة من هجوم أصحاب الفيل (الذين كانوا نصارى) وهزمهم وأهلكهم بأسباب من عنده تعالى، كذلك سيتمّ الهجوم من قِبل المسيحيين على الإسلام فيما يتعلق بالنبوءة المتعلقة بـ "آتهم"، وسوف تتاح لهم في الظاهر فرصة لإثارة الضجة ضد

الإسلام، ولكن الله تعالى سيهيئ من عنده أسبابَ هزيمتهم في نهاية المطاف، وأن على المؤمنين أن يتوكلوا على الله والاستعانة به وحده بهذا الشأن، وليتذكروا حين كان أهل مكة ضعفاء وحمَل عليهم أبرهة بجنوده، ولكن الله تعالى حماهم.

وأضيفُ أيضا أن هناك بعض الاختلاف في روايتيْ "بير" المحترم و"ميان عبد الله" المحترم، ويبدو أنه راجع إلى نسيان من أحدهما، فمثلا قد ذكر "ميان عبد الله" أنها كانت حبات الحمص لا حبات "الماش". وأيا كانت هذه الحبات فإن تأويل حبات الماش أو الحمص في علم تعبير الرؤيا هو الهمّ والغمّ، مما كان إشارة إلى التعرض لبعض الغمّ والحزن في قضية "آتهم"، ولكن هذا الهم والغم سوف يُلقى في بئر مظلمة ببركة سورة الفيل في آخر الأمر. والله أعلم. (سيرة المهدي ج 2 رواية رقم 312)

الفصل الرابع[21]

اعتراضات على الفكر الإسلامي الأحمدي

الاعتراض:

أنتم تنكرون أن سيدنا محمدا ﷺ هو خاتم النبيين، وتنكرون الأحاديث الكثيرة مثل "لا نبي بعدي" وحديث اللَّبِنَة، وغيرها.

الردّ[22]:

يعتقد أصحاب الفهم التقليدي أن مفهوم خاتم النبيين لا يعني إلا أن النبي ﷺ هو آخر الأنبياء مبعثا. بينما نرى أن هذا المفهوم هو مفهوم عميق جدا ومتعدد الجوانب، وهدفه إظهار مكانة النبي ﷺ الحقيقية ومنزلته التي تفوّق بها على سائر النبيين.

وقد يظن معارضونا أننا نتبنى هذا المفهوم لكي نسوّغ بعثة مؤسس الجماعة حضرة المسيح الموعود عليه السلام ونبررها، ولكن هذا ليس صحيحا. فبعثته لا يلزمها هذا المفهوم لأنها مرتكزة على نبوءات النبي ﷺ ولا خلاف بيننا وبين غيرنا من المسلمين في تلك البعثة ولكن الخلاف هو في شخصية الإمام المهدي.

ومما يؤكد ذلك أن حضرة مؤسس الجماعة عليه السلام لم يوضح هذا المفهوم بشكل تفصيلي إلا في فترة متأخرة من بعثته. فقد أعلن حضرته أنه الإمام المهدي ثم المسيح الموعود- وكان قد أنشأ الجماعة من قبل، ودعا إلى مبايعته بعد أن تلقى الأمر الإلهي- إلا أنه لم يقدّم هذا المفهوم كمبرر لتقبّل دعوته. ومع أن الوحي المتكرر الذي كان ينزل عليه كان يصفه مرارا بالنبي، إلا أنه كان يميل إلى تأويل هذا الوحي وصرفه إلى المجاز، حتى أوضح الله تعالى له الأمر، فأعلن أنه قد سُمِّي نبيا بوحي الله تعالى، ومِن قبل أيضًا على لسان النبي ﷺ. ثم بيَّن أن مفهوم خاتم النبيين في الواقع إنما هو مفهوم عظيم ولقب نبيل خصّ به الله تعالى سيدنا محمدا ﷺ، وأن بعثته في الواقع إنما هي مصداق لخاتمية النبي ﷺ ومظهر لها.

ولتوضيح هذا المفهوم وتحليله نرى أن الفعل "ختم" في اللغة يعني أنهى وأغلق، كما يعني أيضا طبع؛ أي ترك طابعه في شيء أو أعطاه من طابعه أو أثّر فيه.

---

[21] هذا الفصل من بند الأسئلة والأجوبة، هو من الموقع الرسمي العربي للجماعة الإسلامية الأحمدية على شبكة الإنترنت، إلا إذا ذكر غير ذلك.

[22] هذا الرد من كتاب (الجماعة الإسلامية الأحمدية.. عقائد، مفاهيم، ونبذة تعريفية)

أما "خاتَم" أو "خاتِم" في اللغة فتعني: ما يوضع في الإصبع للزينة؛ ما يستخدم للختم أو التصديق؛ أو ما يستعمل للختم أو الإغلاق.

وإذا أضيف "خاتَم" أو "خاتِم" أو "خاتِمة" إلى جمع العقلاء فلا يكون معناه إلا **الأفضل والأكمل الذي جاء بما لم يأتِ ولن يأتي أحد من قبله أو من بعده بمثله**. كذلك تعني **مَن جَمَع أفضل ما كان للسابقين من أعمال وآثار ومحاسن، ومن ثم صاغها في أزين صورة، ثم ترك أثره وطابعه فيمن جاء بعده**. وبهذا يكون قد وصل الكمال فيما نُسب إليه، بحيث لا يصل إلى مرتبته أحد ممن كان قبله أو ممن جاء بعده. وهنالك أمثلة يصعب حصرها لهذه الصيغة بهذا المعنى في كتب التراث والآثار*.

ونستطيع أن نرى في الأمثلة اللغوية أن صفة الخاتم قد أطلقت على شعراء وأولياء ومحققين وكتاب وغيرهم، وهذا لا يعني أن أيًّا من هذه الصفات أو الأعمال أو المراتب قد انتهت ولم يبق في الدنيا أحد يقوم بها أو يتبوءها.

---

* نورد فيما يلي عددا من الأمثلة من كتب التراث ومن غيرها تبرز أن كلمة "خاتم" أو "خاتمة" مضافة إلى جمع العقلاء لا تعني الآخر، وإنما تعني الأفضل والأكمل الذي لا يدانيه أحد:

1. قيل في رثاء أبي تمام:
فُجع القريض بخاتم الشعراءِ وغديرِ روضتها حبيبِ الطائي
(وفيات الأعيان لشمس الدين؛ ج 2، ص 18)
2. وسمي أبو الطيب المتنبي خاتم الشعراء. (شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمن البرقوقي؛ ج1، ص 13)
3. واعتُبر أبو العلاء المعري خاتم الشعراء. (المرجع السابق، الهامش)
4. إن سيدنا عليا ﷺ خاتم الأولياء. (التفسير الصافي لملا محسن فيض كاشاني؛ تفسير آية: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين")
5. سموا سيدنا عليا ﷺ خاتم الأوصياء. (منار الهدى؛ ص109)
6. اعتُبر الإمام الشافعي خاتم الأولياء. (التحفة السنية، ص 45)
7. واعتُبر الشيخ ابن عربي خاتم الأولياء. (الفتوحات المكية لابن عربي؛ ج 1، صفحة الغلاف)
8. واعتُبر الملك الكافور خاتم الكرام. (شرح ديوان المتنبي، ص 304)
9. سمي أحمد السنوسي خاتم المجاهدين. ("الجامعة الإسلامية" فلسطين؛ عدد 27 محرم 1352هـ)
10. وقيل لأحمد بن إدريس أنه خاتم العلماء المحققين. (العقد النفيس)
11. ويُقال عن الشاه ولي الله الدهلوي بأنه خاتم المحدثين. (العجالة النافعة)
12. وقيل: يحظى بعض الناس حظًّا أوفر من النبوة فيسمّى خاتم الأولياء. (تذكرة الأولياء للمولوي نذير أحمد سيماب القريشي؛ الباب الثامن عشر، ص 249)
13. وقيل: لا يزال الولي يترقى حتى يصل مرتبة خاتم الأولياء. (فتوح الغيب، ص43)
14. وقيل: صاحب الكمال في الولاية هو خاتم الأولياء. (مقدمة ابن خلدون، ص 324)
15. وقيل: إن الإنسان خاتم المخلوقات الجسمانية. (التفسير الكبير؛ ج6، ص22) وقيل عن الألوسي بأنه خاتم الأدباء. (صفحة الغلاف، تفسير روح المعاني للعلامة محمود الألوسي؛ الطبعة الأولى سنة 1301هـ المطبعة الكبرى ببولاق مصر المحمية)
16. كان الشيخ شمس الدين خاتمة الحفاظ. (التجريد الصريح؛ المقدمة، ص4)
17. اعتُبر ابن حجر العسقلاني خاتمة الحفاظ. (طبقات المدلسين، صفحة الغلاف)
18. ويُعرف الشيخ نجيب بخاتمة الفقهاء. (أخبار الصراط المستقيم، يافا؛ عدد رجب 1354هـ)
19. واعتُبر الشيخ رشيد رضا خاتمة المفسرين. (الجامعة الإسلامية؛ عدد 9 جمادى الثانية 1354هـ)

معنى "خاتم النبيين" على ضوء اللغة وخصوصيتُه

وبناء على ما سبق لا بد أن نفهم "خاتم النبيين" كما هي استعمالاتها في اللغة والآثار. وهكذا تكون "**خاتم النبيين**" تعني **أفضلهم وأكملهم** وهو الذي قد وصل إلى الكمال **في النبوة بحيث لا يصل إلى مرتبته أحد ممن كان قبله أو ممن سيأتي بعده**. وهو **من جَمَع أفضل آثار الأنبياء السابقين ومن ثم صاغها في أزين صورة، ثم ترك أثره وطابعه فيمن جاء بعده.**

إلا أن لختم النبوة خصوصية يمكن فهمها من خلال ما يلي:

أولا: إن هذا اللقب قد أطلقه الله تعالى – في الآية 41 من سورة الأحزاب– على الرسول ﷺ وهذا يعني أنه لقب ثابت دائم لا يمكن أن يزول، كما لا يمكن أن يشاركه فيه أحد، فهو خاتم النبيين مطلقا. بينما يحتمل أن يسمى أكثر من إنسان خاتم الشعراء أو خاتم الأولياء أو خاتم المحققين. وهذا لأن اللقب قد أطلق عليه من قِبل البشر من خلال مقارنته بغيره في زمنه أو في محيطه، وهو محدود ونسبي بسبب علمهم المحدود.

ثانيا: بما أن خاتمية الرسول ﷺ هي خاتمية دائمة مطلقة، فإن هذا يعني أنه لم يكن قبله نبي كمثله؛ كما لا يمكن أن يأتي بعده نبي كمثله مطلقا.

ثالثًا: وحيث إن الرسول ﷺ قد بُعث بدين الإسلام من الله تعالى، فإن خاتميته المطلقة تقتضي أن يكون دينه هو الأكمل، وكتابه هو الأكمل، وشريعته هي الأكمل، وأمته هي الأكمل.

رابعًا: بما أن الإسلام هو الدين الكامل والقرآن هو الكتاب الكامل وأمته هي الأمة الكاملة، فلا دين بعد الإسلام، ولا كتاب بعد القرآن، ولا أمة بعد الأمة الإسلامية. ولهذا فإنه لن يأتي الآن نبي بدين جديد، ولا بكتاب جديد، ولن ينشئ أمة جديدة بعد الرسول ﷺ.

فهل يمكن أن يأتي نبي بحيث يكون أدنى منزلة من الرسول ﷺ؟ وهل يمكن أن يأتي نبي يكون تلميذًا له ﷺ، ولا يأتي بدين ولا كتاب ولا بأمة جديدة؟ وماذا سيفعل إن لم يأتِ بدين أو كتاب أو لم يقم بتأسيس أمة جديدة؟ الجواب نعم بالطبع، وهذه هي الصفة الغالبة على معظم النبيين. فقليل جدا منهم من جاء بدين جديد وشرع جديد، وقليل منهم من أنشأ أمة جديدة، وإنما جاء معظمهم لتجديد الدين السابق وإعادة الناس إلى دينهم الأصلي. وبمراجعة تاريخ الأنبياء يتضح هذا جليا*.

* لقد كان الأنبياء يبعثون في قومهم كهود وصالح عليهما السلام، وفي مدينة أو قرية كشعيب ولوط عليهما السلام، أو لعدد محدود من الناس كيونس عليه السلام، وكانوا يأتون لإصلاح أحوال فاسدة معينة كشعيب عليه السلام.

خامسًا: إن خاتمية النبوة تفرض أن يخضع كل نبي يأتي بعد النبي ﷺ لدينه، وأن يلتزم بكتابه وشريعته، وأن يكون من أمته، ولن يظهر نبي مستقل خارج هذا النطاق مطلقا.

سادسًا: إن خاتمية النبوة تفرض أن يكون هنالك من يصلون إلى مقام النبوة في الأمة الإسلامية كدليل على كمال الأمة الذي هو أحد ركائز ختم النبوة. وليس مقبولا مطلقا أن يقال بأن الأمة ستكون أفضل الأمم وأرفعها بينما لا يصل أفرادها إلى الدرجات العليا التي كان يصلها من كان قبلهم. فأي أفضلية بقيت في هذه الأمة إذن؟!

وهكذا نجد أن مفهوم خاتم النبيين يحدد ملامح النبوة بعد الرسول ﷺ بشكل واضح وجلي. وهذا المفهوم ما كان إلا لكي يبين علو شأن النبي بين الأنبياء من ناحية، واستمرار النبوة من بعده من ناحية أخرى وعدم انقطاعها. ولكن النبوة قد قُيدت بشروط لم تكن موجودة سابقا، وأصبحت محصورة في الأمة الإسلامية.

وبالعودة إلى القرآن الكريم سنجد أن كل هذه الاستنتاجات متوافقة معه تماما.

إن لقب "خاتم النبيين" قد ذكره الله في القرآن الكريم في سورة الأحزاب، حيث يقول تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 41).. لقد وردت هذه الآية في معرض الإشادة بالرسول وذكر سموه ورفعته ومكانته. ومن أهم وجوه التفسير المقبولة لهذه الآية هي ما يلي:

الأول: نفي صفة (أبتر) عنه ﷺ، وهي التي كان الكفار يعيّرونه بها، حيث جعله اللهُ تعالى أبا للمؤمنين جميعا، بصفته رسول الله، كما جعله أبا للأنبياء جميعا، بوصفه خاتمهم، أي أفضلهم وأكملهم وسيدهم.

إن النبي ﷺ ليس له أبناء من الرجال من صلبه، ولكنه ليس بأبتر؛ بل عوضا عن هذه الأبوة المادية فهو أبٌ للمؤمنين، وهو أولى بهم من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم. وهذا ما أكده القرآن الكريم في نفس سورة الأحزاب - قبل آية خاتم النبيين- حيث قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: 7)

وكونه ﷺ في تلك المنزلة بالنسبة للمؤمنين، فالأمر لا يقتصر على ذلك، فأبوته تمتد إلى النبيين أيضا بصفته **أفضل النبيين وأكملهم وسيدهم.**

الثاني: انقطاع أبوته بالدم لأي كان، واتصاله بالمؤمنين برابطة الأبوة الروحية التي شرطها الخضوع له، كما أن النبيين خاضعون له بصفته أفضل النبيين وأكملهم وسيدهم.

إن النبي ﷺ ليس برجل عادي منكم، وهو ليس ملزما بكم برابطة لا انفكاك منها كرابطة الأبوة بالدم، ولن يكون مرتبطا بكم بأية رابطة إن لم تكونوا تابعين له وخاضعين له خضوع الولد الصالح لأبيه. وهذا ما ينطبق على كل المؤمنين وينطبق على النبيين أيضا. فالأنبياء خاضعون له بصفته **أفضل النبيين وأكملهم وسيدهم**.

الثالث: تساوي المؤمنين في انقطاع أبوته بالدم لأيٍ كان، وفتح باب التنافس أمامهم لكي تنالهم بركات النبوة بهذه الأبوة الجديدة بصفته أفضل النبيين وأكملهم وسيدهم.

إن النبي ﷺ ليس بأبي أحد من رجالكم، أي أنه ليس له أبناء يحوزون شرف أبوته ﷺ لهم وينالون بركات النبوة منه بالدم* وتكون لهم بهذا ميزة لا تكون لغيرهم من المسلمين. ولكن المجال مفتوح أمام المؤمنين ليحصلوا على هذه البركات بصفته ﷺ **أفضل النبيين وأكملهم وسيدهم**.

وهكذا نرى أن هذه المعاني تلائم هذه الوجوه وتزيد التفسير وضوحا وجمالا.

كذلك فإن هذه المعاني تشير إلى إمكانية بل وجوب بعثة الأنبياء في الأمة الإسلامية بسبب صفة خاتم النبيين. ففي النقطة الأولى سيصبح بقاء النبوة لازما لنفي صفة الأبتر عن الرسول، وفي الثانية فإن ظهور الأنبياء الخاضعين له سيكون سببا في رفعة منزلته، أما الثالثة فإنها تبيّن أن الخاتمية تفرض أن تنال الأمة بركات النبوة ومنزلتها.

الفهم التقليدي لخاتم النبيين

يصرّ أصحاب الفهم التقليدي على أن "خاتم النبيين" تعني "آخر النبيين". فما مدى صحة ذلك؟

كما رأينا سابقا، فإن إضافة "خاتم" إلى جمع العقلاء على سبيل المدح لا تتضمن معنى الآخرية مطلقا.

يروي حضرة مرزا طاهر أحمد - رحمه الله - الخليفة الرابع للإمام المهدي عليه السلام، أنه في سنوات دراسته الجامعية بلندن كان له أستاذ مصري يدرسه اللغة العربية. وفي إحدى المرات كتب حضرته في موضوع عن الدولة الأموية ما يلي: "كان مروان بن محمد خاتم خلفاء بني أمية". فقال له أستاذه: لا، هذا ليس بصحيح. اكتُبْ "كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية". فابتسم حضرته وقال لأستاذه: إذن لماذا تصر على أن معنى "خاتم النبيين" هو آخرهم!

* كما كان عهد النبوة محصورا في آل إبراهيم عليه السلام في الصالحين من بنيه الذين من صلبه، وقد كان الرسول ﷺ أيضا من سلالته وصلبه. أما الآن فالبركات هي في آل محمد ﷺ الذين هم كل الصالحين من أمته، بغض النظر عن علاقة الدم المباشرة التي لا يرتبط به ﷺ فيها أحد، وهذا هو مضمون الصلاة الإبراهيمية التي يرددها المسلمون عشرات المرات في صلواتهم يوميا.

المعنى السياقي لـ "خاتم النبيين"

لقد وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن زواج النبي ﷺ من مطلَّقة زيد. وقد اعتُرض على هذا الزواج باعتباره زواجا من مطلقة الابن، فجاءت هذه الآية لتنفي أبوته الجسدية ﷺ لأحد من الرجال. ولما كان هذا التعبير مما يمكن أن يساء فهمه، وذلك وسط محيط يسخر ممن لم يبقَ له أي أبناء ذكور، كان لا بدّ من الاستدراك، فجاءت جملة ﴿رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بعد﴿لَكِن﴾ لتزيل هذا الفهم الذي يتبادر إلى ذهن البعض، ولتقول: إنه أبوكم جميعا روحيا، بل أبو الأنبياء أيضا.

بينما لو فسرناها بمعنى الآخر، لما كان لها أي معنى في هذا السياق؛ وإلا فما معنى: إنه ليس أبًا لأحد منكم جسديًّا، ولكنه أبوكم روحيا وآخر نبي؟ أين العلاقة بين ما قبل حرف الاستدراك ﴿لَكِن﴾ وما بعده؟ وهل الأبوة تتنافى مع النبوة؟ وهل كونه ﷺ خاتم النبيين يقتضي ألا يكون أبا لأحد من الرجال؟! ثم إذا كان القرآن الكريم يريد أن يذكر أن سيدنا محمدا ﷺ هو آخر نبي مبعثا، فلماذا يذكره في هذا السياق وبهذه الصورة؟ لماذا لم يعلن القرآن الكريم انقطاع النبوة بشكل واضح وقاطع وفي سياق ملائم؟

إن من يفسر ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بأفضلهم وأكملهم وأبيهم روحيا، يكون قد رأى أن الجنس المشترك بين العبارة المنفية قبل ﴿لَكِن﴾ والعبارة المثبتة بعدها هو الأبوة، فالعبارة الأولى تنفي الأبوة الجسدية، والعبارة الثانية تثبت الأبوة الروحية للمؤمنين وللأنبياء. أما من فسر ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ بآخرهم اصطفاء، فأنى له أن يجد جنسا مشتركا يجمع بين العبارتين؟

الأحاديث الشريفة تناقض الفهم التقليدي

أما فيما يتعلق بالحديث الشريف، فقد يظن أنصار الفهم التقليدي أن الحديث الشريف هو دليلهم القاطع الذي لا شبهة فيه. ومع أن القرآن الكريم يجب أن يكون مقدما على كل ما دونه، إلا أن الأحاديث ليست في صفهم أيضا وإن ظنوا ذلك، وهذا ما سيتضح من خلال النظر في هذه الأحاديث.

1- نبدأ أولاً بحديث شهير. ولكن قبل إيراده لا بد من بيان خلفيته بإيجاز. لقد جعل النبي ﷺ عليا رضي الله عنه أميرا على المدينة في غيابه حين خرج إلى غزوة تبوك. فقال له علي: هل تتركني مع الصبيان والنساء، فقال له النبي ﷺ مقولته الشهيرة التي يتضمنها الحديث كالآتي:

"عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال، قال رسول الله ﷺ لعليّ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وفي رواية للبخاري: إلا أنه ليس نبي بعدي. وفي رواية المسند: إلا أنك لست بنبي." (مسلم؛ كتاب الفضائل. البخاري؛ كتاب المغازي. مسند أحمد بن حنبل؛ مسند عبد الله بن عباس بن عبد المطلب)

لعل من ينظر في هذا الحديث برواياته المتعددة سيدرك تماما ما المقصود به دون أن يحتاج إلى غيره. ولقد وضحت رواية مسند الإمام أحمد بن حنبل هذا المقصود بشكل جلي وهو "إلا أنك لست بنبي".

ومع هذا نترك لأحد علماء السلف المرموقين لتبيان المقصود من هذا الحديث. يقول ولي الله شاه المحدث الدهلوي في شرحه ما تعريبه:

"إن مدلول هذا الحديث إنما هو جعلُ سيدنا علي رضي الله عنه نائبا أو أميرا على المدينة أثناء غزوة تبوك فقط، وتشبيه استخلافه باستخلاف هارون عليه السلام لموسى لدى سفره إلى الطور. و"بعدي" هنا لا تعني الـ "بعد" من حيث الزمن، بل تفيد "غيري"، كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ (الجاثية: 24)، فقوله تعالى ﴿مِنْ بَعْدِ اللهِ﴾ يعني "من غير الله". (قرة العينين في تفضيل الشيخين، ص 206)

ويضيف ولي الله الدهلوي ويقول:

"وليس المراد هنا البَعْدية الزمنية، ذلك لأن هارون عليه السلام ما عاش بعد موسى عليه السلام حتى تثبت البعدية الزمنية فيما قيل لسيدنا علي رضي الله عنه." (المرجع السابق)

إن هذا العالم الجليل قد قدم قرينة تؤكد أن "بعدي" هنا لا تفيد البعدية الزمانية مطلقا؛ ليس فقط من خلال تتبع مناسبة هذا الحديث وإنما أيضًا لأن هارون لم يعش بعد موسى عليهما السلام.

2- وهناك حديث آخر يستدلون به: "عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبيّ، وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي." (أبو داود، كتاب الفتن)

يقولون: أين المجال بعد هذا الحديث لمجيء نبي من أي نوع، أو بأي مفهوم من مفاهيم ختم النبوة؟

هذا صحيح ونحن معكم في هذا مائة بالمائة، ونقر بأن الباب الذي أغلقه النبي ﷺ لا يحق لأحد أن يفتحه أبدا. فآمنّا وصدّقنا بكل ما قاله الرسول ﷺ. ولكن الباب الذي فتحه النبي ﷺ

بيده لا يقدر أحد – كائنا من كان – على إغلاقه. وهذا ما لا يقبله أصحاب الفهم التقليدي، مما يجعل الأمر متنازعا فيه.

ذلك أن النبي ﷺ إذا كان قد حذر من الدجالين من ناحية، فإنه من ناحية أخرى قال أيضًا حين أخبر عن نزول عيسى عليه السلام: "ليس بيني وبينه نبيٌّ، يعني عيسى عليه السلام، وإنه نازلٌ." (سنن أبي داود، باب ذكر خروج الدجال)

بهذا الحديث قد حل النبي ﷺ قضية "لا نبي بعدي"، وقضية الدجالين الثلاثين أيضا، إذ قال: ليس بيني وبينه نبي. إذًا، فالمراد من "بعدي" هو أنه مهما ظهر دجالون كذابون فلا تحسبوا عيسى دجالا، إنه نازل لا محالة غير أنه ليس بيني وبينه نبي ولا رسول.

ثم هناك حديث آخر أوثق من حديث الدجالين ويناقض جانب البعدية الزمانية فيه وفي غيره من الأحاديث التي تقول "لا نبي بعدي". لقد ورد في صحيح مسلم حديث طويل يذكر فيه الرسول ﷺ نزول عيسى عليه السلام فيقول:

"... يحصر "نبيّ الله" عيسى وأصحابه... فيرغب "نبيّ الله" عيسى وأصحابه.... ثم يهبط "نبيّ الله" عيسى وأصحابه.... فيرغب "نبيّ الله" عيسى وأصحابه إلى الله." (مسلم، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه)

نلاحظ في هذا الحديث أن الرسول ﷺ قد سمى المسيح "نبي الله" أربع مرات. ومن المؤكد أن الرسول ﷺ يروى هنا حدثا سيحدث لاحقا بعد وفاته. وسواء كان القادم هو عيسى عليه السلام النبي القديم أو غيره، فإن هذا الحديث يؤكد ثبوت نبوته على أي صورة أو وجه جاء فيه، كما أنه يؤكد وجود نبي بعد الرسول ﷺ زمانا.

ومن غير المقبول لمن يستدل بالأحاديث أن يمسك بحديث ويترك آخر وفق هواه. فإن فعل هذا فقد سقط استدلاله كاملا، لأن مذهبه سيكون الانتقائية المغرضة.

لو عاش إبراهيم لكان صديقًا نبيًّا

وإليكم الآن حديثا آخر يحسم الموقف في قضية "البعدية الزمنية".

"عن ابن عبّاس قال: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، قال: إن له مرضعا في الجنّة، ولو عاش لكان صدّيقا نبيّا. ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما استرقّ قبطيّ." (ابن ماجه؛ كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على ابن رسول الله ﷺ وذكر وفاته)

يقول معارضونا عن هذا الحديث إن النبي ﷺ قال: "لو عاش لكان صدّيقا نبيّا"، ولكن الله توفاه حتى لا يصبح نبيّا. وهذه هي الحكمة وراء وفاته ﷺ في الطفولة المبكرة.

ولكن قولهم ليس إلا اجتهادا غير موفق للجمع بين النصوص، ثم إنه لا يُظهِر الحكمةَ الكامنةَ في الحديث، وإنما يسيء إلى فصاحة النبي ﷺ وبلاغته.

إن خلفيّة هذا الحادث هي أن إبراهيم ﷺ تُوُفِّيَ في بداية عام 9هـ، بينما نزلت آية خاتم النبيين عام 5 هـ، أي بحوالي أربعة أعوام قبل وفاة إبراهيم ﷺ. ولا يصعب على أي شخص واعٍ أن يستنتج من ذلك أنه إذا كان النبي ﷺ يفهم من آية خاتم النبيين أن النبوة قد انقطعت بصورة دائمة وبكل أنواعها، لَما قال: "لو عاش لكان صديقا نبيا"، بل لقال: **لو عاش إبراهيم ولو ألف سنة لما صار نبيا، لأن الله تعالى قد أخبرني أنه لن يأتي في الأمة نبي إلى يوم القيامة.**

وهناك رواية أخرى تحل هذه المسألة إلى الأبد. فلقد روي عن علي بن أبي طالب ﷺ:

"لما توفي إبراهيمُ أرسل النبيّ ﷺ إلى أمه "مارية"، فجاءته وغسلته وكفّنته. وخرج به وخرج الناس معه فدفنه. وأدخل ﷺ يده في قبره فقال: أما والله إنه لنبيّ بن نبي." (الفتاوى الحديثية لأحمد شهاب الدين المكي، ص 176)

وبما أن سيدنا عليا ﷺ كان من أهل البيت فروايته هذه أوثق وأجدر بالاعتبار.

الاعتراض:

تفسيركم لـ (لا نبي بعدي) ولـ (خاتم النبيين) لم يقل به أحد من السابقين.

الردّ:

أولاً: إليكم ما قاله العلامة ملا علي القاري – رحمه الله:

"ومع هذا لو عاش إبراهيم وصار نبيا، وكذا لو صار عمر نبيا، لكانا من أتباعه عليه الصلاة والسلام كعيسى والخضر وإلياس عليهم السلام. فلا يناقض هذا قولَه تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾؛ إذ المعنى أنه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملّته، ولم يكن من أمته." (الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملا علي القاري، ص192)

ثانيًا: تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

"قولوا خاتم النبيين، ولا تقولوا لا نبي بعده." (الدر المنثور للسيوطي؛ ج 6، ص618)

لماذا رأت عائشة رضي الله عنها حاجة إلى هذا الشرح والإيضاح؟ من الواضح جليا أنها خشيت أن يسيء البعضُ فهمه، وكانت تعرف أيضا أن النبي ﷺ لم يقصد من "لا نبي بعدي" بأنه لن يكون بعده نبي مطلقا.

ثالثًا: ويورد الإمام ابن قتيبة - رحمه الله - قول عائشة رضي الله عنها، ويعلق عليه ويقول:

"وليس هذا من قولها ناقضا لقول النبي ﷺ: لا نبي بعدي، لأنه أراد لا نبي بعدي ينسخ ما جئت به." (كتاب تأويل مختلف الأحاديث، ص127)

رابعًا: ويقول الإمام محمد طاهر (المتوفى عام 986 هـ) وهو أحد الصلحاء المعروفين، في شرح قول السيدة عائشة رضي الله عنها:

"هذا ناظر إلى نزول عيسى، وهذا أيضا لا ينافي حديث "لا نبي بعدي"، لأنه أراد لا نبي ينسخ شرعه." (تكملة مجمع بحار الأنوار، ص 502)

خامسًا: يشرح الشيخ عبد الوهاب الشعراني (المتوفى 976 هـ) حديث "لا نبي بعدي" ويقول:

"فقوله ﷺ "لا نبي بعدي ولا رسول بعدي"، أي ما ثمّ مَن يشرع بعدي شريعة خاصة." (اليواقيت والجواهر؛ ج 2، ص 35)

سادسًا: وقال شارح "مشكاة المصابيح" محمد بن رسول الحسيني البرزنجي:

"ورد (لا نبي بعدي) ومعناه عند العلماء أنه لا يحدث بعده نبي بشرع ينسخ شرعه." (الإشاعة لأشراط الساعة، ص149)

سابعًا: ويقول الشيخ ولي الله شاه الدهلوي رحمه الله:

"فعلِمنا بقوله عليه الصلاة والسلام: لا نبي بعدي ولا رسول، وأن النبوة قد انقطعت والرسالة، إنما يريد بها التشريع." (قرة العينين في تفضيل الشيخين، ص319)

ثامنًا: وقال الحافظ محمد برخوردار (وهو ابن الشيخ نو شاه غنج قدس الله سره، إمام المدرسة النوشاهية القادرية) في كتاب "النبراس" للعلامة عبد العزيز الفرهاري - شارحًا الحديث "لا نبي بعدي":

"والمعنى لا نبي بنبوة التشريع بعدي، إلا ما شاء الله من الأنبياء الأولياء." (شرح لشرح العقائد المسمى بالنبراس؛ ص445، الحاشية)

تاسعًا: ويقول السيد نواب نور الحسن خان بن نواب صديق حسن خان:

"الحديث "لا وحي بعد موتي" لا أصل له، غير أنه ورد "لا نبي بعدي"، ومعناه عند أهل العلم أنه لن يأتي بعدي نبي بشريعة تنسخ شريعتي." (اقتراب الساعة، ص162)

فترى أن العلماء القدامى الربانيين والسلف الصالح ظلوا على الدوام يستنبطون نفس المعنى الذي استنبطه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. أفليس من الظلم والجور حقا أنه عندما يستنتج

حضرته عليه السلام هذا المعنى يستاء منه المعارضون كثيرا، فيصبح كافرا عندهم، وإذا استنبط العلماء القدامى المعنى نفسه يبقون مؤمنين بل يحتلون رأس قائمة أولياء الأمة.

الاعتراض:

حديث اللَّبِنَة الأخيرة دليل على أن سيدنا محمد ﷺ آخر نبي، سواء تابع أو تشريعي، فما قولكم؟

الردّ:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل قصر أحسن بنيانه، فترك منه موضع لبنة. فطاف به النظّار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللَّبِنَة... فكنت أنا سددت موضع تلك اللَّبِنَة، فتم بي البنيان وخُتم بي الرسل. وفي رواية قال: فأنا اللَّبِنَة وأنا خاتم النّبيّين." (البخاري) إن أنصار الفهم التقليدي يستنتجون من هذا الحديث أن المصطفى ﷺ كان مجرد اللبنة الأخيرة في هذا القصر المشيد سابقا! إن النظر إلى النص بسطحية لا شك سيعطي هذا المعنى، ولكن هل يمكن القبول بهذا المعنى الذي ينال من مقام الرسول ﷺ!

ولننظر ماذا قال اثنان من كبار علماء السلف الصالح حول هذا الحديث. يقول العلامة ابن حجر العسقلاني في شرحه:

"فالمراد هنا النظر إلى الأكمل بالنسبة إلى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة." (فتح الباري؛ كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ)

كذلك فإن العلامة ابن خلدون يقول في هذا الصدد:

"فيفسرون خاتم النبيين باللبنة التي أكملت البنيان. ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة." (مقدمة ابن خلدون، ص300)

وهكذا فإن أنصار الفهم التقليدي يريدون أن يجعلوا الرسول ﷺ مجرد لبنة واحدة في قصر كبير، بينما المفهوم الشامل للخاتمية يجعله ﷺ القصر كله ويجعله مكمل البناء ومتممه ومالكه.

حديث "إني آخر الأنبياء"

أما الذين يحتجون بالحديث الذي يقول: "إني آخر الأنبياء"، فلا بد أنهم يعلمون جيدًا أن النبي ﷺ نفسه قد بين معناه في الجملة التالية من نفس الحديث. إذ الحديث الكامل هو كالآتي: "إني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد" (مسلم؛ كتاب الحج. وسنن النسائي؛ كتاب المساجد).

فهل يعني ذلك أنه لم يُبْنَ في الإسلام أي مسجد بعد مسجد الرسول ﷺ؟

الاعتراض:

عقيدة السلف الصالح في "خاتم النبيين" تخالف ما تقولون.

الردّ:

إن مفهوم خاتم النبيين الذي نتبناه هو المفهوم القرآني ومفهوم الحديث الشريف ومفهوم علماء الأمة وصلحائها من السلف، وسنذكر فيما يلي بعضا من أقوال علماء الأمة وصلحائها ممن يفسرون "خاتم النبيين" بأفضلهم، وينقضون تفسيره بآخرهم مبعثا.

الأول: يقول الصوفي المعروف الإمام عبد الوهاب الشعراني:

"اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد ﷺ، وإنما ارتفع نبوة التشريع فقط."(اليواقيت والجواهر؛ ج 2، ص 3)

الثاني: أما الشاه ولي الله الدهلوي فيقول:

"وخُتم به النبيون.. أي لا يوجد من يأمره الله سبحانه بالتشريع على الناس." (التفهيمات الإلهية؛ ج2، ص85)

الثالث: ويقول الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي:

"فالنبوة سارية إلى يوم القيامة في الخلق وإنْ كان التشريع قد انقطع. فالتشريع جزء من أجزاء النبوة." (الفتوحات المكية؛ ج3، ص159، الباب الثالث والسبعون في معرفة عدد ما يحصل من الأسرار للمشاهد)

ويتابع فيقول:

"فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع، لا مقامها، فلا شرع يكون ناسخا لشرعه ﷺ، ولا يزيد في حكمه شرعا آخر. وهذا معنى قوله ﷺ: إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي. أي لا نبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان؛ يكون تحت حكم شريعتي، ولا رسول بعدي؛ أي لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه. فهذا هو الذي انقطع وسدّ بابه، لا مقام النبوة." (المرجع السابق، ص4)

الرابع: ويقول الشيخ بالي أفندي (المتوفى 960 هـ):

"فخاتم الرسل هو الذي لا يوجد بعده نبي مشرع." (شرح فصوص الحِكَم، ص56)

الخامس: ويقول السيد عبد الكريم الجيلي:

"فانقطع حكم نبوة التشريع بعده، وكان محمد ﷺ خاتم النبيين، لأنه جاء بالكمال ولم يجئ أحد بذلك." (الإنسان الكامل؛ ج1، ص 115)

السادس: ويشرح الشيخ محمد وسيم الكردستاني مفهوم خاتم النبيين ويقول:

"... معنى كونه خاتم النبيين هو أنه لا يُبعث بعده نبيٌّ آخر بشريعة أخرى."

(حاشية الشيخ محمد وسيم الكردستاني على "تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام" للشيخ عبد القادر الكردستاني؛ ج2، ص233)

السابع: أما الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي (المتوفى 1034هـ)، أحد الأقطاب وأولياء الله الكبار حسب اعتقاد أهل السنة بالقارة الهندية، فيقول ما تعريبه:

"إن حصول المتبعين على كمالات النبوة عن طريق الاتّباع والوراثة بعد بعثة النبيّ ﷺ خاتم الرسل- عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل الصلوات والتحيات- لا ينافي كونه خاتم النبيين- عليه وعلى آله الصلاة والسلام- فلا تكن من الممترين." (مكتوبات الإمام الرباني، الدفتر الأول مكتوب301؛ ج5، ص141)

الثامن: ويقول الصوفي المعروف محمد بن علي الحسن الحكيم الترمذي (المتوفى عام 308 هـ):

"فإن الذي عَمِيَ عن خبرِ هذا يظنّ أن خاتم النبيين تأويله أنه آخرهم مبعثا. فأي منقبة في هذا؟ وأي علم في هذا؟ هذا تأويل البُلْهِ الجَهَلة." (كتاب ختم الأولياء، ص341)

التاسع: ويقول المولوي محمد قاسم النانوتوي مؤسس مدرسة "ديوبند" الشهيرة بالهند:

"العامة يرون أن رسول الله ﷺ خاتم النبيين؛ بمعنى أن زمنه كان بعد الأنبياء السابقين وهو آخر الأنبياء كلهم. غير أن أهل الفهم يدركون جيدًا أنه ليس في التقدم أو التأخر من حيث الزمن أية فضيلة في حد ذاته. لو كان الأمر كما يظن العامة فكيف يصح أن يقول الله تعالى في مدح الرسول ﷺ: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾؟ أما إذا لم نعتبر قوله تعالى هذا مدحًا، ولم نعتبر هذه المنزلة ثناءً، فقد يصح أن يكون مفهوم خاتم النبيين بمعنى التأخر الزمني. ولكنني أعرف أن هذا الكلام لن يروق لأحد من أهل الإسلام." (تحذير الناس لمحمد قاسم النانوتوي، ص4-5)

العاشر: ويقول السيد أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكهنوي:

"لا يستحيل وجود نبي في زمن النبي ﷺ أو بعده، بل يمتنع أن يكون بشريعة جديدة." (أثر ابن عباس في دافع الوسواس، ص16)

ويصرح بأن ذلك ليس اعتقاده هو فحسب، بل ما زال علماء أهل السنة أيضا يصرحون بذلك، فيقول:

"ما زال علماء أهل السنة يصرّحون أنه لا يمكن أن يكون في عصر الرسول ﷺ نبي بشريعة جديدة، فإن نبوته ﷺ عامة. فالنبي الذي يكون في عصره ﷺ يكون تابعا للشريعة المحمدية." (مجموعة الفتاوى لمحمد عبد الحي اللكهنوي؛ ج1، ص17)

قصور الفهم التقليدي ومساسه بالخاتمية

إن الفهم التقليدي الذي يحصر معنى خاتم النبيين في كونه آخرهم، يسيء إلى مفهوم الخاتمية ويقزّمه، بل وينقضه أيضا.

والخاتمية وفقا لمفهومنا ترتكز على أربع ركائز وهي: **كمال الرسول؛ وكمال الإسلام؛ وكمال القرآن؛ وكمال الأمة**. وإن المفهوم الصحيح الحقيقي لخاتم النبيين يحافظ على هذا الكمال ويبرزه في أحسن صورة.

أما الفهم التقليدي فهو في أحسن الأحوال غير قادر على أن يبرهن على كمال الأمة، بل يؤكد العكس تماما، ويقدم دليلا على قصور الأمة وعدم كمالها. وهذا القصور يؤدي تلقائيا إلى تدمير ركيزة من ركائز الأفضلية المطلقة للرسول ﷺ.

سؤال هـام

إن حَجْب النبوة عن الأمة الإسلامية، ومنعها من الوصول إلى ما وصلت إليه الأمم السابقة، لهو أمر يستدعي الوقوف عنده والتأمل. فلماذا ستُحجب النبوة عن الأمة؟ وهل حجبها هو نعمة أو نقمة؟ وهل يمكن أن تُعتبر الأمة هي خير أمة أخرجت للناس بغياب النبوة عنها؟

إن القرآن الكريم يبين بكل وضوح أن أكبر وأتم نعمة يمكن أن يصل إليها الإنسان هي النبوة، حيث يقول تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (يوسف: 7)

فالنبوة حسب القرآن الكريم هي أتمّ نعمة ينالها الإنسان. فهل يمكن أن تكون الأمة كاملة بدون أن توهب النبوة لأحد منها؟

إن ما يطلبه كل مسلم في كل ركعة من صلاته هو أن يهديه الله الصراط المستقيم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم. فمن هؤلاء الذين أنعم الله عليهم؟ أليسوا هم الذين قال الله فيهم:

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:70)

الخاتمية ونزول عيسى عليه السلام وإشكالات تواجه الفهم التقليدي

إضافة إلى ما وضحناه سابقا حول هشاشة نظرية الفهم التقليدي عن خاتمية الرسول ﷺ وحول مخالفتها للمنطق والقرآن الكريم ولمفهوم العلماء والفقهاء من السلف الصالح، كذلك فإنها لا تستطيع الصمود مقابل معتقدات هامة أخرى، من أهمها نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام التي هي من العقائد الراسخة عند غالبية المسلمين. إن عقيدة نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام - كيفما كان هذا النْزول - تنقض نظرية الفهم التقليدي وتثبت بطلانها، وتضع أمامها كمًّا من التساؤلات والتناقضات التي يستحيل حلها.

إن المسيح عندما سيأتي، سيكون نبيا كما كان سابقا، فكيف سيبقى النبي ﷺ آخر الأنبياء مبعثا، وقد جاء المسيح بعده؟

قد يقال بأنه نبي سابق وهذا لا ينقض الآخرية! فنقول إن لم تَرَوه ينقض الآخرية فإنه ينقض الخاتمية. فهو بذلك ينقض كمال القرآن، لأن قدومه كنبي في الأمة الإسلامية يخالف ما ورد في القرآن الكريم حول مهمته ودوره، حيث يقول تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران:50).

فهذه الآية ونزول عيسى بشخصه لا يمكن أن يجتمعا. فإما أن يعلن في أول يوم من نزوله نسخَ هذه الآية، أو سيأتي بغيرها ويضعها في مكانها ليقال بأنه رسول إلى أمة المصطفى خاتم النبيين ﷺ!

هذا إضافة إلى أن نزوله بشخصه، سيعطل عددا لا حصر له من الآيات الأخرى المرتبطة به مباشرة وبشكل غير مباشر. وهكذا يصبح القرآن الكريم رهينة هذا النْزول وهذه البعثة.

أسئلة أخرى

وثمة سؤال آخر يفرض نفسه: ألم يكن نبينا محمد المصطفى ﷺ يعلم أنه خاتم النبيين، وأن عيسى الذي يبشر بمجيئه بعده أيضًا نبي من أنبياء الله؟ ألم يكن يدرك أن مجيء عيسى سيكسر ختم نبوته ﷺ؟ ألم يعلم ﷺ أن الدين قد اكتمل، وأن نعمة الله قد تمت، وأن القرآن موجود، والسنة موجودة، ولا حاجة بعد ذلك إلى أي شخص يُبعث من عند الله تعالى؟

وإذا كان مجيء عيسى بن مريم، الذي كان رسولاً إلى بني إسرائيل والذي ينتظرون نزوله، لا يكسر ختمَ نبوة المصطفى ﷺ في رأيهم، فكيف يكسر ختمَ نبوة الرسول مجيءُ شخص من الأمة لأداء نفس المهمة التي سيؤديها عيسى عليه السلام؟

ثم هناك سؤال هام آخر: هل سينشر عيسى عليه السلام عند نزوله تعليم القرآن، أم سيأتي ليقدم دروس الإنجيل الذي أُوحِيَ إليه؟ إذًا فكيف يتلقى علوم القرآن وهو لم يوح إليه؟ طبعًا إنه لن يتعلم القرآن على أيدي المشايخ والعلماء الذين سيأتي لإصلاحهم، بل سيتلقى معارف القرآن من عند الله تعالى بالوحي والإلهام، لأنه الطريق الوحيد الذي يعلّم الله به عبادَه ما أراد أن يعلّمهم من أمور الدين مباشرةً. إذًا فلِمَ يستاءون عندما يسمعون من شخص من أمة المصطفى أنه يتلقى من الله تعالى هذا النوع من الوحي أي الذي ليس فيه أي تشريع جديد، بل هو المبشرات وتفسير للقرآن وشرح للحديث فقط؟

كذلك لماذا يستعيرون لهذا الغرض نبيًّا إسرائيليًّا؟ هل الوحي مقصور على بني إسرائيل؟ هل هذه الأمة محرومة من وحي تعليم القرآن؟ أم أنهم يرون أن أمة المصطفى ﷺ لا تستحق هذا التكريم وإنما تستحقه الأمة الإسرائيلية؟ فلم لا يعلنون إذًا صراحة أن أمة المصطفى ﷺ ليست خيرَ أمة أُخرجتْ للناس - والعياذ بالله - بل إن الأمة الإسرائيلية هي خير أمة؛ حيث إنها أرسلت أحد أنبيائها لنجدة المسلمين!!

أم أنهم يرون أن عيسى سيُبعث مسلوبَ النبوة؟ وإذا كان هذا ظنهم فليعلموا أن القرآن الكريم والرسول الكريم ﷺ لم يقل أبدًا أن عيسى ستُسلب منه نبوته في يوم من الأيام. وعلى النقيض، فقد أطلق المصطفى ﷺ تسمية "نبيّ الله" على عيسى الموعود لأمته وذلك أربع مرات في حديث واحد، كما أشرنا من قبل إلى حديث مسلم في كتاب الفتن؛ وقال ﷺ: "ليس بيني وبينه نبي" (البخاري؛ كتاب الأنبياء. ومسلم؛ كتاب الفضائل).

كما أن السلف الصالح من الأمة قد أفتوا أن مَن قال بسلب نبوة عيسى عند نزوله في الزمن الأخير فقد كفَر. (انظُرْ كتاب "نزول عيسى بن مريم آخر الزمان" بيروت، ص 53)

أم أنهم يرون أنه ليس ثمة حاجة لأي مبعوث من عند الله تعالى حتى لو كان تابعًا للرسول ﷺ؟

إنه لا يمكن الجمع بين القول بأن محمدا ﷺ آخر النبيين، وبين نزول المسيح، إلا بالرضى بنقض خاتمية الرسول ﷺ، وبالأخص؛ نقض كمال القرآن الكريم وكمال الأمة، أو برفض نزول

عيسى عليه السلام جملة وتفصيلا، وذلك بضرب أدلة نزوله الثابتة عُرْض الحائط. وكلا الاحتمالين هلاك.

الاعتراض:

ألم ينقطع الوحي بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ؟ فكيف تقولون بأن ميرزا غلام أحمد تلقى الوحي؟

الردّ[23]:

الوحي نوعان: وحي تشريعي ووحي المبشرات. أما الوحي التشريعي فقد انقطع بوفاة سيدنا محمد ﷺ كما دلّ على ذلك قوله تعالى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} (المائدة 4) فليس هناك من سيأتي بشريعة جديدة –ولو بحكم واحد جديد– بعد اكتمال الدين. أما وحي المبشرات فهو مستمر إلى قيام الساعة، وينزل على الناس جميعا بدرجات متفاوتة، والأدلة على ذلك عديدة، منها:

أولاً: ليس هنالك أي دليل في القرآن الكريم أنه بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ قد توقف الوحي كليًّا بأنواعه، وليس ذلك في أي حديث عن رسول الله ﷺ.. بل إن الله تعالى يقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت:31-33)

كلمة ﴿تَتَنَزَّلُ﴾ تدل على الحال والاستقبال، وتخبرنا بأن المؤمنين الذين يقولون ﴿رَبُّنَا اللهُ﴾ يتلقون وحيا وإلهاما من الله سبحانه وتعالى بطريق الملائكة في هذه الحياة الدنيا، والملائكة يقولون لهم حسب ألفاظ القرآن المجيد: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ومن المعروف أن الملائكة لا يقولون هذا إلا بالوحي.

وقال الإمام الفخر الرازي في تفسيره شرحا لهذه الآية الكريمة:

إنه تعالى أخبر عن الملائكة بأنهم قالوا للمؤمنين: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ..﴾ ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين أن للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية بالإلهامات والمكاشفات اليقينية (التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي؛ ج27، ص123- سورة فصلت)

وورد في تفسير روح المعاني للعلاّمة الآلوسي البغدادي في شرح معنى تتنزّل عليهم:

---

[23] هذا الرد من إعداد المبشر محمد حميد كوثر

يمدونهم فيما يعن ويطرأ لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع الخوف والحزن بطريق الإلهام (ج4، ص121 - سورة فصلت)

وبذلك يتضح من هذه الآية القرآنية وشرحها بأن الله سبحانه كان.. وما زال.. ينزل إلهاما ووحيا على المؤمنين القائلين ﴿رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾، وهذا النزول يستمر إلى الأبد.

ثانيًا: إن الله سبحانه وتعالى أنزل وحيا على النحل وعلى أم موسى وتكلم إلى مريم عليها السلام بواسطة الملائكة. فقال سبحانه:

﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ (النحل:69)

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ (القصص:8)

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ (المائدة:112)

﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا﴾ (مريم:20)

فإذا كان سبحانه قد أوحى إلى نساء ورجال من الأمة الإسرائيلية.. فليس من المعقول بأنه لا ينزل وحيا أو إلهاما على أي فرد من الأمة المحمدية، وهو الذي قال عنها إنها: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وكان من المفروض أن يُبعَث فيها المجددون والأولياء والصالحون الذين يتلقون إلهاما ووحيا من الله سبحانه وتعالى بفضل طاعة الله واتباع سيدنا محمد المصطفى ﷺ.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي -المتوفي عام 638 هـ- في كتابه الفتوحات المكية:

أما الإلقاء بغير التشريع فليس بمحجور، ولا التعريفات الإلهية بصحة الحكم المقرر أو فساده (ج2، ص287)

يستحيل أن ينقطع خبر الله واخباره من العالم؛ إذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذ به في بقاء وجوده (ج2)

فثبت من كل ما سبق أن الوحي والإلهام والمبشرات والرؤيا الصالحة التي لا تتعلق بالتشريع، لم تنقطع ولن تنقطع إلى يوم القيامة.

تلقّي صحابة الرسول ﷺ وأولياء الأمة الوحي والإلهام

يحدثنا تاريخ الإسلام بأن صحابة سيدنا محمد المصطفى ﷺ وأولياء الأمة والصالحين والمجددين كانوا جميعا يتلقون وحيا وإلهاما من الله سبحانه وتعالى. وإليكم بعض الأمثلة بهذا الشأن:

جاء عن أبي بكر ؓ في كتاب اللمع لأبي عبد الله علي السراج القوسني:

كانت لأبي بكر جارية حبلى فقال: أُلقي في روعي بأنها أنثى، وولدت أنثى (باب ذكر أبي بكر الصديق، ص123)

وجاء عن عليّ ﷺ في كتاب الخصائص الكبرى للإمام السيوطي:
كان عليّ والفضل يغسلان رسول الله ﷺ فنودي عليّ ﷺ: ارفع طرفك إلى السماء (ج2، ص272)
كما ذكر "ابن كثير" هذه الرواية أيضًا، وذلك في كتابه (البداية والنهاية؛ ج5، صفة غسله ﷺ)
وجاء عن أُبيّ بن كعب ﷺ في كتاب روح المعاني تحت تفسير آية خاتم النبيين:
عن أنس قال: قال أُبيّ بن كعب: لأدخلن المسجد فلأصلين ولأحمدن الله تعالى بمحامد لم يحمده بها أحد، فلما صلى وجلس ليحمد الله تعالى ويثني عليه إذا هو بصوت عال من خلف يقول: اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله وإليك يرجع الأمر كله علانيته وسره، لك الحمد إنك على كل شيء قدير، اغفر لي ما مضى من ذنوبي واعصمني فيما بقى من عمري وارزقني أعمالا زاكية ترضى بها عني وتب عليّ. فأتى رسول الله ﷺ فقص عليه فقال: ذاك جبريل ﷺ. (ج22، ص40)
كما ذكر "السُّيوطي" هذه الرواية أيضا، وذلك في كتابه (الحاوي للفتاوي؛ ج2، الفتاوى المتعلقة بالتصوف)
وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمة الله عليه:
يخبرنا في سرائرنا معاني كلامه وكلام رسوله، وصاحب هذا المقام من الإنبياء والأولياء (اليواقيت والجواهر)
جاء عن أبي يزيد البسطامي في تذكرة الأولياء:
جاء عن أبي يزيد البسطامي بأنه تكلم بلسان الله سبحانه وتعالى: "إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدون" (ص134)
وهناك الكثير من الأمثلة، ولكن تكفي هذه الأمثلة المذكورة لمعرفة الحقيقة. إذ يتضح منها أن صحابة رسول الله رضوان الله عليهم وأولياء الأمة كانوا يتلقون وحيا من الله سبحانه وتعالى. وهذه السلسلة ستظل مستمرة إلى الأبد، ولن تتوقف بسبب أقوال المشايخ أو اعتراضات بعض العلماء، ونقول صراحة بأن أقوالهم مرفوضة، لأنها تناقض القرآن الكريم.
لقد ذكر رسول الله ﷺ أن الله تعالى سوف يوحي إلى المسيح الذي يبعثه سبحانه وتعالى في الأمة الإسلامية، وجاء ذلك في حديث طويل ذكره الإمام مسلم في صحيحه، فكيف نصدق رأي بعض المشايخ والعلماء الذين يقولون بإغلاق باب الوحي، ونكذب قول رسول الله ﷺ؟ كذلك أخبرنا سيد البشر عن الإمام المهدي أنه خليفة الله، وأن طاعته واجبة، وبيعته مفروضة على كل

مسلم ولو اضطر إلى الحبو على الثلج ليصل إليه، فكيف يأتي ذلك الإمام العظيم دون أن يتلقى الوحي والإلهام من الله تعالى؟ وكيف يهديه الله تعالى ليكون مهديا ويجعله للناس إماما من غير أن يوحي إليه بذلك؟ وكيف يحقق أهدافه ليملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلما وجورا، وكيف يعرف أنه هو المسيح الموعود بغير أن يخبره الله بذلك؟ لقد رأينا كيف أن الصحابة والأفاضل من علماء الأمة كانوا يتلقون من الله الوحي والإلهام، فكيف يقبل أي مسلم عاقل أن يأتي الإمام المهدي ويبعث المسيح الموعود دون أن ينال الوحي والإلهام؟

لقد ذكر الإمام عبد الوهاب الشعراني رأي الشيخ محيي الدين بن العربي عن الإمام المهدي فقال: "فيُرسَلُ وليًّا ذا نبوّة مطلقة، ويُلهَم بشرع محمد ﷺ ويفهمه على وجهه" (اليواقيت والجواهر؛ ج2، ص89)

الاعتراض:

يقول السائل: لاحظت عدم اعترافكم بالخوارق المادية، ما الذي يدفعكم لتأويل معجزات الأنبياء لجعلها موافقة للنواميس الكونية؟ هل تنشدون إسلامًا تتقبله عقول الغرب؟

الردّ:

نحن لا ننشد إسلاما تتقبله عقول الغربيين ولا الشرقيين، بل نريد الإسلام الذي أمر به الله تعالى في كتابه وبيّنه نبيه ﷺ في سنته. ولا يعنينا غير ذلك، بل نتصدى له.

ثم إننا لا نؤوِّل معجزات الأنبياء لنجعلها موافقة لنواميس الكون؛ فنواميس الكون لا نحيط بها علما. ونحن لا نعرف كُنْه معجزات الأنبياء كلها، ولكننا نؤمن بها حتى لو لم نفقهها جيدا، فما قاله الله حق؛ فهمناه أم لم نفهمه.

لكننا نرفض بعض التفسيرات المتعلقة بالأنبياء ومعجزاتهم، ليس لغرابتها ومخالفتها سنن الله، بل لأنها مخالفة للنص القرآني وسياقه، ولأنه ليس عليها أي دليل.

إذًا، نحن نؤمن أن معجزات الأنبياء خارقة للعادة والمألوف، ولكنها ليست مخالفة لسنن الله في الكون، مع يقيننا بعدم إحاطتنا بسنن الله كلها. لذا نؤمن أن إبراهيم عليه السلام قد ألقي في النار، ونجا منها، ولكن لا نعرف وفق أي سنة من سنن الله تمّت هذه النجاة. نؤمن بهذا بكل يقين، لكن قد تكون هذه النار حقيقية وقد تكون نار الفتنة والكيد، وقد تكون كلتيهما، لأن النص يحتمل ذلك كله. ونؤمن أن عصا موسى عليه السلام قد أبطلت سحر السحرة، لكن لا نعرف كيف تمّ هذا الإبطال، فسواء عرفنا التفصيل أم لم نعرف، فهذا لا يغير من إيماننا بحدوث المعجزة. ونحن نؤمن أن الله تعالى قد نجّى موسى عليه السلام من فرعون وأغرق فرعون وقومه، ولكن ليس بشق

البحر نصفين، لأن القرآن لم يقل ذلك، ولو قال ذلك لآمنا به، وإنما بمعجزة من قبيل المدّ والجزر. وننكر أن تكون ناقة صالح قد خرجت من الصخر، لأن الله تعالى لم يقل هذا، وننكر أن يكون المسيح قد أحيا الأموات ماديًّا، لأن الله تعالى وحده هو المحيي، ولا بدّ من حمل الإحياء على الإحياء الروحاني كما حملْنا إحياء الرسول ﷺ على الإحياء الروحاني في قوله تعالى ﴿اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

كما ننكر أي تفسير لا دليل عليه، خصوصا إن كان اهتمامه بالمبالغة والغرائب والعجائب، وما أكثر ذلك في التفاسير!

باختصار، ننكر أي تفسير لا دليل عليه، أو هناك دليل ينقضه. فهذا هو عمادنا لا غير.

الاعتراض:

لم يقل أحد في التاريخ الإسلامي أن عيسى عليه السلام مات، وأنتم تنسبون ذلك كذبا إلى الإمام مالك رحمه الله، وكذلك إلى البخاري وإلى الرازي صاحب التفسير وإلى ابن حزم. وكل هذا من الكذب.

الردّ:

هذا الاعتراض يدل على تسرع صاحبه. فقد تتبعنا المصادر التي أوردت كلام الإمام مالك رحمه الله في موت المسيح عليه السلام فوجدنا أنها:

1- كتاب "إكمال إكمال المعلم" للإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأُبيّ، وهو شرح لأحاديث صحيح مسلم، حيث قال الشارح: "وفي العتبية قال مالك: مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة. قال ابن رشد: يعني موته: خروجه من عالم الأرض إلى عالم السماء. قال: ويُحتمل أنه مات حقيقة، ويحيا في آخر الزمان، إذ لا بدّ من نزوله لتواتر الأحاديث بذلك. (الوشتاني، محمد بن خليفة؛ الإكمال- دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ1994م، ج1، ص445)

2- كما أورد قولَ مالك، الشيخُ محمد طاهر الغجراتي في مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل، وهو قاموس لشرح غريب القرآن والحديث، حيث قال: "والأكثر أن عيسى لم يمت، وقال مالك: مات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة" وتابع قائلا: "ولعله أراد رفعه إلى السماء، أو حقيقته (أي حقيقة الموت) ويحيا آخر الزمان لتواتر خبر النزول." (الغجراتي، محمد طاهر: بحار الأنوار؛ ج1، ص387).

3-كما أورده ابن رشد في البيان والتحصيل، حيث قال: "يحتمل أن يكون معنى قوله ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾، أي رفع روحه إليه بعد أن مات، ويحييه في آخر الزمان، فينزله إلى الأرض على ما جاءت به الآثار، فيكون قول مالك على هذا (ومات وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة) على الحقيقة لا على المجاز" (ابن رشد، أبو الوليد، البيان والتحصيل؛ تحقيق محمد حجّي، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، 1406هـ1986م، ج18، ص448).

4-وأورده القاضي ابن عطية في المحرر الوجيز، حيث قال: "وقال مالك في العتبية: مات عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة" (ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ1993م، ج1، ص444)

وأما البخاري فلأنه أورد كلام ابن عباس في تفسير ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ - في الآية 56 من آل عمران- بأنها مميتك، فهذا يدل على أنه يتبنى هذا التفسير؛ إذ إن هذا هو أسلوبه في صحيحه. ويمكن ملاحظة أدلة استنباطية أخرى على ذلك عند البخاري، وقد تناولها المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "إزالة أوهام".

أما الفخر الرازي، فمن عادته أنه ينقل أقوالا عديدة في المسألة الواحدة من غير أن يتبنّاها.. وحيث إنه يقول بأن الرفعَ في الآية- 56 من آل عمران- هو رفعُ الدرجة وليس رفعَ المكان والجهة، بات سهلا استنتاج أنه يقول بوفاة المسيح.. لكنه استنتاج منّا وليس نصّا منه. ويكفينا أنه يقول برفع الدرجة، والتي تتضمن أن الوفاة هي الموت.

وأما ابن حزم فيقول: "فالوفاة قسمان، نوم وموت فقط، ولم يُرِدْ عيسى عليه السلام بقوله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ - في الآية 118 من المائدة- وفاة النوم؛ فصحَّ أنّه إنّما عَنى وفاة الموت" (ابن حزم، أبو محمد علي، المحلى: تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل؛ ج1، ص23، رقم المسألة 41).

الاعتراض:

يدعي البعض أن الميرزا كان يعلم مسبقًا بموعد الكسوف والخسوف في رمضان استنادًا للحسابات الفلكية، لكي يعلن أنه المهدي المنتظر قبل موعد الكسوف والخسوف بقليل؟ وكيف نتأكد أن الكسوف والخسوف قد حدثا بالفعل في الموعد المذكور عندكم؟

الردّ:

من يدعي ذلك فعليه أن يأتي بدليل على ما يلي:

1- أن الحسابات الفلكية في ذلك العصر (أي قبل 1894م) كانت متقدمة بحيث تحدد بدقة موعد الخسوف والكسوف.

2- أن بريطانيا قد زودت الإمام المهدي بهذه المعلومات منذ أعلن أنه المسيح المهدي.. أي في عام 1890.

وإثبات هذا دونه خرط القتاد. فالحق الصريح أنه عليه السلام لم يكن يعلم ذلك مطلقًا.

ومع هذا فلنفرض-جدلا- أنه أو غيره كان يعلم، فهذا لا يغير من الحقيقة شيئا؛ ذلك أن حديث رسول الله قد تحقق، وكل ما في الأمر أن فلانا أو علانا كان يعلم بموعد تحققه، وهذا لا ينقض الحديث.

من كان يرى صحة الحديث فقد تحقق، ولم يكن في الأرض كلها وقت تحققه من أعلن أنه هو الإمام المهدي غير سيدنا ميرزا غلام أحمد عليه السلام. وحتى من لا يرى صحة الحديث، فإن تحققه يشكل دليلا قاطعا على صحته، مهما قيل في سنده، فالشمس لا تحتاج إلى دليل على وجودها وهي ساطعة.

ثم آلله عاجز عن إهلاك من تقوَّل على الله وفتن الناس مستغلا حديثا معروفا بشأن علامة ظهور الإمام المهدي؟

إن الله تعالى لا يريد أن يضلّ أحدًا، بل إنه سبحانه يوضح طريق الحق ليتبعه الناس، فالله يريد لنا الخير، ولكن الاستكبار هو المصيبة.

لا بد أن نكون على يقين أن الله تعالى لا يسمح لأحد أن يتحدث باسمه للناس؛ فقد حذّر الله عز وجل من ذلك بقوله ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (الحاقة:45-48) أما التأكد من أن الخسوف والكسوف قد حدث بالفعل في ذلك التاريخ، فأدلته ما يلي:

1- أن المسيح الموعود عليه السلام قد كتب ذلك في كتبه بُعيد حدوث هذين الحدثين، ولم يكتب أحد ينفي حدوثهما، بل صار الناس يقولون: الحديث ضعيف، أو أنه سيحدث بعد يوم القيامة.

2- يمكن قراءة الجرائد والمجلات في ذلك العصر التي تحدثت عن الظاهرة.

3- يمكن مراجعة المراصد الفلكية في ذلك.

4- يمكن مراجعة برامج حاسوبية تحدد مواعيد الخسوف والكسوف في الماضي والمستقبل.

الاعتراض:

أنتم تؤمنون بصلب المسيح ﷺ، وهذا بخلاف القرآن الذي أكد أنهم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ (النساء: 158)... فالمسيح قد نجاه الله من الصلب، وصُلب بدلا منه شخص آخر.

الردّ:

هذا تفسير خاطئ للآية، والأدلة:

1-لو أراد الله أن ينجّي نبيّه بهذه الطريقة، فما مبرر أنْ يلقي بشبهه على أحد آخر؟ فرفعه إلى السماء كافٍ لإنقاذه، فتكون هذه خطوة إضافية لا تفيد شيئًا في نجاة المسيح.

2-إنَّ القائلين بهذا التفسير ينقسمون إلى قسمين في تحديد الشخص الذي أُلقي عليه شبه المسيح، فبعضهم يقول: إنَّ الشبه ألقي على يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيح، وبعضهم يقول: بل ألقي الشبه على أحد الحواريين المخلصين للمسيح، حيث طلب منه المسيح ذلك، مقابل أنْ يكون رفيقه في الجنة. وهذا يشير إلى أن التفسير سابق للروايات التي وُضِعَت لتبرير هذا التفسير.

3-إنَّ كلتا الروايتين السابقتين لا يمكن قبولها عقلاً؛ فإلقاء الشبه على الخائن منقوض من حيث إن الله تعالى لا يمكن أنْ يشوّه صورة نبيه بإلقاء صورته على إنسان خائن كافر. والرواية الثانية مسيئة جدًّا إلى نبي الله؛ تلك التي صوَّرَتْه إنسانًا جبانًا، يهرب تاركًا أصحابه يموتون ويقتلون بدلاً منه؛ فهذا مخالف لمهَمَّة الأنبياء، بل مخالف للأخلاق الكريمة. فها هو نبينا محمد ﷺ يصمد في أُحد وحُنين رغم أنه لم يبق معه سوى ثلّة قليلة من المسلمين؛ فقد فرَّ البقية. ولم يهاجر إلى مكة إلا حين اطمأن على صحابته بعد وصولهم المدينة.

4-إنَّ إلقاء شَبه فلان على فلان قضية تلبيسية ليست من سنة الله إطلاقًا؛ فالله تعالى لا يتعامل مع البشر بهذا الغموض والتعقيد.

5-معلوم أن عيسى ﷺ قد عانى واضطهد وتعذب وصبر. في حين يظهر أنَّه حسب قصة (الشبيه) لم يعان شيئًا، بل إنَّ الله رفعه إلى السماء قبل اقتراب الكفار منه!! بينما رأينا نبينا وسيدنا محمدًا ﷺ يُرمى بالحجارة، وتُلقى عليه الأوساخ، ويُشجُّ رأسه في المعارك، فكيف كان عيسى ﷺ من أولي العزم من الرسل إذًا؟

6-إنَّ هذه القصة مناقضة لسنة الله في بعث الرسل، وقد قال تعالى ﴿سُنَّةَ الله الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا﴾.

7-الإيواء الذي نصَّته الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْناهُما إِلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ وَمَعينٍ﴾ (المؤمنون: 51). ووجه الاستدلال أن الإيواء هو اللجوء بعد الاضطهاد والتعرض إلى

صعوبات ومصائب. والمرة الوحيدة التي لجأ فيها المسيح إلى منطقة أخرى بعد اضطهاده هي بعد حادثة الصلب ونجاته منه، أما إذا تمّ تفسير حادثة الصلب بأنها رفع للمسيح إلى السماء من دون تعرضه إلى أيّ أذىً، فلن تكون للآية أيّة مصداقية.

وقد قال البعض إن الإيواء تمّ عند ولادة المسيح، وهذا خطأ؛ لأن المسيح عند ولادته لم يتعرض إلى أيّ اضطهاد، فليس هناك عاقل يلوم مولودًا حتى لو ظنّ أنه وُلد بالحرام! والآية تذكر أن المسيح وأمّه قد آواهما الله، أي ألجأهما بعد اضطهاد، ولم يلجئ أمّه وحدها.

ثم إن الآية تتحدث عن ربوة ذات قرار ومعين، أي مكان مرتفع، يستقر فيه العيش وتجري فيه الماء.. لذا اختلف المفسرون في هذا المكان كثيرًا، فقال بعضهم: بيت المقدس، وقال آخرون: الرملة، وقال غيرهم: مصر، والأكثرون: دمشق[24].. ولا شك في بطلان هذه الأقوال جميعها؛ فليس منها مكان يجمع بين الارتفاع والاستقرار وجريان الماء فيه.. إذًا أخطأ المفسرون في مسألتيْن في تفسير هذه الآية؛ أولاهما: القول بإيواء المسيح قبل تعرضه للاضطهاد، وثانيتهما القول برحلته إلى أمكنة لا تنطبق عليها مواصفات الآية.. أما حسب تفسيرنا، فالآية تتحدث عن رحلة المسيح -بعد تعرضه للتعذيب على الصليب- إلى بلاد الشرق، واستقراره في كشمير؛ تلك البلاد العالية التي تجري فيها الأنهار ويستقر فيها العيْش.

8-قال تعالى ﴿وَمَكَروا وَمَكَرَ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرينَ﴾ (آل عمران: 55). ثم قال عزّ وجلّ ﴿إِذْ قالَ اللهُ يَا عيسى إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: 56)، "فهو يبشره بإنجائه من مكرهم ورد كيدهم إلى نحورهم، وأنَّه سيستوفي أجله حتى يموت حتف أنفه من غير قتل ولا صلب، ثم يرفعه الله إليه...وكيف يكون إنقاذ عيسى بانتزاعه من بينهم، ورفعه بجسده إلى السماء مكرًا؟ وكيف يوصف بأنَّه خيرٌ من مكرهم مع أنَّه ليس في استطاعتهم أنْ يقاوموه، وليس في قدرة البشر؟ ألا إنَّه لا يتحقق مكر في مقابلة مكر إلا إذا كان جاريًا على أسلوبه، غير خارج عن مقتضى العادة فيه. وقد جاء مثل هذا في شأن نبينا محمد ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله وَالله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال: 31)

9- حسب التفسير المتداول، فإنَّ ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ تعني شُبِّهَ لهم رجل بعيسى عليه السلام. يعني: المشبه هو الرجل، والمشبه به هو عيسى عليه السلام.

---

[24] انظر: الرازي، التفسير الكبير؛ ج11، ص380

لكنّ إسناد الفعل ﴿شُبِّهَ﴾ إلى الرجل المصلوب غير جائز؛ لأنه لا ذِكر له في الآية.. فيجب ألاَّ يعود الضمير على شيء لا وجود له في السياق.

وقد فَطِنَ الزمخشري – في تفسيره- إلى هذا حين قال: فإن قلتَ: (شُبِّهَ) مسند، فإلى ماذا؟ إن جعلته مسندًا إلى المسيح، فالمسيح مُشَبَّه به وليس بِمُشَبَّه. وإن أسندته إلى المقتول، فالمقتول لم يجرِ له ذِكر.[25]

ولكن المرويات الضعيفة أدَّت برجل بليغ كالزمخشري إلى أن يأتي بشيء غريب حين تابع قائلا: قلت: هو مسند إلى الجار والمجرور، وهو (لهم)، كقولك (خُيِّل إليه)، كأنه قيل: ولكن وقع لهم التشبيه.

بيد أن هذا لا يصفو للزمخشري؛ لأن قوله (خُيِّل إليه) لا يعني أنه وقع لهم التشبيه برجل آخر، بل يعني أنه خُيِّل إليهم أنه مصلوب. ثم ما معنى أن يُسند الفعل إلى الجار والمجرور؟! أليس الفعل يسند إلى فاعل أو نائب فاعل، فقط؟ ويبدو أن الزمخشري شعر بضعف هذا الاحتمال، لذا فقد تابع حديثه ليأتي باحتمال آخر، فقال: "ويجوز أن يُسند إلى ضمير المقتول، لأن قوله ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ يدل عليه، كأنه قيل: ولكن (شُبِّه لهم من قتلوه). ولا شكَّ أن هذا أضعف من سابقه؛ فهل يُعقل أن يكون قوله تعالى ﴿إِنَّا قَتَلْنَا﴾ يدل على وجود مقتول؟ ألا يمكن أن يدل على توهم قتل المسيح؟ ثم لو دلَّ على وجود مقتول استنتاجًا، فهل يصحُّ أن يعود الضمير على شيء يمكن استنتاجه احتمالاً ولا وجود له ذِكرًا؟

أمّا تفسيرنا لهذه الآيات فهو: أنَّ اليهود لما كفروا بعيسى عليه السلام أرادوا قتله صلبًا- كي يُثبتوا عليه اللعنة، عملاً بما جاء في سفر التثنية 23:21- ولكن خاب مكرهم، وشاء الله أنْ ينصر نبيه ويرفع درجته ومكانته وينزهه عن اللعن من خلال موته على الصليب، فأكد أنَّهم ما قتلوه بأية طريقة، ولا بالصلب بالذات- حيث ذكر الخاص بعد العام لأهميته- بل إنَّ الله رفع درجته ومكانته. وقد اشتبه عليهم قتله؛ فظن كثير منهم أنَّهم ما قتلوه؛ إنَّما أُنزل عن الصليب حيًّا[26]، ولم يمت، لذا قال تعالى في الآية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي وما قتلوه وهم متيقنون من قتله، بل ظلوا في

---

[25] الزمخشري؛ الكشّاف- دار المعرفة- ج1، ص580

[26] يبدو -لأول وهلة- أنّنا نقول بصلب المسيح عليه السلام، فيجدر أنْ نتذكر هنا أنَّ من عُلّق على حبل المشنقة ثم أُنزل حيًّا لا يُسمى مشنوقًا. وكذلك من أوشك على الغرق ولم يغرق لا يُسمّى غريقًا. ومثله، من جرح في المعركة ولم يُقتل لا يُسمّى شهيدًا. فالمشنوق من مات شنقًا. والغريق من مات غرقًا. والشهيد من مات في المعركة. ومن ثمّ، فالمصلوب من مات صلبًا. وعيسى عليه السلام لم يُصلب، بمعنى أنه لم يمت صلبًا. لكنه عُلِّقَ على الصليب، وتعذب وصبر، وأُنزل حيًّا.

شك من أمر قتله. ومثال على ذلك: أنك لو ضربت أفعى بحجر، وظننت أنك قتلتها، نقول لك: أنت ما قتلتها بل شُبِّه لك، أو اشتبه عليك الأمر، ولا يُفْهَمُ من هذا أنك قتلت أفعى غيرها. لذا نختصر الموضوع بما يلي: إنَّ اليهود أرادوا أنْ يصلبوا عيسى، وشاء الله أنْ ينجي نبيه من هذا، ففشل اليهود في خطتهم، ولم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه، وبَدَل لعنه، رفع الله درجته.

بقي أن نذكر أن لفظ (الصلب) ومشتقاته ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع؛ مرة جزاء لمن يحارب الله ورسوله، ومرة في تهديد فرعون للسحرة بعد إيمانهم، وثالثة في قصة يوسف عليه السلام مع الفتى الذي يصلب فتأكل الطير من رأسه، ورابعة في نفي الصلب عن المسيح. وهذه هي الآيات:

الآية الأولى:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: 34)

الآية الثانية:

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (طه: 72)

الآية الثالثة:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف: 42)

الآية الرابعة:

﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عيسى بن مريم رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾(النساء: 158)

مناقشة معنى الصلب في الآيات:

الآية الأولى تقول:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ وذلك بالسيف أو بغيره ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ بمعنى أن يُقتّلوا صلبا، ولا يمكن أن تعني أن يُعلّقوا ساعة أو ساعتين، بل لا بد أن يكون معناها أن يُعلّقوا حتى الموت، لأنه لو كان معناها مجرد التعليق لكان هناك عدم ترتيب

في العقوبات، فالعقوبة الثالثة هي: ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ وهذه العقوبة أشد من مجرد التعليق ساعة أو ساعتين أو أكثر على الصليب من دون موت.

أما معنى الصلب في الآية الثانية فهو الموت حتما، فقد قَالَ فرعون للسحرة ﴿فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ ثم ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي لأعلّقنّكم على جذوع النخل حتى تموتوا. ولا يمكن أن يكون قد قصد تعليقهم بضع ساعات لمجرد التعذيب فقط، بل لا بدّ أن يكون قد قصد التعليق الذي يؤدي إلى الموت.

وكذلك معنى الصلب في الآية الثالثة، فهو لا يعني سوى الموت على الصليب، وإلا كيف يمكن أن تأكل الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ وهو حي؟

لذا فإن الصلب في الآية المتعلقة بالمسيح تعني الموت على الصليب، وذلك مثل هذه الآيات الثلاث، ولا تعني مجرد التعليق. والقرآن الكريم هو المصدر الأول لمعاني الألفاظ لا غيره.

ثم إن ابن منظور في لسان العرب قد قال: والصَّلْبُ هذه القِتْلة المعروفة. (لسان العرب؛ ج 1، ص 526).

فهل بقي شك في معنى الصلب؟

ثم إن اليهود والنصارى لم يختلفوا في شخصية من عُلّق على الصليب، بل اختلفوا في موته عليه. والله تعالى يقول ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي في موته على الصليب ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي من هذا الموت ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾ أي رفع درجته ومنزلته.

باختصار، فإن الآيات القرآنية تشير إلى نجاة المسيح من الموت على الصليب، وهي تتضمن أنه هو الذي عُلِّق. والقول بقصة الشبيه هو خلاف للقرآن وخلاف للتاريخ وخلاف للعقل وخلاف للغة، وهو إساءة إلى الله تعالى.

الاعتراض:

قال تعالى عن المسيح عليه السلام:﴿.. وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ..﴾ (المائدة: 111) فهذا دليل على أن المسيح لم يتعرض إلى دق المسامير في يديه ورجليه، لأنه لم يُصلب البته.

الردّ:

إن قوله تعالى ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ﴾ أي عن قتلك وصلبك. أما مجرد الأذى مهما كان حجمه، فلم يعصم الله منه الأنبياء، بل إن في تضحيتهم واضطهادهم وشجاعتهم في مواجهة

الظلم والاستبداد أسوة لنا. ولماذا ينجي الله المسيح من كل أنواع الأذى؟ أهو أفضل من خاتم النبيين الذي شُجّ رأسه وكُسرت رَبَاعيَته في غزوة أحد؟

إنما هي سنة الله في إرسال الرسل، حيث يعذبهم الكفار الذين يكرهون سماع الحق الذي يتعارض مع مصالحهم الدنيوية. وفي صبر الأنبياء على الأذى عبرة وأسوة لنا، لنتعلم الصبر على الابتلاء. قال تعالى ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ .

أما الاستدلال بالكتاب المقدس فلا بأس به، فليس كل ما فيه محرف، بل لا بد من الاستفادة منه، والحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق بها. فما دام القرآن هو الحكم فلا بأس بعدها بالاطلاع على أي كتاب.

أما أن شبيه المسيح هو الذي تعرض للأذى، فهذه قصة باطلة فندناها بأدلة كثيرة في غير هذا الاعتراض.

الاعتراض:

تقولون أن عيسى مات في الأرض، بينما قال الله تعالى أنه رفعه إليه، أي إلى السماء.

الردّ:

لم يقل الله أنه رفعه إلى السماء، بل قال ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران:56)

فهذه أربع بشارات تلقاها المسيح عليه السلام من الله تعالى، وهي:

-أنه سيموت ميتة عادية، أي لن يقتل قتلا، فهي بشارة بنجاته من القتل.

-سترتفع درجته، ولن يكون ملعونا، كما أراد له اليهود، عملاً بما جاء في سفر التثنية 21:23.

-سيطهره الله من الذين كفروا، وذلك من خلال بعثة نبي يشهد له أنه لم يُصلب ولم يُلعن.

-سيجعل أتباعه غالبين على الكافرين إلى الأبد.

ومما يؤكد أنَّ الرفع يعني رفع الدرجة والمنزلة قوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء:159) إذ إنَّ الله تعالى منزه عن المكان؛ لا تحيط به الجهات الست كسائر المخلوقات، ومن هنا يجب ألاّ نفهم هذه الآية من ناحية مادية، وإلا وقعنا في التشبيه والتجسيم والعياذ بالله.

وإذا كان الرافع هو الله، والمرفوع هو الإنسان، فلا يعني هذا سوى رفع المنزلة، وذلك كما في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ واتَّبَعَ هَواه﴾ (الأعراف: 177) وقوله

تعالى﴿ يَرْفَعِ اللهُ الّذينَ آمَنوا مِنْكمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجات﴾ (المجادلة: 12)، وقوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ (النور: 37)، وقول الرسول محمد ﷺ: وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

كما ذكر الله تعالى عن إدريس﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّه كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا *وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: 57-58).

لم يشتهر بين المسلمين يومًا أنَّ إدريس في السماء، وهذا يعني أنَّ الاستدلال بقوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾ جاء بعد بحثٍ عن دليل لإثبات رفع عيسى إلى السماء، وذلك بعد أنْ تسرّبت هذه العقيدة من عند النصارى، أما لو كان هذا الدليل قائمًا بذاته، ودالاً على رفع عيسى إلى السماء، لقالوا القول ذاته عن إدريس عليه السلام، ولما نظرنا؛ فلم نجد سوى قلة من العلماء قالوا بحياة إدريس في السماء، فقلنا: إنَّ فكرة وجود عيسى في السماء قد جاءت بدايةً، ثم بُحث لها عن دليل، فلما وجدوا قوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾ طاروا به كل مطار.

الاعتراض:

لقد ثبت أن المسيح في السماء من خلال الآية القرآنية ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْته وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (النساء:160)، حيث إن معناها أن اليهود سيؤمنون به عليه السلام قبل أن يموت، لأن المعنى أن كل أهل الكتاب سيصدقون بعيسى قبل موته، وذلك بعد نزوله إلى الدنيا في آخر الزمان. وهذا لا يتحقق إلا إذا ظل حيًّا إلى يوم القيامة.

الردّ:

هذا المعنى المشار إليه محال، إذ إنه سيعني بأنه لا بد أنْ يؤمن أهل الكتاب كلهم بالمسيح قبل موت المسيح؛ وهذا يتطلب بقاء أهل الكتاب أحياء منذ ألفي سنة وحتى نزوله، ليؤمنوا به، وهذا لم يحصل، فبطُل المعنى على البديهة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: وأما ما قلتُ في وفاة المسيح فما كان لي أن أقول من عند نفسي، بل اتبعتُ قول الله تعالى وآمنت بما قال الله تعالى - عز وجل -: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾. فانظرْ كيف شهد الله على وفاته في كتابه المبين! ومعلوم أن الرفع وتطهير ذيل المسيح من إلزامات اليهود وبهتاناتهم، وغلبةَ أهل الحق وضربِ الذلة على اليهود، وجعلهم مغلوبين مقهورين تحت النصارى والمسلمين.. لقد وقعتْ هذه الأنباء والمواعيد كلها وتمت وظهرت، وما وقعت إلا على صورتها وترتيبها، وقد انقضت مدة طويلة على ظهورها ووقوعها، فكيف يعتقد عاقل بالغ ذو عقل سليم وفهم مستقيم بأن خبر التوفّي الذي قُدِّمَ على هذه الأخبار في ترتيب الآية الموصوفة هو غير واقع

إلى وقتنا هذا، وما مات عيسى بن مريم إلى هذا الزمان الذي فسد بضلالات أُمّته، بل يموت بعد نزوله في وقت غير معلوم؟ ولا يخفى سخافة هذا الرأي على المتفكرين.

والقائلون بحياة المسيح لما رأوا أن الآية الموصوفة تُبيّن وفاته بتصريح لا يُمكن إخفاؤه، جعلوا يؤوّلونها بتأويلات ركيكة واهية، وقالوا إن لفظ التوفي في آية: ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ... ﴾ كان مؤخّرا في الحقيقة من كل هذه الواقعات، يعني مِن رفع عيسى وتطهيره من البهتانات ببعث النبي المصدِّق وغلبةِ المسلمين على اليهود وجعلِ اليهود من السافلين، ولكن الله قدَّم لفظَ "المتوفي" على لفظ "رافعك" وعلى لفظ "مطهّرك" وغيرها، مع حذف بعض الفقرات الضرورية رعايةً لصفاء نظم الكلام كالمضطرين. وكان اللفظ المذكور.. يعني: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ في آخر ألفاظ الآية، فوضَعه الله في أوّلها اضطرارا لرعاية النظم المحكم، وكان الله في هذا التأخير والتقديم من المعذورين، فلأجل هذا الاضطرار وضَع الألفاظ في غير مواضعها وجعَل القرآن عضين. والآية بزعمهم كانت في الأصل على هذه الصورة: يا عيسى إني رافعك إليَّ، ومطهّرك من الذين كفروا، وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم مُنزلك من السماء، ثم متوفّيك. فانظرْ كيف يبدّلون كلام الله ويحرّفون الكلم عن مواضعها، وليس عندهم من برهان على هذا.. إن يتّبعون إلا أهواءهم، وما كان لهم أن يتكلموا في القرآن إلا خائفين. وأنت تعلم أن الله مُنزَّه عن هذه الاضطرارات، وكلامه كله مُرتَّب كالجواهر، والتكلُّم في شأنه بمثل ذلك جهالةٌ عظيمة، وسفاهة شنيعة، وما يقع في هذه الوساوس إلا الذي نسي قدرة الله تعالى وقُوّته وحوله، واحتقره وما قدَره حقّ قدره، وما عرَف شأن كلامه، بل اجترأ وألحقَ كلام الله بكلام الشاعرين.

وكيف يجوز لأحد من المسلمين أن يتكلم بمثل هذا، ويبدّل كلام الله مِن تلقاء نفسه، ويُحرّفه عن موضعه من غير سند من الله ورسوله؟ أليست لعنة الله على المحرِّفين؟ ولو كانوا على الحق فلِم لا يأتون ببرهان على هذا التحريف من آية أو حديث أو قول صحابي أو رأي إمام مجتهد إن كانوا من الصادقين؟ وكيف نقبل تحريفاتهم التي لا دليل عليها من الكتاب والسُنّة ولا نجدها إلا كتحريف اليهود من تلبيس الشياطين. وأما السلف الصالح فما تكلموا في هذه المسألة تفصيلا، بل آمنوا مجملا بأن المسيح عيسى بن مريم قد تُوُفّيَ كما ورد في القرآن، وآمنوا بمجدّد يأتي من هذه الأمة في آخر الزمان عند غلبة النصارى على وجه الأرض اسمه عيسى بن مريم، وفوَّضوا تفصيل هذه الحقيقة إلى الله تعالى، وما دخلوا في تفاصيله قبل الوقوع، وكذلك كانت سيرتهم في الأنباء المستقبلية كما هي سُنّة الصالحين. فخلَف مِن بعدهم خَلْفٌ أضاعوا سُنّتهم وتركوا سيرتهم، وأوّلوا قول الله ورسوله إلى ما اشتهت أنفسهم، ثم أصرّوا عليه كأنهم عرفوا أسرار الله يقينا وكأنهم كانوا

من المستيقنين. ألم يعلموا أن الله صرّح في القرآن العظيم بأن المتنصرين ما أشركوا وما ضلّوا إلا بعد وفاة المسيح كما يُفهَم من آية: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾؟ فلو لم يُتَوَفَّ المسيحُ إلى هذا الزمان للزم من هذا أن يكون المتنصرون على الحق إلى هذا الوقت ويكونوا مؤمنين موحِّدين.

يا حسرة عليهم! لِم لا يتفكرون في هذه الآيات؟ أليس فيهم رجل رشيد وفهيم وأمين؟ وأنت تعلم أن آية: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ قد دلّت بدلالة صريحة واضحة بيّنة على أن ضلالة النصارى واتخاذهم العبد إلها مشروطةٌ بوفاة عيسى عليه السلام، ولا يُنكره إلا من عانَدَ الحق بسوء تميُّزه، واستعمل المكابرةَ والتحكم بجهله وحُمقه، وأبى متعمدا مِن أن يكون من المهتدين. وإذا قيل لهم آمِنوا بما صرّح الله في كتابه من وفاة المسيح وضلالة النصارى بعد وفاته لا في زمن حياته، قالوا أنؤمن بمعان تخالف الأحاديث؟ وقد كانوا يعلّمون الناسَ أن الخبر الواحد يُرَدُّ بمعارضة كتاب الله، فنسوا ما ذكّروا الناسَ وانقلبوا إلى الجهل بعدما كانوا عالمين. وما نجد في حديثٍ ذِكْرَ رفع المسيح حيًّا بجسمه العنصري، بل نجد ذكر وفاة المسيح في البخاري والطبراني وغيرهما من كتب الحديث، فليرجع إلى تلك الكتب من كان من المرتابين...

..... ثم إن دققتَ النظر في هذه الآية، وتحملها على أحسن وجوهها ومعانيها، فلا يخفى عليك أن مفهومها وسياق عبارتها يدل على وفاة المسيح كما يدل عليه منطوقها، فإن الله قد ذكر بعد قوله: ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ كلماتٍ فيها تسلية للمسيح وتبشير له وإخبار عن أيامِ فتحِ متّبعيه وغلبتِهم على أعدائهم بعد وفاته؛ وهذا دليل واضح على أن موت عيسى عليه السلام كان قبل نصر من الله وقبل غلبة كان ينتظرها ويسأل الله فتحه. (حمامة البشرى)

بيْد أنّ كثيرًا من المفسرين -هروبًا من هذا التفنيد- قد أتوْا باحتمال آخر أو وجه آخر لتفسيرها، فقالوا: كل كتابيّ لا بدّ أن يؤمن بعيسى قبل موت هذا الكتابيّ، ذلك أنه إذا أوشك على الموت "وعايَنَ، عَلِمَ الحقَّ من الباطل، لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه" (تفسير ابن كثير؛ ج1، النساء)

وهذا -كما هو ملاحَظ- محاولة للخروج مما ألزموا أنفسهم به؛ أي أنهم وضعوا التفسير المتداول أوّلاً، فلمّا رأوا هذه الآية، قالوا: لا بدّ أن يكون تفسيرها هكذا. وهذا يؤكد أنها ليست دليلاً؛ لأن الدليل يجب أن يكون قائمًا أصلاً، لا أن يُبحث عنه ويوضع له تفسير موافق لما هو مؤَصّل سلفًا.

وقد وضّح المسيح الموعود ﷺ تفسير هذه الآية في كتابه إزالة أوهام، فكان مما قاله حضرته: " إن اليهود والنصارى يؤمنون ببياننا هذا أن المسيح لم يمت على الصليب قط"..

أي أنه ما من أحد مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بما قلناه آنفا من أن المسيح نجا من الصلب وأنه شبّه لهم أنه مات على الصليب. نعم، يؤمنون أن هذا قد حصل مع المسيح قبل أن يؤمنوا بموته والذي هو أمر حتمي.

ويقول المسيح الموعود ﷺ: "ليكن معلوما هنا أن قول الله تعالى بأنه ما من أهل الكتاب لا يؤمن "بما بيّنه عن أفكارهم" إنما هو بيان إعجازي ومطابق تماما لما قاله الله تعالى لليهود: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. فالمراد من هذا القول هو أن اليهود يقولون بأننا قتلنا المسيح على الصليب، ويستنتجون من ذلك أنه ملعون وليس نبيا صادقا – والعياذ بالله –، وكذلك يقول النصارى إن المسيح مات على الصليب ويستنتجون من ذلك أنه صار كفارة لذنوبهم، ولكن الحق أن كِلا الفريقين مخطئ في أفكاره، ولا أحد من كِلا الفريقين يؤمن في قرارة قلبه بهذه الأفكار. بل اعتقادهم القلبي هو أن المسيح لم يمت على الصليب يقينا. لقد أراد الله تعالى من هذا الكلام أن يدرك المنصفون على وجه القطعية من سكوت اليهود والنصارى أنه ليس في أيديهم بهذا الصدد شيء إلا الشك. السبب في أن اليهود والنصارى لزموا الصمتَ بعد الاطلاع على هذه الآية ولم يبرزوا في الميدان للإنكار هو أنهم كانوا يعرفون جيدا أنهم لو برزوا للمواجهة وادَّعَوا بما ليس في قلوبهم لواجهوا ذلة وخزيا ولسوف تظهر من الله آيةٌ تُثبت كذبهم، لذا لم ينبسوا ببنت شفة بل لزموا الصمت". (إزالة أوهام)

أي أن المقصود هو أن الإعلان القرآني عن عدم موت المسيح على الصليب، وعدم قيام النصارى للرد، إنما مرجعه أن هذه هي العقيدة الصحيحة التي هي في قرارة قلوبهم، وأن القرآن بإعلانها قد جعلهم يسلمون بها؛ وهذا لأنهم في الأصل يبنون عقيدتهم بموت المسيح على الصليب على الظن والشبهة لا على اليقين.

ويقول حضرته: "ما دام المسيح لم يمت على الصليب، الأمر الذي كان اليهود والنصارى يريدون أن يستنتجوا منه نتائج معينة لتحقيق أهدافهم، صار إيمانهم بموته الطبيعي محتوما عليهم لأن الذي يولَد سيموت حتما. فإن تفسير العبارة: ﴿قبل موته﴾ هو: قبل إيمانه بموته. (إزالة أوهام)

كذلك بين حضرته أن الآية تحتمل معنى آخر؛ وهو أن عقيدة عدم موت المسيح على الصليب كانت عقيدة أهل الكتاب في زمن هذه الحادثة.. أي أن أهل الكتاب هنا هم أهل الكتاب المخصوصون بذلك الزمن. (إزالة الأوهام)

الاعتراض:

الآية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ..﴾ (الحج:53) دليل على أن النبي غير الرسول، ولكنكم تقولون أن معنى كلمة النبي هي ذاتها معنى كلمة الرسول.

الردّ:

قلنا إن كل رسول نبي وكل نبي رسول، ولم نقل إن معنى كلمة النبي هي ذاتها معنى كلمة الرسول. فسيدنا محمد ﷺ رسول ونبي، أي أن الله أرسله إلى البشر، وأنبأه بوحي من لدنه سبحانه. وهكذا آدم ونوح وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم من الرسل الأنبياء.

فالرسول من أرسله الله تعالى برسالة إلى البشر، سواء أكان معه كتاب جديد من عنده سبحانه، أم كان عاملا بكتاب رسول سبقه.

والنبي من أنبأه الله تعالى بكثرة، وجاء قومه بنبوءات كثيرة، حيث إن كلمة النبي هي من صيغ المبالغة. سواء أجاء بكتاب جديد من عنده سبحانه، أم كان عاملا بكتاب نبي سبقه.

لذا فإن كل رسول نبي وكل نبي رسول، لكن أصل التسمية مختلفة. ولكل لفظة معناها الخاص.

فالآية – الحج: 53- تقول: وما أرسلنا من رسول برسالة إلى البشر، ولا نبي أنبأناه بوحي من عندنا إلا إذا تمنى تحقيق إنجاز، وضع الشيطان العراقيل في طريقه، ولكن الله تعالى يُفشل الشيطان في النهاية، وينصر رسوله.

فالآية الكريمة لا تقول بأن الرسول غير النبي.

أما المستدلون بها على أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا، فنقول لهم: على هذا المعنى فإن في الآية كلمة زائدة وهي كلمة رسول، إذ إن كل رسول نبي حسب قولكم، فكان يكفي أن تقول الآية: وما أرسلنا من نبي إلا إذا تمنى..

على أن هؤلاء القائلين بذلك أغفلوا عددا من الآيات القرآنية القاطعة في دلالتها على أن كل رسول نبي وكل نبي رسول، ولم يتحدثوا إلا عن هذه الآية رغم أنها تعارض مفهومهم من غير أن يتنبهوا لذلك.

أما أدلتنا على أن كل رسول نبي وكل نبي رسول، فهي:

1-قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: 214).

وقوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام: 49).

وجه الاستدلال:

لقد بعث الله تعالى النبيين ليبشروا الناس ولينذروهم، كما بعث الرسل للغاية ذاتها، حيث استعملت الألفاظ نفسها مع النبيين ومع المرسلين. لذا فإنَّ الرسول الذي أرسله الله إلى الناس لا يمكن إلا أنْ يكون نبيًّا. ومتى كان نبيًّا فلا بد أنْ يكون رسولاً، وإلا فما معنى أنْ يكون نبيًّا أنبأه الله تعالى؟ أليس عليه واجب التبليغ والإنذار؟

2-قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: 166).

لقد جاءت هذه الآية مباشرة بعد ذكر مجموعة من أنبياء بني إسرائيل وغيرهم، وقد كان بعض هؤلاء أنبياء تشريعيين، وكان بعضهم أنبياء تابعين. وبعضهم أوتي كتابًا، وبعضهم لم ينزل عليه كتاب. وسمي هؤلاء جميعًا رسلاً.

أمّا الآيات التي سبقت هذه الآية فهي قوله تعالى ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ الله مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء:164-165) ويليها مباشرة قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ الله عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

3-قوله تعالى ﴿وَلَقَد آتَيْنا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنا مِنْ بَعْدِهِ بالرُّسُلِ﴾ (البقرة: 88). ولا خلاف في أن الأنبياء الذين أُرسلوا إلى بني إسرائيل من بعد موسى لم تكن معهم شريعة، بل كانوا تابعين لشريعة موسى عليه السلام، وحيث إن الله تعالى سمّاهم رسلاً، فلا بدّ أن يكون المبعوث من عند الله رسولاً حتى لو كان تابعًا، لذا فكل نبي رسول.

4-وصف الله تعالى نبيّه إسماعيل عليه السلام بأنه رسول نبيّ رغم أنه لم يؤت شريعة من عنده سبحانه وتعالى؛ إذ قال تعالى ﴿واذْكُر في الكِتابِ إِسْماعيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ وَكانَ رسولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 55).

5-وصف الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام بأنه صِدِّيق نبي، ولو كان النبي هو من لم يُؤت شريعة، لما صحّ هذا الوصف. بل لوجب أن يقال: صِدِّيق رسول.. إذ قال تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم:42)

6- وصف الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام بأنه رسول نبي، وذلك في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم:52). وحيث إن سيدنا موسى عليه السلام قد

بعثه الله بشريعة جديدة، فإن وصفه بنبي بعد وصفه برسول لا قيمة له حسب التفسير التقليدي، إذ ما دام كل رسول نبيا والعكس ليس بصحيح، فما قيمة أن تُتبع كلمة رسول بكلمة نبي؟

أما حسب قولنا فإن الآية تصف موسى عليه السلام بأنه رسول من الله، وأن الله تعالى قد آتاه نبوءات من عنده. كما يمكن أن يستنتج منها أن الأنبياء يبلغون مرتبة الرسالة أولا ثم مرتبة النبوة.. والنبوة مرتبة لا بدّ أن يصلها الرسول، لذا كان كل رسول نبيا، وكان كل نبي رسولا، إن النبوّة تستوجب الرسالة، وهي بنفس الوقت غاية الرسالة.

من أين أتوْا بهذا التفريق؟

لو تم تتبع الآيات القرآنية التي ذكَرَت الأنبياء والرسل فلن يُلاحظ أن النبي هو مَن ليس معه شريعة وأن الرسول هو مَن معه شريعة.. هذا لا تمكن ملاحظته من خلال الآيات القرآنية.

ويبدو أنه لما لاحظ القائلون بالتفريق بين النبي والرسول أن بعض الرسل معه شريعة، وأن بعضهم ليس معه شريعة، قالوا أنه لا بدّ مِن أن يُطلق على هذا النوع اصطلاح مختلف عن الاصطلاح الذي يطلق على ذلك النوع.. فمنطلق هؤلاء صحيح، وهو أنه لا بدّ من اصطلاح خاص بكل نوع، لكن تحديد هذا الاصطلاح كان خطأً، فلو تمعنوا في الآيات القرآنية لعلموا أن كلمة (رسول) أُطلقت على النبي التشريعي وغير التشريعي، ومثلها كلمة (نبي) فقد أطلقت على كليهما، لذا لا بدّ من البحث عن اصطلاح آخر للتفريق. ولا مشاحة في الاصطلاح. ونحن قلنا: إن مَن بعثه الله بكتاب جديد وشريعة جديدة، فيمكن أن نسميه رسولا ونبيا تشريعيا، أو رسولا صاحب كتاب، أو أي اصطلاح آخر يعبِّر عن هذا التفريق. وأن من جاء تابعا لنبي سبقه، فيمكن أن نسميه نبيا تابعا، أو رسولا تابعا، أو نبيا غير تشريعي، أو رسولا غير تشريعي، أو أي اصطلاح آخر يعبر عن ذلك.

إن كل مبعوث من الله عز وجل هو "رسول" من جهة علاقته مع الله عز وجل، وهو "نبي" من جهة علاقته مع الناس، فهو رسولٌ أولاً ونبيٌّ ثانيًا.

الاعتراض:

الأحمديون ينكرون معجزة إحياء المسيح للأموات، بينما كان مؤسس جماعتهم يؤمن بذلك، وقد ذكر ذلك في كتابه "حمامة البشرى".

الردّ:

لم يؤمن المسيح الموعود عليه السلام بإحياء الموتى إحياء ماديا حقيقيا. والدليل قوله: وقالوا إنه كان خالق الطيور كخلق الله تعالى، وجعله الله شريكه بإذنه، والطيور التي توجد في هذا العالم لم تنحصر

في القسمين: خَلْق الله وخَلْق المسيح. فانظر كيف جعلوا ابن مريم من الخالقين. ويُشيعون في الناس هذه العقائد ولا يدرون ما فيها من البلايا والمنايا، ويؤيدون المتنصرين. وهلك بها إلى الآن ألوف من الناس ودخلوا في الملّة النصرانية بعدما كانوا مسلمين.

وما كان في القرآن ذكرُ خَلْقه على الوجه الحقيقي، وما قال الله تعالى عند ذكر هذه القصة: فيصير حيًّا بإذن الله، بل قال: ﴿ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ ﴾، فانظروا لفظ ﴿فيَكُونُ﴾ ولفظ ﴿طَيْرًا﴾، لِمَ اختارهما العليم الحكيم وترك لفظ "يصير" و"حيًّا"؟ فثبت من ههنا أن الله ما أراد ههنا خلقًا حقيقيا كخلقه – عز وجل –. ويؤيده ما جاء في كتب التفسير من بعض الصحابة أن طير عيسى ما كان يطير إلا أمام أعين الناس، فإذا غاب سقط على الأرض ورجع إلى أصله كعصا موسى، وكذلك كان إحياء عيسى، فأين الحياة الحقيقي؟ فلأجل ذلك اختار الله تعالى في هذا المقام ألفاظًا تناسب الاستعارات ليشير إلى الإعجاز الذي بلغ إلى حدّ المجاز، وذكر مجازًا ليُبيّن إعجازًا، فحمله الجاهلون المستعجلون على الحقيقة، وسلكوه مسلكَ خَلْق الله مِن غير تفاوت، مع أنه كان مِن نفخ المسيح وتأثير روحه مِن غير مقارنته دعاء (الفائدة: كان الإحياء بالنفخ كالإماتة بالنظر)، فهلكوا وأهلكوا كثيرا من الجاهلين. (نور الحق)

وقال المسيح الموعود ﷺ أيضا: "وأما إحياء الموتى من دون هذه اللوازم التي ذكرناها، أو إماتة الأحياء لساعة واحدة ثم إحياؤهم من غير توقف كما نجد بيانه في قصص القرآن الكريم فهو أمر آخر، وسرٌّ من أسرار الله تعالى، ولا توجد فيه آثار الحياة الحقيقي ولا علامات الموت الحقيقي، بل هو من آيات الله تعالى وإعجازات بعض أنبيائه، نؤمن به وإن لم نعلم حقيقته، ولكنا لا نسمّيه إحياءً حقيقيا ولا إماتة حقيقية. فإن رجلا مثلا أُحيِيَ بعد ألف سنة بإعجاز نبي ثم أُميت بلا توقف، وما رجع إلى بيته، وما عاد إلى أهله وإلى شهوات الدنيا ولذّاتها، وما كان له خِيَرَةٌ مِن أن تُرَدّ إليه زوجه وأمواله وكل ما ملكت يمينه من ورثاء آخرين، بل ما مَسَّ شيئا منها ومات بلا مكث ولحق بالميتين، فلا نسمي مثل هذا الإحياء إحياءً حقيقيا، بل نسميه آية من آيات الله تعالى ونفوّض حقيقته إلى رب العالمين.

ولا شك أن إحياء الموتى وإرسالهم إلى الدنيا يقلِّب كتاب الله بل يُثبت أنه ناقص، ويوجب فتنًا كثيرة في دين الناس ودنياهم، وأكبرها فتن الدين. مثلا كانت امرأة نكحتْ زوجا فتُوفِّيَ، فنكحت زوجا آخر فتُوفِّيَ، فنكحت ثالثا فتُوفِّيَ، فأحياهم الله تعالى في وقت واحد، فاختصموا فيها بعولتُها، وادّعى كل واحد منهم أنها زوجته، فمَن أحقُّ منهم في كتاب الله الذي أكمل أحكامه وحدوده؟ وكيف يحكم فيهم القاضي؟ وكيف يحكم في أموالهم وأملاكهم وبيوتهم من كتاب الله؟

أتؤخذ من الورثاء وترد إلى الموتى الذين صاروا من الأحياء؟ بيِّنُوا تؤجَروا، إن كنتم على قول الله ورسوله مطّلعين." (حمامة البشرى)

كما كرر المسيح الموعود عليه السلام ذلك في قوله: " وكذلك كان حقيقةُ الإحياء.. أعني أنه ما ردّ إلى ميّت قط لوازمَ الحياة كلها، بل كان يُري جلوةً من حياة الميّت بتأثير روحه الطيب، وكان الميّت حيًّا ما دام عيسى قائم – عليه أو قاعدا، فإذا ذهب فعاد الميّت إلى حاله الأول ومات. فكان هذا إحياءً إعجازيًّا لا حقيقيًّا، والله يعلم أن هذا هو الحقيقة الواقعة، ثم مازَجَها أغلاطُ بيان الناس، وزادوا فيها ما شاءوا كما لا يخفى على من له شَمّة من العلم والبصيرة، فدَقِّقِ النظر في مطاوي الآيات ومعانيها ليُكشَف عنك الضلال والظلام وتكون من المتبصّرين." (حمامة البشرى)

الاعتراض:

استخدم المسيح الموعود عليه السلام كلمة خاتم بمعنى آخِر. وهذا حجة على القائلين بأن خاتم النبيين لا تعني آخرهم.

الردّ:

كلمة خاتم وحدها قد تأتي بمعنى آخر، ولكن كلمة خاتم المضافة إلى جمع العقلاء على سبيل المدح لا تعني إلا الأفضل والأكمل فيما أضيفت إليه.

إن المسيح الموعود عليه السلام لم يستخدمها في كتاباته العربية حين أضافها إلى جمع العقلاء على سبيل المدح إلا لما ذكرناه. وفيما يلي أقواله عليه السلام التي يعترضون عليها:

أولاً: "ثم بعد ذلك نقل النبوة من ولد إسرائيل إلى إسماعيل، وأنعم الله على نبينا محمد وصرف عن اليهود الوحي وجبرائيل، فهو خاتم الأنبياء لا يبعث بعده نبي من اليهود، ولا يرد العزة المسلوبة إليهم، وهذا وعد من الله الودود". (مواهب الرحمن)

والضمير هو يعود إلى سيدنا محمد ﷺ، وليس إلى عيسى عليه السلام كما ظنّ المعترض. فقوله يصبح: وأنعم الله على نبينا محمد وصرف عن اليهود الوحي وجبرائيل، (فسيدنا محمد) هو خاتم الأنبياء، (لذا) لا يبعث بعده نبي من اليهود.

ويتضح بالتالي أن معنى (خاتم النبيين) أفضلهم، والتي تتضمن استحالة مجيء نبي من غير أمته، ومن غير الاقتداء به، ومن غير التتلمذ على يديه، ومن غير أن يكون خادما لدينه وشرعه.

ثانيًا: وقال المسيح الموعود عليه السلام: "وقد ختم الله برسولنا النبيين، وقد انقطع وحي النبوة، فكيف يجيء المسيح ولا نبي بعد رسولنا؟! أيجيء معطلاً من النبوة كالمعزولين؟ وقد بشرنا رسول الله ﷺ أن المسيح الآتي يظهر من أمته وهو أحد من المسلمين". (تحفة بغداد)

هذا القول ينفي النبوة التشريعية بعد سيدنا محمد ﷺ، وينفي وحي النبوة. والمسيح الموعود عليه السلام ينفي مجيء المسيح الناصري نفسه مستدلا بآية (خاتم النبيين)؛ فالمسيح الناصري نبي من غير أمة سيدنا محمد ﷺ، ثم إنه يأتي بأحكام جديدة مخالفة للشريعة الإسلامية كما هو في الفكر التقليدي.

ثالثًا: وقال عليه السلام: وقد قال رسول الله ﷺ "لا نبي بعدي" وسماه الله "خاتم الأنبياء" فمن أين يظهر نبي بعده؟! ألا تتفكرون يا معشر المسلمين؟ تتبعون الأوهام ظلمًا وزورًا وتتخذون القرآن مهجورًا وصرتم من البطالين". (تحفة بغداد) وهذه العبارة مثل سابقتها.

رابعا: وقال عليه السلام: "فبذلك كنت خاتم الولد لوالدي، إذ لم يولَد بعدي صبيٌ". (البراهين، الجزء الخامس، ص113)

النص هنا بالأردو وليس بالعربية، ومع هذا فإن كلمة (خاتم) لم تُستخدم هنا على سبيل المدح، بل على سبيل الإخبار، لذا فهي تعني آخر الأولاد في هذا السياق. مع أنه يمكن أن تأتي في سياقات أخرى بمعنى أكمل الأولاد. وقد كان المسيح الموعود عليه السلام آخر الأولاد عند أبيه وكان أكملهم أيضا.

الاعتراض:

لقد انقطع الوحي بدليل قول الله تعالى ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِك﴾ (الشورى:4) فالآية دليل على أنه لا وحي بعد سيدنا محمد ﷺ، وإلا لقال الله: كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِك وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ بَعْدِكَ، بينما تقولون باستمرار الوحي بعده ﷺ!

الردّ:

يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: 22)، فهل تعني هذه الآية أن الله تعالى لم يخلق الذين مِن بعدنا؟ كلا، وهذه الآية كتلك التي يحتجون بها.

في الآية الكريمة ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِك﴾ يحاجج الله تعالى المكذبين ويقول بأن الله أوحى للنبي ﷺ وأوحى للأنبياء السابقين، فما الغرابة في وحيه أيها الكافرون؟ لماذا لا تؤمنون؟

فهل يمكن أن يقول الله هنا: وإلى الذين من بعدك؟ كيف يكون وحيهم حجة وهم لم يُخلقوا بعد؟

باختصار، ذكْرُ الشيء لا يتضمن نفيَ ما سواه.. ومثال ذلك: حين نقول: لقد خلق الله الجبال، فهذا لا يعني أنه لم يخلق السهول.. وحين نقول: عليك أن تهتم بنظافة ثياب المدرسة، فهذا لا يعني أن عليك أن توسخ ثياب البيت. فذِكْرُ شيءٍ يعطي فكرة عن الشيء نفسه، ولا يعطي عما سواه.. وهذه قاعدة منطقية بسيطة معروفة .

الاعتراض :

هجرة المسيح إلى الهند تعني أنه قد عاش بعد حادثة الصلب التاريخية 87 سنة، فماذا كان يفعل، هل كان يدعو بني إسرائيل المتفرقين في الشرق؟!

إذا كان ذلك صحيحا، فما تفسيركم لانتشار رسائل بولس، والأناجيل الأربعة التي حرّفت رسالته والتي كتبت – على وجه التقريب– في الفترة من 60 إلى 110م (أي في خلال حياته) واستقرار الإيمان بهذه الأناجيل دون غيرها حتى الآن؟!

الردّ:

ظل المسيح عليه السلام يدعو في بلاد الشرق القبائل الإسرائيلية الضالة ويبشرها بقرب ظهور سيدنا محمد ﷺ، لذا سرعان ما آمنت هذه القبائل به ﷺ بمجرد سماعها به.

أما انتشار رسائل بولس فقد تم نشرها بعد بولس وليس في حياته، ثم إن بولس انتشر فكره بين غير اليهود، حيث ذهب إلى بلاد أخرى، ولا علاقة للمسيح بغير اليهود. ثم إن الله تعالى عاقب اليهود على جريمتهم بحق المسيح عليه السلام ودمرهم بعد سنوات من هجرة المسيح، وذلك في سنة 70 للميلاد، على يد القائد الروماني "طيطس" الذي دمر المعبد وسواه بالأرض وقضى على اليهود.

ثم لا بد من تخيل المواصلات في ذلك العصر، ويكفي المسيح عليه السلام عظمة أنه قد بلغ القبائل الإسرائيلية العديدة في بلاد الشرق الواسعة الممتدة. وكان هذا واجبه فقط، أما القبائل الإسرائيلية في فلسطين، فقد كفرت به، وعاقبها الله تعالى على كفرها بعد ذلك.

الاعتراض:

ألم يكن من الأولى انتشار تعاليم المسيح الصحيحة، والعثور على إنجيل المسيح الصحيح الذي (كرّز) به خلال الـ 87 سنة التي عاشها بعد خروجه من فلسطين؟!

الردّ:

ليس هنالك إنجيل بالطريقة التي يتصورها العامة.. فالله لم يُنزل على المسيح كتابا مثل القرآن الكريم، بل الإنجيل يعني البشارة، فالله تعالى أمر المسيح عليه السلام بأن يبشر بظهور سيدنا محمد ﷺ، وأن النبوة ستنتقل إلى أمة أخرى... هذه هي رسالته، ونجح فيها أيما نجاح.

أما الأناجيل الأربعة وغيرها فهي سيرة المسيح، وليست كتابا مقدسا.. هي مثل سيرة ابن هشام، فيها الصحيح وفيها المبالغ فيه وفيه الخطأ.. وهذه الأناجيل تضمّنت فيما حوت بعض عبارات المسيح الجميلة، مثل موعظة الجبل.. لكنها ليست كتابا مقدسا، بل سيرة.

لقد أنزل الله على المسيح البشارة بظهور سيدنا محمد ﷺ، وهذا هو المقصود بالإنجيل.. كما أوحى إليه بمواعظ وتوجيهات، فضُمَّت هذه المواعظ إلى كتب سيرته التي سميت أناجيل. ولكنه عليه السلام لم يأمر بكتابة كتاب محدد النص كالقرآن العظيم، أو حتى كالتوراة التي كتبها موسى عليه السلام بوحي الله قبل أن تضيع.

الاعتراض:

قال الله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ﴾ ومعلوم أن أي جملة تأتي على هذا السياق – وما..... بل..... – فإن ما بعد "بل" ينفي ما قبلها، ولو طبقنا الكلام عن الآية سنجد أن رفع الدرجة لا ينفي القتل، وأننا إن قلنا بهذا التفسير سنجعل الجملة غريبة جدا.

الردّ:

يقول الله تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عيسى بن مريم رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: 158-159).. هذه الآيات الكريمة تتحدث عن تبجح اليهود أنهم استطاعوا قتل المسيح، ولكن الله تعالى يبين لهم أن هذا هُيِّئ لهم، لكنهم في الحقيقة لم يتمكنوا من قتله على الصليب، وقد ظلوا في شك في هذه الميتة ولم يوقنوا بها قط. فالله تعالى قد أفشلهم في هدف قتله، بل رفع درجته. ورفع الدرجة هو الردّ على تهمة القتل التي تتضمن اللعنة، فاليهود أرادوا أن يثبتوا أنه ملعون بهذه الميتة– عملاً بما جاء في سفر التثنية 23:21– فردّ الله عليهم ذلك وبين أنه سبحانه قد رفع درجته.

أما أن الله تعالى ردّ على عدم قتله بقوله بأنه رفعه إلى السماء، فهذا هو الغريب، فهل الرفع إلى السماء هو عكس القتل؟ أي هل كل من لم يُقتل فقد رُفع إلى السماء حيا؟

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "وأمّا ذكر رفعه بالخصوصية في القرآن، فكان لذبّ ما زعم اليهود وأهل الصلبان، فإنهم ظنوا أنه صُلب ولُعن بحكم التوراة، واللعن يُنافي الرفع، بل هو ضدّه كما لا يخفَى على ذوي الحصاة. فردّ الله على هاتين الطائفتين بقوله: ﴿ بَل رَّفَعَه اللّٰهُ إِلَيْهِ ﴾. والمقصود منه أنه ليس بملعون، بل من الذين يُرفعون ويُكرمون أمام عينيه. وما كان إنكار اليهود إلاّ من الرفع الروحاني الذي لا يستحقّه المصلوب، وليس عندهم رفع الجسم مدار النجاة، فالبحث عنه لغو لا يلزم منه اللعن والذنوب. فإن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى، ما رُفع أحدٌ منهم إلى السماء بجسمه العنصري كما لا يخفَى، ولا شك أنهم بعدوا من اللعنة وجُعلوا من المقرّبين. ونجوا بفضل الله بل كانوا سادة الناجين. (الهدى والتبصرة لمن يرى)

الاعتراض:

لماذا يذكر الله تعالى مسألة الرفع مرتين في القرآن الكريم وهو يعلم أنها عقيدة عند النصارى؟! لماذا فنّد عقيدة الصلب ولم يفنّد عقيدة الرفع؟ بل لقد أكدها عندما قال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ﴾، وقال: ﴿.. وَرَافِعُكَ إِلَيّ..﴾. أما كان يكفي أن يُهمل ذكر المسألة؟!. أمّا أن يُقررها أكثر من مرة، مع علمه بأنّها عقيدة نصرانية، فهذا يؤكد أنّ الرفع قد حصل فعلًا، وأنّه كان حسيًا."

الردّ:

إن الآيات ترد على اليهود والنصارى الذين قالوا بصلب المسيح ولعنه نتيجة صلبه المزعوم، فالله تعالى يبرئه ويعلن رفع مكانته ودرجته ردًّا على أعدائه اليهود الذين يكذبونه، كما يردّ في الوقت ذاته على النصارى الذين قالوا بلعن المسيح مقدمةً لتأليهه.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "وأمّا ذِكْرُ رفعه بالخصوصية في القرآن، فكان لذبّ ما زعم اليهود وأهل الصلبان، فإنهم ظنّوا أنه صُلب ولُعن بحكم التوراة، واللعن يُنافي الرفع، بل هو ضدّه كما لا يخفَى على ذوي الحصاة. فردّ الله على هاتين الطائفتين بقوله ﴿بَل رَّفَعَه اللّٰهُ إِلَيْهِ﴾. والمقصود منه أنه ليس بملعون، بل من الذين يُرفعون ويُكرمون أمام عينيه. وما كان إنكار اليهود إلاّ من الرفع الروحاني الذي لا يستحقّه المصلوب، وليس عندهم رفع الجسم مدار النجاة، فالبحث عنه لغو لا يلزم منه اللعن والذنوب. فإن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى، ما رُفع أحدٌ منهم إلى السماء بجسمه العنصري كما لا يخفَى، ولا شك أنهم بعدوا من اللعنة وجُعلوا من المقرّبين. ونجوا بفضل الله

بل كانوا سادةَ الناجين. فلو كان رفع الجسم إلى السماء من شرائط النجاة، لكان عقيدة اليهود في أنبيائهم أنهم رُفعوا مع الجسم إلى السماوات. فالحاصل أن رفع الجسم ما كان عند اليهود من علامات أهل الإيمان، وما كان إنكارهم إلاّ من رفع روح عيسى، وكذلك يقولون إلى هذا الزمان. فإن فرضنا أن قوله تعالى ﴿بَل رَّفَعَه اللهُ إِلَيْهِ﴾ كان لبيان رفع جسم عيسى إلى السماء، فأين ذكر رفع روحه الذي فيه تطهيره من اللعنة وشهادة الإبراء، مع أن ذكره كان واجبا لرد ما زعم اليهود والنصارى من الخطاء. وكفاك هذا إن كنت من أهل الرشد والدهاء. أتظن أن الله ترك بيان رفع الروح الذي يُنجّي عيسى مما أُفتِيَ عليه في الشريعة الموسوية، وتصدّى لذكر رفع الجسم الذي لا يتعلّق بأمر يستلزم اللعنة عند هذه الفرقة؟ وليس تحته شيء من الحقيقة، وما حمل النصارى على ذلك إلاّ طعن اليهود بالإصرار، وقولهم أن عيسى ملعون بما صُلب كالأشرار، والمصلوب ملعون بحكم التوراة وليس ههنا سعة الفرار. فضاقت الأرض بهذا الطعن على النصارى، وصاروا في أيدي اليهود كالأسارى، فنحتوا من عند أنفسهم حيلة صعود عيسى إلى السماء، لعلّهم يُطهّروه من اللعنة بهذا الافتراء. وما كان مفرّ من تلك الحادثة الشهيرة التي اشتهرت بين الخواص والعوام، فإن الصليب كان موجبا للعنة باتّفاق جميع فرق اليهود وعلمائهم العظام. فلذلك نُحِتت قصة صعود المسيح مع الجسم حيلة للإبراء، فما قُبِلت لعدم الشهداء، فرجعوا مضطرّين إلى قبول إلزام اللعنة، وقالوا حملها المسيح تنجيةً للأمّة. وما كانت هذه المعاذير إلاّ كخبط عشواء، ثم بعد مدّة اتّبعوا الأهواء، وجعلوا متعمّدين ابن مريم لله كشركاء. وصار صعود المسيح وحمله اللعنة عقيدة بعد ثلاث مائة سنة عند المسيحيين، ثم تبع بعض خيالاتهم بعد القرون الثلاثة الفيج الأعوج من المسلمين. (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية؛ ج18، ص 362-364)

الاعتراض:

لماذا تضعون النجمة السداسية على رايتكم؟ ألا يدل هذا على ارتباط مع الصهيونية العالمية؟

الردّ:

هذه النجمة إسلامية، وقد ظلّ المسلمون يستخدمونها عبر العصور، وقد وُجدت على المباني الإسلامية منذ القرن الأول الهجري في زمن الدولة الأموية. وهنالك نجمة سداسية في قصر هشام بن عبد الملك (105-125هـ) في أريحا في فلسطين والذي شُيِّد في أوائل القرن الثاني الهجري، وما زالت النجمة الحجرية الكبيرة ماثلة حتى اليوم. يقول د. جمال عبد الرحيم- أستاذ مساعد آثار إسلامية بجامعة القاهرة - بأنه من المعروف أن شكل النجمة السداسية زخرفة إسلامية من

اختراع الفنان المسلم مثل غيرها من الزخارف والأشكال الهندسية الأخرى... أما على العمائر فقد وجدت هذه الزخرفة ولأول مرة في مصر على الواجهات الداخلية العلوية أو لجامع أحمد بن طولون والذي يرجع إلى 265 هـ ثم انتشر وجود هذه الزخرفة.. وقد وجدت النجمة السداسية على محراب خشبي بمتحف الفن الإسلامي في العصر الفاطمي- القرن السادس الهجري - وفي منبر جامع الصالح 699 هـ - وفي منبر جامع الطنبغا المرداني بشارع التبانة 740 هـ، وأقرب الأمثلة موجود في منبر مدرسة الأمير قمباس الاسحاقي- في القاهرة شارع الدرب الأحمر - 883 هـ، ومنبر السلطان الغوري بشارع الغورية 910 هـ، وجامع السلطان المؤيد.. بالإضافة إلى العديد من الأمثلة الأخرى.

كما أكدت رسالة دكتوراه في علوم الآثار - أعدها عبد الرحيم ريحان مدير البحوث والدراسات بوزارة الآثار المصرية- أن زخرفة النجمة السداسية، التي تُعرف بنجمة داوود، إسلامية، ولا علاقة لها بالصهيونية.

وأشارت هذه الرسالة إلى أنه بالرغم من ظهور النجمة السداسية في حضارات مختلفة قبل الإسلام في الآثار المصرية القديمة والديانة الهندوسية، لكن دلالاتها في الحضارة الإسلامية ارتبطت بمعاني روحية عالية ودلالات خاصة.

وأوضحت الدراسة أن نجمة داوود هي أحد الزخارف الإسلامية التي وجدت على عمائر إسلامية، منها قلعة الجندي في رأس سدر في سيناء التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي، حيث وجدت هذه النجمة على مدخل القلعة. كما وجدت النجمة أيضاً على طبق من الخزف ذي بريق معدني ينتمي إلى العصر الفاطمي. مشيراً إلى أنه تم الكشف عنها بواسطة بعثة آثار منطقة جنوب سيناء للآثار الإسلامية والقبطية عام 1997م في منطقة رأس راية في طور سيناء. وأوضح ريحان أنه لا أثر للنجمة السداسية في أسفار العهد القديم. مشيراً إلى أنها لم تصبح رمزاً لليهود بشكل ملموس إلا في القرن الـ19؛ ما دعا الحكومة الفرنسية إلى إصدار قرار عام 1942م يلزم اليهود بعدم الظهور في الأماكن العامة دون نجمة داوود.

وجاء في موسوعة اليهودية والصهيونية:

ظهرت نجمة داود إلى الوجود كرمز دنيوي لأول مرة في العام 1648م، وحكايتها بدأت في براغ التي كانت في تلك الحقبة جزءا من الإمبراطورية النمساوية، وحين تعرضها لهجوم من قبل جيش السويد كان من بين المدافعين عنها مجموعة من اليهود فاقترح إمبراطور النمسا آنذاك فرديناند الثالث أن يكون لكل مجموعة راية تحملها للتمييز بينها وبين القوات الغازية التي تحصنت في المدينة، وبدأت تشن حرب عصابات، وعلى أثر هذا الاقتراح قام أحد القساوسة اليسوعيين بأخذ أول حرف من حروف " داود " وهو حرف الدال باللاتينية والذي هو على شكل مثلث حيث كتبه مرة بصورة صحيحة ومرة بصورة مقلوبة، ومن ثم أدخل الحرفين ببعضهما البعض، وبهذا حصل على الشكل الذي يعرف اليوم بنجمة داود، وأخيرا قام ذلك القسيس برسم النجمة على الراية وعرضها على الإمبراطور الذي وافق أن تكون شعارا لمجموعة اليهود المدافعين عن مدينة براغ، وأعجبت الفكرة الجالية اليهودية هناك فتبنتها شعارا، واستعملها أعضاء الجماعة اليهودية في فيينا عام 1655م.

وهكذا يتبين مما تقدم بأن النجمة السداسية لم تظهر عند اليهود قبل عام 1648م، في حين وُجدت هذه النجمة في الآثار الإسلامية قبل ذلك بمئات السنين.

وقبل أكثر من ثلث قرن أُثيرت المسألة، فكتب مولانا دوست محمد شاهد -رحمه الله تعالى- مؤرخ الأحمدية ما يلي:

بعد دراسةٍ سريعة لبداية التاريخ الإسلامي، يتضح لنا أن رمز النجمة السداسية كان مستخدمًا منذ القرن الأول للهجرة إلى القرن الرابع عشر في كل البلاد الإسلامية عربية كانت أم أعجميّة.

وهذه بعض الأدلة على ذلك:

1 – العملة الإسلاميّة المستخدمة في عهد معاوية ﷺ والي الشام:

كان معاوية قد روّج في عهد ولايته عملةً على شكلٍ دائرةٍ يحيطُ بها من الخارج نجوم سداسيّة. وقد اكتشف هذا الأمر في القرن العشرين السيّد "أسعد داغر" الكاتب الصحفي المصري المعروف، وقد نشر صور هذه العملة في كتابه الرائع "حضارة العرب" في الصفحة 56.

2 – قلعة آغرة وقصرها القديم في الهند:

يُعتبر عهد الأسرة المغولية في الهند ذروةً في تطبيق العادات والتقاليد والثقافات الإسلامية، وتميّز ذلك العهد بالمباني الفاخرة والشامخة. ومن تلك المعالم الشامخة والملفتة للانتباه قلعة "آغرة" وقصرها القديم الّذي يسمّى "لال محل" والذي بُني في عهد "جهانغير".

وقد قال المولوي المرحوم "ذكاء الله خان الدهلوي" – شمس العلماء- في كتابه "تاريخ هندوستان" الجزء السادس: إنّ رمز النجمة السداسية ما زال منقوشًا ومحفورًا عل "برج سمن" في تلك القلعة، وعددها خمسة نجوم. وعلاوةً على ذلك فإنّ الباب الرئيس لتلك القلعة يحتوي على ثلاثة رموز محفورة ومنقوشة للنجوم السداسيّة. وقد ذكر المستشرق الفرنسي الشهير الدكتور "كستوولي" في كتابه "تمدّن الهند" في الطبعة الأوردية صفحة 400 – المطبوع في مطبعة شمسي آغرة في سنة 1913م- أنّ النقوش الموجودة على ذلك الباب تعود إلى زمن بعيد بشكل واضح.

3 – الوسام الملكي لخادم حرم المدينة المنّورة:

كان منصب ولاية المدينة المنّورة في العهد العثماني يمثّل شرفًا عظيمًا، وكان له احترام وهيبة ومحبة، وكان شائعًا أن تكون زيارة والي المدينة شرفًا وفخرًا عظيمين لأي وفد يقدم إلى المدينة المنّورة من مصر أو من أي بلد إسلاميّ آخر.

كان يشغل هذا المنصب الرفيع في سنة 1313 للهجرة الفريق "عثمان باشا فريد".. وفي تلك الأثناء قدِم وفد مصريّ للحج يرأسه أمير الحجاج "إبراهيم رفعت باشا" حيث التقى بوالي المدينة. وقد ذكرَ هذا اللقاء المؤلّف "إبراهيم رفعت باشا" في كتابه "مرآة الحرمين" الجزء الأوّل صفحة 383 المطبوع سنة 1925م. وقد أهدى المؤلف كتابه المليء بالمعلومات التاريخية والإيمانية عن عدّة عصور إلى ملك مصر "فؤاد الأوّل"، ومدح المؤلّف في كتابه المذكور رئيس وزراء مصر وقتها "سعد زغلول باشا" بشكل كبير. وقد وضع "إبراهيم رفعت باشا" في كتابه المذكور في الصفحة 382 صورة والي الحرم النبوي، والّذي يبدو فيها وسيمًا ملتحيًا بلحية جميلة ملفتة للأنظار، ويرتدي زيًّا ملكيًّا وعلى رأسه طربوش تركي، وتظهر في الصورة عدة أوسمة على صدره، وأحد هذه الأوسمة على شكل نجمة سداسيّة تظهر واضحة على صدره من الناحية اليمنى باتجاه رقبته.

باختصار، ظلّت النجمة السداسية مستخدمة في جميع الدول الإسلاميّة سواء كانت دولاً مغوليّة أو أمويّة أو عثمانيّة. (بتصرف عن مجلّة لاهور الأسبوعيّة عدد 1/3/ 1976، صفحة 5)

لقد مضى أكثر من ثلث قرن على نشر بحث المؤرخ دوست، وخلال ذلك تمّ اكتشاف المزيد من الأدلة على أن النجمة السداسية إسلامية قبل أن يتخذها اليهود رمزا لهم.

وليس لنا أن نترك ما اتخذه أجدادنا رمزا وزينة لمجرد أن استعمله قوم آخرون بعد ألف سنة.

أما لواء الأحمدية فقد صُنع في عام 1939 زمن الخليفة الثاني رضي الله عنه، وضمّ بدرا ونجمة سداسية وهلالا ومنارة، وقد كُتب فوق البدر: "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة"، وكل ذلك بلون أبيض فوق راية سوداء.

الاعتراض:

الخليفة الثاني صلى خلف إمام الحرم في مكة، وأنتم تمنعون ذلك الآن، ويقال إن الخليفة الأول أمره بذلك.

الردّ:

تحت عنوان: "خداع المولوي بشأن صلاتي في الحج" كتب الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام:

يتهمني المولوي محمد علي أنني صليت وراء غير الأحمديين في مكة بناء على فتوى الخليفة الأول، وهذا خداع لم يرتدع عن نشره رغم علمه بالحقائق. الحق هو كالآتي:

في عام 1912 ذهبتُ والسيد عبد المحيي العرب المحترم إلى الحج مرورا بمصر، وأتى جدي لأمي "مير ناصر نواب" المحترم للحج من قاديان مباشرةً والتقينا في جدة، وذهبنا إلى مكة المكرمة معا. في اليوم الأول نفسه حان وقت صلاة المغرب أثناء الطواف فأردتُ أن أتأخر، ولكن كل الطرق سُدَّت حيث كانت الصلاة قد بدأت. فقال جدي مير المحترم إن حضرة خليفة المسيح قد أمر أنه يمكن أن تصلوا وراءهم في مكة، فبدأتُ أنا أيضا الصلاة، ثم حانت العشاء في هذا المكان أيضا، وصليناها أيضا.

عندما عدنا إلى البيت قلتُ لعبد المحيي العرب: لقد صلينا تلك الصلاة بحسب أمر خليفة المسيح، والآن تعالَ نصلّ صلاة الله التي لا تكون وراء غير الأحمديين.. فأعدنا الصلاتين معًا. ولعلي صليتُ صلاة أخرى في اليوم التالي. ولكني رأيتُ أنه مع إعادتي للصلوات كان قلبي يتوقف، وأحسستُ أنه لو استمر الوضع هكذا فسوف أمرض. فقلتُ لعبد المحيي العرب في اليوم الثاني: إنني لا أستطيع أن أسأل جدي أدبا، ولكن اسأله أنت: هل أمرك حضرة خليفة المسيح بهذا أمرا خاصا أم أنك تقول ما سمعت من العامة فقط؟ فلما سأله تبيّن أنه لم يأمره أي أمر خاص، وإنما سمع هذا عن شخص آخر. فشكرتُ الله تعالى. ورغم بقائي هناك ظللتُ أصلي منفصلا، وبقينا هناك حوالي عشرين يوما، فكنا نصلي فيها إما في البيت أو في المسجد الحرام صلاة جماعية منفصلةً يؤمها أحدُنا. ومن فضل الله تعالى أنه برغم أنه ليس هناك إذن عام لأي جماعة لأداء الصلوات هكذا في المسجد الحرام إلا لأتباع المذاهب الأربعة، غير أنه لم يتعرض لنا أحد. بل كان المتأخرون عن الصلاة هناك ينضمون إلى جماعتنا، فكان عدد المصلين وراءنا يصبح كبيرا. ولما كان جدي يخشى أن يثير فعله ذلك فتنة فعندما عاد إلى قاديان أراد أن يرفع هذا الأمر إلى خليفة المسيح، ولكن أحبابنا في قاديان كانوا يقيمون لنا المآدب واحدة تلو الأخرى فرحةً بعودتنا إلى أن أُقيمت حفلة الشاي من قِبَل ميان حامد علي المحترم أحد خدام المسيح الموعود عليه السلام القدامى الذي ظل في خدمته أربعين سنة، وقد حضرها حضرة خليفة المسيح وحضرة مير "جدي"، وأنا والسيد عبد المحيي العرب. فبدأ حكيم محمد عمر يذكر هذه القصة أمام خليفة المسيح، فقال الخليفة: لم أُفتِ بأي فتوى كهذه، وإنما أذنتُ بذلك للذين يخافون، أو الذين أخاف أن يقعوا في الابتلاء، فيجوز لهم أنهم إذا حوصروا في مكان كهذا أن يصلوا وراء غير الأحمديين، ثم يجب أن يعيدوا صلاتهم.

فالحمد لله أن عملي بحسب فتوى المسيح الموعود عليه السلام، وكذلك بحسب مشيئة خليفة الوقت. (أنوار العلوم 6، كتاب آئينه صداقت... مرآة الصدق، ص155-156)

الفصل الخامس[27]

اعتراضات على أدلة صدق المسيح الموعود عليه السلام

الاعتراض:

ما هي المصادر أو المراجع الموثقة التي يمكن التأكد من خلالها على صحة حدوث آية خسوف القمر وكسوف الشمس مقترنة بدليل على وقت إعلان مؤسس الجماعة أنه المهدي المنتظر؟

الردّ:

أقوى الأدلة هو ما شهدت به الخصوم، ثم ما سكتت عنه هذه الخصوم في معرض الحاجة إلى البيان فيه.

إن من عادة البشر معاداة أنبياء الله تعالى معاداة شديدة جدًّا، بحيث يفضّلون عليهم الوثنيين والفجار، لذا قرأنا في القرآن رأي اليهود بالرسول ﷺ ومن معه من مؤمنين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الذين آمنوا سَبِيلا﴾ (النساء: 52).. أي يقول اليهود: طريقكم يا أهل مكة ووثنيّيها أهدى من طريق المسلمين.

من هنا فإن هؤلاء الخصوم لا يتركون صغيرة ولا شاردة مما يمكن أن يُساء فهمه إلا ركّزوا عليها وطاروا بها كل مطار. ألا ترى كيف نشر الخصوم أن الإنجليز هم من أسس الجماعة الإسلامية الأحمدية مستغلين رسائله عليه السلام وكتبه التي كان ينفي فيها عن نفسه تهمة القتل والتآمر ضد الحكومة، والتي كان يوضح فيها مفهوم الجهاد في الإسلام؟

وماذا قالوا عن حديث الخسوف (الكسوف)؟

قالوا: حديث ضعيف، ومرة قالوا: موضوع. ومرة قالوا: تفسيره لا يحصل إلا يوم القيامة. لكن، هل قال أحد إنه لم يحصل أي خسوف أو كسوف في ذلك الرمضان؟ أو هل قال أحد إن الإمام المهدي لم يكن قد أعلن بعد أنه هو المهدي؟ أو هل أنكر أحد منهم أن يكون الإمام المهدي قد سئل عن هذه الآية قبل تحققها؟

وفي هذا العداء خير؛ لأنه يكشف للأجيال القادمة صدْق النبي، إذ لو آمن به القوم فور إعلانه، لكان هنالك مبرر للأجيال القادمة لاعتبار ذلك مجرد اتفاقية أو مجرد تنصيب من الناس لهذا الرجل. فرغم أن هذا العداء يضر هؤلاء الناس ويضر المضلَّلين، إلا أن فيه فائدة للأجيال القادمة.

[27] هذا الفصل؛ هو من بند الأسئلة والأجوبة في الموقع العربي الرسمي للجماعة، إلا إذا ذكر غير ذلك

أما التأكد من أن الخسوف والكسوف قد حدث بالفعل في ذلك التاريخ، فأدلته ما يلي:

1: أن المسيح الموعود ﷺ قد كتب ذلك في كتبه بعيد حدوث هذين الحدثين، ولم يكتب أحد ينفي حدوثهما، بل صار الناس يقولون: الحديث ضعيف، أو أنه سيحدث بعد يوم القيامة.

2: يمكن مراجعة المراصد الفلكية في ذلك. وأكتفي بوضع روابط من مؤسسة ناسا الفضائية:

خسوف القمر في 21-3-1894

Lunar Eclipses - http://eclipse.gsfc.nasa.gov/LEcat5/LE1801-1900.html

كسوف الشمس في 6-4-1894

http://sunearth.gsfc.nasa.gov/eclipse/SEsaros/SEsaros137.htmlSolar Eclipse Saros 137 -

خسوف القمر للمرة الثانية في 11-3-1895

http://eclipse.gsfc.nasa.gov/LEcat5/LE1801-1900.htmlLunar Eclipses -

كسوف الشمس للمرة الثانية في 26-3-1895

http://sunearth.gsfc.nasa.gov/eclipse/SEsaros/SEsaros147.htmlSolar Eclipse Saros 147 -

3: يمكن مراجعة برامج حاسوبية تحدد مواعيد الخسوف والكسوف في الماضي والمستقبل.

4: يمكن قراءة الجرائد والمجلات في ذلك العصر التي تحدثت عن الظاهرة. وما أكثرها! ومنها:

1- نشرت الجريدة الإنجليزية (**CIVIL AND MILITARY GAZETTE**)

الصادرة في لاهور عاصمة البنجاب بتاريخ 7-4-1894 ما تعريبه:

" كان كسوف الشمس واضحًا تمامًا البارحة في لاهور ما بين الساعة السابعة والنصف والتاسعة والنصف صباحًا. وأثناء دوامه كان ضوء الشمس خافتًا جدا ليذكر المرء بإشراقة الشمس اللطيفة في صيف يوم في انجلترا".

2- كذلك نشرت الجريدة الإنجليزية **PIONEER** في عددها بشهر آذار 1894م نفس الخبر.

3- كتب الدكتور العلامة خادم رحماني نوري في تفسيره للقرآن المجيد عن هذا الكسوف والخسوف ما تعريبه:

"وعند ظهور المهدي يحدث كل من كسوف الشمس وخسوف القمر في 1894 عيسوية متزامنين في شهر رمضان (البيهقي، متّى 24: 20-29) أي عند غلبة المسيحية ووضع حد لنفوذ ما يسمى بالأديان الثانوية، وظهور الإسلام بإشراقه الكامل بواسطة المهدي.

ملحوظة: هذا الدكتور ليس من الجماعة الإسلامية الأحمدية.

4- كتب محمد عبد الله معمار الذي كان من أشد معارضي المسيح الموعود ﷺ عن كسوف النيرين: "لقد انخسف القمر بتاريخ 13 رمضان وانكسفت الشمس بتاريخ 28 رمضان".

5- ورد في جريدة "**سراج الأخبار**" في عددها 11 حزيران 1894:
"بأن خسوف القمر كان بتاريخ 13 رمضان وكسوف الشمس كان بتاريخ 28 رمضان"

تحقق نبأ الخسوف والكسوف للمرة الثانية؛ سنة 1895م

- خسوف القمر وكسوف الشمس في أميركا:

جاء في جريدة "**نيويورك تايمز**" الصادرة في نيويورك يوم الاثنين 1895/3/11م:
"لقد كان خسوف القمر الكلي الذي حدث ليلة البارحة هو ما أُعلن عنه، ولكن لسوء حظ الفلكيين والمتفرسين في السماء بوجه عام، فقد حُجبت السماء بالغيوم وحالت دون مشاهدة مرضية... وفي تمام الساعة 7:57 دخل القمر في الخسوف، ولكنه وصل إلى حافة ظل الكرة الأرضية في تمام الساعة 8:45 فقط، وظهر في البداية وكأنما اقتُطع جزءٌ صغير منه بسكين، ثم دخل القمر تدريجيا أكثر فأكثر في الخسوف إلى أن بقي نصف وجهه ظاهرا، وكان من الممكن تحديد معالم الجزء المظلم منه بنظر العين، ومن ثم وبسرعة؛ ظهر وقد غطّى بقية سطحه في الظلام. وفي تمام الساعة 11:27 اختفى القمر...

"**واشنطن**" **–** 1895/3/10 – لقد كانت مشاهدة خسوف القمر هنا جزئية.
"**كامبردج**" – 1895/3/10 – لقد أعيقت التحضيرات التي أعدّت في مركز المراقبة في هارفارد لمشاهدة خسوف القمر الكلي الذي حدث هذا المساء بسبب الأحوال غير الملائمة في السماء.
"**شارلتون**" – 1895/3/10 – شاهد ألوف الناس خسوف القمر الكلي الذي تم هذه الليلة، ولقد حجبت الغيوم المتراكمة رؤية القمر في البداية، ولكن السماء صفت بعد ذلك وسنحت لمشاهدة ممتازة للخسوف الكلي.
"**هليفاكس**" – 1895/3/10 – بدأ خسوف القمر هنا في تمام الساعة العاشرة بالضبط، وبما أن السماء كانت خالية من الغيوم، كان المنظر جميلا أثناء حدوثه.
"جريدة لوس انجلوس تايمز **(LOS ANGELES TIMES)** الصادرة من ايلينوي في الولايات المتحدة بتاريخ 1895/3/11 عن خسوف القمر في 1895/3/10 كتبت:

خسوف القمر كما شوهد من على قمة جبل لاو:

لقد شوهد الخسوف في ظروف مؤاتية جدا من على قمة جبل لاو بواسطة مكتشف المذنبات في مركز لاو للمراقبة.

ومن على جبل هاملتون:

من مركز مراقبة ليك (جبل هاملتون) كاليفورنيا – 1895/3/10 لقد شوهد خسوف القمر الكلي الذي حدث هذا المساء من مركز ليك للمراقبة في ظروف مؤاتية جزئيا.. وبدأ الخسوف الكلي في تمام الساعة 55 :51 :06 وبقي إلى الساعة 30 :27 :08

في شيكاغو

شيكاغو 1895/3/10: شوهد خسوف القمر هذه الليلة من مركز المراقبة لجامعة نورث وستون في مدينة إيفانستون على يد المدير جورج وهاغ وآخرين..

في نيويورك

نيويورك 1895/3/10 – لم تكن مشاهدة خسوف القمر بشكل مرض في نيويورك، فلقد حجبت سحب كثيفة وضباب كالصوف الناعم ظاهرة الخسوف ولم تحصل معطيات علمية خاصة في هذا اليوم.

في ساكرا منتو

ساكرا منتو 1895/3/10 –كان خسوف القمر بالغا حد الكمال، وقد جرى الحادث من الساعة 7:45حتى الساعة 9:15، وشاهده ألوف من الناس..."

الاعتراض:

يقال أن اجتماع الخسوف والكسوف في رمضان ممكن ويتكرر، فكيف تقولون بأنه حدثٌ لم يحدث سوى مرة واحدة؟

الردّ:

القضية أن هذه الآية العظيمة لم يحتجّ بها أحد على صدق بعثته.. أما مدى حدوثها وتكرارها فهذا يحتاج بحثًا مستقلاً.. على أنه يمكن لأي عاقل أن يعرف أن هذه الظاهرة نادرة الحدوث جدا، لدرجة نكاد نقول بعدم تحققها، ذلك أنها تتضمن اجتماع ما يلي:

خسوف القمر في ليلة 13 رمضان، كسوف الشمس في يوم 28 رمضان، اجتماع الخسوف والكسوف في نفس المكان لا أن يحدث الخسوف في بلد والكسوف في بلد آخر، أن يكون الجوّ واضحا حتى يتمكن الناس من رؤية كل من الخسوف والكسوف.

فعلى فرض أن هذه الشروط كلها يمكن اجتماعها معا، فنقول: لا بأس، فالمهم أن أحدًا لم يتخذ هذه الآية دليلا على صدقه عبر التاريخ البشري. فهذه هي القضية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "الحق أنه منذ آدم إلى وقتنا الحاضر لم ينبئ أحد قط بنبوءة مثل هذه. إنها نبوءة ذات أشراط أربعة:

أولها وقوع الخسوف القمري في الليلة الأولى من ليالي الخسوف.

ثانيها وقوع الكسوف الشمسي في اليوم الأوسط من أيام الكسوف.

ثالثها اجتماع الخسوف والكسوف في شهر رمضان.

ورابعها وجود مدع بالمهدوية قابله الناس بالرفض.

فإذا ما أنكر أحد عظمة هذه النبوءة، فعليه أن يرينا نبوءة كهذه في تاريخ العالم. وما دام لن يجد لها نظيرا.. فستظل هذه أعظم النبوءات التي تندرج تحت قول الله تعالى: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ، لأن الحديث الشريف صرح بأنه لا نظير لها من عهد آدم عليه السلام". (تحفة غولروية، الخزائن الروحانية؛ ج 17، ص 136)

ويقول حضرته عليه السلام: "لا يعنينا كم من المرات وقع الخسوف والكسوف في رمضان في هذه التواريخ منذ بدء خلق السماوات والأرض حتى اليوم، ولكن غرضنا فقط أن نذكر أنه منذ خلق الإنسان على الأرض لم يقع الخسوف والكسوف آيةً إلا في زمني. أما قبلي فلم يكن لأحد فرصة كهذه فيدعي أنه المهدي الموعود من جهة، ومن جهة ثانية يحدث الخسوف والكسوف بعد دعواه في رمضان وفي التاريخ المحدد لذلك، ويعلن أن الخسوف والكسوف آيتان تؤيدان دعواه. لا يقول حديث الدارقطني قط أن الكسوف والخسوف لم يقعا من قبل، بل يعلن بوضوح أنهما لم يقعا من قبل آيةً لأحد، لأن عبارة (لم تكونا) بصيغة المؤنث تشير إلى قوله ﷺ: "آيتين"، أي أن الآيتيْن لم تقعا من قبل، ولو كان المراد أن الحدثيْن لم يقعا من قبل لاستعمل صيغة المذكر وقال: "لم يكونا". فواضح إذن بأن الإشارة إنما هي إلى الآيتين. فإذا احتج أحد بأن الخسوف والكسوف قد وقعا مرات عديدة، فإن عليه هو تقع مسؤولية أن يثبت من هو المدعي بالمهدوية الذي نادى بأن الخسوف والكسوف آيتان لتأييده، ويجب أن يكون دليله شاملا. ولا يتأتى ذلك إلا إذا أخرج لنا كتابا قد أُلِّف قبل الواقعتين، وقال فيه المدّعي: إن الخسوف والكسوف اللذَيْن وقعا في رمضان في اليومين المحددين بحسب حديث الدارقطني هما آيتان على صدقه". (چشمه معرفت (ينبوع المعرفة)، الخزائن الروحانية؛ ج 23، ص 329-330)

الاعتراض:

هذا الخسوف لم يحصل في 13 من رمضان، بل في 14، كما أن الخسوف لم يحدث في 28، بل في 29.. وهناك مقال ينقض ما تقولون.

الرد:

1: هذا المقال مسروقٌ معظمُه من مقال قديم، وقد نقضْنا أسسَه، وذلك في ثنايا الردود المختلفة.

2: كان الأول من رمضان في سنة الخسوف والكسوف يوافق 1894/3/10، وهذا بناء على رؤيا العين للقمر.. أما الحساب فلا يعنينا في تحديد بداية الشهر. فالقول إن الشهر قد بدأ في 3/9 أو في 3/8 لا قيمة له، بل القيمة لرؤية الناس في ذلك الوقت، والقيمة لحديث الرسول ﷺ: "صوموا لِرؤْيَتِه"، ولم يقل صوموا لحسابه. وقد حدث الخسوف في ليلة 13 رمضان... وليس في يوم 13 رمضان.. فالخسوف يحدث في الليل لا في النهار..

3: لذا تسقط النقطة الثانية التي ذكرها هذا المعترض لجهله، حيث ظنّ أن تاريخ 1894/4/6 لا يوافق 28 رمضان 1311 وإنما يوافق 29 رمضان 1311، فالقضية جهل منه.. وإلا فليجرِّب أن يحسبها بنفسه. ولكنه التسرُّع أو الجهل أو التزوير والتدليس كعادتهم.

1894/3/10 يوافق 1/رمضان، لذا فإن الليل في 3/21 يوافق ليلة 13/رمضان (اليوم الشمسي ينتهي في منتصف الليل، بينما اليوم القمري فينتهي عند غروب الشمس)، وأما 4/6 فيوافق 28/رمضان.

وفي السنة التالية 1895 كذلك؛ فقد حدث الخسوف في ليلة 13 والكسوف في يوم 28 رمضان.. حيث صادف الخسوف 1895/3/10 في أمريكا، الذي كان يصادف يوم 1895/3/11 في آسيا وأوروبا، أما الكسوف ففي1895/3/26.

4: أما قوله إن الخسوف يحدث في 12 من الشهر القمري، فهذا تابع لما سبقه، فهذا الوهم نتيجة قوله بالحساب لا بالرؤية. حيث إنه معلوم أن الخسوف إنما يكون في الليالي البيض (13، 14، 15). علما أنه عاد في مقاله وقال إن الخسوف لا يحدث إلا في ليلة 14.. وهذا من عجيب تناقضه.

5: أما قوله أن الكسوف يحدث في الليلة التي تسبق بداية الشهر، فهي تدل على أنه يدور في نفس النقطة، وهي الحساب، ونكرر أن الحساب لا يعنينا هنا، بل رؤية القمر بالعين هي التي تحدد بداية الشهر. أما نهايته فلا تتحدد بالخسوف ولا بالكسوف، بل برؤية هلال الشهر التالي بالعين المجردة. وهذا هو معنى حديث الرسول ﷺ: صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ فَإِنْ غُمِّيَ عَلَيْكُمُ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ (مسلم). وبهذا يُنقض كل ما قاله. فالهلال يُرى أحيانا بعد يومين من بداية الشهر.. أي أن هناك يومين فرقا بين الحساب وبين الرؤية. وأحيانا يوم واحد وأحيانا ثلاثة أيام. وهذا يشاهده الناس كل عام في اختلاف الدول في صيامها وإفطارها.

6: أما نسبة حديث الخسوف والكسوف إلى رسول الله ﷺ فهو حقّ مبين، رغم أنه منسوب إلى محمد الباقر، لأن هذه الأمور الغيبية ليست اجتهادية، فلا بد أن يكون الباقر قد سمعه من أبيه

زين العابدين الذي سمعه من أبيه الحسين والذي سمعه من عليّ عن رسول الله، وهذا معروف عند الأصوليين.

7: أما أنّ نسبة الخسوف كانت بسيطة، فمثل هذا الاعتراض لا قيمة له، ذلك أن الناس هناك رأوا خسوفا، ثم رأوا كسوفا حسب الحديث، وكَتَب المسيح الموعود عليه السلام أن هذه آية على صدقه، ولم يعترض أحد أنه لم يرَ الخسوف والكسوف، بل تحدثوا عن ضعف الحديث وعن أنه يحدث يوم القيامة، ولم يعترضوا على الحدث نفسه.

8: أما أن الخسوف والكسوف يحدث كل 23 سنة، فلم يتحدث المعترض عن دليل على هذا. ثم إننا نتحدث عن خسوف وكسوف خاص، وليس أي خسوف وكسوف.. أي عن خسوف في ليلة 13 وكسوف في 28، وأن يكونا واضحين، ويشاهَدان في نفس البلد، لا أن يحدث خسوف في بلد وكسوف في آخر. ثم والأهم من هذا كله أن يعلن مدعٍ للمهدوية أن هذه آية من آيات صدقه. فلو صحّ ما يقول -جدلا- فلا يؤثر ذلك في هذه الآية.

9: أما الذين ذكر المعترض أسماءهم (البرغواطي، والباب، وأبو منصور وأبو غفير) فلم يدّعِ أحد منهم بأن هذه الآية خاصة به، هذا على فرض أنها حدثت كما في الحديث، وعلى فرض أنه كلّا منهم قد رآها، وأن الجو كان صافيا، وأنه يعرف بهذا الحديث. ثم أين هم الآن؟ هل لدعوتهم أثر؟ هل هي تنتصر كما هي دعوة المسيح الموعود عليه السلام؟ بل إن ذِكرهم هنا دليل آخر على صدق المسيح الموعود عليه السلام.

9: أما قول ابن عربي، فقد أورده ابن خلدون في مقدمته، حيث كتب: وقال ابن العربي فيما نقل ابن أبي واصل عنه: وهذا الإمام المنتظر وهو من أهل البيت من ولد فاطمة، وظهوره يكون من بعد مضي - خ ف ج - من الهجرة، ورسم حروفًا ثلاثة يريد عددها بحساب الجمل، وهو الخاء المعجمة بواحدة من فوق ستمائة، والفاء أخت القاف بثمانين، والجيم المعجمة بواحده من أسفل ثلاثة، وذلك ستمائة وثلاث وثمانون سنة، وهي في آخر القرن السابع. ولما انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لهم على أن المراد بتلك المئة مولده، وعبر بظهوره عن مولده، وأن خروجه يكون بعد العشر والسبعمائة فإنه الإمام الناجم من ناحية المغرب." (مقدمة ابن خلدون)

يظهر أن ابن خلدون ومعاصريه فسروا نبوءة ابن عربي بشكل خاطئ، حيث إنهم لم يحسبوا حروف كلمة "هجرة" وهي في حساب الجمّل تساوي 608، واكتفوا بحساب أحرف خ ف ج، والتي تساوي 683 فقط، فلو حسبوهما معا.. أي لو أضافوا حروف "هجرة" لحروف خ ف ج،

لكان المجموع مساويًا 1291، وهو تقريبا العام الهجري الذي تلقى فيه المسيح الموعود عليه السلام أول وحي.

ولا علاقة للقضية بسنة ولادة ابن عربي ولا بسنة وفاته. فبعثة الإمام المهدي ليست مرتبطة بذلك، بل بما أُلهمه ابن عربي نفسه.

10: أما أن الحديث ضعيف السند، فهذا لا يعني شيئا، فما دام نبوءةً قد تحققت، فلا بد أن تكون من الرسول ﷺ فعلا، لا وَهْمًا.

باختصار، إن اعتراضات هذا المعترض على آية الخسوف والكسوف العظيمة تشبه اعتراض النصارى على القرآن زاعمين أن فيه أخطاء نحوية، والرد لا يستحق أكثر من سطر، وهو أنه لو كان فيه أخطاء نحوية لطار بها مشركو مكة كل مطار، فسكوتهم -وهم أهل الفصاحة والبلاغة- ينقض هذا الاعتراض. كما أنه يشبه الاعتراض على الزواج بعائشة رضي الله عنها لصغر سنها، إذ لو كان سنها كما يُشاع، لاعترض كفار مكة، فسكوتهم يعني أنها كانت في سنّ الزواج المعروف في ذلك الزمان.

الاعتراض:

في رواية "الدار قطني" -التي تعتبرونها علامة على ظهور المهدي- يقول: ينكسف القمر لأوّل ليلة من رمضان. فلماذا تعتبرون كسوف (خسوف) القمر في 13 رمضان – وليس في أول ليلة من رمضان- هو مصداق هذه الرواية؟

الردّ:

إن القمر في أوائل الشهر القمري لا يُسمّى قمرًا، إنما يُسمّى هلالاً، وحاشى لرسول الله ﷺ أن يُخطئ في ذلك.

وفي هذا يقول المسيح الموعود عليه السلام في كتابه "نور الحق":

"وذكَر بعض المتأخّرين أن القمر ينخسف في الثالث عشر من ليلة رمضان، والشمس في السابع والعشرين، ولا منافاة بينه وبين ما روى الدارقطني إلا قليلا عند المتفكرين. فإن عبارة الدارقطني تدل بدلالةٍ صريحة وقرينة واضحة صحيحة، على أن خسوف القمر لا يكون في أول ليلة رمضان أصلاً، ولا سبيل إليه جزمًا وقطعًا، فإن عبارته مقيّدة بلفظ القمر، ولا يُطلق اسم القمر على هذا النَّيِّر إلا بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر، وسُمّي قمرًا في تلك الأيام لبياضه التام، وقبل الثلاث هلال وليس فيه مقال، وهذا أمر... ويقول عليه السلام هنا في حاشية:

قال صاحب تاج العروس: يُسمى القمر لليلتين مِن أوّل الشهر هلالا. وفي الصحاح: القمر بعد ثلاث إلى آخر الشهر. وقال بعضهم الهلال إلى سبع. وقال أبو إسحاق: والذي عندي وما عليه الأكثر أن يُسمّى هلالا ابن ليلتين، فإنه في الثالثة يتبين ضوؤه.

... اتفق عليه العرب كلُّهم وجُلُّهم إلى هذا الزمان، وما خالفه أحد من أهل اللسان، ولا ينكره إلا مَن فُقدت بصيرته وماتت معرفته، ولا يخرج كلمةٌ خلاف ذلك مِن فم إلا مِن فمِ غَمْرٍ جاهل، أو ذي غِمْر متجاهل، ولا تسمعها من أفواه العاقلين. فإن كنت في شك فارجع إلى القاموس وتاج العروس والصحاح وكتاب ضخيم المسمى لسان العرب، وجميع كتب اللغة والأدب، وأشعار الشعراء وقصائد النبغاء، ولك منّا ألف من الورق المروّج إنعامًا إن تُثبت خلاف ذلك كلامًا. فلا تُحرِّفْ كلام سيد الأنبياء وإمام البلغاء والفصحاء، واتق الله يا مسكين، ولا تجترئ في شأن أفصَحِ العجم والعرب ومقبول الشرق والغرب. أيفتي قلبُك ويرضى سِرْبُك بأن الأعرف الأفصح الذي أُعْطيَ له الجوامع والكلام الجامع، وجُعلتْ كلماته كلها مملوّة من غُرَرِ الفصاحة ودُرَرِ البلاغة والنوادر العربية، واللطائف الأدبية، واللبوب اللغوية، والحقائق الحِكْمية، هو يُبتلَى بهذا العثار، ويترك جزل اللفظ ويختار رقيقًا سَقْطًا غلطًا غير المختار، بل يخالف مُسلَّماتِ القوم ومقبولاتِ بُلغاء الديار، ويصير ضحكةَ الضاحكين؟ ووالله ما يصدر هذا الخطأ المبين والعثار المهين، مِن فطنةٍ خامدة ورويّة ناضبة، فكيف يصدر مِن فارسِ ذلك الميدان، بل سيّد الفرسان؟ ما لكم لا تنظرون عزةَ الله ورسوله يا معشر المجترئين؟ أبُخْلُكم أحبُّ إليكم وأعزُّ لديكم مِن خاتم النبيين؟ ألا تعرفون أن هذا اللفظ في هذا المحل منكَرٌ مجهول لا يُعرَف استعماله في كلمات أهل اللسان، وما أورده قطّ بليغ ولا غير بليغ في موارد البيان، وما أخذه عند اضطرارٍ غبيٌّ حاطبُ ليل، فكيف سلطانُ الفصاحة وسيّدُ خَيلٍ؟ وقد سُبِرَ بذلك غورُ عقلكم ومقدار نقلكم ومبلغ علمكم وفضلكم وحقيقة أدبكم وحديقة حَدَبِكم، فإنكم عزَوتم إلى سيد الأنبياء ما لا تُعزى إلى جهول من الجهلاء، تكاد السماوات تنشقّ من هذا الاجتراء، فاتقوا الله ذا الكبرياء....

فالتأويل الصحيح والمعنى الحق الصريح أن المراد من خسوفِ أوّلِ ليلةِ رمضان أن ينخسف القمر في ليلة أولى من ليال ثلاثٍ يكمُل نور القمر فيها وتُعرَف أيّام البِيض، ولا حاجة إلى البيان."

الاعتراض:

(إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله . عز وجل . لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة) رواه البخاري. وهذا ينقض آية الخسوف والكسوف التي تدّعونها.

الردّ:

لا ريب أنَّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، كما في الحديث الصحيح، بيد أنَّ الله تعالى شاء أنْ يربط بعثة المهدي بظهور هذه العلامة، التي قدّر لوجودها حتى تكون حجة دامغة، حيث لا يقدر بشر أنْ يتحكم بها. ومن ثم فإنَّ حديث الرسول صلى الله عليه وسلَّم (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاته) لا يعني سوى أنَّ الشمس والقمر يجريان بحسبان، ولن تختل حركتهما إذا مات أحد، أو عاش. بينما لا يتطرق الحديث إلى إمكانية أنْ يقدر الله اجتماع كسوف وخسوف في شهر رمضان ليكون علامة على ظهور المهدي.

وبالتالي فلا تعارض بين الأحاديث هذه كلها، فهي صحيحة.

الاعتراض:

كيف يمكن التأكد من أن مؤسس الجماعة قد علّمه الله اللغة العربية بشكل إعجازي؟ وما دليل عدم إجادة اللغة العربية قبل تحققها.

الردّ:

معلوم أن لغة التخاطب والتعلم والمعاملات والكتابة في الهند لم تكن العربية، بل الأوردية. وليس خافيا أن المسيح الموعود عليه السلام لم يكن يعرف من العربية إلا معلومات بسيطة، كتلك التي يتعلمها أي مسلم عادي؛ من قراءة القرآن ومن قراءة عادية لا تُنتج كاتبا.

ورغم أنه كان في الهند ولا يزال مدارس تعلّم الفقه والشريعة واللغة العربية، إلا أن المسيح الموعود عليه السلام لم يدرس في أي منها.

ولما أعلن حضرته عن دعوته، ودعا الناس إلى بيعته، وأخبرهم بأن الله قد اصطفاه ليكون الإمام المهدي المعهود، وجعله المسيح الموعود، راح يدعو القاصي والداني، ويكتب الكتب وينشر المقالات، فإذا بالمشايخ المتعصبين، وعلماء زمانه من الأدباء والحاذقين، أخذوا يُعيّرونه بعدم قدرته على سبر أغوار اللغة العربية، فالإمام المهدي لم يكن بالفعل من علماء اللغة العربية، فلم يكن له أن يرد على انتقادات مُخالفيه، ولا أن يُجادل الأدباء والبلغاء من بين مُعارضيه. ولم يكن له من ملجأ يلجأ إليه سوى الله تعالى، الذي خلقه وهو أعلم بحاله وحاجته، وهو العليم الحكيم الذي يؤتي علمه من يشاء، ويهب الحكمة لمن أراد. فألقى بنفسه بين يدي خالقه، وراح يدعو منعمه وكافله ورازقه، وأخذ يتوسل إلى مولاه وحِبِّه وبارئه، أن يؤتيه علوم هذه اللغة العربية، ويجعله أبلغ من كل بلغاء عصره، وأوحد أدباء زمانه.

واستجاب الله تعالى لتضرّعاته، وسمع لكل توسّلاته، حتى صار بفضل ربه كما أراد أن يكون نابغة الأدباء، وإمام البلغاء.

ولما تحقق وعد رسول الله ﷺ، كتب هو يصف تلك المعجزة التي أنعم بها الله عليه فقال:

"ومن آياتي أنه تعالى وهب لي ملكة خارقة للعادة في اللسان العربية، ليكون آية عند أهل الفكر والفطنة. والسبب في ذلك أني كنت لا أعلم العربية إلاّ طفيفا لا تُسمّى العلمية، فطفق العلماء يقعضون ويكسرون عود خبري ومخبرتي، ويتزرّون على علمي ومعرفتي، ليُبرّئن العامة مني ومن سلسلتي. وشهروا من عندهم أن هذا الرجل لا يعلم صيغة من هذه اللسان، ولا يملك قراضة من هذا العقيان. فسألت الله أن يُكمّلني في هذه اللهجة، ويجعلني واحد الدّهر في مناهج البلاغة. وألححت عليه بالابتهال والضراعة، وكثر إطراحي بين يدي حضرة العزّة، وتوالى سؤالي بجهد العزيمة، وصدق الهمة، وإخلاص المهجة. فأُجيب الدعاء، وأُتيتُ ما كنتُ أشاء، وفُتِحت لي أبواب نوادر العربية، واللطائف الأدبية، حتى أمليتُ فيها رسائل مبتكرة، وكتبا محبّرة، ثم عرضتها على العلماء، وقلت يا حزب الفضلاء والأدباء.. إنكم حسبتموني أُمّيًّا ومن الجهلاء، والأمر كان كذلك لولا التأييد من حضرة الكبرياء، فالآن أُيّدتُ من الحضرة، وعلّمني ربّي من لدنه بالفضل والرحمة، فأصبحت أديبا ومن المتفرّدين. وألّفتُ رسائل في حُلل البلاغة والفصاحة، وهذه آية من ربي لأولي الألباب والنصفة، وعليكم حُجّة الله ذي الجلال والعزّة. فإن كنتم من المرتابين في صدقي وكمال لساني، والمتشككين في حسن بياني وتبياني، ولا تؤمنون بآيتي هذه وتحسبونها هذياني، وتزعمون أني في قولي هذا من الكاذبين.. فأتوا بكتاب من مثلها إن كنتم صادقين. وإن كان الحق عندكم كما أنّكم تزعمون، فسيُبدي الله عزّتكم ولا تُغلبون ولا ترجعون كالخاسرين. فلا يُعاتبكم بعده مُعاتب، ولا يزدريكم مُخاطب، ويستيقن الناس أنكم من الأمناء ومن الصالحين. وإن كنتم لا تقدرون عليه لقلة العلم والدّهاء، فانهضوا وادعوا مشهورين منكم بالتكلم والإملاء، والمعروفين من الأدباء. وإني عرضت عليكم أمرا فيه عزة الصادق وذلّة الكاذب، وسينال الكاذبين خزيٌ ونصبٌ من العذاب اللازب، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

فما كان لهم أن يأتوا بمثل كلامي، أو يتوبوا بعد إفحامي، وظهرت على وجوههم سواد وقحول، وضمر وذبول، وغشيهم حين وإحجام، وجهلوا كل ما صلفوا ولم يبق لهم كلام. وجاءني حزب منهم تائبين، وكثير حق عليهم ما قال خاتم النبيين، عليه الصلاة والتحيات من رب العالمين. ثم اعلموا يا حزب السامعين.. إن هذه آية استفدته من روحانية خير المرسلين بإذن الله رب العالمين." (نجم الهدى، الخزائن الروحانية؛ ج14، ص 107-113)

ثم يقول في موضع آخر:

"وإن كمالي في اللسان العربي، مع قلة جهدي وقصور طلبي، آية واضحة من ربي، ليُظهر على الناس علمي وأدبي. فهل من معارض في جموع المخالفين؟ وإني مع ذلك عُلّمت أربعين ألفا من اللغات العربية، وأُعطيتُ بسطة كاملة في العلوم الأدبية، مع اعتلالي في أكثر الأوقات، وقلّة الفترات، وهذا فضل ربّي أنه جعلني أبرع من بني الفُرات، وجعلني أعذب بيانا من الماء الفرات. وكما جعلني من الهادين المهديين، جعلني أفصح المتكلمين. فكم من مُلَحٍ أُعطِيتُها، وكم من عذراء عُلّمتُها، فمن كان من لسن العلماء، وحوى حسن البيان كالأدباء، فإني أستعرضه لو كان من المعارضين المنكرين.

وقد فُقت في النظم والنثر، وأُعطيت فيها نورًا كضوء الفجر، وما هذا فعل العبد، إنْ هذا إلاّ آية رب العالمين. فمن أبى بعد ذلك وانزوى، وما بارزني وما انبرى، فقد شهد على صدقي ولو كتم الشهادة وأخفى." (مكتوب أحمد، ص 89-90)

ولكن المعارضين والمخالفين الذين رانت على قلوبهم العماية، لم يشهدوا ويُقرّوا بعظمة شأن هذه الآية، وراحوا يشيعون بين العوام والناس، ويوسوسون لهم كما يفعل الوسواس الخنّاس، أن كتابات المسيح الموعود عليه السلام في اللغة العربية، لا ترقى إلى مستوى الكتابات الأدبية.. ولكنهم لم ينفوا أن يكون هو قائلها. فتحدّاهم أن يُناضلوه في هذا المضمار، أو يُنازعوه في الكتابة والحوار، ودعاهم أن يكتبوا بإزائه ويكتب هو أمامهم، حتى يتجلى صدقه ويظهر كذب دعواهم. وفي ذلك كتب يقول:

".... يا حسرة على الذين يذكرونني بإنكار، لِمَ لا يأتونني في مضمار، يشهقون في مكانهم كحمار، ولا يخرجون كمُمار. إن هم إلاّ كعودٍ ما له ثمر، أو كنخل ليس عليه تمر، ثم مع ذلك يخدعون الجاهلين. إن هم إلاّ كدارٍ خربة، أو جُدرانٍ منقضّة، يُعَلّمون الناس ما لا يعملون، ويقولون ما لا يفعلون. خَبَت نارُهم، وتوارى أُوَارُهم، وختم الله على قلوبهم، وأبادهم بعد شحوبهم، فتراهم كأموات غير أحياء ساقطين." (المرجع السابق: ص 235- 236)

فلما وخزهم التحدّي، وخافوا من السقوط والتردّي، وعلموا أنهم ليسوا سادة هذا المضمار، ولا أمن لهم من الفضيحة والعار، ولا نجاة لهم من السقوط والعثار، راحوا يزعمون ويروّجون أن ما يكتبه الإمام المهدي ليس من تأليفه وخط قلمه، ولا هو من ثمار فضله وأدبه وعلمه، بل إن بعض العرب والشاميين هم الذين كانوا يكتبون له هذه الصحف المزوّقة، وهم الذين كانوا يُملون عليه تلك العبارات المنمّقة، ولا طَوْلَ لهم بمجاراة العرب في الإنشاء، ولا سبيل لهم للتفوق على الشاميين في الإملاء. وهكذا أقرّوا من حيث لا يدرون بعظمة شأن كتابات الإمام المهدي العربية،

واعترفوا بسمو أساليبه الأدبية، وفي ذلك يقول الإمام المهدي عليه السلام:

"…. ثم من اعتراضات العلماء وشبهاتهم التي أشاعوها في الجهلاء، أنهم قالوا إن هذا الرجل لا يعلم شيئا من العربية، بل لا حظّ له من الفارسية، فضلا من دخله في أساليب هذه اللهجة، ومع ذلك مدحوا أنفسهم وقالوا إنّا نحن من العلماء المتبحّرين. وقالوا إنه كل ما كتب في اللسان العربية من العبارات المحبّرة، والقصائد المبتكرة، فليس خاطره أبا عذرها، ولا قريحته صدف لآليها ودُررها، بل ألّفها رجل من الشاميين، وأخذ عليه كثيرًا من المال كالمستأجرين، فليكتب الآن بعد ذهابه إن كان من الصادقين.

فيا حسرة عليهم! إنهم لا يستيقظون من نُعاس الارتياب، ولا يُسرحون النواظر في نواضر الصدق والصواب، ولا ينتهجون مهجة المنصفين. وتركوا الله لأشاوي حقيرة، وأهواء صغيرة، فإلامَ يعيشون كالمتنعّمين؟ يُصأصئون كما يُصأصئُ الجرو ولا يستبصرون، ويُضاهي بعضهم بعضا في الجهل فهم متشابهون. وإذا قيل لهم تعالوا إلى حقٍ ظهر، وقمرٍ بهر، فتشمئز قلوبهم ويهربون مستنفرين. أولئك الذين هتك الله أسرارهم، وكدّر أنظارهم، فتراهم كالعمين. يريدون أن يُفسدوا في الأرض عند إصلاحها وجزّءوا الأمانة والدين.

أتنفعهم أقوالهم إذا سُئل ما أفعالهم؟ أو يفيدهم إفنادهم إذا ظهر فسادهم؟ أو يُبرّءون مع كونهم من الفاسقين؟ لا يتّقون عالِمَ سريرتهم، ولا ينتهون عن صغيرتهم ولا كبيرتهم، ويعثون في الأرض معتدين. يتركون أوامر الله ولا يكترثون، ويتبعون زهوَهم ولا يُبالون، ويسعون إلى السيئات ولا ينتهون. أيظنون أنهم يُتركون في الدنيا ولذّاتها، ولا يُقادون إلى الحاقّة ومُجازاتها، ولا يُؤخذون كالمفسدين؟ أيحسبون أنهم ليسوا بمرآى رقيبهم، ولا بمشهد حسيبهم، ألا يعلم الله ما يجترحون كالخائنين؟

يلجون غابة الشيطان، ويذرون حديقة الرحمن، ويمرّون بالحق مستهزئين. وإذا قيل لهم اقبلوا الحق كما قبل العلماء، وأتوني كما أتى الأتقياء، صعّروا خدودهم كالمستكبرين. وقالوا لولا ألّف بعد الشامي كتابًا، إن كان صادقًا لا كذابًا، فليأتنا الآن بكتاب بعده إن كان من المؤلّفين.

فجئنا الآن لنؤتيهم نظيرها، بل كبيرها، والله موهن كيد الكاذبين. وقد ألّفنا هذه الرسالة، ورتّبناها كما رتّبنا الرسائل السابقة لندحض حجتهم، ونقطع أرومتهم، ونمزّق معاذير المبطلين. وإن هذا مني في العربية كآخر الكتب، وأودعتها من مُلَحِ الأدب، والأشعار النخب، ليكون صاتا لدفع صخب الصاخبين، ولنهدم دار المفترين من بنيانها، وندوس جيفة وجودهم في مكانها، ولنلطم على وجوه المجترئين." (المصدر السابق؛ ص231-234)

وهكذا كان تحدّي الإمام المهدي ﷺ لاذعًا واضحًا، ولكن هروب المخالفين وسكوتهم كان عملاً فاضحًا. فأرسل الإمام المهدي إلى كلٍّ من مخالفيه الذين كانوا يدّعون الأدب والبلاغة، ويتفاخرون بأمور الفصاحة وشؤون الصياغة، فكتب يقول:

"…. وكان في هذه الديار تسعة رهط من الأشرار، وكانوا مفسدين في الأرض ولا ينتهجون مهجّة الخيار، وما كانوا صالحين. ووجدتهم في الكبرياء والإباء، كالجملة المتناسبة الأجزاء، أو كأمراض متشابهة في الخبث والإيذاء، ورأيت كلهم من المعادين المعتدين.

فمنهم رجل أمرتسري يُقال له "الرّسل البابا"، إنه امرؤ لا يعرف صدقا ولا صوابا، وكذب بآياتنا كِذابا. وخالطه زمر من السفهاء، فقعدوا بحذاء شمس كالحرباء، وقالوا إنّا نريد أن نُعارضك كالأدباء، ولكنّا لا نجيئك كما تريد، بل آتنا كالغرباء، وإذا جئت فنبارز كالمعارضين." (المرجع السابق؛ ص236)

وهكذا أرادت تلك المجموعة من العلماء برئاسة "الرسل البابا" أن تتحدى الإمام المهدي ﷺ، وهم يعلمون مُسبّقًا أن العلماء الكبار لا يذهبون إلى من يتحداهم، بل على المتحدي أن يأتي صاغرا إلى مجلسهم ومنتداهم. فكانوا يتوقّعون أن يأنف الإمام المهدي من الذهاب إليهم في عقر دارهم كما أنهم يأنفون، وبذلك يقولون إننا تحدّيناه وهو الذي رفض التحدّي، وهرب من ساحتنا وخاف من التصدّي. ولكن الإمام المهدي كتب يقول:

"فعفتُ المسعَى في أوّل نظري إلى الجهلاء، وأخذتني أنَفَة أن أحضر مجلس الحمقاء، ثم رأيت أن لا تعنيف، على من يأتي الكنيف، فقبلتُ كل ما قالوا، وملتُ إلى ما مالوا، وكتبت إليهم أني أقبل أن أكتب مناضلًا في ندوتكم، فعليكم أن تكتبوا مثل ما أكتب أمام مُقلتكم، أو أسمعوني ما أكتب كما زعمتم كمال درايتكم، فصمتوا وسكتوا كأنهم من الميتين." (المرجع السابق، ص236-237)

وهكذا كانت مفاجأة عُمرهم.. أن الإمام المهدي ﷺ قد قبلَ أن يذهب إليهم في مجلسهم، ويُناضلهم في مكان ندوتهم، ثم تحدّاهم أن يكتبوا أمامه كما يكتب هو أمام أعينهم، فإن أبوا ذلك فعليهم على الأقل أن يقرأوا أمام الملأ من الحاضرين ما يكتبه هو، ويُسمعوه كما يُسمعوا المشاهدين ما خطّه بقلمه أمام نواظرهم، بدون أن يُخطئوا في القراءات، وبغير أن يغلطوا في نطق الكلمات. ولكنهم كانوا يعلمون أنهم كاذبون، وأنهم في الباطل سادرون، وللحق كارهون، وأنهم حتما في النضال مخذولون. وقال الإمام المهدي ﷺ:

"وقد أُشيع بعده الاشتهار، وأُفشي الأخبار، وأمضضناهم وأحفظناهم فصمتوا كرجل ألثغ،

وسكتوا كالذي على تُرب الهوان مرّغ، فانقلبنا عنهم كالمنصورين. فيا حسرة على الرسل البابا! إنه ما خاف ربًّا توّابا، ورأى ذُلاّ وتبابا، وإنه شبّ نارا، ثم أخمدها خوفا واضطرارا، وجال في شجون، ثم خاف مخلب منون، ونسى كل مجون، ومع ذلك ما ترك سير المتكبرين." (المرجع السابق، ص237)

ثم يُتابع الإمام المهدي ﷺ ذكر العلماء الذين كانوا يتطاولون عليه، ثم بعد أن طفق يكتب الكتب البليغة المليئة بالمعاني.. زعموا بعد ذلك أن الشاميين والعرب هم الذين يكتبون له الكتب والقصائد والأشعار، فكتب يقول:

"ومن التسعة الذين أشرتُ إليهم رُجَيْل يقال له "أصغر"، وإنه يزعم في نفسه كأنه أكبر، ويزدريني مفتريا من غير استحياء، ويسبّني في محافل وأملاء، فستعلم كيف يُجعل من الأصغرين. إنه يتّبع الهوى، ولا يجرى طلقًا مع التقوى، يريد أن يفضّ ختوم الشهوات ولو بالجنايات، ويجتني قطوف اللذّات ولو بالمحرّمات، وكذلك تأهّبت له الرفاق، وازداد من المنافقين النفاق، واستحكم في الطباع الذميمة، حتى سبق إخوانه في النميمة، وَمَا أرى مَدحرة لشيطانه، إلاّ أن أدعوه لامتحانه، فأُقبلُ عليه إقبال الطالب المناضل، ليتبين أمر الجاهل والفاضل، وإنه كان يطلبني لوغاه، فاليوم نرضيه بما يهواه، وقد خاطبته من قبل ذات العويم، لأُزيل ما علا قلبه كالغيم، فقلت آتني كالرائد، وتمتع من الموائد، فإن كنت رأيناك كسحاب مطير، أو ثبت معك من البلاغة كمير، فنؤمن بك وبحسن بيانك، ونشيع صفات علو شانك، فيسوغ لك بعده أن تغلطنا في إملائنا، وتأخذ أغلاط إنشائنا، كما أنت تظن كالجاهلين الغافلين. ومع ذلك نحسبك أنك ذو مقول جريّ، ونابغة كلام عربيّ، ويجوز لك ما لا يجوز لغيرك من ازدراء، والطعن على إملاء، وتُحمد عند الناس كالفاضلين المؤدبين.

وأما طراز ازدرائك، قبل إثبات علمك وعلائك، فما هذا إلاّ لبوس سفيه يترك الحياء، وعادة ضرير لا يرى الأضواء، فيحسب النهار المنير ظلاما، والوابل جهاما. وإن كنت من رجال هذا المضمار، ووليجة أهل هذه الدار، فَأَرِنا كمال إنشائك قبل ازدرائك، وَأْتِ بكتاب كمثل هذا الكتاب، ثم اجعل بيني وبينك حَكَمًا أحدًا من أُولي الألباب. فإن شهد الحكم على كمالك، وحسن مقالك، وظنّ أنّك جئت بأحسن من كلامي، وأريت نظاما أجمل من نظامي، فلك من بعد أن تتخذ جدّي عبثا، وتجعل تبري خبثا، وأن تحسب درّي الغُرّ كليلٍ دامس، وبياني الواضح كطريق طامس، وتشيع عثاري في العالمين. وإن لم تفعل.. ولن تفعل.. فاتّق لعن اللاعنين." (المصدر السابق، ص238-240)

".... ومن المعترضين المذكورين، شيخ ضال بطالويّ، وجار غويّ، يُقال له "محمد حُسَيْن"، وقد سبق الكلَّ في الكذب والمَيْن. وإنه أبى واستكبر، وأشاع الكبر وأظهر، حتى قيل إنه إمام المستكبرين، ورئيس المعتدين، ورأس الغاوين. هو الذي كفرني قبل أن يُكفر الآخرون، واعترض على كتبي وأظهر جهله المكنون. فقال إن تلك الكتب مشحونة من الأغلاط، وساقطة في وحل الانحطاط، وليست كماء معين، وإن هذا الرجل من الجاهلين. وكل ما يوجد في كتبه من مُلَحها وقيافيها، فليس قريحته حجر أثافيها، بل تلك كلم خرجت من أقلام الآخرين.

فقلت يا شيخ النوكَى، وعدوّ العقل والنُهَى، إن كتبي مبرَّأة مما زعمتَ، ومنَزّهة عما ظننتَ، إلاّ سهو الكاتبين، أو زيغ القلم بتغافل مني لا كجهل الجاهلين. فإن قدرتَ أن تُثبتَ فيها عثارًا، فخذ مني بحذاء كل لفظ غلط دينارًا، واجمع صريفًا ونُضارًا، وكن من المتمَوّلين. وهذا صلة تلائم هواك، وتقر به عيناك، وتستريح به رجلاك، فتنجو من السفر الدائم، ولا تتيه كالشحّاذ الهائم، وتقعد كالمتنعّمين. وتَغْنَى به عن جعائل أخرى، ومكائد شتّى، وإشاعة عدوّ السُنّة، ووعظ الدّجل والفرية، وتعيش كالمستريحين.

بيد أني أريد أن أرى قبله ريّا فصاحتك، وأشاهد ريح بلاغتك، لأفهم أنك من علماء هذه الصناعة، ومن أهل تلك الصَّوْلة، ولست من الجاهلين المحجوبين العمين....

ووالله إني أستيقن أنه لا يقدر على إملاء سطر أو سطرين، وكل ما يقول يقول من المين، بل لا أظن أنه يقدر على فهم مقالي، ويُبيّن في المجلس فحواء أقوالي، وإنه من الكاذبين....

وإني أُيّدتُ من الله القدير، وأُعطيتُ عجائب من فضله الكثير. ومن آياته أنه عَلّمني لسانًا عربية، وأعطاني نِكاتًا أدبية، وفضلني على العالمين المعاصرين. فإن كنتَ في شك من آيتي، وتحسب نفسك حُدَيّ بلاغتي، فتحام القال والقيل، واكتب بحذائي الكثير أو القليل. وجدّد التحقيق ودع ما فات، وبارز في موطن وعيّن له الميقات، وعليَّ وعليك أن نحضر يوم الميقات بالرأس والعَين، ونناضل في الإملاء كالخصمَين. فإن زدتَ في البلاغة وحسن الأداء، وجئتَ بكلام يسر قلوب الأدباء، فأتوب على يدك من كل ما ادّعيتُ، وأحرق كل كتاب أشعتُه أو أخضيتُ، ووالله إني أفعل كذلك فانظر إني أقسمتُ وآليتُ. فارحم الأمة المرحومة، وعالج الفتن المعلومة، فإن الفتن كثرت، والآفات ظهرت، وكُفّر فوج من المسلمين من غير حق، والألسن فيهم طالت، فقم رحمك الله ولا تقعد كالمنافقين.

ألا تستيقن أنك من العلماء الراسخين، والأدباء القادرين؟ ثم مع هذا تعلم أن الله مؤيّد الصادقين، ومخزي الكاذبين، والله مولى أهل الحق ولا مولى للمفترين. وإن لم تقدر على المقابلة،

ولم تقم للمناضلة، فرضيتُ بأن تُسمعني ما أكتب من العبارات الأنيقة، والجمل الرشيقة، وكفاني لو فُزتَ بهذه الطريقة، وأظهرتَ ما قلتُ على الحاضرين.

ولكني جرّبتك مذ أعوام، إنك لا تقوم في مقام، ولا تريد قطع خصام، وتَنْحَت في آخر الأمر حيَلًا واهية، ومعاذير منسوجة كاذبة، وتفر كالمحتالين. فعليك أن لا تحتال كأيام سابقة، وتحضر على الميقات في رياغة مقررة، فإن كنتَ غالبا وفاء أمرك إلى غلبة ورشاد، فأخفض لك جناح انقياد، وأتوب على يديك باعتقاد، كالذي قفل من ضلال إلى سداد. فألْفِتُ اليوم وجهي إليك يا أبا المراء، وإلى إخوانك من العلماء، وأدعوكم إلى مأدبتي الجفلا، وأُبلّغ دعوتي إلى أهل الحضارة والفلا، فعليكم أن لا تُعرِضوا عن هذه الدعوة، كما أبيتم ذات مرة في الأيام السابقة، فإن هذا يقضي بين الصادقين والكاذبين، وتتجلّى منه آية ربّ العالمين، وتستبين سبيل المجرمين.

بيد أني لا أظن أن تحضروا لفصل هذه القضية، والرجاء منقطع منك ومن أمثالك في هذه الخطّة، فكأني أستنْزل العصم من المعاقل، أو أطلب الولد من الثاكل، أو أستقري الدهن من الحديد، أو أبغي الطيب من الصديد، وأرى أني أرجع إليكم كالخاطئين، وأُضيّع وقتي في سؤالي من المحرومين. وإني لم أفعل ذلك لو لم يكن مقصدي إتمام الحجة، وإظهار الحق على الخاصّة والعامّة. وإني أدعوكم أوّلاً إلى المباهلة، فإن لم تقبلوا فأدعوكم إلى أن يجيئني أحدٌ منكم لرؤية آيتي ويلبث عندي إلى السنة الكاملة، وإن لم تقبلوا فأدعوكم إلى المناضلة في العربية، بالشريطة المذكورة والآتية، وإن لم تستطيعوا فُرادى فُرادى، فما أُضَيِّق الأمر على من عادَى، بل آذَن لكم أن يجلس بعضكم بالبعض كالناصرين." (المرجع السابق، ص241-250)

وهكذا كان التحدّي واضحًا بلا مراء، وظاهرًا جليًّا بغير خفاء، لكل العلماء المعارضين والمخالفين من الأدباء، ولكنهم فرّوا من المناضلة والمحاورة، كما يفر الظبي الرعديد من القسورة، فتحقق بذلك وعد رب العالمين، لعباده المؤمنين والمرسلين. إنه سبحانه هو الذي ينصر الصادقين، ويُعز أهل الحق من المتقين، ويهزم أهل الباطل من المفترين، ويخزي الكاذبين الملعونين. ولقد سبقت كلمته لعباده الأبرار، وأصفيائه الأطهار، أن لهم دائما الغلبة والفوز والانتصار، ولأعدائهم الهزيمة والخسار والاندحار، والفشل والتباب والتبار، والمهانة والخزي والانكسار، والذلّ واللعنة والاحتقار، وللكاذبين دائما عقبى النار. فسبحان الذي أوفى وعده، ونصر بفضله عبده، وهزم أحزاب العلماء المستكبرين وحده. وطوبى لمن رأى آيات رب العالمين، وسارع إلى قبول الحق المبين، ودخل في زمرة جماعة الصادقين المخلصين.

لم يكن الأمر مجرد التفوق في البلاغة والبيان، ولكن الأهم هو الإحاطة بعلوم القرآن، والتفاضل في الخبرة بدروب الحكمة ومسالك العرفان، فإن التفسير الصحيح للقرآن أمر لا يعطيه الله تعالى إلاّ لمن زكّى نفسه وطهرها وكان من الصادقين المطهرين، فقد قال تعالى عن القرآن الكريم إنه في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. ولذلك تحدّى المسيح الموعود عليه السلام جميع المخالفين والمعارضين، من الأدباء والعلماء والمولويين، أن يكتبوا تفسيرا لسورة الفاتحة، وهي سبع آيات، في سبعين يوما. وذكر المسيح الموعود عليه السلام أن العلماء يستطيعون أن يساعدوا بعضهم البعض في هذا المجال، ولهم أن يستعينوا بالعلماء والأدباء العرب إذا شاءوا، ولكنه أكّد على أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بتفسير مثل تفسيره بأية حال، وأنهم سوف ينهزمون جميعا في هذا النضال. (السيرة المطهرة، بتصرف).

الخطبة الإلهامية دليل آخر على تعلم العربية:

ومن الأدلة المرتبطة بتعلم اللغة العربية بشكل إعجازي الخطبة الإلهامية، وفيما يلي أورد رواية الراوي المنشي ظفر أحمد الكبورتهلوي حيث يقول:

كتبَ المسيح الموعود عليه السلام رسالةً إلى الخليفة الأول في الصباح الباكر يوم عرفة -وكان الخليفة الأول موجودا في قاديان أيضا- قال فيها: اليوم وبجزء من الليل سوف أقضي بالدعاء لنفسي ولأحبابي، فاذكر لي أسماء الموجودين وأماكنهم لأدعو لهم. وكانوا قد جاءوا يصلون العيد وراء حضرته.

فكتب حضرة الخليفة الأول (المولوي نور الدين) الأسماءَ في قائمة وبعثها له.

وجُمعت صلاة المغرب والعشاء في ليلة عرفة تلك، وقال بعدها المسيح الموعود عليه السلام: عاهدتُ الله تعالى أن أقضي اليوم في الدعاء، لذا سأذهب كي لا أخلف العهد. وفي صباح العيد دخل المولوي عبد الكريم السيالكوتي على المسيح في بيته ليلتمس منه أن يخطب اليوم. فقال حضرته لقد أمرني الله نفسه بذلك، ثم تابع يقول: لقد تلقيت إلهاما البارحة يقول الله فيه: اخطب بضع جمل عربية في الجَمْع. وكنت أظن أنه جمْع آخر، ولعله هذا الجمع. وهذه خطبة العيد، فعندما استعد المسيح الموعود عليه السلام لإلقاء الخطبة أمر المولوي عبد الكريم السيالكوتي والمولوي نور الدين أن يقتربا منه لكتابة الخطبة. وعندما تجهز المولوي عبد الكريم والمولوي نور الدين بدأ المسيح الموعود عليه السلام خطبته بقوله: يا عباد الله وأثناء الخطبة قال لهما: اكتبا الآن وإلا فإن هذه الكلمات سأنساها وستضيع. وعندما أنهى المسيح الموعود عليه السلام الخطبة وجلس، طلب معظم الإخوة من عبد الكريم صاحب أن يقف ويقرأ ترجمتها. وقبل أن يقرأ الترجمة قال المسيح: لقد جُعلت هذه الخطبة علامة

على استجابة الأدعية التي قمت بها يوم عرفة وليلة العيد. أي أنني لو تمكنت من إلقاء هذه الخطبة ارتجالا فتُعتبر تلك الأدعية كلها مستجابة. والحمد لله أنه تعالى قد استجاب كل تلك الأدعية بحسب وعده.

ثم يقول الراوي: وبينما كان المولوي عبد الكريم يقرأ الترجمة، خرّ المسيح الموعود عليه السلام من فرط الحماس ساجدا، فسجد معه الحضور جميعا سجدة شكر. ولما رفع المسيح الموعود عليه السلام رأسه من السجود قال: لقد رأيت للتو كلمة (مبارك) مكتوبة بالحبر الأحمر. وكأن هذا آية على الاستجابة. (الملفوظات؛ ج2، ص29-31)

ويقول الراوي المنشي ظفر أحمد الكبورتهلوي:

بدأ حضرته إلقاء الخطبة العربية ارتجالا بكلمات: يا عباد الله، ولم يلقِ منها إلا بضعة جمل حتى استولى على الحضور -الذين كان عددهم حوالي مائتي شخص- حالة من الوجد.. كانوا مستغرقين في الإصغاء إلى خطبته استغراقا لا يوصَف، وكان مما يدل على تأثير إعجازي للخطبة أن الجميع كانوا ينصتون إليها مع أنه لم يعلم منهم العربية إلا بضعة أشخاص. (روايات الصحابة؛ ج 13، ص385-386. وتاريخ الأحمدية؛ ج 3، ص92)

ويقول الراوي نفسه أيضا: "أما المسيح الموعود عليه السلام فكان يبدو من صورته ولسانه وأسلوب كلامه أن هذا الشخص السماوي إنسان من عالم آخر، يتكلم رب العرش على لسانه. كنا نشعر بتغير ملموس في حالته وصوته أثناء الخطبة. كان صوته ينخفض ويبدو رخيما ليّنًا عند نهاية الخطبة في آخر كل جملة. كانت عيونه عندها مغلقة ووجهه أحمر يشع نورا. وقد قال حضرته أثناء الخطبة للذين يكتبونها: إذا لم تفهموا لفظا أو كلمة فاسألوني فورا، فلعلي لن أتمكن من أن أخبركم بها فيما بعد. ثم إنه عليه السلام كان يتكلم بسرعة بحيث كان يتعذر على القلم أن يواكب لسانه. ولهذين السببين كان المولوي عبد الكريم والمولوي نور الدين اللذان قد عُهد إليهما كتابة الخطبة يضطران في بعض الأحيان أن يسألاه عن بعض الكلمات. (سيرة المهدي؛ ج3، ص90-91).

وكتب المسيح الموعود عليه السلام نفسه على غلاف هذه الخطبة:

"هذا هو الكتاب الذي أُلهِمتُ حصّة منه من رب العباد، في يوم عيدٍ من الأعياد. فقرأته على الحاضرين، بإنطاق الروح الأمين، من غير مدد الترقيم والتدوين. فلا شك أنه آية من الآيات، وما كان لبشر أن ينطق كمثلي مرتجلا مستحضرًا في مثل هذه العبارات. وكان الناس يرقبون طبعه رقبة يوم العيد، ويستطلعون بعيون المشتاق المريد. فالحمد لله الذي أراهم مقصودهم بعد الانتظار،

ووجدوا مطلوبهم كبستان مذلّلة أغصانه من الثمار، وإنه صنيعة إحسان الحضرة، ومطية تبليغ الناس إلى السعادة، وإنه غيث من الله بعدما أَمْحَلَتِ البلاد، وعم الفساد، ولن تجد لهذه المعارف في الآثار المنتقاة المدونة من الثقاة، بل هي حقائق أوحيت إليّ من رب الكائنات. وإنه إظهار تام، وهل بعد المسيح كتم، وهل بعد خاتم الخلفاء على السر ختم؟ وليس من العجب أن تسمع من خاتم الأئمة نكاتا ما سُمعت من قبل من علماء الملة، بل العجب كل العجب أن يأتي المسيح الموعود والإمام المنتظر وحَكَمُ الناس وخاتم الخلفاء، ثم لا يأتي بمعرفة جديدة من حضرة الكبرياء، ويتكلم كتكلم العامة من العلماء، ولا يفرّق فرقا بيّنا بين الظلمة والضياء.

وإني سميت هذه الرسالة: خُطْبَةً إِلْهَامِيَّةً.. وَإِنِّي عُلِّمتُها إلهَامًا مِّن رَّبِّي وَكَانَتْ آيَةً."

كما كتب المسيح الموعود عليه السلام: "في صباح عيد الأضحى تلقيت إلهاما يقول: ألقِ كلماتٍ بالعربية (تكلم شيئا بالعربية). فتم إخبار كثير من الأحباب بذلك، ولم أكن قد ألقيت أيّ خطاب بالعربية من قبل، ولكن قمتُ في ذلك اليوم بإلقاء خطبة العيد بالعربية، فأجرى الله على لساني كلاما عربيا بليغا فصيحا مليئا بالمعارف. وقد سُجّل في الكتاب (الخطبة الإلهامية)، وهو خطاب يبلغ عدة صفحات، وألقيته ارتجالا دفعةً واحدةً واقفًا. وقد سماه الله تعالى في وحيه آية؛ لأن هذا الخطاب الارتجالي قد ظهر بمحضِ قدرة الله تعالى. إنني لا أصدق أبدا أن أديبا عربيا من أهل الفصاحة والعلم يقدر على أن يقف ويلقي مثل هذه الخطبة ارتجالا. (نزول المسيح، الخزائن الروحانية؛ ج 18، ص588)

وكتب المسيح الموعود عليه السلام يقول: في يوم 11-4-1900م صباح عيد الأضحى تلقيت إلهاما: "اخطب اليوم بالعربية، قد أُعطيتَ القوة". وتلقيت إلهاما (بالعربية): "كلام أفصحت من لدن رب كريم"... فقمت بعد صلاة العيد لإلقاء الخطبة باللسان العربي، ويعلم الله أنني أوتيت قوة من الغيب. والخطاب العربي الفصيح الذي كان يخرج من فمي ارتجالا كان خارج نطاق قدرتي كليّةً. ولا أظن أبدًا أن شخصا في الدنيا يقدر -من دون إلهام رباني خاص- على إلقاء خطاب بهذه الفصاحة والبلاغة يبلغ عدة صفحات من دون أن يكتبه على ورق أولا.

عندما ألقيتُ هذه الخطبة العربية التي سميت (خطبة إلهامية) بين الناس كان عدد الحضور قرابة مائتي شخص.. سبحان الله! كانت عين غيبية تتدفق عندئذ، ولا أدري ما إذا كنت أنا المتكلم أم كان ملاكا يتكلم بلساني؛ لأنني كنت أعلم أن لا دخل لي في هذا الكلام. كانت الجمل الجاهزة تخرج من فمي تلقائيا. وكل جملة منها كانت آية لي... إنها معجزة علمية (معرفية) أراها الله تعالى، ولا أحد يستطيع أن يقدم نظيرها. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية؛ ج 22، ص375-376)

وورد في كتاب التذكرة- وهي مجموعة إلهامات وكشوف ورؤى المسيح الموعود عليه السلام- في حاشية الصفحة 290- الطبعة الخامسة، عام 2004م، قاديان، الهند- ما يلي: لقد عثر على اثنتين من الرؤى تتعلقان بالخطبة الإلهامية مسجلتين بالقلم المبارك للمسيح الموعود عليه السلام. بعد تسجيل تاريخ 19-4-1900 كتب حضرته رؤيا مِيا عبد الله السنّوري التالية. "يقول مِيا عبد الله السنوري أنه رأى أن المنشي غلام قادر المرحوم السنوري قد حضر هنا، فقلت له: ما الخبر في ذلك العالم عن هذا الاجتماع (يشير إلى الخطبة الإلهامية)؟ ماذا يقولون هناك؟ فأجاب: هناك ضجة كبيرة في الملأ الأعلى.

هذه الرؤيا تشبه تماما الرؤيا التي رآها السيد أمير علي شاه المحترم، فإنه رأى أنه في أثناء إلقاء الخطبة العربية يوم العيد كان سيدنا رسول الله ﷺ وعيسى عليه السلام وموسى عليه السلام والخضر عليه السلام حاضرين يستمعون لهذه الخطبة. لقد رأى هذه الرؤيا على سبيل الكشف في أثناء إلقاء الخطبة وهو جالس يستمع لها. هذا ما سجّله المسيح الموعود عليه السلام على ورقة من نسخة من كتاب (تعطير الأنام) الموجود حاليا في مكتبة الخلافة بربوة في باكستان.

الخلاصة:

لا يشكك أحد في أن المسيح الموعود عليه السلام لم يكن قد تعلم من العربية إلا يسيرا، ولكن البعض يشكك في كتاباته ويدعي أن شاميا كان يكتبها له، والبعض يدعي أنها كتابات غير بليغة. أي أن الأولين اعترفوا بقيمتها اللغوية، والآخرين اعترفوا بأنه هو كاتبها، فلو أخذنا بقول الخصوم جميعا، لخرجنا بنتيجة أنها كتب قيمة، وأن حضرته عليه السلام مؤلفها. والخير ما شهدت به الخصوم. وبهذا نخرج بنتيجة قاطعة على تحقق هذه الآيات من خلال كلام الخصوم.

الاعتراض:

يقال أن مؤسس جماعتكم قد أخذ عباراته من مقامات الهمذاني والحريري وغيره من كتب الأدب العربي. وهذا يسمى سرقة أدبية. فما قولكم؟

الردّ:

لقد اتهم بير مِهر علي شاه الغولَرْوي والمولوي محمد حسن الفَيْضي المسيح عليه السلام بسرقة جُملٍ من مقامات الحريري والهمداني وضمِّها إلى كتبه، فردَّ عليهما بما تعريبه:

"كل ما أدّعيه هو أنني قد أوتيتُ معجزةَ القدرةِ على الإنشاء بالعربية تأييدًا من عند الله تعالى، لكي نكشف للدنيا معارف القرآن وحقائقه بهذا الأسلوب أيضًا، ولكي نسخّر ذلك الاحتراف

البلاغي الذي كان قد راج في الإسلام بشكل خاطئ مشين، ونجعله خادمًا لكلام الله العزيز. فما الجدوى من إنكار هذه الدعوى ما لم يكتبوا بمثل ما كتبناه.

أما مجرد الطعن فلم يسلم منه حتى القرآن الكريم، فقد اتهم بعض الأشرار الخبثاء بأن مضامينه مسروقة من التوراة والإنجيل.... كما يزعم اليهود عن الإنجيل بأن فيه عباراتٍ مسروقةً حرفًا حرفًا من التلمود. فقد ألف يهودي في الآونة الأخيرة كتابًا - وهو في حوزتي الآن - قدّم فيه عباراتٍ كثيرة من التلمود، وردت أيضًا في الإنجيل دون أي تغيير أو تعديل. وهي ليست بضع جمل أو فقرات، بل إنها تشكل جزءًا كبيرًا من الإنجيل، وهي هي كما وردت في التلمود...

كما ألّف مؤخرًا شخص آخر كتابًا يريد أن يثبت فيه أن "سفر التكوين" - الذي يُعتبر أساسًا وأصلاً للفلسفة التوراتية - قد سُرق من مصدر آخر كان موجودًا في زمن موسى. فكأن كلاً من موسى وعيسى عليهما السلام كان سارقًا في نظر هؤلاء!

هذا فيما يتعلق بالشكوك التي أثاروها ضد الأنبياء عليهم السلام. أما الأدباء والشعراء فقد تعرضوا أيضًا إلى تهم مخجلة للغاية. فهذا هو المتنبي الشاعر الشهير.. لقد زعم شخص أنه قد أثبت أن كل بيت في ديوان المتنبي مسروق من الشعراء الآخرين. وبالاختصار لم يسلم أحد من تهمة السرقة، لا الأسفار الإلهية ولا المؤلَّفات البشرية.

والأمر الذي يتطلب بحثًا وتنقيحًا الآن هو: هل لمزاعمهم هذه حظٌّ من الصدق والصحة حقًّا؟ إنما جوابه أنه فيما يخص عباد الله الذين يتلقون منه الوحي والإلهام فإن زرع هذه الشكوك في القلوب حول وحيهم كفرٌ بواحٌ ودأبُ الملعونين. إذ ليس بعارٍ على الله ﷻ أن يُلقي في قلوب عباده الملهَمين عباراتٍ وجُملا من الكتب السابقة، بل هكذا جرت سنة الله منذ القدم.

أما ظاهرة ورود عبارات أو أبيات للأدباء والشعراء القدامى - بعينها أو بشيء من التغير - في كتب المتأخرين، فلا يمكن لنا إلا أن نسمّيها تواردًا محضًا، كما تؤكد لنا التجربة الكاملة. ذلك أن الذين قد خلفوا آلافًا من الصفحات من كتاباتهم البليغة، مِن الظلم أن ننكر بعد ذلك كفاءاتهم الثابتة لمجرد ورود بضع جمل أو فقرات في كتبهم توجد عينُها أو مثلها في مصدر آخر أيضًا.

إذن فحريٌّ بهؤلاء القوم أن ينظروا في قضيتي بعين الإنصاف. لقد كُتب وطبع من مصنَّفاتي بلسان عربي فصيح بليغ حتى الآن اثنان وعشرون كتابًا مقرونةً بالتحدي، بالإضافة إلى الإعلانات المختلفة...

(بعد ذلك يذكر حضرته أسماء الكتب المشار إليها ويستأنف قائلا)... فكيف يمكن لإنسان أن يُعدّ كلّ هذه الكتب العربية التي تفيض بدقائق المعاني وشتى المعارف والحِكم بدون أن يعطَى

بسطةً كاملة في العلم. هل أعدّ كل هذه الكتب العلمية مما سرقه من مقامات الحريري والهمذاني؟ ومتى تتوفر في مقاماتهما ما ذكره في كتبه من معارف الدين ودقائق القرآن التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى؟ هل من الإنسانية أن يتكلموا بهذه الوقاحة؟ لو كان عندهم ذرة من الحياء لآثروا الموت على الحياة، لأن الذي رموه بالبلادة والجهل التام بالعربية.. استطاع أن يكتب هذا الكم الهائل من الكتب بلسان عربي مبين، ولكنهم - مع كفاءاتهم الهائلة التي يدّعون بها - عجزوا عن أن يأتوا بشيء من مثله، وذلك بالرغم من أنه لا يزال يتحداهم باستمرار، ومنذ ما يقرب من عشر سنوات، بأن يؤلّفوا ولو كتابًا واحدًا من مثله. لكن غاية ما فعلوه هو أنهم ما برحوا يردّدون: "لو شئنا لقلنا مثل هذا"، كما فعل الكفار من مكة!!...

لو كان بإمكان الإنسان أن يؤلف كتبًا مليئة بآلاف المعارف والحقائق بمجرد سرقة عبارات من الروايات الخيالية، فمن ذا الذي منعكم طوال هذه الفترة من اللجوء إلى هذا الأمر؟ ألا تجدون مثل هذه الكتب في الأسواق حتى تسرقوا الجُمل منها؟ لماذا لزمتم الصمت على اللعنات التي دعونا بها عليكم في حالة عدم قبولكم التحدي؟ ولماذا فقدتم القدرة على كتابة التفسير بلغة عربية فصيحة بليغة ولو لسورة واحدة، حتى تطَّلع الدنيا على مبلغ علمكم بالعربية. لو كانت نيتكم حسنة لجلستم حذائي في أحد المجالس لكتابة التفسير، لكي يَسْوَدَّ في الحال وجهُ الكاذب العديم الحياء. لا بأس، فليست كل الدنيا بعمياء، بل لا يزال فيها أولو الألباب.

لقد أعلنّا مرارًا وتكرارًا أن تعالَوا نبارزْ في تأليف كتيب بالعربية، ثم نحتكم إلى علماء العربية، فلو ثبت أن كتيبكم هو الأفصح والأبلغ فإن دعواي ستُعتبر باطلةً تمامًا. وها إني أقرّ وأعترف الآن أيضًا أنكم لو نازلتموني في ميدان كتابة التفسير بالعربية، ثم ثبت أن تفسيركم هو الأفضل والأعلى لفظًا ومعنًى، فسوف أعطيكم خمس روبيات على كل غلطة تعثرون عليها في تفسيري. فالأولى بكم - قبل أن تطيلوا عليّ ألسنتكم بالمطاعن التافهة هكذا - أن تُثبتوا علوَّ كعبكم في العربية بكتابة التفسير العربي. ذلك أن الذي لا يكون ضليعًا بفن من الفنون فإن طعنه على رجالات ذلك الفن لا يستحق الاعتبار أبدًا...

ثم يشرح حضرته مسألة اقتباس العبارات فيقول:

ويعرف الأدباء أن ورود بضع جُمل مقتبَسةٍ في كتاب يحوي آلاف الجمل والفقرات لا يقدح في قوته البلاغية أبدًا، بل إن مثل هذا الاقتباس يزيده قوةً وبلاغة. انظروا إلى التوارد المتواجد في شطر بيت واحد لدى اثنين من أصحاب المعلقات السبع:

حيث يقول أحدهما: يقولون لا تَهلكْ أسًى وتَجمَّلِ

بينما يقول الآخر: يقولون لا تَهلكْ أسًى وتَجَلَّدِ

فبالله، أخبِروني الآن أيهما سارق.

(علما أن صاحب المعلقة الأولى هو امرؤ القيس والثانية لطرفة بن العبد).

ويتابع حضرته فيقول: "إن الجاهل لو سُمح له أن يكتب ولو بسرقة من كلام الآخرين فلن يقدر على كتابة شيء، لأنه محروم أصلا من المقدرة الأساسية. أما الموهوب القادر على الكتابة المسترسلة دون أية صعوبة إذا بيّن المواضيع العلمية الحكيمة والمعارف والحقائق دونما عائق وفي عبارة بليغة مليحة فلا بد من اعتبار كلامه أمرًا معجزًا دونما شك". (نزول المسيح، ص 59 - 65)

لا شك أن ما اقترحه المسيح الموعود عليه السلام على معارضيه من أن يجلسوا حذاءه لكتابة التفسير بالعربية، لأمرٌ يبطل كل ما رموه به من تهم وطعن. إذ لو كان عليه السلام في الواقع جاهلا بالعربية، يستكتب مؤلّفاتِه من الآخرين وينشرها باسمه.. لما قدر على الجلوس حذاءهم في حشد من الناس، لكتابة تفسير يحتوي على شتى المعارف والحقائق المبتكرة، بلسان عربي مبين، وبالتالي لانكشف على الناس بكل سهولة صدقُ ما يقوله المشايخ ضده. ولكن انحرافَهم عن سلوك هذا الطريق البسيط السهل وعدمَ قبولهم هذا التحدي بشتى الأعذار في كل مرة.. يدل دلالة واضحة على أن كل ما ساقوه ضده من اعتراضات وتهم كان سخفًا على سخف وكذبًا في كذب. كما يؤكّد هذا أن الله تعالى هو الذي وهب المسيحَ الموعود عليه السلام بسطةً في علم العربية بشكل خارق، ومن أجل ذلك لم يجرؤ معارضوه على قبول التحدي الصادر من قبله.

الاعتراض:

تتحدثون عن إعجاز في تعلم المسيح الموعود عليه السلام اللغة العربية، لكن هنالك العديد من الأخطاء اللغوية في كتبه، كهذا الخطأ "ثلاث سنة"، مع أن المعدود بعد الأعداد من 3 إلى 10 يجب أن يكون جمعا لا مفردا، فنقول: ثلاث سنين. انظر التذكرة: "إنها سيجعل ثيبة ويموت بعلها وأبوها إلى ثلاث سنة من يوم النكاح".

الرد:

نحن لا نعرف قواعد اللغة العربية كلها، ثم هي قواعد استنباطية، والتي يقال عنها قواعد لا يلزم أن تكون شاملة ودقيقة تماما.. فلو قارنتَ بين عبارة المسيح الموعود عليه السلام هذه "ويموت بعلُها وأبوها إلى ثلاث سنةٍ من يوم النكاح"، وبين قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا

تِسْعًا﴾ (الكهف: 26)، لوجدتَ تشابها، فقد جاء المعدود هنا جمعا، مع أنه يجب أن يكون مفردا وفقا للقواعد المعروفة.

والقواعد الخاصة بالعدد في اللغة العربية بسيطة سهلة تُلخَّص في سطرين. وقد كتب حضرته الكثير من الكتابات باللغة العربية والتي تضمنت أعدادا وردت وفقا لتلك القواعد المعروفة. لذا لا يمكن اعتبار هذا الأمر خطأ من حضرته، بما أنه قد ثبتت معرفة حضرته لهذه القواعد البسيطة باستخدامها في مواضع كثيرة أخرى. ومثاله قوله عليه السلام:

وتوقفت في الإظهار عشر سنين (التبليغ).

فتموت بعد النكاح إلى ثلاث سنين (التبليغ)

فمكث خمس سنين لا يزوج أحدًا بنته ولا يخطب خيفة من وعيد الله(التبليغ)

العجب كل العجب أن عبد الحق الغزنوي يسبّني منذ خمس سنين، ولا يُباحثني كالصالحين المتّقين (حجة الله)

وَيَسْتَوقِدُ المسْلِمُونَ مِنْ قِسيِّهمْ وَنُشّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سِنِينَ (حمامة البشرى)

بل بُعِثَ حيًّا بعد ثلاثة أيام أو سبع ساعات (حمامة البشرى)

كنتُ قلت للناس إن الله سيُظهر لي آية إلى ثلاث سنين، لا تمسّها يدُ أحد من العالمين (مواهب الرحمن)

وأشعتُ أن آية الله تظهَر إلى ثلاث سنين، وأُنصَرُ بنصر عجيب من رب العالمين (مواهب الرحمن)

وإذا نبتتْ بعد السقوط فهو مُثغِر عند ذوي الأدب. وإذا تجاوز عشر سنين فهو مترعرع (منن الرحمن)

ومنها أن الفاتحة سبع آياتٍ (كرامات الصادقين)

ذلك إذا أُخذ مقدارُ النهار سبعَ ساعات (الخطبة الإلهامية)

وهكذا لو بحثنا فسنجد عشرات الأمثلة..

فهل يقال عمّن طبّق القاعدة المعروفة مائة مرة، وناقضها مرة واحدة أنه يجهلها، أم يجب أن يقول المنصف أن هناك وجها آخر للعبارة؟

وهذا الاعتراض يماثل ما يرفعه البعض ضدّ القرآن الكريم مدعين أنه أخطأ في اللغة العربية، مع أن القرآن هو المصدر الأساس لتقعيد اللغة. وقد اعترض بعض المسيحيين على الآية السابقة(الكهف: 26)، كما اعترضوا على آياتٍ كمثل:

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ (الأَعراف: 161)
مع أن اللغويين قد بينوا وجوها مختلفة لتخريجها أشهرها أن "أسباطا" هنا هي بدل وليست تمييزا. باختصار، إن مرجع هذا الاعتراض هو الجهل والتعصب. والقارئ المتذوق للغة لا يجد شذوذا في هذه الأساليب التي قد تخالف المألوف الشائع.

الاعتراض:

تكثرون من الحديث عن كسر الصليب من خلال أن المؤسس أثبت عدم موت المسيح على الصليب ثم هجرته إلى كشمير، لكن هاتين الفكرتين قد سبقه بهما عدد من الباحثين الغربيين، حيث كان السير أحمد خان قد أسهب في مسألة إغماء المسيح على الصليب، كما أن المؤلف الروسي نيكولاس نوتوفيتش قد نشر نظرية هجرة المسيح عليه السلام إلى الهند عندما زار مدينة (ليه) عام 1887م، حيث ادعى نوتوفيتش أنه زار هناك معبدًا بوذيا مكتوبًا فيه أن المسيح عليه السلام زار الهند في صباه، لكن اتضح بعد ذلك كذب ادعاء نوتوفيتش ذاك. وقد قام نيكولاس نوتوفيتش بعرض أدلته التي تؤكد زيارة المسيح عليه السلام للهند.

الردّ:

هذا الاعتراض يشبه الاعتراض القائل أن من أدلة عدم صدق المسيح الموعود عليه السلام أن هناك كثيرا من الناس قد أعلنوا المهدوية في أيامه. ولكن الصحيح أن يقال أن من أدلة صدقه عليه السلام أن عصره كان عصر ظهور المهدي فعلا، حيث أعلن عدد من الناس أنهم هم المهدي، ولكن الله تعالى قد أفشلهم، ولم ينجح إلا المهدي الحقيقي.

وهكذا الحال هنا، فقد شاء الله تعالى أن تُنشر أفكار بحثية تتفق مع ما أعلنه المسيح الموعود عليه السلام، ومنها ما نشره هذا الباحث الروسي سنة 1890م..

أي أن بحث نيوكولاس نوتوفتش يؤكد ما قاله المسيح الموعود عليه السلام، ولا بد أن يكون ذلك قد ساهم في إقامة الحجة على الكثيرين.. فبحثه دعمٌ لما قاله المسيح الموعود عليه السلام، وعلامة أخرى على صدقه.

ثم هل استدل نوتوفتش بآية ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾، وبآية ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وغيرها من الآيات التي استدل بها المسيح الموعود عليه السلام على هذه الهجرة؟! كلا، بل استدل بآثار عيسى عليه السلام هناك.

الاعتراض:

ورد في سنن الترمذي قول رسول الله ﷺ:"ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، فدفنوه في موضع فراشه". أما الميرزا، فمات في لاهور بدلا من قاديان.

الردّ:

هذا الحديث لا يصحّ، فقد قال الترمذي بعد أن ذكره في مسنده: هذا حدِيثٌ غَرِيب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المُلَيكيُّ يُضعَّفُ مِن قِبَلِ حِفظه. ثم قال: وقد رُوي هذا الحديث مِن غير هذا الوجه، فرواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ. ولكن هذا الطريق أشدّ ضعفا، إذ إنه من طريق الواقدي..

ثم إن جثمان يوسف عليه السلام قد تمّ نقله من مصر حتى مدينة نابلس

في فلسطين.

ثم إن قبور إبراهيم وإسحاق ويعقوب موجودة في مغارة تحت المسجد الإبراهيمي في الخليل، فهل كانوا يسكنون جميعا حيث ماتوا بالضبط؟

وجاء في كتاب البحر الرائق: "وإنْ نُقل (الميت) من بلدٍ إلى بلد، فلا إثم فيه؛ لأنه روي أن يعقوب صلوات الله عليه مات بمصرَ، فحُمل إلى أرض الشام، وموسى عليه السلام حَمَل تابوت يوسف عليه السلام بعدما أتى عليه زمان إلى أرض الشام مِن مصرَ، ليكون عظامه مع عظام آبائه." (البحر الرائق؛ شرح كنز الدقائق في الفقه الحنفي، كتاب الجنائز، 210/3)

"وأخرج عن كعب الأحبار أن يعقوب عاش في أرض مصر ست عشرة سنة، فلما حضرته الوفاة قال ليوسف: لا تدفني بمصر، فإذا مت فاحملوني فادفنوني في مغارة جبل حبرون، فلما مات لطّخوه بمرٍّ وصبر، وجعلوه في تابوت من ساج، وأعلم يوسفُ فرعون أن أباه قد مات، وأنه سأله أن يقبره في أرض كنعان، فأذن له، وخرج معه أشراف أهل مصر حتى دفنه وانصرف". (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ج1/ص13)

ثم لماذا لم يكن يعرف هذا الحديث غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما تقول الرواية الواهية؟ فمثل هذا الأمر لا يخفى على زوجاته على الأقل لو صحّ.. بل لا يخفى على عامة الناس.

الفصل السادس[28]

اعتراضات وافتراءات متعلقة بالجهاد

الاعتراض:

هل صحيح أن المسيح الموعود عليه السلام قال: لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها، وقد ألّفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمعت بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة؟

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

يا أولاد المسلمين، أيّ ذنب اقترفته في حقكم حتى شمرتم عن سواعدكم لإيذائي بشتى الطرق؟ إن مشايخكم يخطبون في الناس في كل حين وآن أن هذا الشخص كافر وملحد ودجال، وإنه يمتدح حكومة الإنجليز أكثر من اللازم، وهو عدو للسلطنة العثمانية. أما الذين يعملون منهم في الدوائر الرسمية فهم يحاولون أن يصوّروني متمردا باغيا على هذه الحكومة المحسنة؛ ذلك أنني كثيرا ما أسمع أنهم يحاولون إبلاغ الحكومة عني أخبارا لا تمت إلى الحقيقة بصلة، بينما أنتم تعرفون جيدا أنني لست رجلا ذا طبع متمرد، ولقد قضيت معظم عمري في تأييد هذه الحكومة الإنجليزية ونصرتها، ولقد ألَّفت في منع الجهاد ووجوب طاعة الإنجليز من الكتب والإعلانات والنشرات ما لو تم جمعه لملأ خمسين خزانة. لقد أوصلتُ هذه الكتب كلها إلى الدول العربية ومصر والشام وكابول وتركيا، وسعيت جاهدا أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة، وأن تتلاشى من قلوبهم الروايات الباطلة المتعلقة بالمهدي والمسيح الدمويين، والقضايا المتعلقة بالجهاد الباعثة على الغليان والتي تفسد قلوب الحمقى. فكيف يمكن بعد هذا كله أن أكون خائنا للحكومة أو أن أنشر في جماعتي المكائد والمخططات الباعثة على التمرد ضدها؟..... لا يمكن أن تصبح قلوب المسلمين صافية نقية ما لم يعتقدوا أن الأحاديث المتعلقة بالمهدي والمسيح الدمويين كلها قصص وأساطير. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية؛ ج15، ص155)

فهذا هو سياق هذه العبارة. إنها الوشايات المتكررة ضد المسيح الموعود عليه السلام التي دفعته إلى ذكر هذا الأمر، وفيما يلي شيء من أقوالهم:

قال القسيس مارتن كلارك في المحكمة: "إن مؤسس الجماعة الأحمدية خطير للحكومة الإنجليزية."

[28] هذا الفصل؛ هو من بند الأسئلة والأجوبة في الموقع العربي الرسمي للجماعة، إلا إذا ذكر غير ذلك

أما القس "عماد الدين" المرتد عن الإسلام، فقد أبلغ الحكومة الإنجليزية وشايات شديدة ضد المسيح الموعود ؑ حتى اضطر حضرته إلى تأليف كتاب باللغة العربية بعنوان: نور الحق. وذلك لتبرئة ساحته من هذه التهمة.

أما الشيخ محمد حسين البطالوي؛ الذي كان من أكثر الناس احتراما عند أعداء الأحمدية، فقد كتب – في مجلته "إشاعة السُنّة"، في الجزء 16 لعام 1310هـ الموافق 1893م- إلى الحكومة الإنجليزية عن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية:

. ..والدليل على خداعه (أي مؤسس الجماعة) أنه يستبيح في قلبه سلب أموال الحكومة غير المسلمة، ويستحل قتل أفرادها،... لذلك فلا يليق بالحكومة أن تثق به أو تعتمد عليه، بل عليها أن تحذر منه الحذر كله، إذ من المحتمل أن يُصيبها من هذا المهدي القادياني ضرر أفدح وأكبر مما أصابها من المهدي السوداني"...

ثم كتب نفس الشيخ مخاطبا مؤسس الجماعة:

"... وكيف يطمئن إليك قلب الحكومة؟ ولهذا السبب نفسه لم أزل أوعز إليها بأنك رجل خطير لا يُؤمن جانبه. وعلى الحكومة ألا تأمن غوائله، وإنه لا يستحق التقريظ الذي سبق أن اختصصتُه به فيما مضى، لأنه قد تغيّر عما كان عليه، فليس هو بميرزا غلام أحمد الذي كنت قد طمأنت الحكومة عنه". وبسبب كل هذه الافتراءات والوشايات والشكايات إلى الحكومة والاتهامات الباطلة.. كان يضطر ؑ للكتابة من حين لحين في هذا الموضوع، ويشرح موقفه للحكومة، ويبين مبادئه ومعتقداته في هذا الشأن.

لقد كان بعض الإنجليز يكرهون مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بسبب دفاعه المجيد عن الإسلام، ولهجومه الشديد على العقائد المسيحية الباطلة، ورده على المبشرين والقساوسة المسيحيين، وتفنيده لاتهاماتهم الباطلة للإسلام، وكانت شرطتهم تراقبه وتتبع أنشطته هو وجماعته. ومثال ذلك: بعد المناظرة التي جرت بينه ؑ وبين المتنصر عبد الله آتهم، وحيث كان المسيح الموعود والإمام المهدي ؑ مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية قد ناشد الزعيم المسيحي المذكور بالأيْمان المغلّظة أن يذكر ما إذا كان الخوف من العقاب الإلهي هو الذي جعله يتوب ويرتدع ويمتنع عن سب رسول الله ﷺ وعن التفوه بأي كلمة ضده ﷺ، وما إذا كان قد بدّل رأيه في الإسلام عما كان عليه من قبل المناظرة.. ولكن عبد الله آتهم هذا لم يحلف رغم الإلحاح والحثّ والتشجيع بالمنح المالية، فأعلن مؤسس الجماعة أن العقاب الإلهي سوف ينزل به لأنه تعمد إخفاء الحقيقة.. وردًّا على ذلك، وفي تلك الآونة، فإن جريدة Civil And Military Gazette- وهي

جريدة يومية وشبه رسمية ومن كبريات الجرائد التي تصدر باللغة الإنكليزية، وكانت تُعتبر إذ ذاك لسان حال الإنكليز الوحيد وترجمانهم السياسي في البنجاب-

كتبت مقالا طويلا تحت عنوان: " مهووس ديني مخيف" وقالت فيه:

"إن في البنجاب مهووسا دينيا مخيفا ومشهورا لعله يقيم الآن في مقاطعة كورداسبور، وهو يعتبر نفسه مسلما، ويزعم أنه هو المسيح الموعود.... وإن هذا المتطرف المهووس بدينه تحت رقابة الشرطة اليوم.... إن الشيخ القادياني لم يزل تحت أنظارنا منذ أعوام، وإنا لنؤيد الرأي المذكور آنفًا استنادا لمعلوماتنا الذاتية عن شخصيته وأعماله. إنه كما نرى يزداد قوة وتمكنا يوما بعد يوم، وقد يضطرنا في المستقبل القريب إلى الالتفات إليه بأكثر اهتمام". (العدد الصادر في 24-10-1894م). ونتيجة لمثل هذه الوشايات فقد داهمت الشرطة مرةً بيت المسيح الموعود عليه السلام.

إن القضية لم تكن نهيا عن الجهاد الحقيقي الذي طالما حضّ عليه الإمام المهدي وجماعته، بل نهيٌ عن الجهاد المزيف المكذوب، ونهيٌ عن الكذب والنفاق. ويحسن في هذا السياق قراءة ما جاء في مقدمة كتاب (المسيح الناصري في الهند) للإمام المهدي عليه السلام، حيث يقول: "هدفي من تأليف هذا الكتاب هو أن أردّ على تلك الأفكار الخاطئة والخطيرة التي هي متفشية في معظم فِرق المسلمين والمسيحيين حول أوائل حياة المسيح عليه السلام وأواخرها؛ وذلك ببيان الحوادث الصحيحة والشواهد التاريخية الكاملة المحقَّقة بمنتهى الدقة، بالإضافة إلى الوثائق الأجنبية القديمة.. أعني أن أردّ على تلك الأفكار التي من شأن نتائجها المروّعة أن تهدم بناءَ التوحيد الإلهي؛ وليس ذلك فحسب، بل مازال تأثيرها السيِّئ والسامُّ جدًّا ملحوظا في الحالة الخُلُقية للمسلمين في هذه البلاد. وبسبب الاعتقاد بهذه الأساطير الخرافية والقصص الواهية، فإن كثيرًا من الأمراض الروحانية، كسوءِ الخُلق وسوءِ الظن وقسوة القلب والجفاء، لآخذةٌ في الانتشار في معظم فِرق الإسلام؛ بينما أخذت الصفاتُ الإنسانية النبيلة، كالمؤاساة والتراحم والإنصاف والتواضع، تتلاشى فيهم يومًا بعد يوم، بحيث أوشكت أن تغادرهم نهائيًّا. وبسبب هذه القسوة والانحراف الخُلقي، نجد كثيرًا من المسلمين وكأنهم لا يختلفون عن السباع إلا قليلاً... ففي حين نرى أحدًا من أتباع الجَيْنِية أو أتباعِ البوذية يتجنبُ حتى قَتْلَ بعوضة أو برغوث، نجد معظم المسلمين مع الأسف الشديد لا يخشون، عند سفكِ دمٍ بغير حق أو إزهاقِ نفسٍ بريئةٍ، أَخْذَ ذلك العزيزِ المقتدر الذي اعتبر نفسَ الإنسان أغلى بكثير من سائر حيوانات الأرض .

فما هو سبب هذه القسوة والهمجية والغلظة يا تُرى؟! إنما السبب هو أن مثل هذه القصص الخرافية والنظريات الخاطئة حول الجهاد تُصَبّ في مسامعهم وتُرسَّخ في قلوبهم منذ طفولتهم؛ الأمر

الذي يجرفهم شيئًا فشيئًا إلى الانهيار الخُلقي، حتى إن قلوبهم لم تعد تشعر ببشاعة هذه الأعمال المنكرة؛ بل إن الذي يقتل شخصًا بريئًا على حين غفلة منه، دافعًا أهلَه وعيالَه إلى هوّة الويل والهلاك، يحسب أنه قد أتى عملاً عظيمًا يُثاب عليه، بل يظن أنه قد أحرز مفخرة عظيمة لقومه !
وبما أن المواعظ الرادعة عن هذه السيئات لا تُلقى في بلادنا، وإن حصل منها شيء فإنما يكون من باب المصادفة، فلذا نجد أفكار عامّة الناس مائلةً إلى هذه الأعمال المثيرة للفتن ميلاً شديدًا. وقد سبق أن ألَّفتُ– شفقةً على قومي– كتبًا عديدة باللغات؛ الأردية والعربية والفارسية. صرّحت فيها بأن فكرةَ الجهاد (العدواني) لدى المسلمين اليوم، وانتظارَهم لإمام سفّاك للدماء، وبُغْضَهم للأمم الأخرى؛ كلّ ذلك ليس إلا بسبب خطأ وقع فيه بعض العلماء قليلي الفهم. أما الإسلام فلا يأذن برفع السيف إلا في حرب دفاعية، أو في محاربة الظالمين المعتدين عقابًا لهم، أو في الحرب التي تُشَنُّ حفاظًا على الحريات المشروعة. والحروبُ الدفاعية إنما هي تلك التي يُلجأ إليها لردّ عدوان العدو الذي يهدد حياة الناس. هذه هي الأنواع الثلاثة للجهاد المشروع، وإلا فإن الإسلام لا يُجيز شنَّ الحرب لنشر الدين، بأية صورة كانت .
وخلاصة القول إنني قد وزَّعتُ كثيرًا من الكتب بهذا الموضوع ببذل أموال كثيرة في هذه البلاد وفي بلاد العرب والشام وخراسان وغيرها. وبفضل الله تعالى قد وجدتُ الآن– لاستئصال مثل هذه العقائد الباطلة الزائفة من القلوب– أَدلّةً قويةً وشواهدَ بيِّنةً وقرائنَ يقينيةً وشهاداتٍ تاريخيةً، تُبشّرني أشعّةُ صدقِها بأن انتشارها سوف يؤدّي عن قريب إلى تغيّر مدهش في قلوب المسلمين ضد هذه العقائد الباطلة. وهناك أمل قوي أنه بعد تفهُّم هذه الحقائق سوف تنفجر من قلوب أبناء الإسلام السعداء عيون باهرة الجمال عذبة المياه من الحلم والتواضع والرأفة، وإن تغيُّرهم الروحاني هذا سوف يجلب لهذه البلاد سعادة وبركة كبيرتين. وكذلك فإنني على يقين بأن علماء المسيحية وغيرهم الذين يتطلّعون إلى الحق ويتعطّشون له، سيستفيدون جميعهم أيضًا من كتابي هذا.
....ومن السهل جدًّا أن يدرك كلُّ عاقل أن مثل هذه العقيدة مدعاة لطعن شديد، أعني أن نُكره الشعوب الأخرى على قبول الإسلام، وإلا فمصيرهم القتل! إن الضمير الإنساني ليدرك بسهولة أن إجبار إنسان وإكراهه على قبول عقيدة ما بتهديده بالقتل قبل أن يَعِيَ حقيقتَها ويتبيّنَ تعاليمَها الخيّرةَ ويطّلعَ على مزاياها الحسنة لهو أسلوبٌ مستنكَرٌ للغاية. وكيف يمكن لدين أن يزدهر بهذا الأسلوب، بل على العكس، فهو سيعرّضه للانتقاد من قِبل كل معارض. وإن مثل هذه المبادئ لتؤدي، في نهاية المطاف، إلى خلو القلوب من مؤاساة الإنسان نهائيًّا، كما أنها تقضي على الأخلاق الإنسانية العظيمة كالرحمة والعدل قضاءً تامًّا؛ وتحل محلَّها الضغينةُ والبغضاء المتزايدتان؛

وتنمحي الأخلاقُ الفاضلة، ولا تبقى إلا الهمجية. وحاشا أن تصدر مثل هذه التعاليم الظالمة عن الله الذي لا يؤاخذ أحدًا إلا بعد إقامة الحجّة عليه .

علينا أن نفكر هل من الحق في شيء أن نقتل، دون تروٍّ أو تريُّث، شخصًا لا يؤمن بدين حقّ بسبب عدم اطلاعه على دلائل صدقه وسمو تعاليمه ومزاياه؟ كلا، بل إن مثل هذا الشخص أحقُّ بالترحم، وأجدر أن نوضّح له بكل رفق ولين صدقَ ذلك الدين وفضائله ومنافعه الروحية، لا أن نُقابل إنكارَه بالسيف أو الرصاص. ولذلك فإن عقيدة الجهاد لدى هذه الفرق الإسلامية في عصرنا - بالإضافة إلى زعمهم بأنه يوشك أن يأتي زمان يُبعث فيه مهدي سفّاح باسم الإمام محمد وأن ينزل المسيح من السماء لنصرته وأنهما سيقومان معًا بقتل الشعوب غير المسلمة جمعاء لكفرها بالإسلام - لأمرٌ يُنافي المقتضى الأخلاقي منافاةً شديدة. أفلا تعطّل هذه العقيدةُ في أصحابها جميعَ المواهب الإنسانية الطيبة، وتثير فيهم النزعات الهمجيةَ السبُعيةَ، وتجعلهم يُعاشرون كلَّ شعب بالنفاق...." (المسيح الناصري في الهند).

وغني عن البيان ما ألحقت هذه المفاهيم الخاطئة عن الجهاد من أضرار بالمسلمين، حتى بدءوا اليوم يتراجعون عنها مضطرين بضغط من الغرب، بدل أن يتراجعوا عنها من خلال الآيات القرآنية وأسوة النبي ﷺ التي تثبت حرمة ما يذهبون إليه من عدوانية وقتل للأبرياء ونفاق وتحايل.

وهناك اعتراض مشابه لهذا؛ حيث يتهم البعض المسيح الموعود عليه السلام أنه أعلن بأنه غرسة غرسها الاستعمار بيده، وقد قطعوا عبارة من هذه الفقرة التي يقول فيها عليه السلام: "لقد وصلتني أخبار متتابعة بأن بعض من يعادونني لاختلاف في العقيدة، أو لعداوتهم لأصدقائي أو لأي سبب آخر، يسعون إلى الحكام الكرام ضدي أو ضد أصدقائي بما لا أساس له أصلاً. أخشى أن تنطلي افتراءاتهم ووِشاياتهم اليومية على المسؤولين الحكوميين، فيسيئوا بنا الظن... لذا أرجو من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي اختبرت ولاءَها وخدماتِها لها لحوالي خمسين عاما متتالية، والتي اعترف الموظفون الحكوميون الكرام في مراسلاتهم لها اعترافًا أكيدًا بأنها أسرة وفيَّة ومخلصة في ولائها.. أقول: أرجو من الحكومة أن تعامل، هذا الغراس الذي غرسته بيدها، بكل حزم واحتياط وعناية وبعد تحقيق حتى لا تضيع هذه التضحيات". (كتاب البرية، الخزائن الروحانية؛ ج 13، ص 349 - 350)

إذًا، المسيح الموعود عليه السلام ينبه الحكومة حتى لا تنخدع بوشايات الخصوم الذين يتهمونه عليه السلام بالعمل للانقلاب على الحكومة، فهو يؤكد للحكومة أن ذلك مجرد إشاعات كاذبة، وأنه ليس للحكومة أن تنسى ولاء عائلة المسيح الموعود عليه السلام لها.

علما أن هذه العائلة ليست أحمدية، بل كانت من ألد خصوم الجماعة، فأعمام المسيح الموعود عليه السلام كانوا من كبار معارضيه.

الاعتراض:

يقال أن هناك وثيقة تثبت عمالة المسيح الموعود عليه السلام للإنجليز، حيث عرض عليهم أن يسجل أسماء الذين لا يصلون صلاة الجمعة باعتبارهم ثوريين ضد الحكومة.

الردّ:

إن المسيح الموعود عليه السلام لم يكن يعرف العمل السري، ولا النفاق، ولا الظهور بوجهيْن، ولا مخاطبة الناس بطريقة ومخاطبة الحكومة بطريقة أخرى. ولم يكن يحمل عقائد أو مفاهيم تجعله مضطرا للتحايل والكذب والتقية.

أما كثير من المشايخ فإنهم يلقون في المساجد خطبا لا يستطيعون إلقاءها أمام غير المسلمين، ففي المساجد يتحدثون عن الانتصار على الكفار بالقوة، وأمام الكفار يتحدثون عن أهمية التعايش. بين أتباعهم يقرؤون: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾، وأمام النصارى يقرؤون: ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾. وقد تحدث بعضهم عن فقه الأقليات باعتبار أن المسلم له أحكام خاصة في بلاد الغرب!!!

كان المسيح الموعود عليه السلام لا يقول شيئا في الخفاء، بل كان يُصدر إعلانات ينشرها في الصحف، كما كان يؤلف الكتب ويبادر في إرسالها إلى المشايخ في شتى البلدان. أما الإعلانات فلقد جمعت في ثلاثة مجلدات، وسميت مجموعة الاشتهارات؛ أي مجموعة الإعلانات.

ومنذ وجد العقلاء وهم يعلمون أن الجاسوس لا يعلن على الملأ ما يقوم به من عمليات تجسس لصالح العدو، بل إنهم يزودونه بأجهزة تنصت، أو ما شابه ذلك من أجل أن يتمكن من الحصول على معلومات مفيدة للعدو.

والأهم من هذا أن الجاسوس يُظهر غير ما يُبطن، فلا بدّ أن يتقرب للناس، وأن يدغدغ عواطفهم حتى يستميل قلوبهم، فيأمنونه فيتحدثون أمامه بخططهم وإستراتيجيتهم فينقلها للعدو. أما أن يصادم هؤلاء الناس، وأن يستفزهم بإنكار أبرز معتقداتهم؛ فهذا لا يقول به عاقل.

وثيقة العمالة!!

فرح المشايخ الحساد من الهند بإعلانٍ نشره المسيح الموعود عليه السلام في الصحف، فترجموه إلى لغات شتى، فنقله عنهم مشايخ عرب منزوعًا من سياقه، عدا عن تحريف فيه، وسموه وثيقة تثبت عمالة مؤسس الجماعة الأحمدية. وهذه ترجمة هذا الإعلان:

جدير بانتباه الحكومة

مِن قِبَل منظِّمِ اقتراحِ تعطيلِ يوم الجمعة

ميرزا غلام أحمد القادياني، مقاطعة غورداسبور، البنجاب

نصحًا للحكومة الإنجليزية، أرى من الحكمة إعداد قوائم بأسماء أولئك المسلمين الجهلة الذين يضمرون في قلوبهم أن الهند البريطانية دار حرب، وبسبب هذا المرض الباطني، أي بسبب إضمار تمرد خفيّ في قلوبهم؛ أنكروا وجوب صلاة الجمعة (في هذه البلاد)، ولا يريدونها عطلة (أسبوعية). لهذا نقترح تجهيز جدول تُسجل فيه أسماء الأشخاص الذين يجهلون الحق من ذوي الطبيعة المتمردة.

إنه من حسن حظ الحكومة أن عدد أمثال أولئك الأشخاص بين المسلمين الذين يخفون في قلوبهم مثل هذه العقائد الفاسدة قليل جدًّا في الهند البريطانية، وحيث إن هذا الامتحان سوف يكشف بسهولة بالغة أولئك القوم الذين يحملون نوايا سرية جدًّا ضد الحكومة، فقد أردنا -بهذه المناسبة المباركة من باب النصح السياسي لحكومتنا المحسنة- أن يتم - قدر الإمكان- تسجيل أسماء هؤلاء الأشرار الذين يؤكدون بعقائدهم حالتهم المفسدة. إن معرفة هؤلاء الأشخاص في أيام عطلة الجمعة سيكون سهلا، وليس هناك وسيلة مماثلة لمعرفتهم. والسبب هو أن الشخص الذي تؤدي به حماقته وجهله إلى اعتبار الهند البريطانية دار حرب، سوف يرفض بالتأكيد وجوب الجمعة، وبالتالي يُعرف بهذه العلامة أنه يحمل فعلا تلك العقيدة (الفاسدة).

لكننا نخبر الحكومة -بكل احترام- أن هذه القوائم ستبقى محفوظة عندنا كَسِرّ سياسي إلى أن تطلبها منا الحكومة. ونأمل من حكومتنا الحكيمة أيضا أن تحتفظ هي الأخرى بهذه القوائم في بعض دوائرها كَسِرّ خاص بالدولة. أما حاليًا فإننا لن نرسل تلك القوائم التي تضم أولئك الأشخاص إلى الحكومة، بل نكتفي بإرفاق نموذج فارغ للتعريف بشكل القائمة، وهو لا يحتوي حاليًا على أية أسماء. والنموذج يحتوي على أسماء الأشخاص وعناوينهم وهويتهم وهو كما يلي:

الرقم	الاسم والشهرة والوظيفة	الإقامة	المقاطعة	الوصف

(مجموعة الإعلانات؛ ج2، ص 227-228)

خلفية هذا الإعلان:

معلوم أن حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد أعلن أن الله تعالى قد بعثه مسيحا ومهديا. والفكرة لدى عامة المسمين أن وظيفة المهدي والمسيح عسكرية دموية، فهما يخيّران الناس بين الإسلام أو القتل.

ومعلوم أن حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد أعلن أن الدجّال هم القساوسة القادمون لتنصير المسلمين عبر أكاذيبهم ضد الإسلام ونبيّه صلى الله عليه وسلم.

ومعلوم أن حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام قد تحدّى بالمباهلة عددا من أعداء الإسلام، وخصوصًا من المسيحيين والهندوس، وبالذات من كان مرتدا منهم عن الإسلام.

ومعلوم أن مباهلاته مع هؤلاء قد ظهرت نتائجها؛ فمات "آتهم" المسيحي، وقُتل "ليكهرام" الهندوسي قتلا، ومات "دوئي" المسيحي.

ومن ثمّ كان بدهيًّا أن يقوم نصارى وهندوس ومن على شاكلتهم من مسلمين بالوشايات ضد حضرته للحكومة الإنجليزية.

فكان لا بدّ لحضرته من الدفاع عن نفسه، وتوضيح موقفه من هذه الحكومة؛ بأنه لا يضمر ضدها أي نوايا سيئة، فهي لا تمنع المسلمين من ممارسة شعائرهم، بل أحسنت إليهم، ومنحتهم الحرية الدينية كاملة ومنعت السيخ والهندوس من ظلمهم واضطهادهم.

وكان لا بدّ لحضرته من تبيان أنه ليس بوجهيْن كالمشايخ الذين يخفون في قلوبهم غير ما يظهرون. وبالتالي فكان يبين أن مسالمته لهذه الحكومة مسالمة حقيقية، وليست بمزيفة، لذا نراه يلحّ على هذه الحقيقة، فبعد أن ذكر أنه ألّف عددا من الكتب لنفي الجهاد العدواني، نراه يقول: "فكيف يمكن بعد هذا كله أن أكون خائنا للحكومة أو أن أنشر في جماعتي المكائد والمخططات الباعثة على التمرد ضدها؟" (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية؛ ج15، ص155)

ومعلوم أن الشيخ البطالوي ظلّ يشيع الوشايات بأن حضرة ميرزا غلام أحمد عليه السلام خطر على الحكومة، وأنه متمرد عليها، وأنه سيقاتلها بالقوة حين تحين الفرصة التي يعدّ لها.

صلاة الجمعة وعطلتها:

قررت الحكومة البريطانية تخصيص يوم الأحد عطلة أسبوعية في الهند، فطالبها المسيح الموعود عليه السلام بتخصيص يوم الجمعة عطلة للمسلمين.

ولحثّها على ذلك، ولإظهار كذب المشايخ الذين يظهرون الولاء للحكومة، ويضمرون التمرد عليها، ويحرضونها ضده عليه السلام، فإنه طرح فكرة تسجيل أسماء من لا يحضر صلاة الجمعة، باعتباره يرى الهند دار حرب.

ففي هذه الفكرة يُضرب عصفوران بحجر واحد؛ فينكشف المنافق، وتثق الحكومة بأقواله عليه السلام، وتكذب المحرضين ضده. وأساسًا هو يستحثّ الحكومة على تلبية طلب اعتبار الجمعة عطلة للمسلمين.

كان الشيخ البطالوي من ألد أعداء المسيح الموعود عليه السلام، ورغم أنه كان يؤمن بأن الهند دار حرب، إلا أنه طالما حرَّض الحكومة ضده عليه السلام. كان يقول أمام المسلمين: من أدلة كذب الميرزا أنه لا يقاتل الإنجليز. وكان أمام الإنجليز يقول: هذا الرجل يعمل على القضاء على حكمكم؛ فهو يدعي أنه المهدي.

ففي هذا الإعلان يسعى المسيح الموعود إلى كشف نفاق هذا الرجل ومن معه، وليقضي على أكاذيبهم بحجة دامغة، فهو ومن معه يؤمنون بأن الهند دار حرب، أي أنهم هم من يضمر العداوة لبريطانيا، وليس المسيح الموعود.

علما أن الحكومة رفضت هذا الطلب، وظلت العطلة الأسبوعية مقصورة على يوم الأحد للجميع.

ونحن هنا لا نناقش شرعية قتال بريطانيا، بل نناقش وجوب الصدق والوضوح، وحرمة التحايل والكذب والنفاق.

إن تسجيل الأسماء هذا لو تمّ فلن يؤثر على الثورة (الإسلامية العظيمة!!) بل سيفضح النفاق والكذب.. إن الله تعالى لا ينصر المقاتلين الزائفين المنافقين الذين يتقنون الصراخ والتهييج، ثم وقت الشدائد يهربون ويكذبون. إن الصدق والوفاء والأمانة من أهم موجبات النصر. إن المسلم لا يكذب، وليس غامضًا، فالذي يرى أن الهند دار حرب، فليعلن ذلك، بل عليه أن يفتخر بقوله هذا، وأن يدعو الناس إليه، وأن يفرح إنْ كثُر القائلون بقوله، وماذا يضيره أن يُذكر اسمه؟ ثم هل هنالك عقوبة على مجرد الرأي؟ لكن الفكر الفاسد الذي يبيح الظهور بمظهرين، والذي يبيح التقية هو جوهر المصيبة.

باختصار:

العميل لا يصف القساوسة القادمين مع الاستعمار بالدجال.

العميل لا يؤكد على أن هذا الاستعمار هو يأجوج ومأجوج.

العميل لا يدعو الملكة البريطانية إلى الإسلام بقوله: " أيتها المليكة الكريمة الجليلة.. أعجبني أنك مع كمال فضلك، وعلمك وفراستك، تنكرين لدين الإسلام، ولا تُمعِنين فيه بعيون التي تمعنين بها في الأمور العظام. قد رأيت في ليلٍ دجى، والآن لاحت الشمس.. فما لك لا تَرَينَ في الضحى؟

أيتها الجليلة، اعلمي – أيدك الله – أن دين الإسلام مجمع الأنوار، ومنبع الأنهار، وحديقة الأثمار، وما من دين إلا هو شعبته، فانظري إلى حِبره وسِبره وجنّته، وكُوني من الذين يُرزقون منه رزقًا رغدًا ويرتعون. وإن هذا الدين حي مجمع البركات، ومظهر الآيات، يأمر بالطيبات، وينهى عن الخبيثات، ومن قال خلاف ذلك أو أبان فقد مان، ونعوذ بالله من الذين يفترون. فبما إخفائهم الحق وإيوائهم الباطل لعنهم الله ونزع من صدورهم أنوار الفطرة، فنسُوا حظهم منها، وفرحوا بالتعصبات وما يصنعون.

أيتها المليكة.. إن هذا القرآن يطهّر الصدور، ويلقي فيها النور، ويُري الحبور الروحاني والسرور، ومن تبعه فسيجد نورا وجده النبيون. ولا يلقى أنواره إلا الذين لا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا، ويأتونه راغبا في أنواره، فأولئك الذين تفتح أعينهم، وتُزَكّى أنفسهم، فإذا هم مبصرون." (التبليغ)

العميل لا يستفز المسلمين بإنكاره صعود المسيح إلى السماء وحياته فيها ونزوله في آخر الزمان، ولا يعلن أنه المسيح وأنه المهدي وأنه نبي تابع لسيدنا محمد ﷺ. والعميل لا ينكر الجهاد العدواني الذي يؤمنون به باعتباره سيؤدي إلى سيطرتهم على العالم كله، بل إن العميل من يشدّ على أيديهم في أخطائهم هذه لكسب ودّهم وعطفهم. والإنجليز ليسوا أغبياء في اختيار العملاء.

العميل لا يظهر كل ما يبطن.

العميل لا يمكن أن يعتمد الصدق والوضوح، بل الكذب والغموض.

أما مدى شرعية قتال بريطانيا، فإن الشيخ المودودي– ألد أعداء الأحمدية، وأستاذ التكفير في القرن العشرين– يقول فيما يتعلق بالظروف السياسية في الهند في زمن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "عندئذ كان من واجب المسلمين أن يضحوا بأرواحهم حماية للدولة الإسلامية بالهند أو يهاجروا منها بعد الهزيمة. ولكنهم عندما صاروا مغلوبين واستتب حكم الإنجليز فيها، ورضي المسلمون بالعيش هناك مع حرية العمل حسب قوانينهم الخاصة بهم، فلم تعد هذه البلاد دار حرب." (الربا ج1،ص77، 78، الحاشية)

وهذا هو موقف الجماعة الإسلامية الأحمدية أيضا؛ فإذا بدأكم أحد بالقتال فقاتِلوه، واحموا الأعراض والأموال والدين، ولا تستسلموا ولو سقط الجميع شهداءً حتى الأولاد الصغار واحد تِلو

الآخر. لأن البلاد عندها تكون دار حرب، وعندها يجوز أن يسمى كل قتال دفاعي بالجهاد الإسلامي.

وقبل ذلك وبعده: المسلم لا يكذب ولا يغدر ولا يخون ولا يتحايل ولا ينافق وليس له إلا لسان واحد ووجه واحد، ولا يقتل بريئا. فالتزِموا هذه القيم العظيمة، ثم اجتهدوا وجاهدوا وقاتلوا وفاوضوا وصالحوا وهادنوا كيفما شئتم.

الاعتراض

الأحمديون عملاء لإسرائيل، والدليل على ذلك مركزهم في حيفا.

الردّ[29]:

إن كل ما في الأمر هو مجرد وجود مركز لها في قرية "الكبابير" (بحيفا) التي كانت قد دخلت كلها الأحمدية في وسط العشرينيات، وقد أقيم هذا المركز عام 1928م؛ أي قبل قيام كيان (دولة) إسرائيل بعشرين سنة! وعندما نشبت الحرب بين العرب والحركة الصهيونية سنة 1948م استسلمت الكبابير مع مدينة حيفا والمدن العربية الأخرى، ورأى أهلُها- الذين لم يتجاوز عددهم آنذاك بضع مئات- أن يظلوا في بيوتهم وعلى أرضهم، وأن لا يتركوا وطنهم ليصبحوا لاجئين في بلاد الغُربة. وهكذا فعل كثيرون غيرهم من أهل القرى والمدن العربية، وبقي داخلَ حدود كيان دولة إسرائيل حوالي مائتي ألف مسلم، واليوم يتجاوز عددهم المليون.

ولكن اتخذ هؤلاء الظالمون من تمسك المسلمين الأحمديين بأرضهم وديارهم حجةً، فراحوا يتهموننا بالتآمر مع الصهيونية ضد الإسلام والمسلمين. فإذا كان التمسك بأرض الوطن جريمةً ومؤامرةً مع الصهاينة، فلماذا لا يعتبرون المسلمين العرب الآخرين المتمسكين هنالك بأرضهم وديارهم خونةً للإسلام وعملاءَ للصهاينة؟

لقد فقد هؤلاء الحياء لدرجة أنهم نشروا في الصحف سنة 1984م كذبًا وزورًا أن أبناء الأحمدية يحاربون في صفوف الجيش الإسرائيلي ويقتلون إخوانهم المسلمين، ويتدرب المئات منهم في معسكرات الجيش الإسرائيلي. وردًا على هذه الاتهامات نشرت الجماعة في مجلتها العالمية Review of Religion (نقد الأديان) في نيسان/أبريل سنة 1985، عشر وثائق من

---

[29] هذا الرد من كتاب (الجماعة الإسلامية الأحمدية.. عقائد ومفاهيم ونبذة تعريفية)

شخصيات مسلمة معروفة في إسرائيل تدحض هذه الادعاءات الكاذبة. وهذه الشخصيات العشر هي:

1- الشيخ محمد حبيشي؛ قاضي عكا وحيفا الشرعي

2- الشيخ فريد وجدي الطبري؛ قاضي يافا والقدس الغربية الشرعي

3- السيد محمد وتد؛ نائب برلمان من جت

4- الدكتور سامي مرعي؛ أستاذ محاضر في جامعة حيفا، من عرعرة

5- الدكتور محمود طبعوني من الناصرة؛ مهندس بناء ومحاضر في التخنيون بحيفا

6- السيد محمد مصاروة؛ محام ورئيس المجلس المحلي في كفر قرع

7- السيد إبراهيم نمر حسين؛ رئيس بلدية شفا عمرو، ورئيس لجنة السلطات المحلية العربية في إسرائيل

8- السيد سمير درويش؛ رئيس المجلس المحلي في باقة الغربية

9- الدكتور محمود مصالحة؛ مدير المدرسة الثانوية في دبوريه

10- السيد فتحي فوراني؛ رئيس جمعية المبادرة الإسلامية بحيفا

ألا يخجل هؤلاء الظالمون من إذاعة هذه الأخبار الكاذبة، أم يظنون أنهم يخدمون بذلك الإسلام ويحسنون صُنعًا؟ كلا سيعلمون، ثم كلا سيعلمون حين يقفون أمام الله ليحاسبهم يوم القيامة.

الواقع أنه لم ينخرط في الجيش الإسرائيلي - أو حتى في سلك الشرطة- ولا أحمدي واحد، منذ تأسيس كيان الدولة الإسرائيلية. وإننا نتحداهم أن يأتوا بمثال واحد لأحمدي انخرط في الجيش أو الشرطة الإسرائيلية.

الاعتراض:

الأحمدية تتعاون مع الماسونية لهدم العقيدة الإسلامية.

الردّ[30]:

الحق أن الواقع هو عكس ذلك تمامًا. فليكن معلومًا أن إمام الجماعة الإسلامية الأحمدية حضرة ميرزا محمود أحمد رضي الله عنه – الخليفة الثاني لمؤسس الأحمدية عليه السلام – كان من أوائل من كشفوا الستار عن خفايا الماسونية وأخطارها، وذلك في وقت كان أبرز زعماء المسلمين وقادتهم الروحيين أعضاءً في هذه المنظمة، ومنهم من لا يزالون يرأسون محافل الماسونية في بلادهم. لقد تصدت الجماعة الإسلامية الأحمدية للحركة الماسونية زمنًا طويلاً. صحيح أنه كثر الحديث مؤخرًا عن هذه الحركة السرية وبأنها صنيعة الصهيونية، وحذر مؤتمرُ المنظمات الإسلامية سنة 1974م مِن خطرها ومِن قبول أي مسلم ينتمي إلى هذه الحركة لمنصب إسلامي أيا كان، ولكن ما الذي حدث؟ هل طهرت المراكز الدينية والسياسية والثقافية في الدول الإسلامية من الماسونية؟ كلا ثم كلا؛ فلا زال الكثير من المسلمين من قادة الفكر وكبار السياسيين ورجال الدين من قضاة وغيرهم ماسونيين.

وكما قلنا؛ لقد حذرت الجماعةُ الإسلامية الأحمدية من هذه الحركة الهدامة للدين في الثلاثينات من القرن الماضي (مجلة البشرى، الكبابير؛ كانون الأول سنة 1934). لا، بل قبل ذلك بكثير؛ حيث نبّه الله تعالى سيدَنا المسيح الموعود عليه السلام بالوحي من خطر الماسونية على العالم، وذلك في وقت لم تكن الدنيا على علمٍ بأهداف وأسرار الحركة الماسونية الهدامة. والإلهام المشار إليه كان باللغة الأردية، وتعريبه:

"لن يُسمَح للماسونيين ليتسلَّطوا فيُهلِكوه". (التذكرة، ص411)

إن الماسونية في الأساس قامت ضد الأديان السماوية، ولذا كيف يمكن أن تكون الأحمدية مع العدو الذي حذر الله منه مؤسّسَها بالوحي!؟ كلا، ليس هناك ولا أحمدي واحد عضوًا في هذه الحركة. وإننا لنتحدى جميعَ من يتهمنا بأننا حلفاء للماسونية أن يأتوا ولو بمثال واحد لأحمدي انضم إلى هذه الحركة. بينما هناك العشرات، بل المئات من المسلمين- من الرؤساء والملوك والعلماء والقضاة والزعماء- الذين هم أعضاء رسميون في الماسونية إلى يومنا هذا.

الاعتراض:

[30] هذا الرد من كتاب (الجماعة الإسلامية الأحمدية.. عقائد ومفاهيم ونبذة تعريفية)

هل تقاتلون إذا تعرضتم لأي اعتداء من أي أحد كان؟ وهل تجوز الثورة على النظام الحاكم إن ظَلم؟

الردّ:

إن المسلم المعتدى عليه، إما أن يكون حاكما أو محكوما؛ فإن كان حاكما فواجبه الدفاع عن رعيته، إذ قال رسول الله ﷺ "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...) (البخاري)

وهذا الدفاع يستلزم إعداد الجيش وتسليحه بأقوى الأسلحة.

أما إن كان المسلم المعتدى عليه محكومًا؛ أي مواطنًا في دولة، فإنه لا بد أن يكون خاضعًا لهذه الدولة ونظامها، وهذا يتضمن أن يتصرف بناء على القانون في دولته، والقانون يقضي بأن يشتكي أي مظلوم إلى المحكمة لا أن يأخذ القانون بيده.

وبالتالي بات مفهوما أن جماعتنا إن تعرضت لعدوان في أي بلد، فإنها تلجأ إلى المحاكم لتشتكي إن شاءت، أو تصبر على هذا الظلم، مصداقا لقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾.

وأما إن كان المعتدي على الجماعة هي الدولة نفسها(أي هو النظام الحاكم نفسُه) فإن الجماعة تسير في مراحل ثلاث في مواجهة هذا الاضطهاد الديني:

أولا: تصبر على الظلم قدر المستطاع، وثانيا: يهاجر أفرادها إن استطاعوا الهجرة. وثالثا: إن مُنعوا من الهجرة فقد صار جائزا لهم أن يخرجوا على هذه الدولة الظالمة المخلة بأمن مواطنيها المسالمين ويقاتلوها. والذي يقرر الخروج من عدمه، هو أمير المؤمنين وليس أي فرد منها، فلا يجوز الخروج بناء على قرار فردي. وأمير المؤمنين يلجأ إلى الدعاء في هذه المسألة إلى الله الذي يهديه إلى خير قرار، ثم يقوم بالتشاور مع الجماعة، فإن قرر الخروج، فلا بدّ من إعلان هذا الخروج قبل القيام بأي عمل ضد الحكومة، وإلا فإن هذا غدر وخيانة وكذب.

يقول الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام في التفسير الكبير: "إن الإسلام يمنح الإنسان حق المقاومة للحكومة التي تضطهده، وتمنعه من الهجرة إلى بلد آخر.. ويسمح له أن يثور عليها ثورة سرية[31] أو علنية. يصرح الإسلام بأنه إذا غضب عليكم الحاكم ظلمًا واضطهدكم، فانتظروا

---

[31] قد يُظنّ أول وهلة أن هناك تعارضًا بين الفقرة السابقة التي تؤكد على أن الخروج على الحاكم لا بد أن يسبقه إعلان، وبين هذه العبارة التي تجيز الثورة السريّة، والحقّ أنه ليس هنالك من تعارض، فمعلوم أن أي عمليات عسكرية بين المتحاربين لا بد أن تتضمن مقدارا من السرية حول تفاصيل قوة كل طرف وتسليحه وخططه. أما فيما يتعلق بالثورة، فالثورة السرية المشروعة لا تعني التمرد مع إظهار الولاء، وإنما تعني الحرص على إخفاء أكبر للمعلومات التفصيلية، وهذا ما يحدث عادة عندما يكون المضطهدون في أقاليم مختلطة تسيطر عليها الحكومة سيطرة كاملة. أما عندما يكون الثوار في أقاليم منفصلة يشكلون فيها غالبية، ولا تسيطر عليها الحكومة سيطرة كاملة، فهم غالبا يكونون

واصبروا حتى يأتي فرج الله تعالى. وإذا اشتد الاضطهاد بحيث لم تعودوا تستطيعون الصبر فاهجروا تلك الأرض إلى أخرى. فإذا منعكم من الهجرة ولم ينفك عن الاضطهاد فلكم أن تقاوموه وأنتم في بلده.... إن المؤمنين يصبرون على ما يستطيعون عليه صبرا، أما إذا رأوا أنهم لا يستطيعون الصبر صرّحوا بأننا لا نستطيع صبرا.. فخذوا أموالنا وأرضنا وديارنا وخلّوا سبيلنا. ولكن إذا منعتهم الحكومة من ذلك أيضًا فلهم الحق في مقاومتها.. لأنهم ضحّوا بأموالهم وديارهم ولم يخلّوا بالأمن، ولكن الحاكم هو الذي يخلّ بالأمن إذ يمنعهم من الهجرة، ويدفعهم لمقاومته." (التفسير الكبير؛ ج2، تفسير الآية 103 من سورة البقرة)

لا بد من التأكيد أن المرحلة الثالثة تجيز الخروج ولا توجبه، والأولى أن يختار المسلم الصبر أو الهجرة، لأن الصبر جزء من الدعوة، جزء من القدوة، ولأنه بالصبر والتحمل يُصنع الرجال الروحانيون، وهذا هو هدف الدين.

وباختصار، فإن ردّ عدوان الحاكم الظالم -إذا اقتضى الأمر ذلك كخيار أخير- لا يكون بقرار فردي، وإنما يكون بقرار الخليفة، فهو يقود الجماعة على ضوء هدي رباني، وبناء على شورى المؤمنين، فهو أدرى بالقرار المناسب.

ولكن لا بد من التنبيه إلى أننا نتحدث عن الخيار الثالث من باب التأصيل النظري، وإلا فإن هذا غير حاصل الآن. وهكذا حين تحدث الخليفة الثاني ﷺ، فقد أجاب على ذلك من باب احتمالية حصول ذلك، وليس من باب أنه لا بدّ أن يقع.

لقد تنبأ الرسول ﷺ أن المسيح الموعود ﷺ سيضع الحربَ (البخاري)، أي أن الحروب الدينية ستنتهي في عهد المسيح الموعود ﷺ. ففي هذا العصر انتهى القتال الديني، ولن تقوم حروب حقيقية بين الشعوب بسبب الدين.

إن القتال الدائر هذه الأيام ليس ضد الإسلام، بل هو ضد حكومات إسلامية، ولا شك أنه يجب على هذه الحكومات أن تدافع عن نفسها وبلدها وأرضها.. وهذا ليس قتالا دينيًّا.

ورغم أن الحكومة الباكستانية قد سنّت قانونا ظالما ضد جماعتنا، لكن هذه الحكومة لم تدعُ إلى قتل الأحمديين. كما أننا لم نجبن قط، بل أعلنّا أنهم لا يمكن أن يمنعونا من نطق الشهادة وأداء الصلاة أبدًا. لقد ملأ الأحمديون السجون، ولكن لم نقبل قرارهم.

أقل سرية ويظهرون مزيدا من التفصيلات حول ثورتهم. أي أن مقدار السرية- الذي قد يزيد أو ينقص- إنما يتعلق بالظروف. المهم ألا يتضمن الأمر أي كذب أو غدر أو خيانة.

إن من واجب المسلم أن يقاتل دفاعا عن بلده كلما خاضت حكومته حربًا ضد حكومات أخرى. وإن تضحيات الجنود الأحمديين في حروب باكستان ضد الهند لمعروفة، وقد استشهد عدد منهم في هذه الحروب.

ثم إنه لا بدّ من التذكير أن القتال من مهمات الحكومات وليس التنظيمات، وإن ما تفعله كثير من التنظيمات هذه الأيام ليس إلا فسادًا في الأرض؛ إذ يقتلون الأبرياء، بل يقتل المسلم أخاه المسلمَ، والقرآن الكريم يأمر الحكومات الإسلامية أن تجتمع ضد هؤلاء المفسدين لإيقاف هذا الفساد والظلم، إذ قال تعالى ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

الاعتراض:

يقال إن الشرط الرابع من شروط البيعة، كان الولاء للحكومة البريطانية؟

الردّ:

هذه الكذبة تعني أن نص بيعة المسيح الموعود عليه السلام كان يتضمن شرطا نصه: وجوب طاعة الحكومة البريطانية. وقد أتوْا على كذبتهم بترجمة غير دقيقة لصفحة من صفحات إعلان كان قد نشره المسيح الموعود عليه السلام - الذي كان كثيرا ما ينشر الإعلانات ويوزعها في أنحاء الهند، وفي جرائد الجماعة، وقد جُمعت هذه الإعلانات وطبعت في ثلاثة مجلدات.. وهي غير كتبه عليه السلام المجموعة في 23 مجلدا، وغير ملفوظاته (أقواله) التي جمعها صحابته عليه السلام في عشرة مجلدات، وغير رسائله التي جمعت في خمسة مجلدات.

مهما يكن، فهذا هو نص الشرط الرابع في البيعة: "ألا يؤذيَ (المبايع)، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائره النفسية.. لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر".

وقبل تفنيد أكذوبة حذف شرط الولاء لتلك الحكومة، ليكن معلوما للجميع أن الطبعة الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام لا زالت موجودة، وستظل بإذن الله تعالى. لذا لا يمكن لأحمدي ولا لغير أحمدي أن يحذف شيئًا مما قاله عليه السلام أو أن يضيف إليه، وإلا سوف ينكشف كذبه وتزييفه بكل سرعة، بل إن الخطأ البسيط سرعان ما يُكتشف.. ففي الطبعة الثانية حصلت بعض الأخطاء المطبعية، لذا نحرص على الرجوع إلى الطبعة الأولى عند طباعة الكتب على الحاسوب لا إلى الطبعة الثانية. ويعلم هذا الأمر عددٌ من الإخوة العرب من بلدان عربية عديدة مِن الذين يشتركون في شَرَف إخراج هذه الكتب بطبعات حديثة على الحاسوب.

لذا فإننا ندعو محترفي التشويه أن يتقوا الله في أكاذيبهم، فلسنا بحاجة إلى تزييف شيء، وقد تعهد الله نفسه بأن ينصر جماعة المسيح الموعود عليه السلام. إنه سبحانه وتعالى هو مَن بعث المسيح الموعود عليه السلام، وهو القائل ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ وهو القائل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. لذا تبًّا لأي دفاع مبني على أكاذيب. وحاشا لله أن نقوم بمثله، إذ نعلم قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

أما الاشتهار (الإعلان) الذي يتحدث عنه المشايخ المضللون -من الهنود والباكستانيين وممن خُدع بهم من مترجمين عرب- فهو إعلان نشره حضرة المسيح الموعود عليه السلام في 20-9-1897، وجاء هذا النشر على إثر موت المرتد القسيس عبد الله آتهم الذي باهله المسيح الموعود.. وجاء موته في موعد النبوءة بهلاكه.

وقد كان الجوّ مهيّئا لاتهام المسيح الموعود عليه السلام بالقتل والإيعاز به.. لذا فقد أوْعز قسيسون لشخص اسمه "عبد الحميد" أن يشهد في المحكمة بأن ميرزا غلام أحمد قد بعثه لقتل القسيس مارتن كلارك، وشهد معه خمسةٌ على فريته بمن فيهم الشيخ محمد حسين البطالوي. وتعتبر هذه إدانة واضحة لحضرة المسيح الموعود، ولا مجال لنجاته من أقصى عقوبة إلا بفضل من الله تعالى مستجيب الدعاء. ولكن حين لاحظ القاضي تناقضا في شهادة عبد الحميد، أمر رئيس الشرطة أن يقوم بالمزيد من التحقيق معه، عند ذلك اعترف عبد الحميد في المحكمة أنه فعل فعلته بإيعاز من القساوسة. وتحققت براءة المسيح الموعود عليه السلام في نهاية الأمر بفضل من الله.

وكان مارتن كلارك وغيره من القسس قد صرّحوا في بيانهم في هذه المحكمة أن ميرزا غلام أحمد خطِر على الحكومة البريطانية، فجاء هذا الإعلان من حضرته ليفنّد هذا الزعم، فقال فيه بأنه رجل مسالم مطيع للحكومة غير متمرد عليها، وأنه يحبّ السلم مع كل إنسان، ويدعو أتباعه إلى الرفق واللين وعدم إيذاء خلق الله عموما، وأن هذا من شروط البيعة.. وبالتالي فلا يمكن أن يصحّ قول مارتن كلارك.. وكذلك فنّد قول الشيخ البطالوي الذي كان يكرر مثل مقولة كلارك. كما برر المسيح الموعود عليه السلام ورود كلامٍ قاسٍ في كتاباته ضد كلارك وغيره من القساوسة الذين تمادوا في اعتدائهم على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم، ودعا الحكومة إلى ضبط المناظرات بين الأديان، وأكد على السلم الاجتماعي.

وأكد المسيح الموعود عليه السلام على تعميم هذا الإعلان على المقاطعات الهندية حتى يلتزم به أتباعه، وحتى تتأكد الحكومة البريطانية من صدق نواياه.

وتابع يقول: "إنني إنسان مسالم، وإن طاعة الحكومة ومواساة خلق الله تعالى هو مبدأي الذي أتمسك به، والذي جعلته ضمن شروط البيعة التي آخذها من أتباعي، وقد تمّ التصريح عن هذه الأمور في البند الرابع في ورقة البيعة التي توزع دائما على أتباعي"

وقال أيضا: "ومن خلال هذا الإعلان أوصي جميع أتباعي الذين يقيمون في البنجاب وغيرها من المناطق الهندية وصية مؤكدة بأن يلتزموا هذا الأسلوب في مناظراتهم، ويتجنبوا استعمال الكلمات القاسية المثيرة للفتنة. وبحسب ما نصحتهم من قبل في البند الرابع من شروط البيعة يجب أن يخلصوا للحكومة الإنجليزية بصدق، وأن يواسوا خلق الله مواساة صادقة، ويبتعدوا عن كل طريق مثير للفتنة، ويقدموا نموذجا طيبا للحياة الطاهرة، وأن يظلوا ورعين صالحين مسالمين. ومَن لم يلتزم منهم بهذه الوصايا ويلجأ إلى أي اندفاع غير لائق وإلى أي وحشية أو بذاءة، فليعلم أنه يُعتبر مطرودا من جماعتنا، ولن يكون مني في شيء." (مجموعة الاشتهارات؛ المجلد الثاني، ص465و 468-469، رقم الاشتهار 179).

ففي هذه الفقرة يشرح المسيح الموعود ﷺ المعنى المتضمن في البند الرابع - من شروط البيعة- القائل: "ألا يؤذيَ، بغير حق، أحدًا من خلق الله عمومًا والمسلمين خصوصًا من جراء ثوائره النفسية.. لا بيده ولا بلسانه ولا بأي طريق آخر".

فكأنه يقول: ما دام واجبا على الأحمدي أن لا يؤذي أحدًا من خلق الله عمومًا من جراء ثوائره النفسية، فواجب عليه أن لا يؤذي هذه الحكومة ما دامت على ما هي عليه. وبالتالي يثبت كذب وشايات القساوسة.

فهو يشرح البند الرابع ولا يكتبه حرفيا.. أي أنه يطبق ما جاء في هذا البند على واقع أي مسلم أحمدي في الهند، فهذا الشرط يعني أن لا يتمرد الأحمدي ولا يثور على تلك الحكومة المتصفة بتلك الصفات.

وهذا كله جاء في ثنايا تفنيد تهمة مارتن كلارك ومحمد حسين البطالوي وغيرهما من الذين ظلوا يكررون وشاياتهم إلى الحكومة، ويستخدمون أساليب قذرة بإرسال أناس مفترين يلصقون تهمة القتل بالمسيح الموعود لتتم محاكمته وإعدامه.

إن الكذب وظنّ السوء سلاح هؤلاء المشايخ الذين يلصقون التهم بالمسيح الموعود ..ﷺإنهم يجعلون رزقهم أنهم يكذبون.

ثم نقول لمحترفي الكذب الزاعمين أنّ جماعتنا قد أخفت هذا الشرط: أَرُونا في أي كتاب وجدتموه؟ أكان مشايخكم السابقون سيخفونه لو عثروا عليه؟ أولئك الذين كانوا يحرضون عليه الحكومة نهارا

بأنه خطير لادعائه المهدوية التي تعني حربا على الحكومة، ويحرضون عامّة المسلمين ضدّه ليلا بأنه لا يقاتل الحكومة؟ وحيث إنكم لم تجدوه مكتوبا ولن تجدوه، فتوبوا إلى الله على جرأتكم على الكذب باستمرار.

الفصل السابع[32]

اعتراضات على تفسير آيات قرآنية

الاعتراض:

هل بوذا نبي؟ ولماذا لم يذكره القرآن الكريم؟ وهل يمكن أن يدعو لعبادة الأوثان كما هي حالة البوذيين اليوم؟

الردّ:

أولا: لم يذكر الله تعالى كل الأنبياء الذين أرسلهم، بل بعضهم؛ إذ قال تعالى ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾، وبوذا أحد هؤلاء.

ثانيا: إن الله تعالى ليس منحازا لبني إسرائيل، لذا فإنه أرسل الرسل إلى أمم الأرض من غير بني إسرائيل أيضا؛ إذ قال تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِير﴾ وقال تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، ومن هذه الأمم؛ الأمم التي تعتنق الديانة البوذية الآن.

ثالثا: رغم أن أتباع الأنبياء يفسدون مع الزمن، وينحرفون بدعوة نبيهم عن صراطها المستقيم، إلا أنه لا يمكن لمتقول على الله الكذب أن يفلح، بل لا بد من أن تنتهي دعوته. لذا فإن هناك الكثير من الأديان المنحرفة والباطلة الآن، ولكنها كانت في أصلها من عند الله تعالى، ومنها البوذية. لقد انتشرت الأديان بنصرة الله ﷻ لرسله، إذ قال تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾. ولو كان بوذا متقولا على الله لسرعان ما انتهت دعوته؛ إذ قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾. وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ* فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾.

لا بد أن يكون أساس البوذية صحيحا؛ لأنه لو لم يكن كذلك لانتهى دينهم. لأن الله تعهد بالقضاء على من تقوّل عليه. أما تحريف دين الأنبياء السابقين فلم يتعهد الله تعالى بعدم حدوثه، كما لم يتعهد بالقضاء على الكفر وأهله، بل اقتصر التعهد على القضاء على المتقوّل عليه، أي مَن ينسب إليه وحيًا.

من هنا فإن جماعتنا الإسلامية الأحمدية تؤمن أن بوذا كان نبيا، حيث يظهر ذلك من خلال الاطلاع على التعاليم التي جاء بها، وأحواله التي تشبه أحوال أنبياء الله كثيرا، رغم أن أخطاء

[32] هذا الفصل؛ هو من بند الأسئلة والأجوبة في الموقع العربي الرسمي للجماعة، إلا إذا ذكر غير ذلك

فادحة قد تسربت إليها مع الزمن، فابتعد أهلها عن الروحانية، ولم يتبق سوى التقاليد والطقوس التي لا تنهى عن فحشاء ومنكر، ولا ترفع من مستوى الأخلاق ولا تقرب من الله.

الاعتراض:

يقول بعض المسيحيين أن القرآن الكريم يشهد بألوهية المسيح، حيث إن القرآن ينص أنه يحيي الموتى. فما قولكم؟

الردّ:

لقد بيّن الله تعالى في القرآن الكريم أن المسيح عبد الله ورسوله، وليس له من الألوهية نصيب، فقال تعالى (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ)، وقال (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وقال (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ).

لذا لا يمكن بعد هذا الاعلان الواضح الصريح أن نقول بأن القرآن يقر بألوهية المسيح.

أما إشاعة إحياء المسيح عليه السلام للموتى ماديًّا فهناك ثلاث قضايا لا بد من التدليل عليها لتفنيدها؛ أولاها أنه لا رجوع لأحد من الموت قبل يوم القيامة، لأن الله تعالى نفسه هو من قرر ذلك، وثانيها أن الإحياء لله تعالى وحده وليس لأي مخلوق، وثالثها أن القرآن استخدم ألفاظ الموت والصمم والعمى للدلالة على الموت والصمم والعمى الروحاني.

الأدلة على أن لا رجوع من الموت لأحد قبل يوم القيامة:

هنالك أدلة قرآنية عديدة على أن الموتى لا يعودون إلى الحياة قبل يوم القيامة. ولما كان الله عليما حكيما، فلا يجوز أن ننسب له سبحانه وتعالى تناقضا في قوله؛ بحيث يخطئ في قوله الأول، ثم يعود ليصححه. فالله تعالى يؤكد أن الميت لا يعود، وليس لهذا أي استثناء. وفيما يلي بعض هذه الآيات القرآنية:

1- قال تعالى ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معنى الآية: إن النفس التي يتوفاها الله يمسكها عن العودة إلى الحياة، ويرسل إلى الحياة مَن لم يقضِ عليها الموت.

2-وقال تعالى عن المتقين في الجنّة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، ومعنى الآية واضح في أنه لا موت إلا الموتة الأولى. ولو أحيي الله ميتا قبل القيامة، فإنه سيميته ميتة ثانية. وهذا نقض للآية.

3- وقال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

وهذا يعني أن أي ميت سيرجع إلى الله فور وفاته.

قال الله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. وحين يرجع الميت إلى الله، فلا مجال للعودة، ولا سيما إذا دخل أحد بموته الجنة، كما حصل مع المسيح عليه السلام، فلا يخرجه الله منها ولا يعيده إلى الدنيا ثانية، وقال تعالى عن المتقين في الجنّة ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

4- وقال تعالى ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾؟ والجواب؛ لا مجال لرجوع أحد. علمًا أن الميتة الأولى هي العدم، والثانية هي الميتة المعروفة. والإحياء الأول؛ هو إحياءٌ للميتة الأولى (النطفة)، ويتم بالتكوين في رَحِم الأم. والإحياء الثاني؛ هو الإحياء من بعد الموت، أي أنه لم يبق أي مجال للقول إن هناك ميتة أخرى وإحياء آخر.

5- وقال تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

فلو كان الله سيحيي أحدا، فسيكون قد أحياه ثلاث مرات حتى يوم القيامة.. وهذا بخلاف الآية. فهذه الآية تذكر أن موتا وحياة قد تحققا للناس، وأنهم بانتظار الموت ثم الحياة الآخرة التي يرجعون فيها إلى الله تعالى.

6- وقال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾.

فلو كان الله سيحيي ميتًا موتًا ماديًا، فسيكون قد أحياه ثلاث مرات حتى يوم القيامة. وهذا بخلاف الآية.

7- وقال تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

نص قاطع في عدم عودة الأمم الهالكة، وبالتالي عدم عودة أحد منها.

ولو فسر أحد هذه الآيات تفسيرا مخالفا، فنضع أمامه تفسير الرسول ﷺ لها، فقد جاء في الحديث الشريف: عن جَابِرِ بْن عَبْدِ الله يَقُولُ لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ رَسُولُ

الله: يَا جَابِرُ، أَلا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ لأَبِيكَ؟ قُلْتُ بَلَى. قَالَ: مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا إِلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا؛ فَقَالَ يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ: إنه سَبَقَ مِنِّي أَنهمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ. قَالَ يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي فَأَنزلَ الله عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الآيَةَ ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا..﴾ (سنن ابن ماجة؛ كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله).

ومن يرفض هذا التفسير نذكّره بقوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّموكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، وقوله تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾.

الإحياء من الموت المادي هو لله وحده:

الآيات السابقة كلها تنفي أن يحيي الله ميتا قبل يوم القيامة. أما أن يكون المحيي هو المسيح، فإن هناك أدلة أخرى تنفي ذلك، وليس هذه الآيات فقط، وأهمها أن الله وحده هو المحيي، وليست هذه الصفة لأحد من البشر. ولقد نبه الله تعالى بقوله ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ إلى أن هؤلاء الآلهة لو كانت تملك شيئًا من القدرة الإلهية لأنقذوا أنفسهم من الموت. والمسيح مِن أكبر مَن اتُّخذ إلها من دون الله، وهو لم يملك أن ينجي نفسه من الموت، فكيف يمكنه أن ينجي غيره؟!

والدليل الثاني قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.. فالله وحده خالق الموت والحياة، وليس غيره. كما أن قوله تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ يؤكد أن الله وحده هو الخالق، ومَن دونه لن يخلقوا شيئا.

والدليل الثالث قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾

والدليل الرابع قوله تعالى ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

والدليل الخامس قوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾

وهناك آيات عديدة تحمل المعنى نفسه.

وأما قوله تعالى – على لسان المسيح عليه السلام – ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فلا يمنح المسيح خاصية الإحياء المادي، لأن كل عمل يقوم به النبي– بل الإنسان– يتم بإذن الله وحده.

الموت والصمم والعمى نوعان:

وحيث إن هناك موتا ماديا وموتا روحيا، فكان لا بد من وجود إحياء مادي وإحياء روحاني. وحيث إن مهمة الأنبياء هي الإحياء الروحاني وليس المادي، فلا معنى لانفراد المسيح بالإحياء المادي. وإذا وجدنا آيات قرآنية تتحدث عن إحياء نبيٍّ آخر الناسَ، وكان المفسرون جميعا قد اتفقوا على تفسيرها بالإحياء الروحاني، فقد حُقَّ لنا أن نستهجن تخصيص المسيح بالإحياء المادي! فقد قال الله تعالى بشأن رسوله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: 25).. فلماذا يعتبرون إحياء المسيح يختلف عن إحياء سيدنا محمد؟ بل إن إحياء سيدنا محمد ﷺ أقوى وأفضل من إحياء المسيح الذي خذله حواريوه حين أُلقي القبض عليه، بينما قاتل الصحابة عن يمين الرسول ﷺ وعن يساره، وقالوا له: لو خضت بنا البحر لخضناه معك.

والدليل على أن الإحياء الذي يقوم به الأنبياء هو إحياء روحاني قوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ* وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾. ويحسن أن ننقل هنا تفسير الآية كما جاء في التفسير الكبير للخليفة الثاني للمسيح الموعود ؑ، حيث قال: "لقد قال الله تعالى من قبل لرسوله ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾، أما الآن فيبين أن من الناس من ينكر الحق مهما كان واضحًا بينًا، فكون هذا القرآن ﴿الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ لا يعني بالضرورة أن الجميع سيقبلونه. ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾.. أي لن تستطيع أن تُسمع الذين قد ماتت قلوبهم وخلت من خشية الله ومحبته. ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.. ولن تستطيع أن تُسمع الذين لا يقدرون على سماع شيء، ولا سبيل لهدايتهم خاصةً إذا ما ولّوا مدبرين عمن يكلّمهم، إذ لا يعودون قادرين على فهم إشارته أيضًا. ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾.. أي لا تستطيع أن تنقذ من الضلال من هو أعمى ولا يريد أن يتبع البصيرة، إنما تستطيع أن تُسمع الحق وتشرحه لمن يؤمن بآيات الله، فهؤلاء هم الذين يدخلون في الإسلام في نهاية المطاف". (التفسير الكبير؛ ج7، الآية 82)

يتّضح من هذه الآية وغيرها من آيات عديدة أن القرآن الكريم يستخدم ألفاظًا مثل: موتى وعُمْي وصُمّ، للدلالة على الموت الروحاني والعمى الروحاني والصمم الروحاني. والسياق هو الذي يحدد المقصود. ولما كانت مهمة الأنبياء هي إحياء القوم روحانيا وليس إعادة الموتى من قبورهم، فقد وجب أن نفهم إحياء المسيح ؑ من هذا الباب.

إذًا، ثبت مما تقدَّم أن الله نفسه لا يحيي أحدا من الموت قبل القيامة، وثبت أنه هو وحده المحيي، وثبت أن القرآن استخدم لفظ الموت بمعنى الموت الروحاني. ومن الثابت أن مهمة الأنبياء- بمن فيهم المسيح عليهم السلام- إحياء الموتى روحيا.

الاعتراض:

ألا ينص قوله تعالى عن المسيح عليه السلام ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بوضوح على أن المسيح تكلم وهو رضيع في المهد؟

الردّ:

لقد كلم المسيح الناس في المهد وفي الكهولة؛ فالكهولة -كما جاء في المعاجم- هي السن بين الثلاثين والخمسين من العمر تقريبًا، ولا يسمى ابن الثمانين كهلا، ولا ابن الألفين. أما المهد فهي مرحلة العمر المبكرة، وهي مرحلة الصبا التي حددتها الآيات الكريمة ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

إنَّ الآية ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ تتحدث عن مرحلتين للمسيح عليه السلام: المرحلة الأولى التي كانت في فلسطين- وقد كان فيها قبيلتان من بني إسرائيل الاثني عشر- والثانية التي كانت في بلاد الشرق- حيث إنتشرت عشر قبائل من بني إسرائيل بعد أن سباها الملك البابلي "نبوخذنصّر" من فلسطين سنة 587 ق.م فاتجهت شرقا حتى وصلت بلاد الأفغان وكشمير والتبت- التي ذهب ليبلغها رسالة ربه. وقد هاجر المسيح إلى بلاد الشرق ليبلغ رسالة ربه إلى قبائل بني إسرائيل، حيث آمنَ به كثير منْهم، ما أدى إلى دخولهم في الإسلام بسرعة وسهولة عند بعثة سيدنا محمد ﷺ.

لقد تكلم المسيح في مرحلته الأولى كلاما بليغا لا يتكلمه الصبيان في مثل عمره. ودعا إلى ربه، ثم تكلم وهو كهل في بلاد الشرق. وليس في الآية أي خارق لسنن الله التي لن تجد لها تبديلا ولن تجد لها تحويلا. لكنها تدل على صدق سيدنا المسيح ابن مريم عليه السلام الذي كان نقيا تقيا صادقا منذ صباه، وهذا يؤكد صدقه وطهارته وأمه عليهما السلام.

الاعتراض:

يُروى عن الخليفة الثاني أنه فسر المقصود بأحمد المذكور في سورة الصف أنه ميرزا غلام أحمد، ولكن كثيرا من الأحمديين يقولون هو محمد رسول الله ﷺ! فما هذا التناقض؟

الردّ:

هناك من الآيات ما تحمل أكثر من معنى في الوقت نفسه، وهذه إحداها. فهي تنطبق على سيدنا محمد ﷺ وعلى المسيح الموعود عليه السلام. فقول الله عز وجل على لسان عيسى بن مريم ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ هي نبوءة عن بعثة نبي بعد المسيح الناصري عليه السلام، والمقصود بـ "أحمد" فيها هو نبينا محمد ﷺ، لأن هذا هو اسمه الصفاتي. كما أنه يمكن تفسير المقصود بـ "أحمد" أنه سيدنا المسيح الموعود لأن هذا هو اسمه الذاتي.. ثم إنه ظِلٌّ لسيدنا محمد ﷺ.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في هذه الآية: "لقد سُمِّي النبي ﷺ باسم آخر وهو أحمد، كما تنبأ به المسيح الناصري عليه السلام قائلا: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. وفي ذلك إشارة إلى أنه ﷺ يكون أكثر الناس حمدا لله تعالى. الحق أن الإنسان يمدح شخصا إذا نال منه شيئا، وكلما زاد نواله منه زاد في حمده. فمثلا إذا أعطيت أحدا قرشا فسيمدحك بِقَدَرِه، وإذا أعطيته ألف دينار فسيمدحك بقدرها. فيتبين من ذلك أن النبي ﷺ كان أكثر الناس نوالا لأفضال الله تعالى. فالحق أن في هذا الاسم نبأً أن صاحب هذا الاسم سوف ينال أفضال الله تعالى كثيرا جدًّا جدًّا (جريدة الحكم؛ مجلد 5، عدد 17-1-1901، ص4)

ويقول عليه السلام في موضع آخر: إن الله تعالى قد برهن على موت المسيح الناصري، ولكن من المؤسف جدا أن هؤلاء الناس يعتبرونه حيا إلى الآن، وبذلك يثيرون فتنا كثيرة في الإسلام؛ إذ يعتبرون المسيح حيًّا وقيّومًا في السماء، ويعتبرون النبي ﷺ ميتا ومدفونا في الأرض، مع أنه قد وردت شهادة المسيح نفسه في القرآن الكريم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. إذن، فإذا كان المسيح عليه الصلاة والسلام لم يُتوفَّ بعد، فكيف يمكن أن يُبعث نبينا ﷺ في الدنيا؟ النص صريح في أن المسيح عليه الصلاة والسلام عندما يموت وينتهي من هذا العالم المادي، سيُبعث النبيّ ﷺ في هذه الدنيا، لأن الآية تُبيّن أن الإتيان مشروط بالذهاب (إتيان الرسول مشروط بذهاب المسيح وموته). (مرآة كمالات الإسلام، ص42)

ويقول عليه السلام في مكان آخر: وفي هذه الآية ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ إشارة إلى أنه في آخر الزمان سوف يُبعث ظلٌّ للنبي ﷺ، ويكون بمثابة يده اليمنى، وسوف يُسمّى في السماء بأحمد، وسوف ينشر الإسلام بصورة جمالية كما نشر المسيح الناصري عليه السلام الدين بصورة جمالية (ضميمة التحفة الغولَرْوِيّة، ص21)

ويقول عليه السلام: إن للرسول ﷺ بعثتين؛... والبعثة الثانية جمالية (التحفة الغولَرْوِيّة، ص96)

أما الخليفة الثاني رضي الله عنه فيقول تحت عنوان: عقيدتي عن نبوءة اسمه أحمد:

إن عقيدتي حول هذه النبوءة أنها نبوءة ذات شقين: نبوءة عن الظل ونبوءة عن الأصل.. أما النبوءة المتعلقة بالظل فهي عن المسيح الموعود ؑ، وبينما النبوءة الأصلية هي عن النبي ﷺ، غير أن هذه النبوءة تخبر عن الظلّ بصراحة، والخبر عن الظلّ يستلزم النبوءة عن الأصل حتمًا. لأن وجود النبي الظلّي يقتضي وجود النبي الأصلي، لذا يُستمد من هذه الآية خبرٌ عن نبيٍّ يستفيض بفيوض النبي الذي هو الأصل. وبما أن النبي ﷺ ليس نبيًّا ظليًّا، بل هو الأصل، فلم يأخذ الفيض من غيره، بل الآخرون هم من يأخذون منه الفيض؛ والقول أن النبي ﷺ كان يأخذ الفيوض من الآخرين يُعتبر إهانةً له، وبناء على ذلك وعلى أدلة أخرى، فإنني أعتقد أن المصداق الأول لهذه النبوءة هو المسيح الموعود ؑ الذي هو ظلٌّ للنبي ﷺ ومثيل للمسيح الناصري ؑ.

بيد أني أرى أن هذه نبوءةٌ لم يحدد أي نبي معناها من خلال الإلهام، فاعتقادي عن هذه النبوءة لا يزيد عن كونه بحثا اجتهاديا، فلو فسر أحد هذه النبوءة بغير هذا المعنى فيمكن أن نقول له بأنه مخطئ، ولن نقول أنه خارج عن الأحمدية أو أنه مذنب. إذًا، هذه ليست قضية نعطيها أهمية بالغة من ناحية دينيّة. (آئينه صداقت (مرآة الصدق)؛ مجلد 6 من أنوار العلوم، ص111)

أما العبارة المشار إليها للخليفة الثاني في كتابه (أنوار الخلافة) فقد وردت ضمن موضوع طويل يثبت فيه حضرته أن "أحمد" ليس اسمًا ذاتيًّا لحضرة سيدنا محمد ﷺ، بل هو اسم صفاتي له، أما المسيح الموعود فإن "أحمد" هو اسمه الذاتي. وفي كتابه (مرآة الصدق) الذي اقتبسنا منه آنفًا، يبين اعتقاده حول تفسير هذه النبوءة.

الاعتراض:

ذكر الله تعالى عن الكافرين أنهم خالدون في النار، ولكنكم تنكرون ذلك، وترون أنهم غير خالدين.

الردّ:

حاشا لله أن ننكر ما يقول الله تعالى في القرآن الكريم. لكن الخلود هو طول المكث وليس بقاءً أبديًّا. وقد ذكر الخليفة الثاني ؓ في "التفسير الكبير؛ ج3" عددا من الأدلة على انقطاع العذاب عن الكافرين بعد أن يمكثوا في النار أحقابا، فقال تحت تفسير قوله تعالى﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ* وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود:107-109)،

وبعد أن ذكر أقوال عدد من المفسرين: "…. الواقع أنهم وقعوا في هذه المشكلة واضطروا لهذه التأويلات لأنهم من جهة وجدوا الآية صريحة في إعلانها أن عذاب جهنم عذاب مؤقت وسينتهي بعد فترة، ولكنهم من ناحية أخرى كانوا يعتقدون خطأً أن الجحيم أبدية وعذابها غير منقطع، مثلها مثل الجنة التي نعيمها أبديٌّ وغير محدود. مع أن الحق أنه ليس القرآن الكريم وحده الذي يعلن عن خراب جهنم بعد فترة من الزمن، بل إن الأحاديث الشريفة أيضًا تؤكد ذلك، فقد ورد في الحديث: "ليأتينّ على جهنم يوم تصفق (تخفق) فيه أبوابها، ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابًا". وكأن الخلود يعني هنا العيش فيها لقرونٍ.

لقد انتقد بعض المحدّثين هذه الرواية بقولهم بأن أحدًا من رواتها كذّاب، ولكن الحق أن لا قيمة لانتقادهم هذا، لأن الرواية تذكر نفس ما ذكره القرآن الكريم واصفًا أهل النار بقوله ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (النبأ: 24).

وقد ذكر صاحب "فتح البيان" أن نفس هذا المعنى مروي عن ابن مسعود وأبي هريرة. وقد نقل العلاّمة البغوي الرواية نفسها عن أبي هريرة، مما يؤكد صحتها (فتح البيان، تحت الآية).

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ " ليأتين على جهنم يوم كأنها زرع هاج واحمرّ، تخفق أبوابها." (كنز العمال؛ ج14، الإكمال من ذكر النار وصفتها)

والإمام ابن تيمية أيضًا قال بفناء جهنم وأخبر أن هذه هي عقيدة سيدنا عمر وابن عباس وأنس وكثير من المفسرين. وأما الإمام الحافظ ابن القيم – وهو تلميذ لابن تيمية ومن كبار الصوفية– فقد كتب بحثًا مستفيضًا عن فناء جهنم في كتابه "حادي الأرواح في بلاد الأفراح" (فتح البيان، تحت الآية).

وقد فسّر البعض كلمة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ بأنها تعني مكوثهم في النار دومًا، ولكنهم قالوا أيضا بأن الله تعالى حينما يقضي على جهنم بسبب رحمته الواسعة، فلا تبقى هناك أي جهنم، وهكذا ينتهي أيضًا خلودهم فيها.

لقد نقل ابن جرير عن الشعبي "أن جهنم أسرع الدارَيْن عمرانًا وأسرعهما خرابًا" (تفسير ابن جرير، تحت الآية).

وقال ابن مسعود: "ليأتينّ عليها زمان تخفق بها أبوابها". ونفس القول مروي عن جابر وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم (فتح البيان).

ثم إن هناك رواية في البخاري ومسلم تؤكد فناء جهنم، خلاصتها: أن الله تعالى سوف يمنح للملائكة والنبيّين والمؤمنين حق الشفاعة، فيذهب المؤمنون ويشفعون لإخوانهم، ويُخرجون من النَار

من يعرفونهم. فيعودون إلى الله "فيقول لهم: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خيرٍ فأَخرِجوه. فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نَذر فيها أحدًا ممن أمرتنا به. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأَخرِجوه، فيُخرجون خلقًا كثيرًا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدًا. ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خيرٍ فأخرِجوه. فيُخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا.. فيقول الله تعالى: شفعت الملائكةُ وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبقَ إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضةً من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا الخير قط (مسلم؛ كتاب الإيمان). يتضح من هذا أن الله تعالى سوف يُخرج من الجحيم حتى أولئك الذين لم يعملوا أية حسنة قط. وهذا يشكّل دليلاً على فناء جهنم، إذ لا يمكن أن يكون من أهلها أحدٌ أحطَّ درجة من هذا الصنف من الناس، فما دام هؤلاء أيضًا سيُخرجون منها فمعنى ذلك أنها ستفنى وستنتهي.

كما يجب أن نعلم أن "قبضة الله" لا تعني قبضة مادية، وإنما هي تعبير عن إحاطة الشيء إحاطةً كاملةً، وهذا أيضًا دليل أنه لن يُبقي في جهنم أحدًا إذ لا يمكن أن يبقى شيء خارجًا عن الإحاطة الإلهية. كما نستنتج من هذه الرواية أن من سيستحق عذاب النار، سوف ينال نصيبه منها أولاً، ثم يُخرج منها لينال جزاءه على ما فَعَل من خيرٍ، لأنه تعالى يقول ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَه﴾ (الزلزلة: 8)، وهذا يؤكد أن النجاة هي نصيب الجميع في آخر المطاف، وأن الجحيم فانيةٌ في آخر الأمر.

وكل هذه الروايات توضح تمامًا أن معظم الصحابة وكبار التابعين يتمسكون بالرأي الذي نتمسك به نحن المسلمين الأحمديين في هذه المسألة، بل إن القرآن الكريم نفسه مؤيد لموقفنا كما يتبين من آياته التالية:

أولاً: نفس هاتين الآيتين اللتين نحن بصدد تفسيرهما:

فمما لا شك فيه أن الله تعالى قد قال فيهما عن الفريقين ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾، ولكنه فرّق بين وصفهما، إذ وصف الجنة بكونها ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير منقطع، بينما قال في وصف جهنم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وفيه تأكيد شديد على أمر ما، وليس هذا التأكيد إلا على إخراج أهل النار منها لا محالة. فالجملة مؤكدة أولًا بكونها جملة اسمية، ثم بحرف (إنّ) المؤكّدة، ثم باسمين للمبالغة (ربّ) و(فعّال). فإذا كان الله تعالى لا يريد إخراجهم من النار أبدًا، فما الداعي لهذا التأكيد المتكرر يا تُرى؟!

ثم إذا كانت الجحيم غير منقطعة مثل الجنة، فلماذا لم يقل في وصفها مثلاً: (عقابًا غير مجذوذ) كما قال عن الجنة ﴿عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾.. أي أن أهل الجنة سيعيشون بحسب مشيئتنا ولا شك، ولكن مشيئتنا فيهم هي أن يخلدوا فيها دون أن تنقطع أو تفنى.

وهذا الدليل من القوة والجلاء بحيث إن الإمام ابن حجر الذي كان معارضًا لرأي الإمام ابن تيمية القائل بفناء الجحيم.. اضطرّ للقول بأن الله تعالى قد صرّح بمشيئته عن أهل الجنة، ولكنه لزم الصمت عن أهل النار.

ولكن الواقع أن الله تعالى لم يسكت عن إظهار مشيئته فيما يتعلق بأهل النار، بل صرّح عنها هنا بقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.. أي أنه عزّ وجل سوف يحقق فيهم لا محالة مشيئته المشار إليها في قوله ﴿إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ﴾

ثانيًا: قال الله تعالى ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: 119 – 120). والمراد من قوله ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أنه خلقهم لكي يرحمهم. وقد روى ابن كثير عن ابن عباس قوله: "للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب" (ابن كثير).

وروى ابن وهب عن طاووس: "أن رجلين اختصما إليه فأكثرا". فقال طاووس: اختلفتما وأكثرتما. فقال أحد الرجلين: لذلك خُلقنا. فقال طاووس: كذبتَ. فقال: أليس الله يقول: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟ قال: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة. وكذا قال مجاهد والضحّاك وقتادة (ابن كثير).

وأخرج ابن جرير عن مجاهد أن المراد من قوله تعالى﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ هو: للرحمة خلقهم. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي للرحمة والعبادة (الدر المنثور).

والبديهي أنه لو بقي البعض في الجحيم إلى أبد الآباد فلن يُعتبر خلقهم للرحمة، بل يكون منافيًا لمدلول هذه الآية.

ثالثًا: قد ورد في القرآن في عدة أماكن وصف نعيم الجنة بأنه أبدي غير منقطع كقوله تعالى﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين: 7)، وقوله تعالى ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق: 26). ولكن لم يرد هذا الوصف عن النار، مما يؤكد أن هناك فرقًا بين جزاء الجنة وعقاب الجحيم فيما يتعلق ببقائهما وانقطاعهما.

رابعًا: قال الله تعالى ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 157). فهذه الآية تؤكد أن رحمة

الله تسع كلَّ شيء، ولكن عذابه أمر عارض عابر، وأن من سيعاقَب بالعذاب سوف تسَعه أيضًا رحمة الله في آخر المطاف. فإنه قد جعل العذاب هنا لأفراد معينين، وجعل الرحمة شاملةً للناس كافة، بل للأشياء جميعًا، ليؤكد أن عذاب جهنم سوف ينتهي في يوم من الأيام حتمًا، وإلا لم تكن رحمته واسعة لكلّ شيء.

وهناك آية أخرى بهذا المعنى ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ (غافر : 8). لقد ذكر هنا سعة علم الله ورحمته معًا. فالزعم بحرمان البعض من الرحمة الإلهية ببقائهم في العذاب دون نهاية يستلزم أن نعتقد أن هناك أشياء تخرج عن دائرة العلم الإلهي. وكما أن هذا الظن باطل بالبداهة، كذلك باطل حرمان البعض من الرحمة الإلهية ببقائهم في النار الأبدية.

وقد يقول قائل هنا: هذا المنطق يلزمنا أن نعتقد بأن البعض لن يعاقَبوا حتى عقابًا مؤقتًا، وإلا سنضطر للقول بأن البعض يخرجون من علم الله خروجًا مؤقتًا؟

والجواب: إننا إذا سلّمنا بانتهاء العذاب في آخر الأمر، فلا بد لنا من التسليم أيضًا بأن العقاب في الآخرة وسيلة للإصلاح في واقع الأمر، وإذا كان العقاب يهدف للإصلاح فلا شك في كونه مظهرًا من مظاهر الرحمة الإلهية، ومثاله مثال العقاب الذي ينزله المعلم بتلميذه. وهكذا فإنه لا يخرج عبد من عباد الله من رحمته الواسعة ولو للحظة، بل يبقى دائمًا تحت ظلها. ولكن لن يكون الأمر كذلك إذا اعتبرنا العذاب أبديًا دون نهاية.

خامسًا: يقول الله تعالى ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: 30 - 31)، أي الذي يصير عبدًا حقيقيًا لله تعالى يُدخله في الجنة. ويقول عزَّ مِنْ قائل في موضع آخر ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 57) أي أن كل إنسان سوف يصبح في آخر الأمر عبدًا حقيقيًا لله عزّ وجل، لأن هذه هي غاية خلقه التي لا يمكن أن يبقى محرومًا للأبد من إحرازها. وحيث إن الناس جميعًا سوف يصيرون عبادًا لله تعالى - عاجلاً أو آجلاً - فلا بد من أن يدخلوا جميعًا في الجنة أيضا في آخر الأمر.

سادسًا: يعلن ربنا جلّ شأنه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 8). ولكن تخفيف العذاب عنه لا يعني أنه رأى نتيجة الخير الذي فعله. لذلك من الضروري أن يعاقَب المرء على سوء أعماله لفترة، ثم ينتهي عقابه ليرى جزاء أعماله الحسنة.

سابعًا: يخبرنا الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ (القارعة: 9 - 10) أي الذي لا تكون أعماله ذات ثقل وقيمة، فإن جهنم ستكون بمثابة أمٍ له. والظاهر أن الجنين لا يبقى في

بطن أمه للأبد، بل يمكث فيه إلى حين اكتمال نموه واكتساب قوته. كذلك العُصاة إنما يمكثون في الهاوية (أي الجحيم) إلى أن تنمو وتنضج فيهم الملكات التي تمكّنهم من الرؤية الإلهية.

وباختصار، إن كل هذه الآيات تصرّح بأن جهنم ليست أبدية غير منقطعة، وأن الخلود لا يعني البقاء بدون نهاية، وإنما يعني فقط زمنًا طويلاً قد عبّر عنه القرآن بقوله: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾.

وأما قول الله تعالى عن أهل الجنة والنار: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ فإنما المراد منه أنهم سيمكثون هناك إلى زمن بقاء سماء وأرض الجنة والجحيم. فما دامت الجحيم ستؤول إلى الفناء هكذا – مع العلم أنه ليست هناك أية آية في القرآن تنفي انتهاء الجحيم – فلا شكّ أن مكوث أهلها فيها أيضًا سيصل إلى النهاية. ولكن الجنة، كما بيّنتُ، عطاءٌ غير مجذوذ أي غير منقطع بخلاف الجحيم كما صرّح القرآن. (التفسير الكبير؛ ج3، سورة هود)

وقد أسهب ابن القيّم في كتابه الصواعق المحرقة في ذكر أدلة فناء النار وخروج الكفار منها، ثم نقل عددا من أقوال الصحابة والتابعين في تأييد ذلك.

الخُلد في اللسان العربي:

جاء في معجم محيط المحيط "والخُلد في الأصل: الثبات المديد **دام أم لم يدم**، والمكث بثبات مع انتظار." وجاء في مفردات الراغب:" الخلود: هو تبرّي الشيء من اعتراض الفساد، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود، كقولهم للأثافي: خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها. وأصل المخلّد: الذي يبقى مدة طويلة، ومنه قيل: رجل مخلّد لمن أبطأ عنه الشيب."

ولا شك في أن جميع هذه المعاني تنطبق على الخلود في جهنم: فأهل جهنم يمكثون فيها بثبات مديد مع انتظار، وهم يلبثون فيها أحقابا مقيمين ملازمين، ويتباطأ عليهم الزمن فيها عن التغير، وقد وصف الله ﷻ أيام عذابها بالخُلد لثباتها المديد، لا لدوامها. وبسبب الثبات المديد لبقاء وملازمة أصحابها لها، وُصفوا بأنهم خالدون فيها.

الفصل الثامن[33]

اعتراضات على تفسير أحاديث نبوية

الاعتراض:

يقال أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية ينكر الأحاديث، فما حقيقة ذلك؟

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"وآمنَّا بالفرقان أنه من الله الرحمن، ولا نقبل كلَّ ما يعارض الفرقانَ ويخالف بيِّناتِه ومحكَماته وقصصَه، ولو كان أمرًا عقليًّا أو كان من الآثار التي سمَّاها أهل الحديث حديثا، أو كان من أقوال الصحابة أو التابعين؛ لأن الفرقان الكريم كتاب قد ثبت تواتره لفظًا لفظًا، وهو وحيٌ متلُوٌّ قطعي يقيني، ومَن شكَّ في قطعيتِه فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين. والقرآن مخصوص بالقطعية التامة، وله مرتبة فوق مرتبةِ كلِّ كتاب وكل وحي. ما مسَّه أيدي الناس. وأما غيره من الكتب والآثار فلا يبلغ هذا المقامَ. ومن آثَرَ غيرَه عليه فقد آثر الشك على اليقين". (تحفة بغداد، ص 34)

وقد استنكر عليه السلام بشدة إنكار الأحاديث، فيقول:

"لقد تناهى إلى سمعي أن بعضًا منكم لا يؤمن بالحديث مطلقًا، فإن كانوا كذلك فإنهم مخطئون خطأ كبيرًا. ما علّمْتُ هذا الاعتقاد، بل إن مذهبي هو أن الله أعطاكم لهدايتكم ثلاثة أشياء؛ الأول هو القرآن... لذلك فكونوا حذرين ولا تخْطُوا خطوةً واحدة خلاف تعليم الله وهدْي القرآن. أقول، والحق أقول لكم: إن من يُعرض عن أصغر أمر من أوامر القرآن السبعمئة فإنه بيده يسدّ على نفسه باب النجاة. إن القرآن قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلاّ ظلاً له. لذلك فاقرؤوا القرآن بتدبر، وأحِبّوه حبًّا جمًّا، حبًّا ما أحببتموه أحدًا، لأن الله قد خاطبني بقوله: "الخير كله في القرآن". ووالله إن هذا لهو الحق. فوا أسفًا على الذين يقدّمون عليه غيرَه. إنّ مصدرَ فلاحِكم ونجاتكم كله في القرآن. وما من حاجة من حاجاتكم الدينية إلا توجد في القرآن. وإن القرآن لَهُو المصدّق أو المكذّب لإيمانكم يوم القيامة. ولا يستطيع كتاب غير القرآن -تحت أديم السماء- أن يهديكم بلا واسطة القرآن. لقد أحسن الله بكم إحسانًا عظيمًا إذ أعطاكم كتابًا مثل القرآن. أقول لكم صدقًا وحقًّا إن الكتاب الذي يُتلى عليكم لو تُلي على

[33] هذا الفصل؛ هو من بند الأسئلة والأجوبة في الموقع العربي الرسمي للجماعة، إلا إذا ذكر غير ذلك

النصارى لما هلكوا، وإنّ هذه النعمة والهداية التي أوتيتموها لو أوتيها اليهود مكان التوراة لما كفر بعضُ فِرَقهم بيوم القيامة. فاقدروا هذه النعمة التي أوتيتموها. إنها لَنعمة غالية جدًّا، وما أعظمَها من ثروة! لو لم يأت القرآن لكانت الدنيا بحذافيرها كمضغة قذرة. إن القرآن هو ذلك الكتاب الذي لا تساوي جميع الهدايات إزاءه شيئًا". (سفينة نوح، الخزائن الروحانية؛ ج19، ص 26-27)

ويقول الطَّلِيَّةِ: "... والذريعة الثانية للهداية هي السُّنَّة، أعني تلك الأسوة المقدسة التي أراها حضرته ﷺ بأفعاله وأقواله؛ فمثلاً صلّى الصلاة وأرانا بأنه هكذا ينبغي أن تكون الصلاة، وهدانا بصومه أنه هكذا ينبغي أن يكون الصوم. فهذا اسمه السنة، ومعناها سلوك النبي ﷺ الذي ظلّ يُري قولَ الله في صورة الفعل. والذريعة الثالثة للهداية هي الحديث، وهو أقوال الرسول ﷺ المجموعة بعده. والحديث دون القرآن والسنةِ مرتبةً، لأن أكثر الأحاديث ظنّيّة، وإذا اقترنت السنة بالحديث حوّلته إلى اليقين". (المرجع السابق، الحاشية)

ويتابع حضرته الطَّلِيَّةِ": ".... أما الذريعة الثانية لهداية المسلمين فهي السُّنَّة؛ أي أعمال النبي ﷺ التي قام بها تفسيرًا لأحكام القرآن المجيد. فمثلاً لا يُعرف من القرآن المجيد بظاهر النظر عدد الركعات للصلوات الخمس، فكَم منها في الصباح وكَم منها في أوقات أخرى، ولكن السنة فصَّلت كل ذاك تفصيلا.

ولا يظنّنّ أحد أن السنّة والحديث شيء واحد، لأن الحديث ما دُوِّن إلا بعد مائة أو مائة وخمسين سنةً، أما السنة فقد كانت قرينةَ القرآن المجيد منذ نزوله. وإن للسنة أكبرَ منّةٍ على المسلمين بعد القرآن. كان واجب الله ورسوله منحصرًا في أمرين فقط، فكان على الله أن ينزل القرآن فيُطْلِع الخلقَ على مشيئته بكلامه؛ كان هذا من مقتضى ناموس الله تعالى. أما رسول الله ﷺ فكان من واجبه أن يُرِي الناس كلام الله تعالى بصورة عَمَليّة، ويشرحه لهم شرحًا كاملا. فأرى رسولُ الله ﷺ الناسَ تلك الأقوالَ في حيِّز الأعمال وحلَّ معضلاتِ الأمور ومشاكل المسائل بسنّته، أي من خلال أفعاله وأعماله. ولا مَساغ للقول بأن تقديم ذاك الحل كان مقصورًا على الحديث، ذلك لأن الإسلام كان قد استقر أساسه في الأرض قبل وجود الحديث. ألم يكن الناس يصلّون ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت ويعرفون الحلال والحرام قبل أن تُدوَّن الأحاديث يا تُرى؟

نعم، إن الحديث ذريعة ثالثة للهداية، لأن الأحاديث تبين لنا بالتفصيل شيئًا كثيرًا من الأمور الإسلامية التاريخية والأخلاقية والفقهية. وعلاوة على ذلك فإن أكبر فائدة للحديث هي أنه خادم القرآن وخادم السنة. وإن الذين لم يُعطَوا حظًا من أدب القرآن فإنهم يعتبرون الحديث حَكَمًا على

القرآن كما فعل اليهود بأحاديثهم. بيد أننا نعدُّ الحديث خادمًا للقرآن والسنة. ومن البيِّن أن عظَمة السيد إنما تزداد بوجود الخَدم. إن القرآن قولُ الله، والسنةَ فعلُ رسول الله، والحديث شاهد مؤيِّد للسنة. وإن من الخطأ القول إنّ الحديث حَكَمٌ على القرآن، نعوذ بالله من ذلك. إذا كان ثمة حَكَمٌ للقرآن فهو القرآن نفسه، ولا يمكن أن يكون الحديث الذي هو على مرتبة ظنية حَكَمًا على القرآن، إنما هو كشاهد مؤيِّد لا غير. لقد أنجز القرآن والسنة العملَ الواجبَ كله، وليس الحديث إلا شاهد مؤيّد. وأنَّى للحديث أن يكون حَكمًا على القرآن؟ لقد كان القرآن والسنة يهديان الخلقَ في زمن لم يكن لهذا الحَكَم المصطنع أثر. لا تقولوا إن الحديث حَكَمٌ على القرآن بل قولوا إنه شاهد مؤيِّد للقرآن والسنة. غير أن السنة توضح مشيئة القرآن، والمراد من السنة الطريق الذي سيَّر عليه الرسول ﷺ أصحابَه عمليًا. وليست السنة اسمَ تلك الأقوال التي دُوِّنت في الكتب بعد المائة والخمسين عامًا، بل إن اسم تلك الأقوال هو الحديثُ، وأما السنة فهي اسم للأسوة الحسنة التي لم تزل مطّردة في أعمال صلحاء المسلمين منذ بدء الإسلام والتي عُوِّدَها ألوفٌ مؤلفة من المسلمين. وإن الحديث، وإن كان أكثره على مرتبة الظن، لجدير بالتمسك به بشرط أن لا يعارض القرآنَ والسنة. إنه مؤيِّدٌ للقرآن والسنة، ويحتوي على ذخيرة كبيرة من المسائل الإسلامية، وعدم الأخذ بالحديث يعني بتْرَ عضوٍ من أعضاء الإسلام....

فاقدروا الأحاديث حق قدرها واستفيدوا منها، فإنها منسوبةٌ إلى رسول الله ﷺ، ولا تكذِّبوها ما دام القرآن والسنة لا يكذِّبانها. ينبغي أن تتمسكوا بالأحاديث النبوية تمسّكًا بحيث لا يصدر منكم حركة أو سكون أو فعل أو تركُ فعل إلاّ ويكون هناك حديثٌ يؤيده. ولكن إذا كان هناك حديث يعارض قَصص القرآن معارضة صريحة، فعليكم أن تحاولوا التطبيق والتوفيق، فلعل التعارض مِن خطئكم. وإن لم يزُل ذلك التعارض، فانبذوا مثل هذا الحديث، فإنه ليس من رسول الله ﷺ. وإن كان ثمة حديث ضعيف يوافق- رغم ضعفه- القرآنَ فاقبلوه، فإن القرآن مصدّقُه. وإن كان هناك حديث يشتمل على نبوءة لكنه ضعيف عند المحدثين، ثم تحققت تلك النبوءة الواردة فيه في عصركم أو قبلكم، فاعتبروا ذلك الحديث حقًا، واعتبروا هؤلاء المحدِّثين والرُواةَ الذين وصفوه بالضعف والوضع مخطئين كاذبين. هناك مئاتُ الأحاديث التي تحتوي على نبوءات، وأكثرها عند المحدثين مجروحةٌ أو موضوعة أو ضعيفة، فإذا تحقّق حديث منها وأهملتموه قائلين لا نسلّم به، لأنه ضعيف، أو إن فلانًا من رُواته غيرُ متديِّن، فيكون هذا دليلا على خيانتكم، حيث رفضتم حديثًا أظهر الله صِدقَه. فمثلا لو كان هناك ألف حديث من هذا القبيل وكانت ضعيفة عند المحدثين، ثم تحققت نبوءاتها الألفُ، فهل ترضون بإضاعة ألف برهان من براهين الإسلام بتضعيفكم هذه

الأحاديث كلها؟ إنكم في هذه الحالة ستُعَدُّون أعداءً للإسلام. يقول الله عز وجل ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾. فهل يمكن أن تُنسَب نبوءة صادقة إلى غير رسول صادق؟ أمن الإيمان- والحال هذه- أن يقال بأن أحد المحدثين قد أخطأ في تضعيف الحديث الصحيح، أم أن يقال بأن الله هو الذي أخطأ إذ صدّق الحديثَ الموضوع؟ فاعملوا بالحديث -وإن كان ضعيفًا- بشرط أن لا يعارض القرآنَ والسنّةَ والأحاديثَ الموافقة للقرآن.

بيْد أن العمل بالأحاديث يتطلب حذرا شديدا، لأنّ كثيرًا من الأحاديث الموضوعة أحدثت في الإسلام فتنةً. فعند كل فرقة حديث يوافق عقيدتَهم؛ حتى إن الاختلاف في الأحاديث قد جعل الفريضةَ اليقينيةَ والمتواترةَ -كالصلاة - على صور مختلفة؛ إذ يجهر بعضهم بـ "آمين"، وبعضهم يُسِرّ بها، وبعضهم يقرأ الفاتحة خلف الإمام، وبعضهم يرى قراءتها مُفسِدةً للصلاة، ومنهم مَن يضع يديه على صدره، ومنهم من يضعهما على سُرّته. وهذا الاختلاف مرجعه الأحاديث. ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. إن السُّنة لم ترشد إلا إلى طريق واحد، ولكن تداخُل الروايات أدّى إلى هذا الاختلاف. كما أن سوءَ الفهم في الأحاديث قد أدّى بالكثيرين إلى الهلاك، فهلك منه الشيعة أيضًا. فلو أنهم اتخذوا القرآن حكَمًا لهم لكانت سورة النور وحدها كفيلة لِتَهَبَ لهم نورًا، لكن الأحاديث أهلكتْهم. وكذلك هلك في زمن المسيح عليه السلام أولئك اليهود الذين كانوا يسمَّون أهلَ الحديث، وكانوا قد هجروا التوراة منذ مدّةٍ، وكان -كما لا يزال- مذهبهم أن الحديث حَكَمٌ على التوراة. لقد كانت لديهم أحاديث كثيرة تقول إن مسيحهم الموعود لن يأتي ما لم ينزل إيليًّا ثانية من السماء بجسده العنصري. فعثرت بهم تلك الأحاديث أيّما عثرة، فما استطاعوا-لاعتمادهم على تلك الأحاديث- أن يقبلوا التأويل الذي قدّمه لهم المسيح عليه السلام؛ بأن المراد من إلياس هو يوحنا (أي يحيى النبي) الذي جاءَ على فطرة "إلياس" وبشمائله، وتسربل سرباله على سبيل البروز. فكانت عثْرتُهم كلها من جرّاء الأحاديث. وقد أفضت بهم إلى الكفر في نهاية الأمر. هذا ومن الممكن أنهم كانوا يخطئون في فهم تلك الأحاديث، أو أنه قد اختلط بالأحاديث شيء من كلام الناس. وخلاصة الكلام أن المسلمين قد لا يدرون بأن أهل الحديث مِن بين اليهود هم الذين كانوا منكري المسيح عليه السلام. هؤلاء هم الذين أثاروا ضجةً ضدّه عليه السلام، وكتبوا ضده فتوى التكفير، وعدُّوه من الكَفَرة، وقالوا إنه لا يؤمن بكتب الله، إذ قد أخبر الله سبحانه ببعثة إلياس الثانية، لكنّ هذا الشخص يؤوّل النبوءة بتأويلات، ويحرّف الأخبار ويتصرف في معانيها كيفما يريد بدون أن تكون معها قرينة صارفة. ثم إنهم لم يكتفوا بتسمية المسيح كافرًا فحسب، بل اتهموه بالإلحاد. وقالوا إن كان هذا الرجل

صادقًا فإن الدين الموسوي باطل. لقد كان زمنهم ذاك بمثابة الفَيْج الأعوج لهم، إذ غرّتْهم الأحاديث الموضوعة.

باختصار يجب الأخذ بعين الاعتبار عند مطالعة الأحاديث أن أمة كفرت بنبيّ صادق وسمّته كافرًا ودجالا، لأنها جعلت الحديث حكمًا على التوراة.

هذا وإن صحيح البخاري لكتاب مبارك للغاية ومفيد للمسلمين، وهو نفس الكتاب الذي مكتوب فيه بصراحة أنّ المسيح عليه السلام قد تُوفي. وكذلك صحيح مسلم، وكتب الأحاديث الأخرى؛ تتضمن ذخيرة من المعارف والمسائل، ويجب العمل بها مع الحذر مِن أن يخالف موضوعٌ من مواضيعها القرآنَ والسنةَ والأحاديثَ التي تتفق مع القرآن". (سفينة نوح، ص 61-66)

ويبين حضرته عليه السلام إشكالية الحديث، ومكانة القرآن ويقينيته فيقول: "وإن آيات الفرقان يقينية وأحكامها قطعية، وأما الأخبار والآثار فظنية وأحكامها شكية، ولو كانت مروية من الثقات ونحارير الرواة. ولا تنظروا إلى نضرة حليتها وخضرة دوحتها، فإن أكثرها ساقطة في الظلمات، وليست بمعصومة من مس أيدي ذوي الظلامات، وقد عسر اشتيارها من مشار النحل، وإنما أُخذت من النهل. هذا حال أكثر الأحاديث كما لا يخفى على الطيب والخبيث، فبأي حديث بعد كتاب الله تؤمنون؟ وإذا حصحص الحق فأين تذهبون؟ وماذا بعد الحق إلا الضلال، فاتقوا الضلال يا معشر المسلمين. وقد قلتُ من قبل أن الآثار ما كفلت التزام اليقينيات، بل هي ذخيرة الظنيات والشكيات، والوهميات والموضوعات، فمن ترك القرآن واتكأ عليها فيسقط في هُوة المهلكات ويلحق بالهالكين. إنما الأحاديث كشيخ بالي الرياش بادي الارتعاش، ولا يقوم إلا بهراوة الفرقان وعصا القرآن، فكيف يُرجى منها اكتناز الحقائق وخزنُ نشبِ الدقائق من دون هذا الإمام الفائق؟ فهذا هو الذي يؤوي الغريب ويُطهّر المعيب، ويفتتح النطق بالدلائل الصحيحة والنصوص الصريحة، وكله يقين وفيه للقلوب تسكين. وهو أقوى تقريرًا وقولا، وأَوْسع حفاوة وطولا، ومَن تركه ومال إلى غيره كالعاشق، فتجاوز الدين والديانة ومرق مروق السهم الراشق، ومن غادر القرآن وأسقطه من العين، وتبع روايات لا دليل على تنزهها من الميْن، فقد ضل ضلالا مبينا، وسيصطلي لظى حسرتين، ويريه الله أنه كان على خطأ مبين. فالحاصل أن الأمن في اتباع القرآن، والتباب كل التباب في ترك الفرقان. ولا مصيبة كمصيبة الإعراض عن كتاب الله عند ذوي العينَين، فاذكروا عظمة هذا الرزء وإن جلّ لديكم رزءُ الحسَين، وكونوا طلاب الحق يا معشر الغافلين". (سر الخلافة، ص 21-22)

ويضيف حضرته عليه السلام قائلا: "أيها الناس.. لا تتّكئوا على أخباركم، وكم من أخبار أهلكت المتّبعين. وإن الخير كله في القرآن، ومعه حديث طابَقَه في البيان، والذين يبتغون ما وراءه فأولئك من العادين. ولولا هذا المعيار لماجَ بعض الأمّة في بعضها بالإنكار، وفسدت الملة في الديار، واشتبه أمر الدين على المسترشدين". (مواهب الرحمن، ص 49)

الاعتراض:

ألم يرد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن المهدي من نسل فاطمة، وأنه سيبايع بين الركن والمقام، وأن جيشا سيُخسف به لأنه يأتي لقتاله؟ فكيف تحقق ذلك كله؟

الردّ:

إن البحث عن صدق الإمام المهدي لا يتم من خلال أخبار ظنية طالما اختلف أهل الحديث بين قائلين بصحتها وبضعفها. ولا بين مختلفين في تفسيرها في حالة صحتها.

نقول للمحتجين بهذه الأحاديث قولا مُجملا: عليكم أن تهتموا بمسألة الإيمان بالمسيح أكثر من الاهتمام بمسألة الإيمان بالمهدي، رغم أنهما صفتان لشخص واحد عندنا.. والسبب أن الروايات المتعلقة بنزول المسيح لا خلاف في صحتها لتواترها، أما أخبار المهدي فهي كثيرة التعارض فيما بينها.. فمن ناحية النسب يقال في بعض الأحاديث بأنه من نسل فاطمة، وفي أحاديث أخرى بأنه من نسل العباس، وحديث البخاري المتعلق بسورة الجمعة يذكر أنه لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل (أو رجال) من فارس، أي أنه يشير إلى أن المهدي سيكون فارسيا.. ومن ناحية الركن والمقام يمكن فهمها بأكثر من طريقة، والخسف بالجيش يمكن أن يتحقق مستقبلا، ويمكن أن لا يكون الحديث صحيحا، ويمكن أن يُختلف في تفسيره..

التفاصيل قد لا تُجدي في هذه المسائل، بل الأصل أن يأخذ المسلم بالقطعي ويجعله حاكما على الظني.. أقصد أنه ما دامت وفاة المسيح قد ثبتت، وما دام النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدث عن نزوله، وما دامت الظروف والنبوءات المتعلقة بنزوله قد تحققت، وما دام أن هناك شخصا قد أعلن أنه هو المقصود بالمسيح، وما دام صدقه معروفا للناس في زمانه وبلده، ومع وجود عشرات الأدلة التي تبين صدق دعواه، فما الذي نطلبه أكثر من ذلك؟ ولماذا يلجأ الناس إلى روايات هم يختلفون في صحتها وفي تفسيرها؟ هذا ليس سبيل المؤمنين.

نقول لمن يُكثر من الاهتمام بتطبيق روايات ضعيفة بحرفيتها: ألم يكفكم صدق المسيح الموعود عليه السلام؟ ألم تكفكم تجديداته في الدين؟ ألم تكفكم آيات الله التي تحققت على يديه؟ ألم يكفكم أن الله ينصره وجماعته باستمرار، وأنتم كل يوم في شقاق؟ أيقبل الله أن يتحدث أحد باسمه

عشرات السنين ثم تقوم من بعده جماعة تزدهر دوما؟ ألم تكفكم آيات الخسوف والكسوف؟ ولا آية تعلم اللغة العربية؟ ولا الخطبة الإلهامية؟ ولا نجاته وجماعته من الطاعون بعد تحقق النبوءة به رغم الامتناع عن التطعيم؟ ألم يكفكم تنزيهه آي القرآن عن النسخ والنقصان في زمن كان التقليد فيه مقدسا ولا زال؟ ألم يكفكم تفسيره العظيم للجهاد؟ ألم تكفكم كتبه التي تغرس الروحانية والأخلاق العظيمة غرسا؟ فلماذا تكذبونه!؟ ولماذا تظنون ظن السوء!؟ فلتتقوا الله، ولا تقلدوا اليهود في مواجهة مسيحهم قبل ألفي سنة.

الاعتراض:

تقولون بأن القرآن هو المؤصِّل الوحيد للأحكام والعقائد، وأن السُنّة ليست إلا مفصِّلة وشارحة لهذه الأحكام، ولا تأتي بأحكام وعقائد لا وجود لها في القرآن.. فإذا صحّ ذلك؛ فمن أين جاءت عقيدة المهدي المنتظر وعقيدة نزول المسيح والدجال، رغم عدم وجود نص قرآني قاطع الدلالة يذكر هذه العقائد بصراحة؟

الردّ:

إن هذه العقائد أصلها في القرآن، وذلك في كل آية تأمر بالإيمان بالغيب، وفي كل آية تذكر أن الله يُطلع على غيبه من يشاء من رسله، ومن هذه الغيبيات ما ذكره نبينا محمد ﷺ عن علامات الساعة، والتي منها العقائد المذكورة .

إن عقيدة المهدي المنتظر (نزول المسيح) أصلها في آية سورة الجمعة ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، وأصلها في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ﴾. والمهدي والمسيح صفتان لشخص واحد. وأما مسألة الدجال فأصلها في قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾، ذلك أن "الدجال" و"يأجوج ومأجوج" وجهان لعملة واحدة. وكذلك أصلها في فواتح سورة الكهف؛ في قوله تعالى ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾. فعن النبي ﷺ أنه قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال" (مسلم). إن السُنّة لا تأتي بما لا أصل له في القرآن، ولكن لا يعني هذا أنها لا تأتي بشيء، أو أنها ليست مهمة، بل هي هامة جدا وضرورية جدا، وإلا كيف نصلي وكيف نحج؟ فبينما لم يذكر القرآن إلا كلمات محدودة عن الصلاة والحج نرى أن تفصيلات الصلاة والحج واسعة.. ومسألتنا كتلك المسائل.. فأصلها في القرآن الكريم، لكنها كمسألة غيبية لا بد لها من نبوءات عديدة جدا، وهذا ما ذكرَتْه أحاديث سيدنا محمد ﷺ.

الاعتراض:

يقال أن الإمام المهدي سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، ولكن الجور يملأ الأرض رغم بعثة المهدي؟ فكيف ذلك؟

الردّ:

حين تذكر النبوءات أن النبي أو المهدي سيقوم بمهمة، فالمقصود هو أو جماعته من بعده. قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: 33)، ولكن سيدنا محمدا ﷺ توفي قبل أن ينتشر الإسلام خارج جزيرة العرب، ثم بعد ذلك بسنوات أخذ ينتشر في العالم كله ولا زال، وسيسود الدنيا يوما ما على يد خادمه المسيح الموعود عليه السلام.

الاعتراض:

يفهم من الأحاديث النبوية الشريفة أن المهدي حين يظهر ستسمع به الدنيا كلها، ولكن مهديكم لا يسمع به إلا القليل.

الردّ:

أما أنه لم يسمع بالإمام المهدي إلا القليل، فهذا ليس صحيحا، بل سمعتْ به الدنيا كلها عبر الفضائيات والمواقع الالكترونية والصحف والمجلات والكتب التي نصدرها. ثم إن هنالك أناسا في أدغال القارات لم يسمعوا بالإسلام ولا بغيره.. فليست العبرة بالذين لا يريدون أن يسمعوا، أو لا يمكنهم السماع. وإن جماعتنا لموجودة في بلاد العالم، وهناك من الحكومات والمؤسسات الدينية التي انشغلت بمحاربتها، وبذلت قصارى جهدها من دون جدوى. ثم إن فكر الجماعة لا يكاد يجهله أحد، فإذا قلتَ بأن عيسى قد مات، أو قلت بأن الجهاد ليس عدوانا، أو قلت بأن المرتد لا يُقتل أو قلت بأن تفسير الآية الفلانية كذا وكذا، أو قلت بأن تفسير علامات الساعة كذا وكذا.. لقيل لك فورا: أنت أحمدي، أو متأثر بالأحمدية. أفلا يدل هذا على انتشار جماعة المسيح الموعود عليه السلام؟

الاعتراض:

المهدي والمسيح شخصيتان مختلفتان، فالمهدي عربي، والمسيح من بني إسرائيل وهو في السماء. ولكنكم جعلتموهما واحدا، فكيف ذلك؟

الردّ:

النبوءات -باعتبارها رؤى- بحاجة إلى تأويل غالبًا، فهي ليست نصًّا في العقيدة ولا في الأحكام، بل نبوءات عن المستقبل. ولو أُخذت على ظاهرها لاصطدمت بحقائق لا مجال لنقضها. ومن الحقائق في هذا السياق وفاة المسيح عليه السلام. ومن الحقائق عدم عودة الأموات قبل يوم القيامة، كما

هو واضح في نصوص قرآنية. ومن الحقائق أن الله حكيم؛ فلا يبعث شخصين بالمهمة نفسها في الوقت نفسه. ومن الحقائق أن الله تعالى لا يجعل نبيا تابعا لشخص عادي. ومن الحقائق أن المسيح عليه السلام رسول إلى بني إسرائيل لا إلى الناس كافة.

لذا؛ لم يبقَ لنا إلا القول بأن المقصود بنزول المسيح هو مجيء شخص شبيه به في هذه الأمة، فهل سيكون هذا الشخص غيرَ المهدي نفسه؟

لو لم يكن هنالك أي دليل على ذلك، لكان الأصل بنا أن نقول بأنهما شخص واحد وُصف بصفتين، فكيف وهناك أدلة عديدة على أنَّهما شخص واحد، ومنها:

1- الحديث الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل. وهو: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: يُوشِكُ مَنْ عَاشَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى عيسى بن مريم إِمَامًا مَهْدِيًّا وَحَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا. (مسند أحمد)

إذًا، فالمسيح الموعود والمهدي ليسا شخصيتين مختلفتين، بل هو شخص واحد متصف بصفة المهدوية، وصفة المسيحية، ويجمع في ذاته وظيفتين مختلفتين نوعًا وأهمية، فهو مهدي كونه سيزيل ما شاب العقيدة الإسلامية من شوائب، وكونه سيعمل على إصلاح أحوال المسلمين. وهو مسيح كونه سيعمل على كسر الصليب؛ بمعنى إبطال عقائد النصارى بحجج دامغة.

2- الحديث الذي رواه ابن ماجة. وهو: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلا شِدَّةً، وَلا الدُّنْيَا إِلا إِدْبَارًا، وَلا النَّاسُ إِلا شُحًّا، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ، وَلا الْمَهْدِيُّ إِلا عيسى بن مريم (ابن ماجة). وليس الحديث بضعيف كما قال البعض، أما رواته الذين اعترض عليهم بعض المتأخرين، مثل "محمد بن خالد الجَنَدي"، وهو ليس بمجهول؛ فقد وثَّقَهُ يحيى بن معين، ولا يضره جهل الآخرين به ما دام ابن معين قد عرفه ووثَّقَهُ. كما روى عنه الشافعيُّ هذا الحديث. وهل من روى عنه الشافعيُّ مجهول؟ وأما عنعنة الحسن البصري فليست تضرّ هنا، لأنه ثبت أن الحسن البصري قد سمعه من أنس بن مالك؛ كما يظهر ذلك من حديث رواه البخاري: (انظر: صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوَّة في الإسلام). وأما الاختلاف في سنده فلم يأت عليه بدليل، ولو صحّ لا يضرّه، طالما أن هذا السند صحيح. لذا فليس في السند أية علَّة، بيد أن بعض العلماء أعلّه مَتْنًا، أي أن اجتهاده أدّى به إلى اعتبار أن هذا المتن يخالف ما هو معروف لديه بأن المهدي والمسيح شخصيتان مختلفتان، فردَّ الحديثَ بهذا الاجتهاد.. ومعلوم أن الأحاديث لا تُرَدُّ اجتهادًا. وأما أن هذا الحديث يعارض أحاديث أخرى تقول بأن المهدي والمسيح شخصيتان مختلفتان، فهذا فهم خاطئ لحديث جاء يشير إلى أن المسيح

هو أحد خدّام الشريعة الإسلامية، وهو الحديث الذي يقول: فينزل عيسى بن مريم ﷺ، فيقول له أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة. (مسلم، كتاب الإيمان) فهذا الحديث يرمز إلى أن المسيح سيكون تابعًا للشريعة الإسلامية ولن ينسخ حكمًا واحدًا منها.

3- الحديث الذي رواه البخاري. وهو: عَنْ نَافِعٍ مَوْلَى أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ.

إذا كان عيسى نبيًّا، وكان المهدي رجلاً مؤمنًا مجددًا من دون أنْ يكون نبيًّا، فمن يتبع الآخر؟

إن جملة (وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ) تعني: وهو إمامكم منكم وليس من أمة أخرى، إنّ "ابن مريم" هنا؛ هو إمامنا المهدي عليه السلام، وهو من أمة الإسلام، لا من بني إسرائيل. ولسنا بحاجة إلى تكرار أنَّ ابن مريم اسم أطلق على شخص شبيه به، ويسمى هذا في اللغة العربية الاستعارة التصريحية، حيث صُرِّح بالمشبه به، وحُذِف المشبه.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "مِن البراهين الدالة على أن المسيح الموعود به للأمة المحمدية سيكون فردا من هذه الأمة نفسها، حديثٌ ورد في البخاري ومسلم وهو: "إمامُكم منكم" و"أَمّكم منكم"، ومعناه أنه سيكون إمامكم وسيكون منكم. وبما أن هذا الحديث يتكلم عن عيسى الآتي، وبما أنه قد وردت في هذا الحديث نفسه[34] قبل هذه الجملة "حَكَم" و"عَدْل" وصفًا لعيسى، لذا فإن كلمة "الإمام" أيضًا قد جاءت وصفًا لعيسى نفسه. ولا شك أن الخطاب في كلمة "منكم" موجه إلى الصحابة رضي الله عنهم، ومن الواضح أنه لم يدعِ أحد منهم أنه المسيح الموعود، فثبت أن كلمة "منكم" تتحدث عن شخص هو من الصحابة عند الله تعالى، وهو نفس الشخص الذي اعتُبر من الصحابة في الآية التالية: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. إذ توضح هذه الآية أن هذا الشخص قد رُبِّيَ بروحانية النبي الكريم ﷺ، فهو من الصحابة طِبق هذا المعنى. وهذه الآية قد شرحها حديث يقول: "لَو كَانَ الإِيمَانُ معلقا بالثرَيا لَنَالَهُ رَجُلٌ مِنْ فارس"، وبما أن هذا الرجل الفارسي قد وُصِف بصفة قد خُص بها المسيح والمهدي – أعني أنه سيملأ الأرض

---

[34] أخرج البخاري هذين الحديثين متتالين في باب نزول عيسى ابن مريم من كتاب أحاديث الأنبياء، وهما: 1: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ.... 2: كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ.

عدلا بعد أن ملئت جورا وخلت من الإيمان والتوحيد – فثبت أن هذا الرجل الفارسي هو المهدي والمسيح الموعود، وهو أنا". (تحفة غولروية، الخزائن الروحانية؛ 17، ص 114-115)

4-لما ثبت يقينًا موت عيسى ؑ، لم يبق إلا أن يكون المقصود بنزوله مجيء شخص شبيه به في هذه الأمة، ولماذا يكون هذا المبعوث غير المهدي نفسه؟

5- لما ثبت أن المسيح الناصري قد مات، ولما ثبت أن الرسول ﷺ قد تنبأ عن نزوله، ولما ثبت أن الميت لا يعود، فلم يتبق طريقة للجمع بين هذه الحقائق سوى القول بأن المسيح الثاني غير الأول، بل هو المهدي نفسه. وهذا الأسلوب مستعمل في اللغة، وهو جواز إطلاق اسم الشيء على ما يشابهه بأكثر خواصه وصفاته. فقد قال رسول الله ﷺ لبعض أزواجه: (إنَّكن لأنتن صواحب يوسف، مُرُوا أبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالناس) (البخاري). فها هو رسولنا الكريم الذي أوتي جوامع الكلم يطلق على أزواجه؛ (صواحب يوسف) لتشابههن بشيء واحد فقط، فكيف لو كان التشابه من أبواب عديدة؟

6- ثم إن هنالك أحاديث تصف عيسى بن مريم وصفًا مختلفًا عن المسيح المنتظر، ففي رحلة الإسراء رأى رسول الله محمد ﷺ عيسى بن مريم، فوصفه بأنَّه أحمر جعد، وهذا الحديث مروي في البخاري، وهو: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "رَأَيْتُ عِيسَى ومُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصَّدْرِ وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ جَسِيمٌ سَبْطٌ كَأَنَّه مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ (البخاري، كتاب الأنبياء). بينما وصف عيسى الذي رآه في المنام والذي سينزل فيما بعد بأنَّه آدم سبط الشعر، وذلك كما في الرواية التالية في صحيح البخاري، وهي: عَنِ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنهمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:" بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ،بَيْنَ رَجُلَيْنِ، يَنْطُفُ رَأْسُهُ مَاءً، فَقُلْتُ مَنْ هَذَا؟ قَالُوا ابْنُ مَرْيَمَ، فَذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ، جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنه عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ، أَقْرَبُ النَّاسِ به شَبهًا ابْنُ قَطَنٍ." وابن قطن؛ رجل من بني المصطلق من خزاعة (البخاري؛ كتاب التعبير، باب الطواف بالكعبة في المنام). إذن، المسيح الثاني غير المسيح الأول الذي قد مات، ولن يعود قبل القيامة الكبرى.

الاعتراض:

هناك حديث يقول إن المسيح سيصلي خلف المهدي؟ مما يدل أنهما شخصان مختلفان.

الردّ:

لا يذكر هذا الحديث المهدي مطلقا، بل يذكر أمير القوم، حيث يقول:" فينزل عيسى بن مريم ﷺ، فيقول له أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة. (مسلم، كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم). وهذا الحديث يرمز إلى أن المسيح سيكون تابعًا للشريعة الإسلامية ولن ينسخ حكمًا واحدًا منها. أما تفسيره الخاطئ فلا يقوى على إبطال أدلة عديدة أوردناها في تبيان أن المهدي والمسيح صفتان لشخص واحد.

الاعتراض

يقال أن الأحمديين ينكرون الأحاديث، ويقال أيضا أن الأحمديين انتقائيون في الأحاديث، ويأخذون ما يحلو لهم، ويتركون ما لا يحلو لهم.

الردّ:

نحن لا ننكر الأحاديث النبوية، بل نقدّرها بمجرد أن نعرف أنها منسوبة إلى رسول الله ﷺ، ثم إنْ رأينا أنها تعارض القرآن، حاولنا أن نجد لها تفسيرا آخر يتفق مع القرآن وتحتمله اللغة. فإن لم نقدر، نترك الحديث ولا نأخذ به، لأن الرسول ﷺ لا يمكن أن يعارض القرآن.

وقد بين المسيح الموعود عليه السلام ذلك في مناظرة لدهيانة، وفي كتاب سفينة نوح.

الاعتراض:

من خلال قراءتي لكتبكم، تكرر الحديث عن ورود حديث نزول ابن مريم الوارد في صحيح مسلم الذي في نصه "ويضع الحرب"، فرجعت إلى صحيح مسلم فوجدت الأحاديث تقول "ويضع الجزية".

الردّ:

في كتاب فتح الباري لابن حجر، شرحٌ لحديث أبي هريرة: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ...

حيث أخذ ابن حجر -كعادته- بشرح الحديث جملة جملة. ولما وصل إلى عبارة (ويضع الجزية)، وضع بدلا منها (وَيَضَع الْحَرْب)، وقال مباشرة: فِي رِوَايَة الْكُشْمِيهَنِيِّ " الْجِزْيَة ". أي أن النص في بقية روايات كتاب البخاري (وَيَضَع الْحَرْب) إلا في رواية واحدة.. لذا اختار ابن حجر النص (ويضع الحرب)، ثم ذكَّر بنص (ويضع الجزية).

لذا فالنص الأشهر هو (ويضع الحرب) وليس (ويضع الجزية).

ثم إن هنالك روايات تذكر عبارة (وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)، كما في سنن ابن ماجة، ومسند أحمد، ومعجم الطبراني وغيرها .

ثم إنه لا فرق بين تعبير (ويضع الجزية) وبين تعبير (ويضع الحرب)، ولعل الرسول ﷺ قد ذكَر النّصين معا. أو ذكَر واحدا منها كل مرة. فوضعُ الجزية يعني عدم العمل بها، لأنه لا مبرر لها في عصر المسيح الموعود، حيث تنتهي الحروب الدينية. فالجزية مرتبطة بالحرب الدينية، وكلاهما ينتهيان. وقد انتهيا فعلا، فالحروب الحالية اقتصادية سياسية استعمارية تسلطية .

وبالتالي سواء كان الحديث (تضع الحرب) أم (تضع الحرب أوزارها) أم (يضع الجزية) أم (توضع الجزية)، فكله صحيح، وكله يحمل المعنى نفسه.

الاعتراض:

ورد في الحديث أنه في زمن الدجال سيكون هناك يوم كسنة ويوم كشهر.. وسأل الصحابة رسول الله ﷺ: في ذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ فأجاب بالنفي. ولكنكم تقولون أن الدجال ظهر، فأين هذه الأيام؟

الردّ:

العرب تستعمل قصر الأيام والليالي في المسرّة، وطولها في الشدة. فاليوم الذي كأسبوع يعني أنه شديد الوطأة، والذي كشهر وطأته أشد، والذي كسنة أشد وأشد. ففي زمن الدجال تمرّ أيام صعبة جدا بسبب أعمال الدجال وفتنه.

أما تحقق قصر الأيام وطولها في الظاهر فقد اكتشفت في هذا العصر أماكن لم تكن معلومة زمن النبي ﷺ حيث يكون النهار طويلا جدا في بعض الأحيان حتى يصل شهورا، مثلما هو الحال في القطب الشمالي والجنوبي.

ويمكن أن يكون المقصود بها أن المرء الآن يقطع في يوم واحد المسافات التي كانت تحتاج شهرا أو أسبوعا أو سنة.

الاعتراض:

من أهم الإشكاليات في الفكر الإسلامي؛ الخلاف في الأحاديث، فالبعض يصحح الضعيف، والبعض يضعف الصحيح، والناس تنتظر من المهدي أن يحل هذه المشكلة ويفرز الأحاديث الصحيحة عن الضعيفة، ولكنه لم يقم بمثل ذلك.

الردّ:

ما دام حضرة المسيح الموعود عليه السلام قد وضّح طريقة التصحيح والتضعيف، ووضّح مكانة الحديث والسنة من الأحكام، فقد اختصر المهمة، وجعلها في متناول اليد. لقد أكّد عليه السلام على أن القرآن الكريم هو الحكم على الحديث، وأن ما تعارض معه فإننا ننفي أن ننسبه إلى رسول الله ﷺ. وبيّن أن ما من شيء في الأحاديث إلا وله أصل في القرآن الكريم. وقد بين حضرته ذلك في التعليق على المناظرة التي جرت بين الشيخ البطالوي ممثل أهل الحديث والشيخ الجكرالوي ممثل أهل القرآن.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: لقد تناهى إلى سمعي أن بعضًا منكم لا يؤمنون بالحديث مطلقًا، فإن كانوا كذلك فإنهم مخطئون خطأ كبيرًا... كلاّ ما علّمتُ هذا التعليم...

بل إن في مذهبي ومعتقدي أشياء ثلاثة لا غير، الله أعطاكموها لهدايتكم؛ وأول هذه الأشياء الثلاثة القرآن، وقد ذُكر فيه توحيد الله وجلاله وعظمته............. وأما الذريعة الثانية- من ذرائع الهدى الثلاث المشار إليها- فهي السُّنّة؛ أي أسوة حضرته (عليه الصلاة والسلام) في أعماله التي قام بها تبيانًا لأحكام القرآن المجيد.. فمثلاً: لا يُعرف من القرآن المجيد بظاهر النظر عدد الركعات في الصلوات الخمس؛ كم عددها في صلاة الصبح وكم عددها في أوقات أخرى. ولكن السُّنّة كشفت غموض الأمر وبينته كل التبيان. ولا يظنّنّ أحد بأن السنّة والحديث شيء واحد، كلا؛ ما دُوّن الحديث إلا بعد المائة والخمسين سنة. وأما السُّنّة فقد كانت موجودة مع القرآن المجيد في الوقت نفسه. إن للسنة بعد الكتاب مِنّة على المسلمين عظيمة.....

.... وإن الحديث ذريعة للهداية ثالثة، لأن الأحاديث تقص علينا بالتفصيل كثيرًا من الأمور الإسلامية مما يؤول إلى التاريخ والأخلاق والفقه. وعلاوة على ذلك فإن أكبر فائدة من الحديث هي كونه خادم القرآن وخادم السنة. ونحن لا نتفق مع الذين لم يُعطَوا حظًا من أدب القرآن وحرمته، فيعتبرون الحديث حَكَمًا على القرآن، كما اعتبر اليهود أحاديثهم حَكَمًا على التوراة. وإنما نرى الحديث خادمًا للقرآن والسنة. ولا يُنكر أن عظمة السيد إنما تزداد بوجود الخدام. إن القرآن قول الله، وإن السُّنّة فعل الرسول، وإن الحديث شاهد مؤيد للسنة. ولعمري إنّ ذلك لخطأ قول الناس بأنّ الحديث حَكَم. ما شأن الحديث أن يكون للقرآن حَكَمًا وهو على ما هو عليه من المنزلة المظنونة؟ إن هو إلاّ شاهد مؤيد، لا غير.(سفينة نوح)

الاعتراض:

إن كان الإمام المهدي صادقا، فلماذا لم يكن اسمه محمد واسم أبيه عبد الله؟ فقد جاء في حديث للرسول ﷺ: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أمتي أو من أهل بيتي؛ يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي".

الردّ:

إن نص هذا الحديث هو: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أمتي أو من أهل بيتي؛ يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي" وقد أخرجه أبو داود. كما أخرج أيضًا:" لا تذهب، أو لاتنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي" أما الترمذي، والإمام أحمد؛ فقد ذكرا الرواية المقصورة على (اسمه اسمي) ولم يذكرا (اسم أبيه اسم أبي)

وعبارة (يبعث الله رجلا مني أو من أهل بيتي) تشير إلى كون هذا الموعود مطيعا للرسول ﷺ.

وقوله (اسمه اسمي) لا يشير إلى المماثلة الظاهرة في الاسم فقط، إذ ليس فيه أي دليل على أي مرتبة روحانية، بل هو إشارة إلى التوافق الروحاني، لأن لفظ (اسم) يأتي بمعنى الصفة أيضا، كقوله تعالى ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾. كما يقول الله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (مريم: 66) أي هل هناك من يوازي الله تعالى في صفاته؟

ثم إن الملاّ علي القاري قد قال في شرح هذا الحديث أنه إشارة إلى المماثلة في الصفات، أي أن صفات الإمام المهدي ستكون مشابهة لصفات الرسول ﷺ، وسوف يهدي الناسَ وفقًا لسيرة الرسول ﷺ وأسوته (مرقاة المفاتيح؛ شرح مشكاة المصابيح، مجلد5، ص179، المكتبة الميمنية، مصر، 1306هـ)

والحق أن الرسول ﷺ قد أشار بقوله هذا إلى أن الإمام المهدي يكون ظلا كاملا للرسول ﷺ، وهذا ما قاله الشاه ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه (التفهيمات الإلهية)، ويقول الإمام عبد الرزاق القاشاني: "المهدي الذي يجيء في آخر الزمان فإنه يكون في أحكام الشريعة تابعا لمحمد ﷺ، وفي المعارف والعلوم والحقيقة تكون جميعُ الأنبياء والأولياء تابعين له كلهم. ولا يناقض ما ذكرناه لأن باطنه باطن محمد ﷺ". (شرح فصوص الحِكَم، للشيخ عبد الرزاق القاشاني، ص57)

ولو أخذنا برواية أبي داود أيضا التي فيها أن اسم أبِ الإمام المهدي عليه السلام مثل اسم أبِ النبي ﷺ، فهذا إشارة إلى وجود مشابهة صفاتية بين والد الإمام المهدي عليه السلام ووالد الرسول ﷺ.

وإلى هذا أشار المسيح الموعود عليه السلام بقوله: وأمّا توارد اسم الأبوين كما جاء في حديث نبيّ الثقلَين، فاعلم أنه إشارة لطيفة إلى تطابُق السرَّين من خاتم النبيين. فإن أبا نبينا ﷺ كان مستعدّا

للأنوار فما اتفق حتى مضى من هذه الدار، وكان نورُ نبيّنا موّاجًا في فطرته، ولكن ما ظهر في صورته، والله أعلم بسرّ حقيقته، وقد مضى كالمستورين. وكذلك تشابهَ أبُ المهدي أبَ الرسول المقبول. (سر الخلافة)

وفيما يتعلق بظاهر الأسماء، فقد ورد في الروايات أيضا أن اسم المهدي أحمد، كما في رواية حذيفة التي ذكرها الحافظ نعيم بن حماد، (كتاب الفتن، باب في سيرة المهدي). وأكده ابن حجر الهيثمي أيضا في كتابه "القول المختصر في علامات المهدي المنتظر"، فتحت عنوان: "في علاماته وخصوصياته عليه السلام التي جاءت عنه ﷺ"، ذكر الهيثمي العلامة الثالثة، حيث قال: "اسمه اسم النبي ﷺ: (محمد) وفي رواية تأتي (أحمد)، ولا تَنافي لإمكان أنه مسمّى بكليهما. (ابن حجر الهيثمي، القول المختصر في علامات المهدي المنتظر، الباب الأول، ص5). وقد كان اسم المسيح الموعود عليه السلام أحمد. أما غلام فهو جزء من اسم العائلة؛ فقد كان اسم أبيه ميرزا غلام مرتضى، واسم أخيه ميرزا غلام قادر.

ومع أن "غلام" هي جزء من اسم العائلة، فهي تعني الخادم والعبد، وتشير أيضا إلى حقيقة مواطأة اسم الإمام المهدي لاسم النبي ﷺ، حيث إن المواطأة لا تعني المطابقة، وإلا لقال ﷺ: اسمه اسمي. ومن المواطأة تعني أيضا التقديم والتهيئة والتمهيد، وأيضا اتباع الخطوات؛ أي كأنه يضع أقدامه حيث وضع النبي ﷺ أقدامه، وتبعه في كل صفة من صفاته. وهذا ما تحقق فعليا في الإمام المهدي عليه السلام، وما يشير إليه اسم "غلام أحمد"؛ أي خادم أحمد.

ونؤكد ثانية وثالثة أن العبرة بعد الإيمان بالأخلاق والعمل الصالح والالتزام وليس بالنسب، قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). وقال رسول الله ﷺ عن سلمان الفارسي: سلمان منا أهل البيت (المستدرك، كتاب معرفة الصحابة).

وما أروع ما قال نشوان الحميري:

آل النبي هم أتباع ملته ________من الأعاجم والسودان والعرب

لو لم يكن آله إلا قرابته______صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

الاعتراض:

يقال أن المهدي لن يُبعث إلا بعد أن تشرق الشمس من مغربها، فهل حدث هذا؟

الردّ:

لا شك أن الشمس هنا مجازية وليست حقيقية. ولطلوعها من المغرب أكثر من تفسير، فيقول المسيح الموعود ؑ: "هو الذي ردّ بي شمس الإسلام بعدما دنت للغروب فكأنّها طلعت من مغربها وتجلّت للطالبين. (الخطبة الإلهامية)

وجاء في كتاب القول الصريح في ظهور المهدي والمسيح:

العلامة الثامنة . طلوع الشمس من المغرب:

"... أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون. فيومئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا (مسلم : كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يُقبل فيه الإيمان).

لا يظنّنّ أحد من هذا الحديث أن الشمس في الظاهر تطلع من المغرب، لأن هذا الرأي مخالف للقرآن صراحة ويناقضه، يقول الله تعالى: ﴿فَإِن اللهَ يَأْتِي بِالشمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾ (البقرة: 259) ويقول ﴿لا الشمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ولا الليْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ (يس: 41)، فهل تتبدل الحركة الأرضية، أو ينقل المشرق إلى المغرب والمغرب إلى المشرق خلاف سنة الله المستمرة؟ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر:44)

فالمعنى الصحيح الذي لا يخالف القرآن هو أن الله تعالى ينوّر البلاد الغربية بشمس الصدق، ويهدي الغارقين في الضلالة والكفر والظلمة منذ أمد بعيد إلى الإسلام، فكأنما شمس الإسلام تطلع من مغربها. وأن الإسلام سينتصر على المسيحية التي مقرها الغرب بشكل عام.

وأما ما ورد "فيومئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا"، فمعناه أنه إذا دخل أهل الغرب في الإسلام أفواجًا بعد أفواج، وطلعت شمس الإسلام تمامًا على الديار الغربية، فيحرم من الإسلام أولئك الذين تكون فطرتهم مخالفة للإسلام ولا يريدون أن يدخلوا في الإسلام، فينسد عليهم باب التوبة، ولا تقبل توبتهم. وليس المراد منه أنهم يتوبون ويخضعون ويخشعون ولكن الله لا يقبل توبتهم. لأن هذا لبعيد عن الله تعالى، فالله رؤوف رحيم يقبل التوبة عن عباده ويغفر السيئات.

والحق أن قلوبهم ستصير قاسية، وأنهم لا يوفّقون للتوبة، وهؤلاء هم الأشرار الذين تقوم الساعة عليهم، وقد بدأت شمس الهداية والصدق تطلع بمجيء المسيح الموعود ؑ من مغربها، لأن كثيرًا من الأوروبيين والأمريكيين قد دخلوا في الإسلام بواسطة الجماعة الأحمدية.

الاعتراض:

هناك حديث يشير إلى وجود 30 متنبئا كاذبا، فكيف تؤمنون بنبوة ميرزا غلام أحمد إذن؟

الردّ:

هذا الحديث الشريف بحدّ ذاته يفيد ضمنا أن هناك مبعوثا صادقا أو أكثر. ومع أنه يشير إلى ظهور متنبئين كذابين، لكنه لا ينفي وجود مسيح حقيقي أخبر عنه النبي ﷺ مرارا، وأكد على أهمية بيعته، وسماه مهديا وقال: "بايعوه ولو حبوًا على الثلج". من هنا فهو يفيد ضمنيا أن هناك مبعوثا صادقا من عند الله تعالى، وإلا لقال النبي ﷺ: كل من ادعى أنه المسيح أو المهدي أو وأنه صل مقام النبوة، فلا تصدقوه.

الاعتراض:

جاء في آخر حديث الثلاثين كذابا أنه ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وهو بهذا يؤكد استحالة بعثة أي نبي بعده.

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "يقولون عني إنه دجال لأنه قد ورد أن ثلاثين دجالا سيظهرون، ولا يفكرون أنه إذا كان مقدرا أن يأتي ثلاثون دجالون فكان من المفروض أن يأتي مقابلهم ثلاثون مسيحا أيضا. (حقيقة الوحي).. ويتابع حضرته مستخدما أسلوبا استنكاريا تعجبيا فيقول: "ولكن ما أكبر هذه الطامة إذ جاء ثلاثون دجالون ولم يأت حتى مسيح واحد! ما أشقى هذه الأمة! إذ لم يبق في نصيبها سوى الدجالين، ولم يكن من نصيبها إلى الآن أن ترى وجهَ مسيحٍ صادق، بينما قد جاء في السلسلة الإسرائيلية مئات الأنبياء! (حقيقة الوحي)

بهذا يناقش حضرته استدلال الناس بحديث الثلاثين كذابا على تكذيب حضرته. مع أن معنى هذا الحديث: إياكم أن تكفروا بالمسيح والمهدي عند نزوله مهما كثر الأدعياء الكذبة، فهناك ثلاثون كذابا. هذا كل ما في الحديث، إنه حضٌّ على الإيمان، وليس حضًّا على التكذيب؛ ذلك أن الكاذب يظهر بكل سهولة أنه كاذب، أما الصادق فيصعب على الناس تصديقه واتّباعه رغم وضوح صدقه، لأن الناس لا يميلون إلى الاتباع، بل إلى نظرية ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾. لذا جاء هذا الحديث يؤكد على أهمية الإيمان مهما كانت الظروف والاتهامات ومهما كثر الأدعياء والمشوِّشون عند نزول المسيح المهدي.

أما العدد الثلاثين فالله أعلم فيما إذا كان تعبيرًا عن الكثرة أم أنه مقصود لذاته، وإن كان مقصودا فالله أعلم مَن هم.. وليس مهمًّا البحث فيهم. بل المهم هو أخذ العبرة من الحديث.

ومع هذا فيرى البعض أن هذا الحديث يقول لن يبعث الله مهديا ولا مسيحا، لأنه ورد في آخره: "وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي".

مع أن المعنى –إن صحت هذه الإضافة عن الرسول ﷺ- أن هؤلاء الثلاثين كذابا سيدَّعون النبوة المستقلة عن سيدنا محمد ﷺ، والتي تتضمن أنه ﷺ ليس خاتم النبيين، بل يزعمون أنهم نالوا النبوة من دون اتِّباعه. أي أنهم سيكونون مختلفين عن المسيح المهدي الذي بشَّر النبي ﷺ ببعثته وأمر بمبايعته، فهذا المسيح سيكون تابعا للنبي ﷺ ومختوما بختمه وخادما له ومصليا عليه.

فالذي يحتج بهذا الحديث على تكذيب المسيح الموعود عليه السلام يقع في تناقض صارخ؛ لأنه يتغاضى عن مئات الروايات التي تبشر بنزوله ويستدل برواية واحدة؛ ذلك أن الرسول ﷺ الذي تحدث عن ثلاثين كذابا هو نفسه الذي أمر بالإيمان بالمسيح النازل. وحيث إن المسيح قد مات يقينا، فقد ثبت أن المقصودَ بنزولِه بعثةُ شخص شبيه به من هذه الأمة. وحيث إن سيدنا محمدا ﷺ خاتم النبيين فلا بد أن يكون هذا المسيح تابعا لشريعته. وتعبير لا نبي بعدي هنا يعني: لا نبي يخالفني، كما هو معنى "بعد" في الآية: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ الله وَءَايَاته يُؤْمِنُونَ﴾. فصار معنى الحديث أن الثلاثين كذابا سيدّعون النبوة المستقلة، مع أنني خاتم النبيين فلا مجال لأن يأتي نبي يخالفني بشرع مستقل عني.

ومع ذلك فيبدو أن عبارة "وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي" قد أدرجها أحد الرواة، أي أنها ليست من كلام رسول الله ﷺ، والدليل هو مراجعة هذه الروايات كلها، حيث ورد الحديث عن خمسة من الصحابة، ولم تأت عبارة "وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي" إلا من أحد طرق ثوبان، بينما ورد عنه متن من غير هذه الزيادة.. وهذه هي طرق الرواية:

1: طريق أبي هريرة:

لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ (البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود)..

2: حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فَجَعَلَ يُحَدِّثُهُ عَنْ الْمُخْتَارِ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ إِنْ كَانَ كَمَا تَقُولُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا (مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة)

3: حديث جابر:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ كَذَّابُونَ مِنْهُمْ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ وَمِنْهُمْ صَاحِبُ صَنْعَاءَ الْعَنَسِيُّ وَمِنْهُمْ صَاحِبُ حِمْيَرَ وَمِنْهُمْ الدَّجَّالُ وَهُوَ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً. قَالَ جَابِرٌ وَبَعْضُ أَصْحَابِي يَقُولُ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا (مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين)

4: حديث أبي بكرة:
عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي مُسَيْلِمَةَ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ شَيْئًا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَفِي شَأْنِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ أَكْثَرْتُمْ فِيهِ وَإِنَّهُ كَذَّابٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كَذَّابًا يَخْرُجُونَ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَلْدَةٍ إِلَّا يَبْلُغُهَا رُعْبُ الْمَسِيحِ إِلَّا الْمَدِينَةَ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهَا مَلَكَانِ يَذُبَّانِ عَنْهَا رُعْبَ الْمَسِيحِ (مسند أحمد، كتاب أول مسند البصريين)
5: طريق ثوبان:
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ وَحَتَّى يَعْبُدُوا الْأَوْثَانَ وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي (سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله) وهناك بمتن قريب رواه أبو داود، كتاب الفتن والملاحم.
وحتى حديث ثوبان فقد ورد بمتن آخر.... وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (ابن ماجة)

الاعتراض:

تستدلون بحديث (ولا المهدي إلا عيسى)، فما معناه؟ أليس هنالك مهديون غيره؟

الردّ:

يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن الحديث الشريف "لا المهْدِي إلا عيسى".... إنما يعني أنه لن يأتي أي مهدي إلا الذي سيكون على طبيعة عيسى عليه السلام وخصاله وطريقه، أي ليس المسيح الموعود ولا الإمام المهدي إلا الذي سيظهر على صفة عيسى عليه السلام وطبيعته وطريق تعليمه.. بمعنى أنه لن يقاوم السيئة بمثلها ولن يحارب، بل ينشر الهداية بقدوة حسنة وبآيات سماوية. وهذا ما يدعمه حديث آخر أورده الإمام البخاري في صحيحه ونصه: "يَضَعُ الْحَرْبَ".. أي أن المهدي، الذي يُدعى المسيح الموعود أيضًا، سوف يُنهي الحروب الدينية قطعًا، وسيأمر الناس ألا يقاتلوا لأجل الدين، بل عليهم أن ينشروا الدين بأنوار الصدق ومعجزات الأخلاق وآيات التقرب إلى الله تعالى. فالحق، والحق أقول: إن الذي يقاتل لأجل الدين الآن، أو يؤيد المقاتل، أو يدعو إلى ذلك سرا أو علانية، أو يتمنى ذلك في قلبه، فإنه يعصي الله ورسوله، وقد خرج عن وصاياهما وحدودهما وفرائضهما". (حقيقة المهدي، الخزائن الروحانية؛ ج 14، ص 431– 432)

الفصل التاسع

اعتراضات تشويهية محضة

الاعتراض:

يقال أن المؤسس توفي في بيت الخلاء.

الردّ[35]:

إن هذا لمن أكبر أكاذيب الخصوم.

إن الحقيقة التي يعرفها القاصي والداني هي أن المسيح الموعود عليه السلام فارق الحياة مستلقيا على فراشه، وكان حوله العشرات من الناس، وكان من بينهم بعض الأطباء المشهورين، بالإضافة إلى أفراد عائلته وبعض صحابته، ولم يتفوّه أحد منهم بمثل هذا القول، ولم يذكر أحد منهم أنه توفي في المرحاض أو في بيت الخلاء، فكيف يزعم أولئك الذين لم يكونوا حاضرين تلك الواقعة.. حدوث أمر لم يره ولم يقل به أي شخص من بين أولئك الذين كانوا بالفعل شاهدي عيان طوال الفترة التي لقي فيها المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام ربه؟

لقد سُجّلت تلك الواقعة في أكثر من كتاب، وجاء ذكرها في أكثر من مرجع، فقد كان المسيح الموعود عليه السلام قد وصل إلى لاهور في صحبة السيدة زوجته وبعض أفراد عائلته وصحابته، ونزل في بيت واحد من فضلاء أفراد جماعته هناك. وكان عليه السلام يعاني من مرض الدوسنطاريا الذي كان يعاوده من حين لآخر، وفي يوم 23 من ربيع الثاني 1326هـ الموافق 25-5-1908، عاوده المرض، وقد جمع صلاتي المغرب والعشاء، وتناول قليلا من الطعام. ثم أحس بالرغبة في قضاء حاجته، فذهب إلى بيت الخلاء، ثم عاد إلى غرفته لينال قسطا من الراحة. ونام بعض الوقت، ونام أهله، ولكنه استيقظ مرة أو مرتين أثناء الليل لقضاء حاجته. وعند الساعة الحادية عشرة في تلك الليلة، استيقظ مرة أخرى وقد شعر بضعف شديد فأيقظ زوجته، وبعد قليل ازداد شعوره بالضعف، فاستأذنته زوجته أن تدعو حضرة المولوي نور الدين رضي الله عنه الذي كان طبيبا حاذقا وكان أيضا من أقرب وأحب صحابته إليه، فوافق حضرته على استدعائه واستدعاء ابنه (سيدنا) محمود أحمد رضي الله عنه، وكان حينئذ في التاسعة عشرة من عمره.

وقد جاء مولانا نور الدين رضي الله عنه، كما جاء الدكتور محمد حسين والدكتور يعقوب بيك، وقال لهم عليه السلام إنه يعاني من الدوسنطاريا وسألهم أن يقترحوا له دواء، ثم أضاف قائلا: في الحقيقة

---

[35] من إعداد المبشر محمد حميد كوثر

إن الدواء موجود في السماء، فعليكم بالدواء والدعاء. وقد قام الأطباء بمعالجته، ولكن الضعف كان يزداد، وشعر بالجفاف في لسانه وحلقه، وكان عليه السلام يردد بين حين وآخر: "يا إلهي يا حبيبي". ولعل هذا يُذكّرنا بما قاله سيدنا رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه، إذ ورد في صحيح البخاري بأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رأس النبي ﷺ على فخذي، فغشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: "اللهم الرفيقَ الأعلى" (كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم النبي ﷺ)

كان صحابة المسيح الموعود عليه السلام وجميع الحاضرين في حالة من القلق والاضطراب، وكان البعض يقوم بخدمته والبعض الآخر يؤدون صلاة التهجد، وقد كتب ابنه ميرزا بشير أحمد رضي الله عنه يقول: "... حينما رأيت وجه والدي في صباح ذلك اليوم انتابني القلق، واستولى عليّ شعور بأن هذا ليس إلاّ مرض الموت".

وفي حوالي الساعة الخامسة صباحا وصل نواب محمد عليّ رضي الله عنه، وهو زوج ابنته عليه السلام ومن أبرز صحابته، ولما دخل سلّم على المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام فردّ عليه السلام، ثم سأل: هل حان وقت صلاة الفجر؟ قيل: نعم. فضرب بكفّيه على الفراش وتيمم ثم أخذ يُصلي الفجر. ولكنه غُشي عليه أثناء الصلاة، وبعد قليل أفاق فسأل ثانية: هل حان وقت صلاة الفجر؟ فقيل: نعم. فنوى لصلاة الفجر ثانية، وراح يؤدي الصلاة حتى فرغ منها، ثم غشي عليه وهو يردد هذا الكلمات: "يا إلهي يا حبيبي".

في الساعة الثامنة صباحا سأله أحد الأطباء الذين كانوا يتولون علاجه عما إذا كان يشعر بألم أو أذى في أي جزء من أجزاء جسده الشريف، ولكنه لم يستطع أن يجيبه لشدة الضعف، وأشار إلى الحاضرين طالبا ورقة وقلما، وكتب أنه يشعر بضعف شديد ولذلك فإنه لا يردّ عليهم. وفي الساعة التاسعة صباحا تدهورت حالته وكانت أنفاسه الشريفة طويلة، وقد بات واضحا للحاضرين أنه في اللحظات الأخيرة من حياته. وفي الساعة الحادية عشرة قبيل ظهر ذلك اليوم، فاضت روحه الطاهرة للقاء حبيبها، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في جنة الخلد، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون. وبذلك انقضت أيام عمره المبارك الذي بلغ فيه الخامسة والسبعين ونصف العام.

هذه هي تفاصيل مراحل مرضه الذي توفي فيه، وقد نقلتها هنا بالتفصيل والترتيب، وتؤكد لنا هذه الحقائق الموثّقة على أنه قضى حاجته للمرة الأخيرة في الساعة الحادية عشر ليلًا، وبعدها لازم فراشه حتى الساعة الحادية عشرة من اليوم التالي، وطوال هذه المدة بقي على فراشه، وصلى صلاة الفجر على فراشه، وجاد بأنفاسه الشريفة على فراشه، أمام الكثيرين من الحضور في ذلك اليوم.

ونحن نتحدّى كل أولئك المتخرّصين والكذابين والمفترين المضللين أن يأتوا بشهادة واحدة لشاهد عيان أن حضرته قد توفي في المرحاض، فإن لم يستطيعوا.. ولن يستطيعوا.. فليتقوا الله ربهم، وليخشوا يوما تشخص فيه الأبصار. إنهم بهذا الإفك الذي يخترعونه، وبهذا التزوير الذي يفترونه، إنما يماثلون تماما أولئك المستشرقين الغربيين الذين هم أعداء الإسلام، والذين راحوا يصفون كيف توفي سيد الأنبياء، وكيف أنه كان يتألم في مرضه الذي توفي فيه حتى أنه كان يقول: "إن للموت لسكرات"، وكيف أنه كان لا يقوى على المسير حتى أنه كان يخط بقدميه على الأرض وهو يتحامل على كتفي رجلين من صحابته، وكيف أنه لم يقو على أداء الصلاة فأمر أن يؤم أبو بكر المصلين، وكيف أنه كان يفقد الوعي وهو في النزع الأخير، وكيف أنه كان يكابد الآلام الشديدة حتى أن ابنته فاطمة رضي الله عنها راحت تبكي بجواره. إنهم يذكرون كل هذه الأمور ليُوهموا القارئَ أن هذا العذاب الذي تحمله رسول الله ﷺ إنما كان بسبب غضب الله عليه في أيامه الأخيرة –معاذ الله– وإن كانوا لا يقولون هذا صراحة وإنما يتركون للقارئ أن يستنتجه بنفسه.

والآن يسير أعداء الجماعة الإسلامية الأحمدية على نفس النهج الذي سار عليه أعداء الإسلام من قبل، ولكن مع فارق كبير، وهو أن أعداء الإسلام لم يخترعوا أكذوبة ولم يفتروا فرية كما يفعل الآن أعداء سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام، وإنما ذكروا الحقائق بأسلوب يستنتج منه القارئ ما يريدون له أن يستنتج من دون أن يتفوّهوا به صراحة. أما أعداء المسيح الموعود عليه السلام فلم يستحوا أن يفتروا عليه هذه الفرية الدنيئة.

الاعتراض:

هناك كتاب طبع في إحدى المطابع بإنجلترا، اسمه:

The arrival of British Empire in India: Cited by Ajami Israel, page 19.

هذا الكتاب يؤكد بأن الإنجليز قرروا في البرلمان بأنه لاستمرار حكمهم على الهند والسيطرة على المسلمين هناك، لا بد لهم من إقامة متنبئ باسم نبي ظليّ، ليدعو الناس لترك الجهاد بعد أن يعلن النبوة، لأن الهنود سيتّبعونه بسهولة.

الردّ[36]:

يقول الخليفة الرابع رحمه الله:

---

[36] من كتاب زهق الباطل للخليفة الرابع رحمه الله.

كتبتُ إلى إمام مسجد لندن وقتئذ بأن هذا كذب صريح ولا شك، إلا أنني أرجوك مراجعة هذا الكتاب حتى نتأكد مما جاء فيه. فلربما ورد فيه أمر آخر حوّلوه بقص ولزق إلى ما يحققون به مآربهم.

ولمفاجأتي كتب إليَّ إمام المسجد بأنه لم يعثر على أي كتاب يحمل هذا العنوان. فطلبت إليه المزيد من البحث والاتصال بالمطبعة المذكورة. فجاءني الرد: لقد قمنا ببحث شاق، فلم نجد الكتاب، بل لم نعثر على أية مطبعة بهذا الاسم.

ثم اتصلنا في هذا الشأن بالمتحف البريطاني وغيره من المؤسسات الكبيرة، فقالوا لنا بكلمة واحدة: لا يوجد هنا أي كتاب بهذا العنوان، ولا أية مطبعة بهذا الاسم!

الفصل العاشر

متفرقات[37]

سؤال: من سمى الجماعة الإسلامية الأحمدية بهذا الاسم؟ وما علة هذه التسمية؟

جواب: يقول حضرة المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام في أحد إعلاناته: "لقد سُمّيتْ هذه الفرقة بـ"الفرقة المسلمة الأحمدية" لأن نبينا ﷺ كان له اسمان اثنان؛ أحدهما محمد ﷺ والآخر أحمد ﷺ. أما محمد ﷺ فكان اسمًا جلاليًا، وكان يتضمن نبوءة أن النبي ﷺ سوف يعاقِب بالسيف هؤلاء الأعداء الذين هجموا على الإسلام بالسيف فقتلوا مئات من المسلمين. ولكن أحمد كان اسمًا جماليًا، وكان يشير إلى أن النبي ﷺ سينشر الأمن والصلح في العالم. فلقد قسّم الله هذين الاسمين بهذا الشكل؛ بأنه تم ظهور اسم أحمد ﷺ في الفترة المكية من حياة النبي ﷺ حيث كان التعليم هو التحلي بالصبر. ثم تمّ ظهور اسم محمد ﷺ في الفترة المدنية حيث اقتضت حكمة الله تعالى واقتضت المصلحة قطعَ دابر المعارضين .ولكن أُنبئ أيضًا أن ظهور اسم أحمد سوف يتمّ مرة أخرى في الزمن الأخير أيضًا، وسوف يُبعث شخص تظهر بواسطته الصفات الأحمدية للنبي ﷺ أي الصفات الجمالية، وبالتالي ستوضع جميع الحروب. فبهذا السبب رأيتُ مناسبًا أن تُسمى هذه الفرقة بالفرقة الأحمدية، ولكي يفهم كل واحد عند سماع اسمها أن هذه الفرقة أنشئت لنشر الأمن والصلح في العالم، ولا علاقة لها مطلقًا بالحرب" (الإعلان رقم 229، مجموعة الإعلانات: ج3، ص365- 366)

وكان هذا الإعلان قد نشر في يوم 4-11-1900، وهذه الفقرة المذكورة جاءت في آخر هذا الإعلان الطويل الذي يتعلق بالإحصاء السكاني في الهند، حيث ألزَمَت الحكومة أن تُسجَّل كل فرقة تمتاز عن غيرها في مبادئها على حدة، وباسمٍ تختاره لنفسها، فرأى المسيح الموعود من المناسب أن يُذكّر الحكومةَ بهذين الأمرين بالنسبة إلى فرقته، وأمر الجماعة بأخذ هذه التعليمات بعين الاعتبار عند التسجيل. ثم ذكر بعد سبع صفحات تقريبا ما ذكرناه آنفًا.. علما أن البيعة كانت قد أُخذت، وأن الجماعة قد تكونت سنة 1889م، ومع ذلك لم يختر المسيح الموعود عليه السلام لأتباعه أي اسم خاص مدة 11عاما، حتى جاء هذا الإحصاء.

الاعتراض:

[37] الردود في هذا الفصل من الموقع العربي الرسمي للجماعة

الأحمدية تكفر الناس، ثم تشكو من تكفيرها، أليس هذا تناقضا؟ ألم يقل الخليفة الثاني: كل من لم يبايع المسيح الموعود ولو لم يسمع به، فهو كافر وخارج عن الإسلام؟

الردّ:

هنالك مسألتان لا بد من التفريق بينهما:

مسألة إطلاق لفظ الكفر أو الإيمان على شخص، ومسألة استحقاقه العذاب.

هذان أمران مختلفان ولا تلازم بينهما، أي قد نسمي شخصا كافرا، بينما هو يستحق دخول الجنة، وقد نطلق على شخص صفة الإسلام، وهو في جهنم.

مثال على الحالة الأولى: شخص لم يسمع بالإسلام البتة، ولكنه يعبد الله كما وصله من عقائد، ويقوم بالعمل الصالح، فهو- في اصطلاحنا- كافر، ولكنه في الجنة. هو كافر لأنه لم يعتنق الإسلام، وفي الجنة لأنه قام بما يجب عليه، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

ومثال على الحالة الثانية: شخص أعلن الإسلام وباطنه غير ظاهره، فنحكم بإسلامه؛ أي هو مسلم، ولكن مصيره جهنم.

وهذه المسألة لا خلاف يُذكر فيها بين المسلمين، فمَن يُسمّي اليهود والنصارى مسلمين؟ إنهم كفار بالرسالة الإسلامية، ولكن هل كلّ يهودي وكل نصراني في النار؟ الجواب: إن ذلك يعتمد على سبب عدم إيمانه بالإسلام. والله وحده مَن يعلم السبب الحقيقي، وفيما إذا كان معذورا فيه. أي أننا لا نستطيع الإجابة على هذا السؤال البتة. أما وصف شخص بأنه مسلم أو كافر، فهذا يمكننا أن نطلقه بسهولة.

إن القضية الأخرى الهامة هنا هي أن الإيمان بالمسيح الموعود ليس قضية ثانوية، بل هذا الإيمان واجب كوجوب الإيمان بأي نبي سابق، والكفر به جريمة كحال الكفر بأي نبي سابق.

إن كفر أي مسلم بالمسيح الموعود **يساوي** كفر أي يهودي بالمسيح الناصري حين بُعث إليهم، **ويساوي** كفر أي مسلم بالمسيح الناصري حين ينزل من السماء على فرض أنه سينزل.

لذا يمكن أن نطلق لفظ كافر على من لا يؤمن بالمسيح الموعود عليه السلام من هذا الباب، ولكن هذا لا علاقة له بالحكم عليه بدخول الجنة أو النار. ولا علاقة له بأنه معذور في عدم الإيمان أو غير معذور، لأن هذا يعلمه الله وحده.

هذه الجملة التي قالها الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام لا بدّ من فهمها في ضوء هذه التوطئة، وفي ضوء سياقها.. حيث يقول الخليفة الثاني رضي الله عنه شارحا إياها تحت عنوان (**عقيدتي بشأن كفر غير الأحمديين**):

أعتقد أن الكفر هو نتيجة إنكار الله تعالى. عندما ينزل من الله تعالى وحي يكون الإيمان به ضروريا للناس، وإنكاره كفر. وبما أن الإنسان لا يؤمن بالوحي إلا إذا آمن بمن نزل عليه الوحي، لذا لا بد من الإيمان بصاحب الوحي، ومَن لا يؤمن به فهو كافر. ليس بسبب أنه لا يؤمن بزيد أو عمرو، بل لأن إنكاره للوحي وصاحب الوحي يؤدي إلى إنكار كلام الله. وعندي أن سبب الكفر بالأنبياء كلهم يعود إلى هذا المبدأ وليس بسبب إنكار شخصهم. وبما أن الوحي الذي يجب الإيمان به لا ينزل إلا على الأنبياء، لذا فإن إنكار الأنبياء فقط هو الذي يؤدي إلى الكفر، أما إنكار غير الأنبياء فلا يؤدي إلى أي كفر. وبما أن الوحي الذي قد فُرض على الناس جميعا الإيمان به قد نزل على المسيح الموعود ، لذا؛ أرى أن الذين لا يؤمنون به كافرون بحسب القرآن الكريم حتى لو آمنوا بوحي آخر؛ لأنه إذا وُجد وجه واحد من أوجه الكفر في شخص لأصبح كافرا. والكفر عندي هو إنكار مبدأ من المبادئ التي يُعتبر رافضها متمردًا وعاصيًا لله، أو تموت الروحانية فيه بسبب إنكاره إياها. **ولكن هذا لا يعني أن شخصا مثله يُعذَّب بعذاب غير مجذوذ إلى الأبد**. وبما أن أوامر الإسلام تحكم على الظاهر، لذا؛ فالذين لا يؤمنون بنبي – وإن كان سبب عدم إيمانهم أنهم لم يسمعوا به– سوف يُعتبرون كافرين حتى لو كانوا غير مستحقين للعذاب عند الله، لأن عدم إيمانهم لم يكن ناتجا عن خطأ منهم.

والمعلوم أن المسلمين كلهم على مر العصور ظلوا يعتبرون الذين لم يدخلوا الإسلام كافرين، وإن لم يسمعوا بالنبي ﷺ. لم يحدث إلى اليوم أن أحدا قد أصدر فتوى بكونهم مسلمين. كما لم يفتوا بإسلام آلاف مؤلفة من المسيحيين من ساكني الجبال في أوروبا ممّن لم يسمع بالنبي ﷺ ولم يطلع على تعليم النبي ﷺ. (مرآة الصدق، ص113)

الاعتراض:

لماذا لا يؤمن كبار العلماء بمؤسس جماعتكم؟ أليسوا هم أعلم منا وعلينا الاقتداء بهم؟

الردّ:

إن سبب الكفر بالأنبياء هو الكِبْر عادةً وليس قلة العلم والمعرفة. وقد قصّ الله علينا قصة إبليس الذي أبى واستكبر وكان من الكافرين، ولم يقصّ الله علينا قصة رجل كَفَر بنبي بسبب ضعف مستواه العلمي أو الثقافي أو المعرفي.

بل يكون العلم أحيانا من مسببات الكبر والغرور، فيصبح حاجزا وعثرة أمام الإيمان.

وهذا ما حصل مع علماء بني إسرائيل الذين كفروا بالمسيح عليه السلام قبل ألفي سنة، فلم يكن عندهم قلة من العلماء، بل قلة تقوى الله وخشيته، كما تكرر معهم حين كفروا بسيدنا محمد ﷺ قبل 14 قرنا، ولذلك قال الله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ثم يتكرر الآن.

لقد كان السابقون من المؤمنين من بسطاء الناس وعامتهم وضعفائهم عادةً، وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة على لسان كفار قوم نوح الذين قالوا له: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾، فهم بسطاء حقيقةً، أو هو مجرد ازدراء من الكفار لهم. وإلا فإن العديد من كبار الناس من ذوي العلم والتقوى والمكانة الاجتماعية أيضا يؤمنون بالأنبياء، فأبو بكر الصديق وعمر وعثمان كانوا من كبار القوم، وكذلك عبد الله بن سلام الذي شهد اليهود على مكانته وتقواه وورعه عندما سألهم الرسول ﷺ عن رأيهم فيه.

إن الكفار المستكبرين يعترضون على النبي نفسه، ويستنكرون أن يكون هو النبي، إذ لو كان الله باعثًا نبيًّا لبعث غيره بزعمهم، وقد ذكر الله اعتراضهم هذا في قوله ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.

إن الذي يحصل مع كثير من العلماء، هو أنهم يشعرون بنشوة كثرة الأتباع والفخر بعلمهم الغزير، وهذا عندهم- أو في إحساسهم- أعظم من المال، فلو طُلب لصاحب المال أن يتخلى عن جزء كبير من ماله للفقراء، فسيرى ذلك صعبا جدا، وهكذا لو قيل للعالِم أن يتخلى عن علمه- بعد أن ثبت أن كثيرا منه ليس علما، بل أخطاء- فسيجده أكثر صعوبة.

يظنّ العلماء في البداية أنهم على الحق، وأن هذا النبي على الباطل، ولكن مع الزمن تظهر لهم الحقيقة شيئا فشيئا، ولكن يصبح التراجع أكثر صعوبة، وكلما طال زمان إعراضهم زادت صعوبة إيمانهم.

ولعل هذا ما أشار إليه ابن عربي بقوله: إذا ظهر الإمام المهدي، فليس له عدو مبين إلا الفقهاء خاصة.

لكن، هناك قسم من العلماء ليسوا من هذا النوع، بل من النوع الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، فهؤلاء سرعان ما يؤمنون ويحمدون الله تعالى ويستغفرونه قائلين ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.

ولعل بعض العلماء العرب لم يسمعوا بدعوة المسيح الموعود عليه السلام، أو سمعوا بها مشوّهة، ولو سمعوا لآمنوا، فهؤلاء معذورون، لكن بعد افتتاح القناة الفضائية الإسلامية الأحمدية(mta) – سنة

2007م- باللغة العربية، وبعد ظهور المواقع على الشبكة العالمية (الإنترنت)، وبعد أن كثر الأحمديون في الدول العربية نفسها، فقد صار هذا الاحتمال نادرا جدا.

إن المهم في القضية؛ هل يقتضي هذا الزمن بعث مصلح من الله أم لا؟ وهل هذا الذي أعلن أنه مبعوث من الله صادق وتتحقق فيه صفات مبعوث الله؟ هذا هو الذي يجب أن يفكر فيه المرء ويحكم بتقوى الله وخشيته ليصل إلى الحق.

الاعتراض:

قرأت في موقع – على الإنترنت- ضد الأحمدية هذا الخبر بعنوان: "ارتفاع عدد الجنود القاديانيين في الجيش الإسرائيلي إلى 600 جندي" وهذا هو الرابط:

http://www.antiahmadiyya.net/main/articles.aspx?selected_article_no=1258

الردّ:

هذا من الكذب الواضح. ففي برنامج نصيحة إلى وسائل الإعلام في 24-6-2010 في قناتنا الفضائية (mta) تمت استضافة **المحامي أيمن عودة**: أمين عام الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة ورئيس لجنة مناهضة التجنيد (أي مقاومة تجنيد العرب في الجيش الإسرائيلي) لدى فلسطينيي 1948م، وتم الاتصال بعباس زكور: رئيس الحركة الإسلامية في منطقة عكا (وهي قريبة من الكبابير في حيفا) وعضو كنيست سابق. وكذلك تم الاتصال بواصل طه: رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي.. ووُجّه إليهم سؤال حول هذا التجنيد المزعوم.. فقال المحامي أيمن عودة: "أنا أسكن حي الكبابير حيث غالبيته من الأحمدية. وأؤكد أنه لا يوجد أي جندي في الجيش الإسرائيلي من حي الكبابير، بل لا يوجد أي شرطي أيضا. بل أقول أكثر من ذلك، حيث إنني أزور القرى والتجمعات العربية، فأقول كلمة حق: إن التجمع السكاني الوحيد – منذ عام 1948م وحتى اليوم- والذي **لم يندمج فيه أي فرد في أي إطار أمني إسرائيلي، هو حي الكبابير**. ليس هنالك قرية ولا مدينة ولا تجمع سكني – من عرب العرامشة في الشمال حتى أم رشرش في الجنوب- إلا ويوجد فيه أو وجد فيه فرد على الأقل، قد اندمج في إطار أمني إسرائيلي، سواء في الجيش أو الشرطة.. إلا حي الكبابير.

إن أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية يحافظون على الثوابت الوطنية المعروفة لدى كل شعبنا الفلسطيني وفي كل مكان. نحن نؤكد على هذه الوحدة. الجماعة الإسلامية الأحمدية جزء أصيل من فسيفساء الشعب العربي الفلسطيني. هكذا كانت وهكذا ستبقى".

أما رئيس الحركة الإسلامية في منطقة عكا **عباس زكور** فقال: "ما أعرفه أن الجماعة الإسلامية الأحمدية جزء من الشعب الفلسطيني وجزء من الأمة العربية. وكما أنه يوجد شواذ في كل مجتمع وفي كل أمة وفي كل شعب، فيوجد شواذ في كل مؤسسة وفي كل برنامج. من هنا نقول علينا أن نبحث في الأمور التي تجمع الأمم والشعوب وتقوي الروابط فيما بينها لا التي تفرق الروابط".

فسأله الأخ محمد شريف قائلا:" أنت من عكا، وهي قريبة من حيفا، وأنت شيخ معروف، ولك احترامك في المجتمع العربي الفلسطيني وفي الخارج.. فلا بد أن يسمع المشاهد كلمة صريحة منك: هل يوجد 600 جندي أحمدي في الجيش الإسرائيلي؟

فقال عباس زكور:" لم نسمع ولم نعرف ولم يحدثنا أهل حيفا وأهل الكبابير أن الذين ينتمون للأحمدية يلتحقون بالجيش الإسرائيلي كما هو حال الدروز والشركس. إنما نسمع عنهم أمورا أخرى في قضايانا وعلاقاتنا الاجتماعية الطيبة والحميدة والجميلة.. الإسلام هو أمة الحوار، ندعو الجميع للتحاور ومقارعة الحجة بالحجة، لا الاتهامات التي تأتي جزافا هنا وهناك." لذا علينا أن نراعي الكلمة التي تقال"..

وأما **واصل طه**: رئيس حزب التجمع الوطني الديمقراطي، فقال: "سكان الكبابير هم من أبناء جلدتنا، وأبناؤنا وإخوتنا الذين يساهمون مساهمة كاملة في نضالات شعبنا. ونحن شعب واحد، والوحدة الوطنية ضرورية، وكل محاولة للدس والعمل في هذا الاتجاه فهي محاولة لضرب الوحدة الوطنية.

أهل الكبابير وجماعة الأحمدية هم أبناء الشعب الفلسطيني وجزء لا يتجزأ من شعبنا. وكل هذه الاتهامات هي افتراء على الإخوة الذين هم جزء لا يتجزأ من شعبنا".

فهل بقي قول للكذابين بعد هذا كله؟

وقبل عشرين سنة كانت جماعتنا في فلسطين 1948م قد جمعت توقيعات من رؤساء مجالس محلية كبيرة ومن قضاة عرب ومن كبار رجالات فلسطين 1948م على أنه لا يوجد أي جندي أحمدي في الجيش الإسرائيلي..

واللافت للانتباه أن شعار هؤلاء الكذابين يقول: أطلقوا كل أنواع الأكاذيب ضد الأحمدية، فالكذبة التي لا تصلح في إبعاد فلان، هي نفسها تصلح في إبعاد علاّن. ولا بدّ لكل شخص من كذبة تصلح لإبعاده. فنوِّعوا في أكاذيبكم.

ولكن الشعار الذي يجب أن يرفعه الناس كافة هو: مَن ثبت كذبه مرة واحدة فلم يعُد ثقةً بحال.. ولا يُنقل عنه خبرٌ بعد ذلك. فكيف بهؤلاء المشايخ الذين قد تنافسوا في الافتراء علينا؟!